من ذخائر التراث الإسلامي

فتح الرحمن
بكشف ما يلتبس في القرآن

تأليف

شيخ الإسلام الإمام أبي يحيى زكريا الأنصاري

تغمده الله بالرحمة والرضوان

حققه وعلق عليه

الشيخ محمد علي الصابوني

أستاذ التفسير بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية

مكة المكرمة - جامعة أم القرى

دار القرآن الكريم

بيروت ص. ب. ٧٤٩٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فتح الرحمن

بكشف ما يلتبس في القرآن



الطبعة الأولى

بيروت - لبنان

١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة المحقّق

الحمدُ للَّهِ ربِّ العالمين، الذي كشف لعباده المتقين، عن أسرار كتابه المبين، وأطلعهم على دقائقِ كنوزه، وروائعِ آياتهِ، والصَّلاةُ والسَّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، الذي خَصَّه اللَّهُ بالمعجزةِ الخالدة «معجزةِ القرآن» وعلى آله وأصحابه الأبرار الأطهار، والتابعين لهم بإِحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن كتاب «فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن» لشيخ الإِسلام أبي يحيى زكريا الأنصاري، من المخطوطات النادرة، والكتب النفيسة، التي يحتاج إليها طلبة قسم الدراسات العليا فرع «الكتاب والسنة» وقد بذل المؤلف - رحمه الله - قُصارى جهده، لتوضيح ما يلتبس من آيات القرآن الكريم، ليبرز لنا تلك الدرر النفيسة، والكنوز الثمينة، التي احتواها هذا الكتاب المجيد، وليكشف لنا عن دقائق أسرار القرآن، في تعبيره الرفيع، وبيانه المعجز.

وقد عثرت في « المكتبة المحمودية » بالمدينة المنوَّرة، على نسخةٍ مخطوطة، لهذا السِّفر القيِّم، كما رأيت في مكتبة «جامعة أم القرى» بمكة المكرمة، نسخةً مخطوطة أخرى لهذا الكتاب النفيس، ولكنَّها قد طُمست منها بعض العبارات، وقد اعتمدت عليها في تحقيق هذه المخطوطة، وقد اتضح لي نقصٍ بعض الصفحات فيها، فاستعنت بالنسخة المصوَّرة من إسبانيا، التي أُهديت إلى جامعة أم القرى تحت رقم ١٣٨٥ من الجامعة الإسلامية، أطلعني عليها بعض الإخوة المسئولين في قسم المخطوطات، كما اطلعتُ على نسخةٍ أخرى في مكتبة «الحرم المكيّ» الشريف، وقد ساعدتني واستفدت منها للمقارنة بين النسخ الثلاث ، عند غموض بعض العبارات، أو سقوطها، وأما ما طُبع من هذا الكتاب «فتح الرحمن» على هامش التفسير المسمَّى «السراج المنير» للخطيب الشربيني فلم يكن كاملاً، وإنما هو لبعض سورٍ كريمة، من أول سورة البقرة إلى نهاية سورة التوبة، وليس فيه شيء من التحقيق العلمي، الذي ينشده الباحث، ويسعى إليه المحقّق.

وقد عملتُ عند تحقيق هذه المخطوطة، على ترقيم الآيات فيها، في كل سورةٍ من السور التي تناولتها، ليسهل على القارىء فهمُها واستيعابُها، كما نبَّهتُ إلى مكان الآية ورقمها في الآيات التي استشهد بها المؤلف، ووضعتُ بعض التعليقات الهامَّة في الحاشية، لا سيما إذا أتى المؤلف برأيٍ مرجوحٍ، أو قولٍ غريب في تفسير الآيات الكريمة، يخالف ما ذهب إليه الأئمة المحققون من أهل التفسير.

وإنني أحمد الله عزَّ وجل أن يسَّر لي الطريق، وذلَّل الصعاب، لإتمام هذا العمل المفيد، وأشكر « **دار القرآن الكريم** » لصاحبها الأخ الفاضل الأستاذ محمد بسام الأسطواني على جهودها في إخراج هذا السِّفر القيِّم، بهذا الرونق القشيب، كما أشكر جميع الإخوة الذين ساعدوني في تحقيق هذه المخطوطة، ولا يفوتني أن أخصّ بالشكر الأخ الفاضل الوجيه الشيخ « عبد الله أبو الحسن » الذي ساهم بطباعة هذا الكتاب على نفقته

الخاصة ، فطبع منه خمسة آلاف نسخة وقدَّمها هدية لطلاب العلم ، وأسأله تعالى أن يجعل أعمالنا خالصةً لوجهه الكريم ، وأن يوفقنا لخدمة دينه ، إنه سميع مجيب الدعاء ، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الخامس عشر من شهر ربيع الأول ١٤٠٢ هـ .

وكتبه

خادم الكتاب والسُّنَّة

محمَّد علي الصَّابوني

* * *

صورة عن الصفحة الأولى من مخطوطة جامعة أم القرى ويُرى فيها بعض الطمس

لان العبد يستعين الله تعالى على العبادة ليعينه عليها [illegible] الواو
لا تقتضي الترتيب أو المراد بالعبادة التوحيد وهو مقدم على
الاستعانة على سائر العبادات قوله [illegible] صراط الذين انعمت
عليهم كرر الصراط لانه المكان المهيأ للسلوك فذكر في الاول
المكان دون السالك فاعاده مع ذكره بقوله صراط الذين انعمت
عليهم الى آخره للتصريح فيهما بخروج اليهود وهم المغضوب
عليهم والنصارى وهم الضالون فان قلت [illegible] المراد بالصراط
المستقيم الاسلام او القرآن او طريق الجنة كما قيل والمؤمنون
مهتدون الى ذلك فما معنى طلب الهداية التي هي بمنزلة تحصيل
الحاصل قلت معناه [illegible] او ادمها علينا [illegible] قوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا [illegible] [illegible] دخول
[illegible]
[illegible] انها كاف في المقصود
[illegible] غيره سورة البقرة
[illegible] المص [illegible] وزاد في الاعراف صادا
لقوله بعده فلا يكن في صدرك حرج منه وفي الرعد راء
لقوله بعده الله الذي رفع السموات واعلم ان حروف
الهجا في اوايل السور من المتشابه الذي استاثر الله بعلمه

وهي




كتاب فتح الرحمن بكشف ما يلبس في القرآن تأليف

الشيخ الإمام والحبر الهمام الولي الرباني

والعالم الصمداني ولي الله بلا نزاع

ومحرر المذهب بلا دفاع أبو زكريا

يحيى الأنصاري الشافعي

رحمه الله تعالى

ونفعنا

بركاته في الدنيا

والآخرة

آمين

من كلام الشيخ إبراهيم الجعبري رحمه الله تعالى

صورة لغلاف نسخة الحرم المكي الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

قال سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الاسلام ملك العلماء الاعلام امام
النقض والابرام سيبويه زمانه فريد عصره واوانه زين الدين لسان
المتكلمين حجة المناظرين محيي السنة سيد المهلبين ابو يحيى زكريا الانصاري
الشافعي رحمه الله ورضي عنه وارضاه وجعل الجنة ماواه واعاد علينا
وعلى المسلمين من بركته امين بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي نور قلوب
العارفين بكتابه العزيز واطلعهم على خبايا الزوايا بالبرهان القويم
والصلاة والسلام على خير الانام وعلى اله وصحبه البررة الكرام
وبعد فهذا مختصر في ذكر ايات القران المتشابهات المختلفة
بزيادة او تقديم او ابدال حرف باخر او غير ذلك مع بيان سبب الاختلاف
وفي ذكر غير المختلف مع بيان سبب تكراره وفي ذكر انموذج من اسئلة
القران العزيز واجوبتها صريحا او اشارة جمعته من كلام العلماء المحققين
مع ما فتح الله تعالى من فيض فضله [illegible] وسميته فتح الرحمن بكشف
ما يلتبس في القران والله اسال ان ينفع به ويجعله خالصا لوجهه وهو حسبي
ونعم الوكيل سورة الفاتحة قوله بسم الله الرحمن الرحيم
اي ابتدي وتقدير العامل مؤخرا كما صنعت اولى من تقديمه ليفيد [الاختصاص]
والاهتمام بشان المقدم وانما قدم في قوله اقرا باسم ربك للاهتمام بالقراءة
لان ذلك اول سورة نزلت قوله الرحمن الرحيم كرره لان الرحمة هي الانعام
على المحتاج وذكر في الاية الاولى المنعم دون المنعم عليهم فاعادها مع ذكرهم
بقوله رب العالمين الخ فان قلت الرحمن ابلغ من الرحيم فكيف قدمه
وعادة العرب في صفات المدح الترقي من الادنى الى الاعلى كقولهم فلان عالم نحرير

لان

لان ذكر الاعلى اولا ثم الادنى لم يتجدد بذكر الادنى فائدة بخلاف عكسه
قلت ان كانا بمعنى واحد كندمان ونديم كما قاله الجوهري وغيره فلا
اشكال او بان الرحمن ابلغ كما عليه الاكثر فانما قدمه لانه اسم خاص بالله
تعالى كلفظ الله قوله واياك كرر اياك لانه لو حذف في الثاني
لفات فائدة التقديم وهي قطع الاشتراك بين العاملين اذ لو قيل اياك
نعبد ونستعين او اياك نعبد ونستعينك فان قلت اذا كان
نستعينك مفيد القطع الاشتراك بين العاملين فلم عدل عنه مع انه
اخصر الى واياك نستعين قلت عدل اليه ليفيد الحصر فان قلت
لم قدم العبادة على الاستعانة مع ان الاستعانة مقدمة لان العبد يستعين
بالله تعالى على العبادة ليعينه عليها قلت الواو لا تقتضي الترتيب
او المراد بالعبادة التوحيد وهو مقدم على الاستعانة على سائر العبادات
قوله صراط الذين انعمت عليهم كرر الصراط لانه المكان المهيا للسلوك
فذكر اولا المكان دون السالك فاعاده مع ذكره بقوله صراط الذين انعمت
عليهم الا المصرح فيه بما يخرج اليهود وهم المغضوب عليهم والنصارى
وهم الضالون فان قلت المراد بالصراط المستقيم الاسلام او القران
او طريق الجنة كما قيل والمؤمنون مهتدون الى ذلك فما معنى طلب الهداية
لهم اذ فيه تحصيل الحاصل قلت معناه ثبتنا او دمنا عليه كما في
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا امنوا بالله فان قلت ما فائدة دخول
لا في قوله ولا الضالين مع ان الكلام بدونها كاف في المقصود قلت
فائدته توكيد النفي المفاد من غير سورة البقرة قوله
الم كررت في اوائل ست سور وزاد في الاعراف صادا وقوله بعد [ثلاثين] في

[ليظهر ان التقدير اياك نعبد واياك نستعين صح]

صورة للصفحتين الأولى والثانية من مخطوطة مكتبة الحرم المكي الشريف

وتكرر ما قبله وما بعدها قلت لان كل نفاثة لها شر وليس كل غاسق وحاسد له شر والغاسق الليل ... ذكر في الناس خمس مرات بتجيلالهم ولا نفصال كل اية منها عن الاخرى بعدم العاطف او المراد بالاول الاطفال بقرينة معنى الربوبية وبالثاني الشباب بقرينة ذكر الملك الدال على السياسة وبالثالث الشيوخ بقرينة ذكر الاله الدال على العبادة وبالرابع الصالحون بقرينة وسوسة الخناس وهو الشيطان المولع باغوايهم وبالخامس المفسدون بقرينة عطفه على الجنة المتعوذ منهم فان قلت لم خص الناس بالذكر في الثلاثة الاول مع انه تعالى رب كل شيء ومليكه والهه قلت تشريفا لهم وتفضيلا على غيرهم قوله الذي يوسوس في صدور الناس اي قلوبهم قوله من الجنة والناس بيان للشيطان الموسوس فانه جني وانسي كقوله تعالى شياطين الانس والجن واعترض بان الناس لا يوسوسون في صدور الناس انما يوسوس في صدورهم الجن واجيب بان الناس يوسوسون في صدور الناس ايضا بواسطة وسوستهم لهم بمعنى يليق بهم في الظاهر حتى تصل وسوستهم الى الصدور والله اعلم

تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه في اليوم المبارك يوم الاثنين سلخ شعبان في سنة خمسة وعشرين بعد الالف من الهجرة النبوية وصلى الله على سيدنا محمد سيد الاولين والاخرين وعلى اله وصحبه اجمعين وذلك على يد افقر عباد الله واحوجهم الى عفوه ومغفرته محمد بن علي بن محمد ابن احمد الحصني الخزرجي الوفائي الوسطي ولادة الازهري وطنا الشافعي مذهبا اثابه ذي حرمة غفر الله له ولوالديه ولمن نظر فيه امين امين امين

بلغ مقابلة على ما كتب منه وهي نسخة وقف المؤلف وعليها خطه في مواضع كثيرة بالتصحيح والله اعلم

صورة للصفحة الأخيرة من مخطوطة مكتبة الحرم المكي الشريف

كتاب
فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في
القرآن تأليف سيدنا ومولانا
شيخ الإسلام أبي يحيى
زكريا الأنصاري أثابه
نفعنا الله ... بركاته

[illegible]

Zacharia Alensari. Tractatus de Consortium Alcorani, inscriptus Enucleatio Amphibologiarum Alcorani, ubi agitur de causa repetitionum propositionum, quae passim in Alcorano reperiuntur in variis locis = sine era =

N. 1452.

صورة عن غلاف النسخة الإسبانية المصورة

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
قال سيدنا ومولانا شيخ الإسلام ملك العلماء الأعلام
مفتي المسلمين والإسلام سيبويه زمانه فريد عصره وأوانه زين
الدين لسان المتكلمين حجة المناظرين محيي سنة سيد المرسلين أبو
يحيى زكريا الأنصاري الشافعي أدام الله تعالى أيامه الزاهرة
وجمع له خيري الدنيا والآخرة ونفع في مدته وأعاد
علينا وعلى المسلمين من بركته بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي
نور قلوب العارفين بمشاهد العقول والمنعم على [illegible] بالزوايا
[illegible] والصلاة والسلام على خير الأنام وعلى آله وصحبه
البررة الكرام وبعد فهذا مختصر في ذكر آيات القرآن
المتشابهات المختلفة بزيادة أو تقديم أو إبدال حرف بآخر
وغير ذلك مع بيان سبب الاختلاف وفي ذكر غير المختلفة
مع بيان سبب تكرارها وفي ذكر ما فتح به من أسئلة القرآن
العزيز وأجوبتها صحيحا [illegible] جمعته من كلام العلماء
المحققين ثم ما فتح الله به من فيض فضله المتين وسميته
بفتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن والله أسأل أن
ينفع به ويجعله خالصا لوجهه وهو حسبي ونعم الوكيل
سورة

سورة الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم إن قيل
وتقدير الفاعل مؤخرا كما صنعت أولى من تقديمه ليفيد
الاختصاص والاهتمام بشأن المقدم وأما تقديم الفعل في قوله
اقرأ باسم ربك فالاهتمام بالقراءة لأن ذلك أول سورة
نزلت قوله الرحمن الرحيم كرره لأن الرحمة هي الإنعام
على المحتاج وذكر في الآية الأولى المنعم دون المنعم عليهم
فأعادها مع ذكرهم بقوله رب العالمين [illegible]
الرحمن أبلغ من الرحيم فكيف قدمه وعادة العرب
في صفات المدح الترقي من الأدنى إلى الأعلى
كقولهم فلان عالم نحرير لأن ذكر الأعلى أولا ثم الأدنى لم يتجدد
بذكر الأدنى فائدة بخلاف عكسه قلنا إن كانا بمعنى واحد
كندمان ونديم كما قاله الجوهري فلا سؤال وإن الرحمن
المنعم [illegible] كما عليه الأكثر فإنما قدمه لأنه اسم خاص بالله تعالى
كلفظ الله قوله وإياك كرر إياك لأنه لو حذفه في الثاني لفاتت
فائدة التقديم وهي قطع الاشتراك بين العاملين إذ لو قيل
إياك نعبد ونستعين لم يظهر أن التقدير إياك نعبد وإياك
نستعين أو إياك نعبد ونستعينك قلت [illegible] إذ [illegible]

صورة للصفحتين الأولى والثانية من النسخة المصورة من إسبانيا



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدّمَة المؤلّف

الحمد لله الذي نوَّر قلوبَ العارفين بكتابِهِ العظيم ، وأطلعهم على خبايا[1] الزوايا بالبرهان القويم ، والصلاةُ والسلامُ على خيرِ الأنام ، وعلى آلِه وصحبِهِ البَرَرة الكرام .

وبعد :

فهذا مختصرٌ في ذكرِ آياتِ القرآنِ المتشابهاتِ ، المختلفةِ بزيادةٍ ، أو تقديمٍ ، أو إبدال حرفٍ بآخر ، أو غيرِ ذلك مع بيان سبب تكراره ، وفي ذكر أُنْموذجٍ من أسئلة القرآن العزيز وأجوبتها ، صريحاً أو إشارةً ، جمعتُه من كلام العلماء المحققين ، ما فَتح اللَّهُ به من فيضِ فضلِهِ المتين ، وسميته بـ:

«فتحُ الرحمن بكشف ما يَلْتبسُ في القرآن» .

واللَّهَ أسألُ أن ينفع به ، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

---

(١) خبايا : المراد بها الأسرار الخفية الدقيقة .

سُورَة الفَاتِحَة

١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ :﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ [(١)]﴾ أي أبتدىءُ . وتقديرُ العامِلِ مؤخراً كما صنعتُ أُولى من تقديمه ليفيد الاختصاص ،والاهتمام بشأن المقدَّم .

وإِنَّما قُدِّم في قوله « إقرأ باسم ربك » للاهتمام بالقرآن ، لأن ذلك أوَّلُ سورةٍ نزلت .

٢ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ كرَّره لأن الرحمة هي الإنعامُ على المحتاج ، وذكرَ في الآية الأولى المُنْعِمَ دونَ المُنْعَمِ عليهم ، وأعادها مع ذكرهم بقوله ﴿ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ الخ .

فإن قُلتَ : الرحمنُ أبلغُ من الرحيم فكيف قدَّمه ؟ وعادةُ العرب في صفات المدح الترقّي من « الأدنى » إلى « الأعلى » كقولهم : فلانٌ عالمٌ نِحرير . . لأن ذكر الأعلى أوّلاً ، ثم الأدنى ، لم يتجدد بذكر الأدنى فائدة ، بخلاف عكسه ؟!

(١) هذا على القول بأن البسملة آيةٌ من سورة الفاتحة .

قلت : إن كانا بمعنى واحدٍ كندمان ونديم ، كما قال الجوهري وغيره فلا إشكال ، أو بأنَّ « الرحمن » أبلغ كما عليه الأكثر[1] ، فإنما قدَّمه لأنه اسمٌ خاصٌ بالله تعالى كلفظ « الله » .

٣ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ كرَّر ﴿إِيَّاكَ﴾ لأنه لو حذفه في الثاني لفاتت فائدة التقديم ، وهي قطع الإشتـراك بين العاملَيْن ، إذ لـو قال : « إيَّـاكَ نعبدُ ونستعينُ » لم يظهر أن التقدير إيَّاكَ نعبدُ وإيَّاكَ نستعين . . أو إيَّاكَ نعبدُ ونستعينك ! !

فـإن قلتَ : إذا كان « نستعينـك » مفيداً لقـطع الاشتراك بين العامِلَيْن ، فلِمَ عَدَلَ عنه مع أنه أخصرُ ، إلى « وإيَّاكَ نستعين » ؟

قلتُ : عَدَلَ إليه ليفيد الحصر بين العاملَيْن مع أنه أخصر .

فإن قلتَ : فلمَ قَدَّمَ العبادة على الاستعانة ، مع أن الاستعانة مقدمة ، لأن العبد يستعين اللَّهَ على العبادة ليُعينه عليها ؟

---

(١) صيغة « الرحمن » أبلغ من « الرحيم » لأن لفظ الرحمن يدل على الكثرة والسَّعة والامتلاء كما تقول : شبعان ، وملآن ، وغضبان لمن امتلأ شبعاً ، وريّاً ، وغضباً ، بخلاف « الرحيم » فلا تفيد المبالغة ، فمعنى « الرحمن » واسع الرحمة ، وقيل : «الرحمنُ » صفةٌ تتعلق بالذات ، و «الرحيمُ » صفةٌ تتعلق بالعباد «إنه بهم رءُوف رحيمٌ » .

قلتُ : الوَاوُ لا تقتضي الترتيبَ ، أو المرادُ بالعبادةِ التوحيدُ[1] وهو مقدَّم على الاستعانة على سائر العبادات .

٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ .

كرَّرَ « الصراط » لأنه المكان المهيَّأُ للسّلوك ، فذكر في الأول المكان دون السَّالك ، فأعاده مع ذكره بقوله ﴿ صراطَ الّذينَ أَنْعَمْتَ عليهم ﴾ الخ . . المصرَّح فيه بما يخرج « اليهود » وهم المغضوب عليهم ، و « النصارى » وهم الضالُّون .

فإن قلتَ : المراد « بالصراط المستقيم » الإسلامُ ، أو القرآنِ ، أو طريق الجنة كما قيل . . والمؤمنون مهتدون إلى ذلك ، فما معنى طلب الهداية له ، إذ فيه تحصيلُ الحاصل ؟

قلتُ : معناه ثبِّتْنا وأَدِمْنا عليه مع الاستقامة كما في قوله ﴿ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا باللَّهِ ﴾[2] .

فإن قلتَ : ما فائدةُ دخول « لا » في قوله ﴿ وَلَا الضَّالين ﴾ مع أن الكلام بدونها كافٍ في المقصود ؟

قلتُ : فائدتُه توكيدُ النفي المفاد من « غير » .

---

(١) أي الإيمان ، وهذا قد روي عن ابن عباس في ﴿اعبدوا ربكم﴾ وحّدوهُ وآمنوا بألوهيَّته .

(٢) أي اثبتوا على الإيمان والْزموا التمسك به ، فإن الشيطان قد يصرف الإنسان عن الإيمان فيزيغ قلبه ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾ .

سُورَة البَقَـرَة

١ ـ قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ ﴾ . كُرِّرَ في أوائل ستِّ سور [1] .

وزاد في « الأعراف » صاداً ﴿ **الٓمٓصٓ** ﴾ لقوله بعده ﴿ **فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ منه** . . ﴾ الآية .

وفي « الرعد » راءً ﴿ **الٓمٓر** ﴾ لقوله بعده ﴿ **اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمٰوَاتِ** . . ﴾ الآية .

واعلم أن حرف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر اللهُ بعلمه ، وهي سِرُّ القرآن .

وفائدة ذكرها طلبُ الإيمان بها .

وقيل : هي معلوماتُ المعاني ، وعليه :

فقيل : كل حرف منها أول اسم من أسماء الله .

---

(١) هي البقرة ﴿الٓمٓ ذٰلِكَ الكتابُ لا ريْبَ فِيهِ﴾ وآلِ عمران ﴿الٓمٓ اللّهُ لا إلٰهَ إلاّ هُوَ الحيُّ القيُّومُ﴾ وفي العنكبوت ﴿الٓمٓ . أَحَسِبَ النَّاسُ أن يُتْرَكوا﴾ وفي الروم ﴿الٓمٓ . غُلبتِ الرُّومُ﴾ وفي لقمان ﴿الٓمٓ . تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ وفي السجدة ﴿الٓمٓ . تنزيلُ الكتابِ لا ريبَ فِيهِ من ربِّ العالمين﴾ فهذه ستُّ سور .

فالألف من « الله » واللام من « اللطيف » والميم من « المجيد » والصَّادُ من « صادق » والرَّاءُ من « رءوف » .

وقيل : هي أقسامٌ أقسم الله بها لشرفها .

وقيل : غيرُ ذلك وأَنَّ تسميتَها حروفاً مجازٌ ، وإنما هي أسماءٌ مسمياتها الحروف المبسوطة[1] .. وعليه فقيل : مُعْربة ، وقيل : مبنيَّةٌ ، وقيل : لا ، ولا[2] ، وقد بيَّنتُ ذلك في غير هذا الكتاب .

٢ ـ قوله تعالى : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي لا شكَّ فيه .

فإن قلتَ : كيف نفى الرَّيْب ، وكم ضالٍّ آرتاب فيه ؟

قلتُ : المراد أنه ليس محلاً للرَّيب[3] ، أو لا ريب فيه عند الله ، ورسوله ، والمؤمنين .

أو ذلك نفيٌ بمعنى النَّهي ، أي لا ترتابوا فيه لأنه من عند الله ، ونظيره قوله تعالى **﴿إِنَّ السَّاعةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فيها ..﴾** .

---

(١) الأرجح في الحروف المقطعة ما ذهب إليه المحققون من أئمة التفسير أن هذه الحروف الهجائية للتنبيه على « إعجاز القرآن » وهو اختيار ابن كثير وجمع من العلماء الأعلام ، وقد وضحنا هذا الرأي في كتابنا الجديد « صفوة التفاسير » فارجع إليه في أول سورة البقرة ١ / ٢٥ .

(٢) أي ليست معربة ولا مبنيَّة .

(٣) المراد لا مجال للإرتياب بالقرآن فإنه لوضوح بيانه ، وسطوع برهانه ، لا ينبغي لأحدٍ أن يرتاب فيه .

فإن قلتَ : كيف قال : ﴿ هُــدَىً لِلمُتَّقِــينَ ﴾وفيه تحصيلُ الحاصل ، لأن المتقين مهتدون ؟

قلتُ : إنما صاروا متَّقينَ باستفادتهم الهُدَى من الكتاب ، أو المراد بالهدى الثباتُ والدوام عليه[1] .

أو أراد الفريقين واقتصر على المتقين ، لأنهم الفائزون بمنافع الكتاب ، وللإِيجاز كما في قوله تعالى ﴿ سرابيلَ تقيكم الحرَّ .. ﴾[2] .

٣ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أي يعلمون . واليقينُ : العلمُ بعد أن لم يكن ، ولهذا لا يُقال لعلم اللَّهِ يقينٌ[3] .

٤ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿أُوْلَئِكَ عَلَى هُدَىً مِنْ رَبِّهِمْ﴾ .

فإن قلتَ : لَمَ ذَكَرَ ذلك مع قوله قبلُ « هُدَىً للمُتَّقِينَ » ؟

قلتُ : لأنه ذكر هنا مع « هُدىً » فاعِله ، بخلاف ثَمَّ .

---

(١) تخصيصُ المتقين بالذكر للتشريف لهم والتكريم ، لأنهم هم المنتفعون بهدْيه وضيائه .

(٢) أي والبرد فحذف الثاني للإِيجاز ومعنى الآية : جعل لكم ثياباً تدفع عنكم ضرر الحرّ والبرد ، فاكتفى بذكر أحد الضدين عن الآخر .

(٣) توضيح القول أن اليقين هو العلمُ بالشيء بعد أن كان صاحبُه شاكّاً فيه ، ولذلك لا يقال : تيقَّن اللهُ الأمرَ .

٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾

فـإن قلتَ : لِمَ حُذِفَ الـواوُ هنـا ، وأُثْبتت في « يسٓ » ؟

قلتُ : لأن ما هنا جملةٌ هي خبر عن إسم « إنَّ » وما هناك جملةٌ عُطفت على أخرى[1] .

فإن قلتَ : ما فائدةُ بعثةِ الرسل بعد قوله﴿ سَوَاءٌ عـليهـمْ ﴾الآية ؟

قلتُ : لئلا يكون للناس حجة ، أو لأنَّ الآية نزلتْ في قومٍ « لا يؤمنون ولو جاءتهم كلُّ آية » فبعثةُ الرسل انتفع بها آخرون فآمنوا .

٦ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّـذِينَ آمَنُـوا ﴾

إن قلتَ : كيف قاله ، مع أن المخادعة إنما تُتصوَّر في حقّ من تخفى عليه الأمور ، ليتمَّ الخداعُ من حيث لا يعلم ، ولا يخفى على الله شيءٌ ؟

قلت : المراد يخادعون رسول الله ، إذْ معاملةُ اللَّهِ

---

(١) في سورة يسٓ قال الله ﴿وسواءٌ عليهم أأنذرتهم﴾ بذكر واو العطف ، وهنا في البقرة قال الله ﴿سواءٌ عليهم﴾ فلم يذكر حرف العطف ، وقد بيَّن المصنِّف رحمه الله أنها هنا خبرُ « إنَّ » فلا تحتاج إلى واو عطف، وفي يسٓ جاءت جملة مستقلة معطوفة على ما سبق .

معاملةُ رسوله ، كعكسه لقوله تعالى « إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ » ، وقوله « مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ » ، أو سمَّى نفاقهم خداعاً لشَبهِهِ[1] بفعل المخادع .

٧ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ .

إن قلتَ : كيف خصَّ الفساد بالمنافقين ، مع أن غيرهم مفسدٌ ؟

قلتُ : المرادُ بالفسادِ الفسادُ بالنفاق ، وهم كانوا مختصِّين به .

٨ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ .

إن قلت : الاستهزاءُ من باب العَبَث والسخرية ، وذلك قبيحٌ على الله تعالى ومنزَّه عنه ؟

قلتُ : سمَّى جزاء الاستهزاء استهزاءً مشاكلةً[2] كقوله « وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا » والمعنى أن الله يجازيهم جزاء استهزائهم .

٩ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿أو كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ .

---

(١) في المخطوطة لشبهةٍ وهو خطأ ، وصوابُه كما أثبتناه لشَبَهِهِ .

(٢) المشاكلة عند علماء البلاغة هي : الاتفاقُ باللفظ مع الاختلاف بالمعنى كقول الشاعر : قالوا اقترح شيئاً نُجِدْ لك طبخه : قلت : اطبخوا لي جبَّةً وقميصاً ومعلوم أن الجُبَّة لا تطبخ وإنَّما تُخاط ، فهذا على سبيل المشاكلة .

إن قلتَ : ما فائدة قوله «من السَّمَاء» مع أن الصيِّبَ لا يكون إلَّا منها ؟

قلتُ : فائدتُه أنه عرَّف السماءَ ، وأضاف الصيِّب إليها ، ليدلَّ على أنه من جميع آفاقِ السَّماء ، لا من أُفُقٍ واحد ، إذْ كُلُّ أُفُق يُسمَّى سماءً ، ونظيرُ ذلك قولُه تعالى : « وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ »[١] .

١٠ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ . .﴾ .

عبَّر بالأصابع عن أناملها[٢] ، والمرادُ بعضها لأنهم إنما جعلوا بعض أناملها .

١١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي أنه لا أنداد[٣] له .

فإن قلتَ : المشركون لم يكونوا عالمين بذلك ، بل كانوا يعتقدون أنَّ له أنداداً ؟

قلتُ : المرادُ وأنتم تعلمون أن الأنداد لا تقدر على

---

(١) تتمة الآية الكريمة ﴿ولا طائرٍ يطير بجناحيه﴾ ومعلوم أن الدابة لا تكون إلا في الأرض ، والطائر لا يطير إلا بجناحين ، فذكرُ ذلك هو من باب التأكيد .

(٢) هذا من المجاز المرسل ، وهو من باب إطلاق الكل وإرادة الجزء .

(٣) أنداداً : أي أشباهاً وأمثالاً والمراد لا تجعلوا لله شركاء معه فهو الواحد الأحد ، الفرد الصمد .

شيءٍ ممَّا مرَّ قبل ذلك ، أو وأنتم تعلمون أنه ليس في التوراة والإنجيل جوازُ اتخاذ الأنداد .

١٢ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ .

إن قلتَ : لِمَ ذُكرت « مِنْ » هنا ، وحُذفت في سورتَيْ « يونس » و « هود » ؟

قلتُ : لأن « مِنْ » هنا للتَّبعيضِ ، أو للتَّبْيينِ ، أو زائدة على قول الأخفش ، بتقدير رجوع الضمير في « مثلِه » إلى « مَا » في قوله : « مِمَّا نَزَّلْنَا » وهو الأوجه .

والمعنى على الأخير : فأتوا بسورةٍ مماثلةٍ للقرآن ، في البلاغة وحُسْنِ النَّظْم ، وعلى الأوَّلَيْن : فأتوا بسورةٍ مما هو على صفته في البلاغة ، وحُسن النَّظم ، وحينئذٍ فكأنه منه ، فحُسن الإتيان بـ « مِنْ » الدالة على ما ذكر .

بخلاف ذاكَ ، فإنه قد وصف السور بالافتراء ، صريحاً في « هود » ، وإشارةً في « يونس » فلم يَحْسُنْ الإتيان بـ « مِنْ » الدالَّة على ما ذُكر ، لأنها حينئذٍ تُشعر بأنَّ ما بَعْدها من جنس ما قَبْلَها ، فيلزم أن يكون قرآناً وهو محالٌ .

ويجوز جعلُ « مِنْ » للابتداء ، بتقدير رجوع الضمير في « مثله » إلى عبدنا أي « محمد » والمعنى : فأتوا

بسورةٍ مبتدأةٍ من شخصٍ مثل محمد[1] .

١٣ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ .

أي من غيره ، وهو بهذا المعنى في جميع ما جاء منه في القرآن . وقد يستعمل بمعنى « قبل » كقولهم : المدينة دون مكة ، ولا أقومُ من مجلسي دون أن تَجيء ، ولا أفارقُك دون أن تُعطيني حقّي .

١٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ .

إن قلتَ : كيف عرَّف النَّار هنا ، ونكَّرها في التحريم[2] ؟

قلتُ : لأن الخطاب في هذه مع المنافقين ، وهم في أسفل النَّار المحيطة بهم ، فعُرِّفت بلام الاستغراق ، أو العهد الذهني ، وفي تلك مع المؤمنين ، والذي يُعذَّب من عصاتهم بالنَّار ، يكون في جزءٍ من أعلاها ، فناسب تنكيرها لتقليلها .

---

(١) هذا المعنى بعيد ، لأن الغرض من التحدي أن يأتوا بمثل سورة من سور القرآن ، في الفصاحة ، وحسن النظم والبيان ، فقوله ﴿من مثله﴾ صفة للقرآن لا لمحمد عليه السلام .

(٢) في قوله تعالى ﴿يا أيها الّذين آمنُوا قُوْا أنفُسَكُمْ وأهليكم ناراً . .﴾ الآية فقد جاءت هنا نكرةً لتهويل أمرها ، وتعظيم شأنها كأنه يقول : ناراً عظيمة متأججة ملتهبة ، لا طاقة للإنسان على تحمل سعيرها وعذابها ،فإذا كانت هذه النار في حقِّ العصاة المؤمنين ، فلا شكَّ أنها تكون أهول وأعظم في حقِّ المنافقين .

وقيل : لأن تلك الآية نزلت قبل هذه بمكة ، فلم تكن النار التي وقودُها النَّاس والحجارة معروفةً فنكَّرها ثَمَّ ، وهذه نزلت بالمدينة فعُرِّفَتْ ، إشارةً إلى ما عرفوه أولاً . ورُدَّ هذا بأن « آية التحريم » نزلت بالمدينة بعد الآية هنا .

١٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ . .﴾ .

إن قلتَ : كيف شرَطَ في دخول المؤمنِ الجنَّة العملَ الصالح ، مع أن مجرَّد الإيمان كافٍ في دخولها !؟

قلتُ : المرادُ بالعمل الصالح : الإخلاصُ في الإيمان ، أو الثبات عليه إلى الموت[1] .

أو المرادُ بدخول الجنَّة دخولها مع الفائزين .

١٦ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً . .﴾ .

أي قوماً يخلف بعضهم بعضاً .

---

(١) العمل الصالح ليس شرطاً لدخول الجنة ، بدليل ما ورد في الصحيح « يدخل الجنة من مات وهو يشهد أنه لا إله إلا الله » وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة في غزوة تبوك لمَّا دعا ﷺ أن يجمعوا فضل زادهم ، ثم دعا لهم عليها بالبركة . . وفيه قال ﷺ : أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يلقى اللَّهَ بهما عبدٌ غير شاكٍّ فيهما إلَّا دخل الجنة » وإنما العمل الصالح لتفاوت الدرجات في الجنة .

أو « آدم » بمعنى خليفة عني بأمري .

أو خليفةً عن ملائكتي أو عن الجنّ.

١٧ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱسْجُدُوا لِآدَمَ . .﴾ أي تكرمةً لا عبادة .

١٨ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا . .﴾ .

إن قلتَ : لم قال هنا « وَكُلَا » بالواو ، وفي الأعراف « فَكُلَا » بالفاء ؟

قلتُ : لأنَّ « اسْكُنْ » هنا معناه استقرَّ ، لكون « آدم » و « حواء » كانا في الجنة ، والأكلُ يُجامع الاستقرار غالباً ، فلهذا عطف بالواو[1] الدَّالة على الجمع .

---

(١) قوله تعالى ﴿اسْكنْ أنتَ وزوْجُكَ الجنّة وكُلَا﴾ في البقرة وردت بالواو ، وفي سورة الأعراف ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجنَّة فكُلا﴾ بالفاء ، وفي كلا الآيتين فإن قوله تعالى « اسْكنْ » ليس بأمرٍ من السكون الذي ضدّهُ الحركة ، وإنما الذي في البقرة من السكون الذي معناه الإقامة ، فلم يصلح إلا بالواو ، ويكون المعنى اجمعا بين الإقامة فيها والأكل من ثمارها ، والذي في الأعراف من السكنى الذي معناه اتخاذ الموضع مسكناً ، لأن الله أخرج إبليس من الجنة بقوله ﴿أخرج منها مذءوماً مدحوراً﴾ وخاطب آدم فقال ﴿ويا آدمُ اسكنْ أنت وزوجُك الجنَّة فكُلا﴾ أي اتخذا لأنفسكما مسكناً في الجنة فكلا من حيث شئتما ، فكان الفاء أولى ، لأن اتخاذ المسكن لا يستدعي زماناً محدداً » انتهى أفاده الكرماني في كتابه « برهان القرآن » والخطيبُ ذهب إلى أن ما في « الأعراف » خطابٌ لهما قبل الدخول ، وما في « البقرة » بعده . والله أعلم .

والمعنى : اجمعا بين الاستقرار والأكل .

وفي الأعراف : معناه أدخل لكونِهما كانا خارجين عنها ، والأكلُ لا يكون مع الدخول عادة بل عَقِبه ، فلهذا عطف بالفاء الدالة على التعقيب . . وقد بسطتُ الكلام على ذلك في الفتاوى .

١٩ - قوله تعالى : ﴿اهْبِطُوا مِنْهَا . .﴾ .

كرَّر الأمر بالهبوط للتوكيد .

أو لأن الهبوط الأول من الجنة ، والثاني من السماء .

أو لأن الأول إلى دار الدنيا ، يتعادون فيها ولا يُخلَّدون ، والثاني إليها للتكليف ، فمن اهتدى نجا ، ومن ضلَّ هَلك .

٢٠ - قوله تعالى : ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ . .﴾ .

وفي « طه » : ﴿ **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ . .** ﴾ .

إن قلتُ : لِمَ عبَّر هنا بـ « تَبِعَ » وَثَمَّ بـ « اتَّبَع » مع أنهما بمعنى ؟

قلت : جَرياً على الأصل هنا ، وموافقة لقوله « يومئذٍ

يتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ » ثَمَّ[1] .

ولأن القضيَّة لما بُنيت من أول الأمر على التأكيد بقوله تعالى : « وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ » ناسبَ اختصاصها بالزيادة المفيدة للتأكيد .

٢١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الحَقَّ . .﴾ .

إن قلتَ : لا تَغَاير بينهما ، فكيف عطف أحدهما على الآخر ؟

قلتُ : بل هما متغايران لفظاً كما في قوله تعالى : « أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ »[2] .

أو لفظاً ومعنى ، لأن المراد بلبسهم الحقَّ بالباطل ، كتابتُهم في التوراة ما ليس فيها ، وبكتمانهم الحقَّ قولُهم : لا نجد في التوراة صفة محمد .

٢٢ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ .

---

(١) ثَمَّ : بفتح الثاء وتشديد الميم بمعنى هناك ، والمراد في سورة « طه » آية رقم (١٢٣) حيث وردت ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾ .

(٢) سورة البقرة آية رقم (١٥٧) والمراد بالصلوات الرحمة المقرونة بالتعظيم .

إن **قلتَ** : ما فائدةُ ذكرِ الثاني ، مع أنَّ ما قبله يُغني عنه ؟

قلتُ : لا يُغني عنه ، لأنَّ المراد بالأول : أنَّهم ملاقوا ثواب ربهم ، على الصبر والصلاة .

وبالثاني : أنّهم موقنون بالبعث، وبحصول الثواب على ما ذُكر .

٢٣ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ . .﴾ .

فإن قلتَ : ما الحكمةُ في تقديم الشَّفاعة هنا ، وعكسُه فيما يأتي[1] ؟

قلتُ : للإشارة هنا إلى مَنْ ميلُه إلى حبِّ نفسه أشدُّ منه إلى حبِّ المال ، وَثَمَّ إلى مَنْ هو بعكس ذلك .

٢٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ . .﴾ .

فإن قلتَ : ما الحكمةُ في ترك العاطف هنا ، وذكرِه في سورة إبراهيم[2] ؟

---

(١) يريد قوله تعالى ﴿ولا يُقْبَلُ منها عَدْلٌ ولا تَنْفعها شَفَاعَةٌ﴾ في نفس سورة البقرة ، فقد قدَّم « العدل » بمعنى الفداء على الشفاعة ، وهنا قدَّم الشفاعة على العدل .

(٢) يعني قوله تعالى ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابَ وَيُذَبِّحُونَ أبناءَكمْ﴾ فقد وردت بواو العطف بخلاف ما في البقرة .

قلتُ : لأن ما هنا من كلام الله تعالى ، فوقع تفسيراً لما قبله .

وما هناك من كلام موسى وكان مأموراً بتعداد المِحَن في قوله : ﴿ وذَكِّرْهُمْ بأَيَّـام اللهِ ﴾ فعـدَّد المِحَن عليهم ، فناسب ذكر العاطف[١] .

٢٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَلَكِنْ كَـانُـوا أَنْفُسَهُمْ يَـظْلِمُـونَ ﴾ البقرة آية « ٥٧ » .

إن قلتَ : ما الحكمةُ في ذكر « كانوا » هنا وفي الأعراف ، وفي حذفها في آل عمران ؟

قلتُ : لأن ما في السورتين ، إخبارٌ عن قومٍ ماتوا وانقرضوا ، فناسب ذكرها ، وما في « آل عمران » مَثَلٌ ضربه تعالى لأعمالهم بقوله « مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ »[٢] إلى آخره .

٢٦ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ القَرْيَةَ فَكُلُوا . . ﴾ البقرة آية « ٥٨ » .

---

(١) السرُّ في ترك العاطف في البقرة ، أن اللفظ جاء تفسيراً لما سبق من قوله﴿سوء العذاب﴾فكان ذلك كالتوضيح والبيان له ، أما في إبراهيم فهو غير تفسير ولا بيان ، لأن المعنى أنهم يعذبونهم بأنواع العذاب وبالذبح أيضاً فهو نوع آخر من العذاب .

(٢) قال تعالى ﴿ مَثَلُ ما يُنْفِقُونَ في هذهِ الحياةِ الدنيا كمثَلِ ريحٍ فيها صِرٌّ أَصَابتْ حَرْثَ قَومٍ ظَلَمُوا أنفسهم فأهلكته وماظلمهم الله ولكن أنفسَهم يظلمون ﴾ آل عمران آية رقم (١١٧) .

فإن قلتَ : ما الحكمةُ في العطف بالفاء هنا ، وفي الأعراف بالواو ؟

قلتُ : لأنـه عبَّر هنـا بالـدخول ، وهـو سـريـعُ الانقضاء ، فلا يناسبه مجامعة الأكلِ له ، وإنما يناسبه تعقيبه له ، فعطف بالفاء . وعَبَّر بالأعراف بالسكون [1] ، أي الاستقرار وهو ممتدٌّ يجامعه الأكلُ ، فعطف بالواو .

٢٧ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ **وَادْخُلُوا البَابَ سُجَّداً** . . ﴾[2] البقرة آية « ٥٨ » .

إن قلتَ : لِمَ قدَّمه على قوله « وَقُولُوا حِطَّةٌ » وعَكس في الأعراف ؟

قلتُ : لأنه هنا وقع بياناً لكيفية الدخول المذكور قبله ، بقوله : ﴿ **وإذْ قُلْنَا ادْخلُوا هذهِ القَرْيةَ** . . ﴾ بخلافه ثَـمَّ .

٢٨ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**وَسَنَزِيدُ المُحْسِنِينَ**﴾ البقرة آية « ٥٨ »

---

(١) في قوله تعالى : ﴿ وإذْ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم . . ﴾ الأعراف آية رقم (١٦١) .

(٢) في البقرة قال تعالى ﴿ وادخلوا البابَ سُجَّداً وقولوا حِطَّة ﴾ وفي الأعراف قال ﴿ وقولوا حِطَّةٌ وادخلوا البَابَ سُجَّداً ﴾ فقدَّم وأخَّر ، وقد بيَّن الشيخ السِّر في ذلك، وهو أنه في البقرة جاء الخطاب من الله ﴿ وإذْ قلنا ادخلوا هذه القرية ﴾ بينما في الأعراف جاء بصيغة الغائب﴿ وإذْ قيل﴾ ولذلك عطف بالواو في البقرة ﴿وسنزيد المحسنين﴾ فتدبَّرْه فإنه دقيق .

إن قلتَ : لَمَ ذكرَ هنا بالواو ، وفي الأعراف بدونها ؟

قلتُ : لأنَّ اتصالَه هنا أشدُّ ، لإسناد القول فيه إلى الله تعالى في قوله « وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا » . بخلافه ثَمَّ ، فالأليقُ به حذفُ الواو ليكون استئنافاً .

٢٩ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ . . ﴾ البقرة آية « **٥٩** » .

إن قلتَ : هم لم يُبدِّلوا غير الذي قيل لهم ، وإنما بدَّلوه نفسه ، لأنهم قيل لهم قولوا « حِطَّةٌ » فقالوا : حنطة .

قلتُ : بل بدَّلوا غير الذي قيل لهم ، لأن معناه : فبدَّل الذين ظلموا قولاً قيل لهم ، فقالوا قولاً غير الذي قيل لهم .

وزاد في الأعراف [١] « منهم » موافقةً لقوله قبله « وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ » ولقوله بعده « مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ » .

٣٠ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ

---

(١) في سورة الأعراف ﴿ فَبَدَّل الَّذِينَ ظَلَمُوا منهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ بزيادة « منهم » فقد ناسبت هذه الزيادة ما ورد قبلها ﴿ومن قوم موسى﴾ وما ورد بعدها ﴿منهم الصالحون﴾ فقد جاءت متناسبةً متناسقةً في الضمائر .

ظَلَمُوا . . ﴾ البقرة آية «٥٩» .

عبَّر بدله في الأعراف بقوله : ﴿فَـأَرْسَلْنَا﴾ لأنَّ لفظ «الرسول »و«الرِّسالة »كثُر ثَمَّ،فناسب التعبير بأرسلنا .

٣١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ **فَانْفَجَـرَتْ مِنْهُ اثْنَتـا عَشْـرَةَ عَيْناً . .** ﴾ البقرة آية «٦٠» . عبَّر بدَلَه في الأعراف بقوله : ﴿ فَـانْبَجَسَتْ﴾ والأول أبلغُ لأنه انصبابُ الماء بكثـرة ، والانبجاسُ : ظهـورُ المـاء ، فنـاسب ذكـر «الانفجـار» هنا الجمعُ قبله بين الأكل والشرب ، الذي هو أبلغ من الاقتصار على الأكل .

٣٢ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ **وَلَا تَعْثَـوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴾ البقرة آية « ٦٠ »

إن قلتَ : العثُوُّ : الفسادُ ، فيصير المعنى : ولا تفسدوا في الأرض مفسدين .

قلتُ : لا محذور فيه ، غايتُه أن « مُفْسِدِينَ » حالٌ من فاعـل « تَعْثَوْا » فهي حالٌ مؤكدة كما في قوله : « ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ » أو حالٌ مؤسِّسَة إذ « العُثُوُّ » لكونه التَّمادي في الفساد ، أخصُّ من الفساد . فالمعنى ـ كما قال الزمخشري ـ لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم .

٣٣ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ **لَنْ نَصْبِـرَ عَلَى طَعَـامٍ**

وَاحِدٍ ﴾ البقرة آية « ٦١ » .

إن قلتَ : كيف قالوا : «على طَعامٍ واحدٍ » وطعامُهم كان طعامَيْن : « المَنَّ » و « السَّلوى » ؟

قلتُ : المرادُ بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدَّل [١] ، أو بالطَّعامَيْن أنهما ضربٌ واحدٌ ، لأنهما من طعام أهل التلذُّذ والتَّرف ، أو أنهما كانا يؤكلان مختلطَيْنِ .

٣٤ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ البقرة آية « ٦١ » عَرَّف الحقَّ هنا ، ونكَّره في «آل عمران [٢] » و « النساء »! ! لأنَّ ما هنا لكونه وقع أولاً إشارةً إلى « الحقِّ » الذي أذن الله أن يُقتل النَّفسُ به ، وهو قوله : « وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إلَّا بالحقِّ » فكان التعريف أولى ، وهناك أُريد به « بغير حقٍّ » في معتقدهم ودينهم ، فكان بالتنكير أولى .

فإن قلتَ : قتلُ النبِّيينَ لا يكون إلّا بغير الحقِّ ، فما فائدةُ ذلك ؟

---

(١) ما أشار إليه أولاً هو القول الأظهر أي أنه لا يتبدَّل ولا يختلف ، كقول العرب : طعامُ الأمير واحدٌ ، أي أنه دائماً جيد مفتخر ، مع أنه ألوانٌ وأشكال .

(٢) في قوله تعالى ﴿ إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حقٍّ . . ﴾ آل عمران (٢١).

(٣) في قوله تعالى ﴿ وكفرهم بآياتِ الله وقتلِهِمُ الأنبياء بغير حقٍّ ﴾ النساء آية (١٥٥) .

قلتُ : فائدتُه التصريحُ بصفةِ فعلهم القبيح ، لأنه أبلغُ في الشناعة [1] .

فإن قلتَ : لمَ مكَّنَ الكافرين من قتلِ الأنبياءِ ؟

قلتُ : كرامةً لهم ، وزيادةً في منازلهم ، كمن يُقْتلُ في الجهادِ من المؤمنين [2] .

٣٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ . . ﴾ البقرة آية « ٦٢ » .

فإن قلتَ : لمَ قدَّم النَّصارى على الصَّابئين هنا ، وعكَسَ في المائدة والحجِّ ؟

قلتُ : لأن النَّصارى مقدَّمون على الصَّابِئين في الرتبة ، لأنهم أهلُ كتابٍ ، فقُدِّموا في « البقرة » لكونها أوَّلاً . والصَّابئون مقدَّمون على النَّصارى في الزمن ، فقُدّموا في « الحّجِ » ، ورُوعي في « المائدة » المعنيان ، فقُدّموا في اللفظ وأُخِّروا في المعنى ، إذِ التقديرُ :

---

(١) أقول : لو قتل اليهودُ أحدَ المؤمنين لكان في منتهى الإجرام والشناعة ، فكيف بقتلهم الأنبياء والمرسلين ؟ ولذلك شنَّع عليهم القرآن الكريم .

(٢) ليس في قتل الأنبياء ما يعارضُ وعد الله لهم بالنصر في قوله ﴿ إنّا لننصرُ رسلنا ﴾ وقوله ﴿ إنهم لهم المنصورون ﴾ فالقتل كرامةٌ من الله لهم لينالوا ثواب الشهداء ، والنصر إنما هو بغلبة الحجة ، وانتشار دينهم ، وانتصار مبادئهم ، وقهر عدوهم .

والصابئون كذلك كما في قول الشاعر :

فمنْ يَكُ أمْسَى في المدينةِ رَحْلُه ... فإنّي وَقَيَّارٌ بهَا لَغَريبُ

إذِ التَّقديرُ : فإني لغريبٌ بها وقيَّارٌ كذلك .

٣٦ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ البقرة آية «٦٥»

فإن قلتَ : كيف أُمروا بذلك مع أنه ليس في وسعهم ؟

قلتُ : هذا أمرُ إيجادٍ لا أمْر إيجابٍ ، كقوله « كنْ فيكونُ » .

٣٧ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿عَوانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ البقرة آية « ٦٨ » .

إن قلتَ : « بَيْنَ » تقتضي شيئين فأكثر ، فكيف دخلت على « ذلك » وهو مفرد ؟

قلتُ : « ذَلِكَ » يُشارُ به إلى المفرد ، والمثَّنى ، والمجموع ، ومنه قولُه تعالى : « قُلْ بفضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذلك فَلْيفرحوا »[1]

---

(١) سورة يونس آية (٥٨) .

وقولُه : « وإنْ تَصْبرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ من عَزْمِ الأُمورِ »[1]

وقولُه : « زُيِّن للناسِ حبُّ الشهوات من النساء والبنين[2] . . . » ثم قال « ذلك متاعُ الحياةِ الدنيا » .

فالمعنى : عَوَانٌ بين الفارض والبكر[3] .

٣٨ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ . .﴾ البقرة آية « ٧٩ » .

فإن قلتَ : ما فائدةُ ذكرِ اليدِ ، مع أنَّ الكتابةَ لا تكون إلَّا بها ؟

قلتُ : فائدتُه تحقيقُ مباشرتهم ما حرَّفوه بأنفسهم ، زيادةً في تقبيح فعلهم .

٣٩ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً ﴾ البقرة آية « ٨٠ » .

إن قلتَ : لِمَ قال هنا « معدودة » وفي آل عمران « معدودات »[4] ؟

---

(١) سورة آل عمران آية (١٨٦) .

(٢) سورة آل عمران آية (١٤) .

(٣) معنى « العَوَان » الوسط ، و« الفارضُ » المسنَّة ، و« البكرُ » الفتيَّةُ .

(٤) في قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لَنْ تمسَّنا النَّارُ إلَّا أَيَّاماً مَعْدوداتٍ ﴾ فقد ذكرت بصيغة الجمع آية (٢٤) آل عمران بخلاف البقرة .

قلتُ : إشارة إلى الجمع بين الأصل والفرع ، إذِ الأصلُ في الجمع بالألف والتّاء إذا كان واحده مذكّراً ، أن يُقتصر في الوصف على تأنيثه مفرداً كقوله تعالى « فيها سُرُرٌ مَرْفوعةٌ » وقد يأتي « سُرُرٌ مرفوعاتٌ » على الجمع ، فهو فرع عن الأول ، فذكر في « البقرة » على الأصل ، لكونها أول ، وفي « آل عمران » على الفرع .

٤٠ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إلاَّ قَلِيلاً مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ البقرة آية « **٨٣**»

فإن قلت : التولّي والإعراضُ واحدٌ ، فلمَ جُمع بينهما ؟

قلتُ: لا محذور فيه لأن قوله«وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ» [(١)] حالٌ من فاعل توليتم ، فهي حالٌ مؤكِّدة كما في قوله تعالى « ثمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرينَ » . أو مؤسسة إذِ المعنى : ثم وليتم عن الوفاء بالعهد ، وأنتم معرضون عن النظر والفكر في عاقبة ذلك .

٤١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أبداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ البقرة آية «**٩٥**»

---

(١) إنما جيء بالجملة إسمية ﴿وأنتم معرضون﴾ لبيان أن عادتهم الإعراضُ عن العهود والمواثيق ، كعادة الآباء والأجداد .

فإن قلتَ : لمَ قال هنا « لَنْ » وفي الجمعة « لا »[١] ؟

قلتُ : لأنَّ « لَنْ » أبلُغ في النفي منْ « لا » ، حتى قيل : إنَّها لتأبيد النفي ، ودعواهم في البقرة بالغةٌ قاطعة ، وهي كونُ الجنَّةِ لهم بصفة الخلوص[٢] ، فناسب ذكْرُ « لَنْ » فيها .

ودعواهم في « الجمعة » قاصرةٌ مردودة ، وهي زعمهم أنهم أولياء الله ، فناسبَ ذكرُ « لا » فيها .

٤٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا . .﴾ البقرة آية « ٩٦ »

فإن قلتَ : لمَ خُصُّوا بالذّكر ، مع دخولهم في الناس في قوله تعالى : « ولتجدنَّهم أحرصَ النَّاسِ على حَيَاةٍ » ؟

قلتُ : لشدَّة حرصهم على الحياة ، لإنكارهم البعث .

٤٣ ـ قوله تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ البقرة آية « ١٠٠ » .

إن قلتَ: لمَ قال هنا «لا يؤمنون» وفي غيره «لا

---

(١) في قوله تعالى ﴿ ولا يتمنونه أبداً بما قدَّمت أيديهم والله عليم بالظالمين ﴾ الجمعة آية (٧) .

(٢) أشار الشيخ إلى قوله تعالى ﴿ قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصةً من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ﴾ .

يعقلون»، «لا يعلمون» ؟

قلتُ : لأَنَّ الآية هنا نزلت في كفارٍ نقضَ بعضهم العهد ، وجحد بعضهم الحقَّ، ولم يجتمع هذان الأمران في غير هذه السورة .

٤٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى المَلَكَيْنِ ﴾ البقرة آية « **١٠٢** » أي من السِّحر ، فهو معطوفٌ على السِّحر قبله ، وسوَّغ عليه تغايُرهما لفظاً ، والمَلَكان أنزلهما الله تعالى لتعليم السِّحر ، ابتلاءً منه للناس [1] .

فإن قلتُ: هذا يدلُّ على جواز تعليم السحر، فلا يكون حراماً !؟

قلتُ : الحرامُ تعليمُه ليُعمل به ، لا ليُجتنب فإنه جائزٌ ، كما لو سُئل إنسانٌ عن الزِّنا ، لزمه بيانه للسائل ليعرفه فيجتنبه[2].

٤٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ . . . إلى: لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة آية « **١٠٢** » .

---

(١) الحكمة من تعليم الملكَيْن السِّحرَ للناس ، أن السَّحرة كثروا في ذلك العهد ، فبعث الله الملَكَيْن لتعليم الناس وجوه السحر ليفرقوا ويميزوا بين السحر والمعجزة ، وابتلاءً لإيمان الناس والله أعلم.

(٢) هذا كما قال الشاعر :

عرفتُ الشرَّ لا للشرِّ لكِنْ لِتَوَقِّيهِ
ومن لا يعرفِ الشرَّ من النَّاسِ يَقَعْ فيهِ

إن قلتَ : كيف أثبتَ لهم العلم أولاً مؤكداً بلام القَسَم ، ونفاه عنهم آخراً ؟

قلتُ : المثبتُ لهم علمهم بأنَّ من اختار السِّحر ،ما له في الآخرة من نصيب ، والمنفيُّ عنهم علمهم بحقيقة ما يصيرون إليه فيها .

أو المثبتُ لهم العلمُ مطلقاً ، والمنفيُّ عنهم العقل ، لأنه أصل العلم فإذا انتفى انتفى[1]

٤٦ -قوله تعالى: ﴿لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ البقرة آية «**١٠٣**» .

أي من السِّحر ، وهو خبرٌ لمثوبةٌ .

فإن قلتَ : «خيرٌ» أفعلُ تفضيل، ولا خير في السِّحر ؟

قلتُ : ليس «خيرٌ» هنا أفعل تفضيل ، بل هو لبيان أنَّ المثوبة فاضلة كما في قوله تعالى « أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّار خيرٌ»[2]؟ كما يُقال : الرجوع إلى الحقِّ خيرٌ من التَّمادي

---

(١) أي إذا انتفى عنهم العقل انتفى عنهم العلم ، والآية جارية على الأسلوب المعروف في فنون البلاغة ، من أن العالم بالشيء إذا لم يعمل به ، ينزَّل منزلةَ الجاهل به .

(٢) تتمة الآية ﴿ أفمنْ يُلْقى في النَّارِ خيرٌ أمْ مَنْ يأتي آمناً يومَ القِيامةِ ﴾؟ سورة فصلت آية (٤٠) .

في الباطل . أو هو أفعل تفضيل ، وخاطبهم اللّهُ على اعتقادهم أن تعلُّم السِّحر خيرٌ ، نظراً منهم إلى حصول مقصودهم الدنيوي به .

٤٧ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ . . ﴾ البقرة آية «١٠٩» . ذِكْرُ «مِنْ عندِ أنفسِهِمْ» تأكيدٌ ، إِذِ الحَسَد لا يكون إلَّا من قِبل النَّفس .

٤٨ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿قُلْ إِنَّ هُـدَى اللَّهِ هُـوَ الهُدَى . . ﴾ البقرة آية «١٢٠» قال ذلك هنا ، وقال في آل عمران «قُلْ إِنَّ الهُدَى هُدَى اللَّهِ»(٣) . لأنَّ معنى الهُدَى هنا «القِبْلةُ» ، لأنَّ الآية نزلت في تحويلها ، وتقديره : قل إن قبلة الله هي الكعبةُ .

ومعناه ثَمَّ «الدِّينُ» لقوله تعالى قَبلُ «ولا تُؤْمنوا إلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينكُمْ» وقوله تعالى «إن الدين عند الله الإسلام» .

٤٩ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي

---

(٣) سورة آل عمران آية رقم (٧٣) .

(١) ما ذهب إليه الشيخ رحمه الله قولٌ له وجهٌ، والصوابُ أن المراد بالهدى في سورة البقرة هو الدين أيضاً والمعنى : قل لهم يا محمد : إن الإسلام هو الدّينُ الحقُّ ، وما عداه فهو ضلال ، وإيرادُ اللفظِ هنا معرَّفاً مع اقترانه بضمير الفصل « هو الهدى » لإفادة الحصر ، فقد حصر الهداية في دين الله ، وفي سورة آل عمران معناه : قل لهم إن الهداية بيد الله ، يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، وليس بالتمسك باليهودية أو النصرانية ، والله أعلم .

جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ . . ﴾ البقرة آية «١٢٠» .

إن قلتَ : ما الحكمةُ في ذكر «الَّذي» هنا ، وذكرِ «ما» في قوله بعدُ: «مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ » وفي الرعد «بعدما جاءك من العلم» ؟

قلتُ : المرادُ بالعلم في الآية الأولى «العلمُ الكاملُ» وهو العلمُ باللَّهِ وصفاتِه ، وبأَنَّ الهدى هدى الله ، فكان الأنسب ذكرُ «الذي» لكونه في التعريف أبلغُ من «ما» .

والمراد بالعلم في الثانية[1] والثالثة[2] «العلمُ بنوعٍ » وهو في الثانية العلمُ بأن قِبلةَ الله هي الكعبةُ، وفي الثانية الحكم العربي ، فكان الأنسب ذكرُ «ما» .

ولقلَّةِ النوعِ في الثانية ، بالنسبة إليه في الثالثة، زيد قبلَ «ما» في الثانية «مِنْ» الدالَّةِ على التَّبعيض[3] .

٥٠ -قَوْلُهُ تَعَالَىٰ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي . . . إلى :شيئاً ﴾البقرة آية «١٢٣» . تكرَّر مع نظيرهِ قبلُ[4]،

---

(١) الآية الثانية هي قوله تعالى ﴿ وَلَئِن اتَّبعتَ أهواءَهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين ﴾ البقرة آية (١٤٥) .

(٢) الآية الثالثة هي قوله تعالى ﴿ وكذلك أنزلناه حُكماً عربياً ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق ﴾ الرعد آية (٣٧) .

(٣) لقوله تعالى ﴿ ولئنِ اتَّبعتَ أهواءَهُمْ منْ بعدِ ما جاءكَ منَ العلمِ ﴾ فزاد هنا في البقرة « مِنْ » المفيدة للتبعيض ، بخلاف آية الرعد فلم تُذكر فيها « مِنْ » .

(٤) ذُكرت هذه الآية قبل هذا الموضع بنفس السورة في قوله ﴿ يا بني إسرائيل =

مبالغةً في النُّصْح .

٥١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ . . ﴾ البقرة آية «١٢٥» قاله هنا بلفظ «والعَاكِفينَ» وفي الحج بلفظ «والقَائِمينَ» والمرادُ منها المقيمون ، وغايَرَ بينهما لفظاً ، جرياً على عادة العرب من تفنُّنهم في الكلام .

٥٢ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً . . ﴾ البقرة آية «١٢٦» .

فإن قلتَ : لم نكَّر البلد هنا وعرَّفه في إبراهيم ؟

قلتُ : لأن الدعوة هنا ، كانت قبل جعل المكان بلداً دائم الأمـــنِ في الأول ، وبلداً آمناً في الثاني .

٥٣ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ . . ﴾ البقرة آية «١٢٩».

= اذكروا نعمتيَ التي أنعمتُ عليكم وأني فضَّلتكم على العالمين . واتقوا يوماً لا تُجْزى نفسٌ عن نفسٍ شيئاً . .﴾ آية رقم (٤٧) وذكرت هنا أيضاً بنفس الصيغة إلى قوله شيئاً آية رقم (١٢٢) وقد بيَّن الشيخ رحمه الله الحكمة من ذلك فتدبره .

(١) الحكمة في تنكير البلد في البقرة ﴿بلداً آمناً﴾ أنه كان قبل بناء البلد، حيث لم يكن بها أحد ، فطلب من الله أن تُجعل بلداً وأن تكون آمنةً ، وفي سورة إبراهيم عرَّف البلد ﴿ اجعلْ هذا البلدَ آمناً ﴾ لأنه كان بعد بنائها ، فطلب من الله أن يجعل فيها الأمن والاستقرار ، فتدبره فإنه نفيس .

ذكره هنا وفي «الجمعة» بترك الأنفس إيجازاً ، وذكرها في « آل عمران» في قوله : ﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ لأن الله تعالى منَّ على المؤمنين فيها ، فجعله من أنفسهم ليكون موجب الجنة أظهر .

ونظيره ﴿لقدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ منْ أَنْفُسِكُمْ﴾ لمَّا وصفه بقوله ﴿عزيزٌ عليهِ ما عَنِتُّمْ﴾ الآية جعله من أنفسهم ، ليكون موجب الإجابة والإيمان به أظهر .

٥٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ البقرة آية «١٣٢» .

إن قلتَ : إنَّ الموت ليس في قدرة الإنسان حتَّى يُنهى عنه ؟

قلتُ : النهيُ في الحقيقة ، إنما هو عن عدم إسلامهم حال موتهم ، كقولك : لا تُصلِّ إلَّا وأنتَ خاشعٌ ، إذِ النهيُ فيه إنما هو عن ترك الخشوع حال صلاته ، لا عن الصلاة .

والنكتةُ في التعبير بذلك ، إظهار أن موتهم لا على الإسلام ، موتٌ لا خير فيه ، وأن الصلاة التي لا خشوع فيها كـ «لا صلاة»!

٥٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿قُولُوا آمَنَّا باللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنا . .﴾ البقرة آية «١٣٦» .

إن قلتَ : لـمَ قال هنا «قُولُوا» و «إِلَيْنَا» وفي آل عمران «قُلْ» و « عَلَيْنَا »[1] ؟

قلتُ : لأن «إلى» للانتهاء ، وهو لا يختصُّ بجهة ، والكتبُ منتهيةٌ إلى المؤمنين بعد نزولها على الأنبياء ، والخطابُ هنا للمؤمنين لقوله : ﴿قولُوا آمَنَّا بالله﴾ و «على» للاستعلاء وهو مختص بالأنبياء ، وأفضلُهم نبيُّنا وهو المخاطب ثَمَّ بقوله ﴿ قُلْ آمنا بالله ﴾ فكان الأنسب هنا و ثَمَّ ما ذُكر . وكُرِّر « ومَا أُنزِلَ » لاختلاف المنزَّل إلينا ، والمنزَّل على إبراهيم وما عُطف عليه .

٥٦ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَمَا أُوْتِيَ النَّبِيُّونَ . . ﴾ البقرة آية «١٣٦» .

ذكْرُ «مَا أُوتِيَ» هنا ، وحذفُه في «آل عمران»[2] اختصارٌ ، كما هو الأنسب بالآخر . أو لأن الخطاب هنا عامٌّ ، وثَمَّ خاصٌّ كما مرَّ فكان الأنسب ذكره في الأول ،

---

(١) في البقرة ﴿ قولوا آمنَّا باللَّهِ وما أُنزلَ إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط . . ﴾ آية رقم (١٣٦) فوردت بصيغة « قولوا » ولفظ « إلينا » ، وفي آل عمران ﴿ قُلْ آمنا باللَّهِ وما أُنزلَ علينا وما أُنزل على إبراهيم وإسماعيل . . ﴾ آية (٨٤) فقد وردت بصيغة « قل » و« علينا » لأن الخطاب فيها للرسول ﷺ ، وقد بين الشيخ الحكمة .

(٢) في قوله تعالى ﴿ وما أوتي موسى وعيسى والنبيُّون من ربهم . . ﴾ آية رقم (٨٤) .

وحذفُه في الثاني .

فإن قلتَ: لم قال هنا «وَمَا أُوْتِيَ مُوسَى»، ولم يقل «وَمَا أُنْزِلَ إلى موسىٰ» كما قال قبلُ «وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ»؟

قلتُ : للاحتراز عن كثرة التكرار.

فإن قلتَ : لمَ كرَّر «وَمَا أُوْتِيَ» هنا ، وحذفه في آل عمران ؟ .

قلتُ : إنَّما حذفه ثَمَّ للاغتناء عنه بقوله قبله «لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وحِكْمَةٍ» .

٥٧ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ . .﴾ البقرة آية «**١٣٧**» .

فإن قلتَ : إن أُريد بـ «ما آمنتُمْ بِهِ» اللَّهُ تعالى ، فاللَّهُ لا مِثْلَ له ، أو دين الإسلام فكذلك ؟

قلتُ : القصدُ بالآية إنما هو التعجيزُ كما في قوله تعالى ﴿**فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ**﴾ أو كلمة «مِثْلِ» زائدة للتوكيد كما في قوله «**جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بمِثْلِها**»[1] أو الباء زائدة كما في قوله«وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ»[2] و«مَا»مصدريَّةٌ والمعنى بمثل إيمان من آمنتم به وهو اللَّهُ ، أو دينُ الإسلام .

---

(١) سورة يونس آية (٢٧) . (٢) سورة مريم آية (٢٥) .

٥٨ ـ **قوله تعالى** : ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ** . .﴾ الآية البقرة آية « **١٤١** » ذكَرها مع أَنَّ مضمونَها معلومٌ لِكل مميِّز ، للتنبيه على عِظَم العصيان واجتنابه ، كما أنَّ قوله «لكُمْ دينكُم ولِيَ دين» ذُكر مع أنه معلومٌ ، للتنبيه على أن الكفر ممَّا يعود بسوء العاقبة عليهم ، وكرَّرها مبالغة في النصح ، أو لأن « الأمَّة » في الأولى للأنبياء ، وفي الثانية لأسلاف اليهود والنصارى . أو لأن الخطاب في الأولى لهم ، وفي الثانية لنا تحذيراً عن الإقتداء بهم .

٥٩ ـ **قوله تعالى** : ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا القِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا** . . ﴾ البقرة آية « **١٤٣** » ؟

إن قلتَ : كيف قال «إلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ» وهو لم يزل عالماً بذلك ؟

قلتُ : هذا ونحوُه باعتبار التعلُّقِ ، والمعنى : ليتعلَّق علْمُنا به موجوداً ، أو المعنى : ليعلمَ رسولنا والمؤمنون ، لأنهم أحصَّاؤه . أو لتميّز الثابت عن المتزلزل ، كقوله «لِيَمِيزَ اللَّهُ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ » .

٦٠ ـ **قوله تعالى** : ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ** . .﴾ البقرة آية «**١٤٣**» .

«كان» للماضي وهو هنا للحال، وتأتي في القرآن لخمسة معان :

أ ـ للحال ومنه «إِنَّ الصَّلاةَ كانتْ عَلَى المؤمنينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً» و «كان الله بما يعملون بصيراً» .

ب ـ وللماضي المنقطع ومنه «وكان في المدينةِ تِسْعةُ رَهْطٍ» وهو الأصل في معانيها .

جـ ـ وللاستقبال ومنه «يَخَافُونَ يوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً» .

د ـ وللدوام ومنه «كانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً» .

هـ ـ وبمعنى صار ومنه «وَكان مِنَ الكَافِرين » [1] .

٦١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا . . ﴾ البقرة آية «**١٤٤**» .

فإن قلتَ : هذا يقتضي عدم رضا النبي ﷺ بالتوجه إلى بيت المقدس ، مع أن التوجه إليه كان بأمر الله ؟

قلتُ : المراد بالرضا هنا رضا المحبة بالطبع ، لا رضا التسليم والانقياد لأمر الله .

---

(١) وردت هذه الآية في أمر إبليس ﴿ وَإِذْ قُلْنَا للملائِكةِ اسْجُدوا لآدَمَ فَسَجدُوا إلاَّ إبليسَ استكبر وكانَ منَ الكافِرينَ ﴾ أي صار بإبائه واستكباره من الكافرين .

٦٢ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ . .﴾ البقرة «١٤٤» كُرِّر ثلاث مرَّات ، لأن الأول في المسجد الحرام ، والثاني خارجه ، والثالث خارج البلد[1] ، وعليها يُنزَّل قوله قبل كلٍّ منها «ومنْ حيثُ خرجتَ» .

٦٣ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ . .﴾ البقرة آية «١٤٥» أي اليهود والنصارى ، ولكلٍّ منهما قبلة ، لكنْ لمَّا كانت القبلتان باطلتيْن ، كانتا في حكم البطلان واحدةً ، فلهـذا قال «قبلتَهم»[2] .

٦٤ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ البقرة آية « ١٤٧ » قال في الأنعام مثله « فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ المُمترينَ »وفي آل عمران « فلا تكنْ من الْممترينَ »بغير نون التوكيد . لأنَّ ما في«آل عمران»جاء على الأصل، ولم يكن فيها ما اقتضى إدخال نون التوكيد . بخلاف ما هنا ، فإنَّ قبله التوكيد بأَنَّ في قوله «أَنَّه الحقُّ من ربهم» .

---

(١) تكرَّر الأمر باستقبال الكعبة ثلاث مرات ، قال القرطبي : والحكمة في هذا التكرار ، أن الأول لمن هو بمكة ، والثاني لمن هو ببقية الأمصار ، والثالث لمن خرج في الأسفار « القرطبي ٢ / ١٦٨».

(٢) قبلة أهل الضلال واحدة ، كما أن ملة أهل الكفر واحدة .

[وفي الأنعام « يعلمون أنَّه منزَّلٌ من ربك بالحقِّ »] فناسب التوكيد فيهما بالنون .

٦٥ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ . .﴾ البقرة آية «١٥٠» .

إن قلتَ : كيف يكون للظالمين من اليهود حجَّةٌ على المؤمنين ؟

قلتُ : حجَّتُهم قولُهم : ما تحوَّل محمدٌ عن الكعبة ، إلَّا أنه بدا له الرجوع إلى قبلةِ آبائه ، ويوشك أن يرجع إلى دينهم[1] !!

وهذا باطلٌ ، وإنما سُمِّي حجَّةً كقوله «حجَّتُهم داحضةٌ» لشبهه لها صورةً ، فالمعنى إلا أن يقولوا ظلماً وباطلاً ، كقولك لرجلٍ :ما لكَ عندي حقٌ إلَّا أن تظلم أي إلا أن تقول الباطل .

٦٦ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ . .﴾ البقرة آية «١٥٠» عطفٌ على قوله «لِئَـلَّا يكونَ للنَّاس عليكم حُجَّةٌ» .

---

(١) الأمر بالتوجه نحو الكعبة المشرَّفة يدفع حجة اليهود بقولهم : يجحد ديننا ويتَّبع قبلتنا !! ويدفع حجة المشركين بقولهم : يدَّعي ملَّة إبراهيم ويخالف قبلته !! فأمره تعالى بالتوجه إلى البيت الحرام ، ليدفع أقوال الظلمة من اليهود والمشركين .

٦٧ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ البقرة آية «١٥٢».

إن قلتَ : ما فائدةُ ذكرِ الثاني مع أن الأول يقتضيه ؟

قلتُ : لا نسلِّم أنه يقتضيه ، لأن المراد بالكفر ستر النِّعمة[1] ، والشّكرُ لا يقتضي عدمَه .

٦٨ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ **إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا** . . ﴾ البقرة آية « ١٦٠ » تُرِك « مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ » هنا ، وذكره في « آل عمران »[2] لأنه لو ذكره هنا مع قوله قبله « من بعدما بيَّناه للنَّاس » لا لتبس أو لتكرَّر .

٦٩ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ **أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِين** ﴾ . البقرة آية « ١٦١ » .

إن قلتَ : كيف قال : « والنَّاسِ أجمعين » وأهل دين من مات كافراً لا يلعنونه ؟

قلتُ : المرادُ بالناس المؤمنون ، أو هم وغيرهم . وأهل دينه يلعنونه في الآخرة ، قال تعالى ﴿ **ثمَّ يومَ القيامةِ يكفُرُ بعضُكُم ببعضٍ ويلعنُ بعضُكم بعضاً** . . ﴾ وقال ﴿ **كُلَّما دخلتْ أمةٌ لَعَنَتْ أختَها** ﴾ .

---

(١) من أطاعَ اللَّهَ فقد شكره ، ومن عصاه فقد كفره .

(٢) في آل عمران ﴿ إلَّا الذينَ تابُوا من بعدِ ذلكَ وأصلَحُوا فإنَّ الله غفورٌ رحيمٌ ﴾ آية (٨٩) وقد بيَّن الشيخ رحمه الله السبب في ذلك .

٧٠ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ . ﴾ البقرة آية « ١٦٣ »

إن قلتَ : ما فائدة ذكرِ « إِلَٰهٌ » مع أن « واحدٌ » يُغني عنه ؟

قلتُ : فائدتُه التصريحُ بالإِلٰهية المقصودة ، وإن تضمَّنه قوله « واحدٌ » كما تضمَّن انفراده بالقدم ، وبصفات ذاته ، وبعدم التركيب .

٧١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ . . ﴾ البقرة آية « ١٦٤ » خصَّهما بالذّكر لأنهما أعظم المخلوقات ، وجمع السَّماءَ دون الأرض ، للانتفاع بجميع آحادها ، باعتبار ما فيها من نور كواكبها وغيره ، بخلاف الأرض إنما يُنتفع بواحدةٍ من آحادها وهي ما نشاهدها منها .

٧٢ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا . . ﴾ البقرة آية «١٧٠» عبَّر هنا بـ «ما ألفينا» وفي «المائدة»[1] وفي « لقمانْ »[2] بـ « مَا وَجَدْنا » لأن «ألفى» يتعدَّى إلى مفعولين دائماً ، و «وَجَدَ» يتعدَّى إليهما تارة ، وإلى واحدٍ أخرى ، كقولك : وجدتُ الضالَّةَ فهو مشترك ،

---

(١) في المائدة ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وإلى الرسُولِ قالُوا حَسْبُنَا مَا وَجدنا عليهِ آباءَنَا . . ﴾ آية (١٠٤) . (٢) في لقمان ﴿ وإذَا قيلَ لهمُ اتَّبعوا ما أنزلَ اللَّهُ قالوا بلْ نَتَّبعُ ما وجدنَا عليهِ آباءنا . . ﴾ آية (٢١) .

وألفى خاصٌّ ، فكان الموضع الأول أنسب به .

٧٣ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ البقرة آية « ١٧٠ » .

إن قلتَ : لم قال هنا « لا يعقلونَ » وفي المائدة « لا يعلمون »[١] ؟

قلتُ : لأن العلم أبلغ درجةً من العقل ، بدليل وصف الله به دون العقل ،ودعواهم ثَمَّ أبلغ من ههنا ، لقولهم ثَمَّ « حسبُنا ما وجدنا عليه آباءنا » وههنا « بل نتَّبع ما ألفينا عليه آباءنا » فكان الأنسبُ نفيَ كلٍّ بما يناسبه .

٧٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ . . ﴾ البقرة آية « ١٧١ » ظاهرُه تشبيهُ الكفَّار بالراعي وليس مراداً .

فإن قلتَ : فما وجهُه ؟

قلتُ : فيه إضمارٌ تقديره : ومَثَل واعظِ الذين كفروا كمثلِ الراعي[٢] .

---

(١) قال تعالى ﴿ قالوا حسبُنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أوَ لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون ﴾ المائدة آية (١٠٤) .

(٢) هذا مثلٌ بالغٌ في الروعةِ والجمال ، فقد مثَّل تعالى للكفار بالبهائم والأنعام ، التي لا تفقه ما يقول الراعي ، أكثر من سماع الصوت دون أن تفهم المعنى ، وهو خلاصة قول ابن عباس ، وانظر كتابنا صفوة التفاسير ١ / ١١٤ .

أو للأنعام: أو ومَثَلُ الذينَ كفروا كمثل بهائم الراعي.
أو ومَثَلُ الذين كفروا **في دعائهم الأصنامَ** كمثل الراعي.

٧٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ . . ﴾ البقرة آية « **١٧٣** » قَـدَّم « بِهِ » هنا وأخَّره في المائدة، والأنعـام، والنحل. لأن البـاء للتعديـة، كـالهمـزة والتشديد، فهي كالجزء من الفعل، فكان الموضع الأول أولى بها وبدخولها. وأخَّر في بقية المواضع، نظراً للمقصود فيها من ذكر المستنكر، وهو الذبح لغير الله، والحصر بـ « إنَّما » في المحرَّمات هنا متروكُ الظاهر، لمـا زاد في المائـدة من « المنخنقة، والمـوقـوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السَّبُع ».

٧٦ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ . . ﴾ البقرة آية «**١٧٣**» ذكره هنا، وتركه في المواضع الثلاثة المذكورة آنفاً اقتصاراً، كما هو الأنسب بالآخر.

٧٧ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ البقرة آية « **١٧٣** » قاله هنا، وقال في الأنعام « فإن ربَّك غفورٌ رحيمٌ » لأن لفظ الربِّ تكرَّر ثَمَّ مراتٍ، مع ذكر ما يحتاج إلى التربية، من الثمار، والحبوب، والحيوان، ، من « الضأن والمعز والإبل والبقر » في قوله « وَهُوَ الذِي أَنْشَأَ

جنَّاتٍ » الخ فكان ذكرُ الربِّ ثَمَّ أنسب .

٧٨ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ . . ﴾ البقرة آية « ١٧٤ » .

إن قلتَ : كيف نفى عنهم الكلام هنا وأثبته لهم في قوله « فوربك لنسألهم » ؟

قلتُ : المنفيُّ هنا الكلام بلطفٍ وإكرام ، والمثبت ثَمَّ سؤال توبيخ وإهانة ، أو في القيامة مواقفُ ، ففي موقفٍ لا يكلمهم ، وفي موقفٍ يكلمهم . ومن ذلك آيةُ النفي المذكورة [١] ، مع قوله تعالى « ويوم نحشرهم جميعاً ثمَّ نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون » .

٧٩ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ إنْ تَرَكَ خَيْراً الوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ والأَقْرَبِينَ . . ﴾ البقرة آية « ١٨٠ » فيه عطفُ الخاصّ على العام [٢] ، ونسخُ ما كانوا يفعلونه من الوصيّة للأبعد دون الأقرب ، طلباً للفخر والشَّرف .

٨٠ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة

---

(١) يريد قوله تعالى ﴿ ولا يكلمهم الله يوم القيامة ﴾ مع آية الأنعام ﴿ ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول . . ﴾ آية رقم (٢٢) فقد أثبتت سؤالهم عن الشركاء وهو سؤال توبيخ وتأنيب .

(٢) الظاهر ـ والله أعلم ـ أنه من عطف العام على الخاص ، فإن الأقربين يدخل فيهم الوالدان ، لا كما قال الشيخ أنه من عطف الخاص على العام .

آية « ١٨١ »

إن قلتَ : لم خصَّ السَّميع بالذّكر هنا ، والغفران [١] فيما بعده ؟

قلتُ : **لقوله هنا** ، « بعد ما سمعه » وثَمَّ « فلا إثم عليه » .

٨١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ** . . ﴾ . البقرة آية « ١٨٣ » التشبيهُ في أصلِ الصَّوم لا في كيفيَّته ، اذِ الإِفطارُ منه كان مباحاً من الغروب إلى وقت النَّوم فقط ، ثم نُسخ بقوله تعالى « وكلوا واشربُوا حتَّى يتبيَّن لكُم الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسْودِ من الفجر » الآية .

٨٢ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ **فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ** . . ﴾ البقرة آية « ١٨٤ » قيَّد بـ « منكم » هنا ، وفي قوله « فمنْ كانَ منكُم مَرِيضاً أوْ بِهِ أَذىً منْ رأْسِهِ » وتركه في قوله « ومن كان مريضاً أو على سفر » اكتفاءً بقوله قبله « فمنْ شهدَ منكُم الشَّهرَ فَلْيَصُمْهُ » .

فإن قلتَ : ما فائدة ذكرِ إعادة المريض والمسافر بعد ؟

قلتُ :رفعُ توهُّمِ نسخ التخيير بين الصوم والفدية بعموم

---

(١) أشار إلى قوله تعالى ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفاً أو إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إثم عليهِ إنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله « فمن شهدَ منكم الشَّهْرَ فلْيَصُمْهُ » .

أو أن آيتها الأولى نزلت في تخييرهما بين الصوم والفدية ، والثانية في تخييرهما بين الصوم والإفطار والقضاء .

٨٣ - قوله تعالى : ﴿ مِنَ الهُدَى وَالْفُرْقَانِ .. ﴾
البقرة آية « ١٨٥ » صفة لهدىً وبيِّنات قبله ، ومتعلِّقٌ بمحذوفٍ أي كونُ القرآن هدىً وبيِّناتٌ ، من جملة هدى اللَّه وبيّناته ، لكنْ عبَّر عن البيِّنات بالفرقان ، لأن فيه زيادة معنى لازم للبيِّنات ، وهو كونُه يفرق بين الحق والباطل ، ولأن في لفظ الفرقان تواخي [١] الفواصل .

٨٤ - قوله تعالى : ﴿ أُجيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ .. ﴾ . البقرة آية « ١٨٦ »

إن قلتَ : نجدُ كثيراً من الدَّاعين لا يُستجاب لهم ؟

قلتُ : إنما لم يستجبْ لهم لانتفاء شرط الإجابة ، إذْ شرطُها طاعةُ الله ، وأكلُ الحلالِ ، وحضُور القلبِ .

أو لأنَّ الدَّاعي قد يعتقد مصلحته في إجابة دعوته ،

---

(١) مراده التوافق والتناسب بين الفواصل ، فلما ذكر تعالى شهر رمضان ، الذي أنزل فيه القرآن ، ذكر بعده لفظ الفرقان ، لتتناسب الفواصل في جمالٍ رائعٍ يطرق الآذان ، والله أعلم بأسرار كتابه .

واللَّهُ يعلم أن المصلحة في تأخيرها .

أو يعطيه بدلها فقد روى الحاكم خبر « ما من مسلمٍ يدعو اللَّهَ تعالى بدعوةٍ ، إلّا آتاه الله إيَّاها ، أو صرف عنه من السُّوء مثلها ، أو ادَّخر له من الأجر مثلها ، ما لم يدعُ بإثم » .

٨٥ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا . . ﴾ البقرة آية «**١٨٧**» .

إنْ قلتَ : لِمَ قال هنا « فَلا تَقْرَبُوهَا » وقال في التي بعدها « فلا تعتدوها » ؟[1] .

قلتُ : لأن الحدَّ هنا نهيٌ وهو قوله « ولا تُبَاشِروهنَّ » وما كان من الحدود نهياً ، نُهيَ فيه عن المقاربة .

والحدُّ فيما بعدُ أمرٌ ، وهو بيان عدد الطلاق بقوله « الطَّلاقُ مرَّتَانِ » الآية ، وما كان أمراً نُهيَ عنه عن الاعتداء وهو مجاوزة الحدِّ .

٨٦ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالحَجِّ . . ﴾ البقرة آية «**١٨٩**» .

(١) في قوله تعالى ﴿فإن خفتم ألَّا يقيما حدودَ الله فلا جُناح عليهما فيما افتدت به ، تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾ البقرة آية (٢٢٩) .

كلُّ ما جاء من السؤال في القرآن ، أُجيب عنه بـ « قُلْ » بلا فاءٍ ، إلاَّ في قوله في « طه » ﴿ **ويسألونك عن الجبال فقل** . . ﴾ الآية ، فبالفاء ، لأن الجواب في الجميع ، كان بعد وقوع السؤال . وفي « طه » قبله إذْ تقديره : إن سئلتَ عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً[1].

٨٧ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ **وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ** . . ﴾ البقرة آية «**١٩٣**» .

تُرك « كلُّه » هنا ، وذكره في الأنفال[2]، لأن القتال هنا مع أهل ملَّةٍ فقط ، وثَمَّ مع جميع الكفار ، فناسب ذكرُه ثَمَّ .

٨٨ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ **تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ** . . ﴾ البقرة آية «**١٩٦**» .

إن قلتَ : ما فائدة ذكره بعد الثلاثة والسبعة ، وذكر « كاملة » بعد قوله ﴿ تلكَ عَشَرَةٌ ﴾؟

قلتُ : فائدةُ الأول دفعُ تصحيف سبعةٍ

---

(١) الحكمة في ذكر الفاء في قوله تعالى ﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً ﴾ أن الآية وردت قبل حدوث السؤال ووقوعه ، وكأنه يقول له : إن سألك أحد عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً ، بخلاف بقية الأسئلة فإنها جاءت بغير فاء مثل ﴿ يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول ﴾ لأنها جاءت بعد وقوع السؤال .

(٢) في قوله تعالى ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكونَ فتنةٌ ويكونَ الدينُ كلُّه للّهِ . . ﴾ الأنفال آية (٣٩) .

بـ « تسعة »، وتأكيدُ العلم بالعدد تفصيلاً وإجمالاً .

وفائدة الثاني التأكيد كما في « حولينِ كاملين ».

أو معناه كاملة في الثواب مع كونها متفرقة .

أو واقعة بدلاً عن الهَدْيِ .

٨٩ -قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ المَشْعَرِ الحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ . . ﴾ البقرة آية «١٩٨».

إن قلتَ : ما فائدةُ تكرار الذكر ؟

قلتُ :فائدته التنبيه على إرادة الـذِّكـرِ ،وزيادة فائدةٍ أخرى في الثاني وهي « كما هداكم » بمعنى اذكروه بتوحيده كما ذكركم بهدايته .

أو الإشارة بالأول إلى الذكر باللفظ ، وبالثاني إلى الذكر بالقلب .

٩٠ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ . . ﴾ البقرة آية «١٩٩».

إن قلتَ : كيف عطف الإفاضة ، مع أنها الإفاضة من عرفات ؟

قلتُ : ثُمَّ للترتيب الإخباري لا الزماني .

أو المراد بالإفاضة الثانية ، الإفاضة من مزدلفة إلى مِنى ، لا من عرفات .

٩١ - قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ . . ﴾ البقرة آية «**٢٠٣**».

إن قلتَ : ما فائدة قوله فيها « وَمَنْ تَأَخَّر فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ » مع أنه معلوم بالأَوْلى ممَّا قبله ؟

قلتُ : فائدتُه رفعُ ما كان عليه الجاهلية من أن بعضهم قائل بإثم المتعجل ، وبعضهم بإثم المتأخر .

أو المعنى : لا إثم على المتأخر في ترك الأخذ بالرخصة ، مع أن الله يُحبُّ أن تُؤتى رُخَصُه كما يحبُّ أن تُؤْتى عـزائمُه .

فإن قلتَ : التعجيلُ في اليوم الثاني[1]، لا فيه وفي اليوم الأول ، فكيف قال « في يومين »؟

قلتُ : المعنى في مجموع اليومين الصادق بأحدهما وهو الثاني ، كما في قوله تعالى « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » وهما لا يخرجـان إلا من الملح لا من العذب .

---

(١) المراد اليوم الثاني من أيام التشريق لا من أيام العيد ، وهو يوافق اليوم الثالث من أيام العيد .

٩٢ - قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الذِين خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ البقـرة آية «٢١٤».

قال ذلك هنا ، وقال في آل عمران « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولمَّا يعلمِ اللَّهُ الذين جاهدوا منكم » الآية .

وفي التوبة « أم حسبتم أن تُتركوا ولمَّا يعلمِ اللَّهُ الذين جاهدوا منكم » الآية .

غاير بما ذُكر في الثالثة ، لأن الخطاب في الأولى للنبي والمؤمنين ، وفي الثانية للمجاهدين ، وفي الثالثة للمؤمنين .

٩٣ - قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ . . ﴾ البقرة آية «**٢١٥**».

إن قلتَ : كيف طابق الجوابُ السؤال ، لأنهم سألوا عن المُنْفَق ، فأُجيبوا ببيان المَصْرف ؟

قلتُ : بل طابقه بقوله «مِنْ خيْرٍ » وزاد عليه بيان المصرف بما بعده ، فالجوابُ أعمُّ ، ونظيره قوله ﷺ وقد سئل عن الوضوء بماء البحــر :« هو الطَّهُور ماؤُه ، الحِلُّ ميتتُه » .

٩٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ . . ﴾ البقرة آية « ٢٢٠ » .

ذكر « في الدنيا والآخرة » هنا ، وتركه في آخر السورة ، وفي الأنعام اختصاراً ، للعلم به ممَّا هنا .

٩٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلاَ تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ . . ﴾ البقرة آية « ٢٢١ » .

بفتح التَّاء هنا ، وبضمها في قوله « ولا تُنْكِحوا المشركينَ » .

لأن الأول من « نَكَحَ » وهو يتعدَّى إلى مفعولٍ واحدٍ ، والثاني من « أَنْكَحَ » وهو يتعدَّى إلى اثنين ، الأول في الآية «المشركين » ، والثاني محذوفٌ وهو «المؤمنات » [١] .

٩٦ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِتَعْتَدُوا . . ﴾ البقرة آية « ٢٣١ » .

هو هنا بالتخفيف ، من « أَمْسَك » وفي الممتحنة بالتخفيف والتشديد[٢] ، لمناسبة تخفيف لما هنا ما قبله من

---

(١) تقديره : ولا تُنكحوا المشركين المؤمنات أي لا تزوجوهم بالمؤمنات حتَّى يؤمنوا بالله ورسوله ، فالفعل هنا رباعي يتعدَّى إلى مفعولين .

(٢) في قوله تعالى ﴿ ولا تُمْسِكوا بِعِصَمِ الكوافر ﴾ وقرىء : ولا تَمَسَّكوا بعصم الكوافر .

قوله « فإِمْسَاكٌ بمعْروفٍ » وقوله « فأمسكوهنَّ » .

ومناسبة تخفيف وتشديد ما هناك ما قبله من قوله « لم يخرجوكم » وقولِه « أَنْ تَبَرُّوهُمْ » وخُفِّف في الطلاق قولُه « فأمسكوهنَّ بمعروف » لمناسبة تخفيفه ما قبله من قوله « لا تُخرجوهنَّ من بيوتهنَّ » .

٩٧ ـ قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ . البقرة آية «٢٢٧» .

فإن قلتَ : عزمُهم الطَّلاق ممَّا يُعلم لا ممَّا يُسمع ، فكيف قال « إن الله سميع » ؟

قلتُ : العازم على الشيء يُحدِّث به نفسه ، وحديث النَّفس ممَّا يسمعه الله ووسوسة الشيطان ، مع أن الغالب في عزم الطلاق المقاولة مع الزوجة .

٩٨ ـ قوله تعالى : ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ . . ﴾ البقرة آية «٢٢٨» .

أفعل ههنا بمعنى فاعل[1] .

٩٩ ـ قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ واليَوْمِ الآخِرِ . . ﴾ البقرة آية «٢٣٢» .

---

(١) أي أزواجهنَّ حقيقون بردهنَّ إليهن ، فلفظة « أحقُّ » هنا ليست للمفاضلة ، وقيل : هي للتفضيل والمعنى : الأزواج أحقُّ من آبائهنَّ ، والله أعلم .

قال « ذَلِكَ » هنا ، وقال في الطلاق « ذَلِكُمْ يُوعَظُ به من كـان يؤمن » لما كـانت كاف « ذلـكَ » لمجرد الخطاب ، لا محلَّ لها من الإعراب ، جاز الاقتصار على الواحد كما هنا ، وكما في قوله تعالى « ثم عفونا عنكم من بعد ذلك » وجاز الجمع نظراً للمخاطبين كما في الطلاق .

فإن قلتَ : لمَ ذكر « منكم » هنا ، وترك ثَمَّ؟

قلتُ : لترك ذكر المخاطبين هنا في قوله ذلك ، واكتفى بذكرهم ثَمَّ فيه .

١٠٠ ـ قوله تعالى : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ . . ﴾ البقرة آية «**٢٣٤**» .

قال في هذه الآية « بالمعروف » وقال في الآية الأخرى[١] « من معروفٍ » لأن التقدير في هذه : فيما فعلن في أنفسهن بأمر الله المعروف من الشرع .

وفي تلك : فيما فعلن في أنفسهنَّ من فعلٍ من أفعالهنَّ معروفٍ جوازه شرعاً .

١٠١ ـ قوله تعالى : ﴿ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ

---

(١) في قوله تعالى ﴿ فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهنَّ من معروف . . ﴾ البقرة آية (٢٤٠) .

أَحْيَاهُمْ . . ﴾ البقرة آية «٢٤٣» .

إن قلتَ : هذا يقتضي موتَهُم مرتَيْن ، وهو منافٍ للمعروف أن موت الخلق مرةٌ واحدة ؟

قلتُ : لا منافاة إذِ الموتُ هنا عقوبة مع بقاء الأجل ، كما في قوله تعالى في قصة موسى « ثُمَّ بعثناكُمْ منْ بعدِ موتِكمْ » .

وثَمَّ موتٌ بانتهاء الأجل ، ولأنَّ الموت هنا خاصٌّ بقومٍ ، وثَمَّ عامٌ في الخلق كلِّهم ، فيكون ما هنا مستثنى إظهاراً للمعجزة .

١٠٢ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ ﴾ البقرة آية «٢٤٣» .

إنما ذكر لفظ الناس هنا وفي « يوسف »[١] و « المؤمن »[٢] وتركه في « يونس »[٣] و « النَّمل »[٤] .

---

(١) قال تعالى ﴿ ذلك من فضْلِ اللَّهِ علينا وعلى النَّاس ولكنَّ أكثر الناس لا يشكرون ﴾ يوسف آية (٣٨) .

(٢) قال تعالى ﴿ إنَّ اللَّهَ لذو فضلٍ على النَّاس ولكنَّ أكثر الناس لا يشكرون ﴾ المؤمن آية (٦١) .

(٣) قال تعالى ﴿ إنَّ اللَّهَ لذو فضلٍ على النَّاس ولكنَّ أكثرهم لا يشكرون ﴾ يونس آية (٦٠) .

(٤) قال تعالى ﴿ وإنَّ ربكَ لذو فضلٍ على النَّاس ولكنَّ أكثرهم لا يشكرون ﴾ النمل آية (٧٣) .

لأنَّ ما في الثلاثة الأولى ، لم يتقدمه كثرة تكرر لفظ « الناس »، فناسب الإظهار ، وما في « يونس » تقدَّمه ذلك فناسب الإضمار ، لئلا تزيد كثرة التكرار ، وما في « النمل » تقدَّمه إضمار الموحَى إليه ومخاطبته فناسب الإضمار ، وبعضهم أجاب بما فيه نظرٌ فتركتُه .

١٠٣ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ . . ﴾ البقرة آية «**٢٥٣**» .

كرَّره بقوله « وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ ما اقتتلُوا » تأكيداً ، وتكذيباً لمن زعم أنَّ ذلك لم يكن بمشيئة الله .

١٠٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ . . ﴾ البقرة آية «**٢٥٤**» .

أي بغير إذن الله لقوله تعالى « منْ ذَا الَّذي يشفعُ عنده إلَّا بإذنِهِ »؟

وقوله « ولا تنفعُ الشَّفَاعةُ عندهُ إلَّا لمنْ أَذِنَ لهُ » .

أو لا شفاعة من الأصنام والكواكب التي يعتقدها الكفار .

١٠٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ البقرة آية «**٢٥٤**» .

حصر الظلم في الكافرين[١]، لأن ظلمهم أشدُّ ، فهو حصرٌ إضافيٌّ كما في قوله تعالى « إنَّما يخشَى اللَّهَ من عبادِهِ العلماءُ » .

١٠٦ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ . . ﴾ البقرة آية «٢٥٧» .

عبَّر فيها بالمضارع لا بالماضي مع أن الإِخراج قد وُجد . . لمناسبة التعبير به قبله في قوله « فمنْ يكفُرْ بالطَّاغُـوتِ ويُؤْمِنْ باللَّهِ » ولأنَّ المضـارع يدلُّ على الاستمرار ، فيدلُّ هنا على استمرار ما ضمنه الإِخراج من الله تعالى ، في الزمن المستقبل في حقِّ من ذُكر .

فإن قلتَ : كيف يَخرجُ الكفَّارُ من النور ، مع أنهم لم يكونوا في نورٍ ؟

قلتُ : لمقابلة ما ذُكر قبله في المؤمنين ، ولأن الكفار هنا هم « اليهود » وقد كانوا مؤمنين بمحمد ﷺ لما يجدونه من نعته في كتبهم ، فلما بُعث كفروا به .

١٠٧ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿قَالَ : أَوَلَمْ تُؤْمِنْ . . ﴾[٢]؟

---

(١) قال عطاء بن دينار : الحمد لله الذي قال ﴿ والكافرون هم الظالمون ﴾ ولم يقل : « والظالمون هم الكافرون » ومراده أنه لو عكس لوقع الكثيرون في الكفر والضلال ، لأن الظلمة كثيرون .

(٢) سؤال الخليل إبراهيم عليه السلام لم يكن عن شكٍّ في قدرة الله ، ولكنه كان =

البقرة آية «٢٦٠» .

أي بقدرتي على الإحياء ، قال له ذلك مع علمه بإيمانه بذلك ، ليجيب بما أجاب به ، فيعلم السامعون غرضه من طلبه لإحياء الموتى .

١٠٨ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ **وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي** . . ﴾ البقرة آية «٢٦٠» .

قاله مع أنَّ قلبَه مطمئنٌّ بقدرة الله تعالى على الإحياء ، ليطمئنَّ قلبُه بعلم ذلك عياناً كما اطمأنَّ به برهاناً .

أو ليطمئنَّ بأنه اتخذه خليلاً ، أو بأنه مستجاب الدعوة .

١٠٩ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ **قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ** . . ﴾ الآية ، البقرة آية «٢٦٠» .

خصَّ الطير بالذِّكر من سائر الحيوان ، لزيادته عليه بطيرانه .

قيل : وكانت الأربعة : ديكاً ، وطاووساً ، ونسْراً ، وغُراباً .

= سؤالاً عن الكيفية ﴿كيف تحيي الموتى﴾ مع إيمانه الجازم بالقدرة الربانية ، فسأل عن الكيف ليرى بالعيان ما كان يعتقده بالجَنان ، ولهذا ورد في الصحيح « نحن أحقُّ بالشكِّ من إبراهيم » ومعناه : نحن لم نشكَّ فإبراهيم أحرى بعدم الشك .

وفائدةُ التقييد بالأربعة في الطيرِ ، وفي الأجبلِ[1] بعده ، الجمعُ بين الطبائع الأربع ، في الطير بين مهاب الرياح من الجهات الأربع في الأجبل .

١١٠ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىً . . ﴾ البقرة آية «**٢٦٢**».

إن قلتَ : كيف مدح المنفقين بترك المنِّ ، وقد وصف نفسه بالمنِّ ، كما في قوله تعالى « لقد منَّ اللَّهُ على المؤمنين » ؟

قلتُ : المنُّ يقال للإعطاء ، وللاعتداد بالنعمة واستعظامها . والمراد في الآية المعنى الثاني .

فإن قلتَ : من المعنى الثاني « بلِ اللَّهُ يَمنُّ عليكمْ أنْ هَدَاكم للإيمان » .

قلتُ : ذلك اعتدادُ نعمةِ الإيمان ، فلا يكون قبيحاً ، بخلاف نعمة المال .

على أنه يجوز أن يكون من صفات الله تعالى ، ما هو مدحٌ في حقّه ، ذمٌّ في حقِّ العبد ، كالجبَّار ، والمتكبّر ، والمنتقمِ .

---

(١) الأجبُل : الجبال ، جمع جَبَل يقال : جبالٌ وأجبُل .

١١١ ـ قوله تعالى: ﴿ **أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ** . . ﴾ البقرة آية «**٢٦٦**».

فإن قلتَ : لَمَ خصَّ النَّخيل والأعناب بالذِّكر ، مع قوله بعد « له فيها منْ كلِّ الثَّمرات » ؟

قلتُ : لأنَّ النخيل والأعناب أكرم الشجر ، وأكثرها منافع .

١١٢ ـ قوله تعالى : ﴿ **وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ** . . ﴾ البقرة آية «**٢٧١**».

ذكر « مِنْ » هنا خاصة ، موافقةً لما بعدها في ثلاث آيات ، ولأن الصَّدقات لا تكفِّر جميع السيِّئات .

١١٣ ـ قوله تعالى : ﴿ **لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً** . . ﴾ البقرة آية «**٢٧٣**».

فإن قلتَ : هذا يُفهم أنهم كانوا يسألون برفق ، مع أنه قال : « يحسَبُهمُ الجَاهِلُ أغنياءَ من التَّعفُّفِ » ؟

قلتُ : المرادُ نفيُ المقيّد والقيد جميعاً كما في قوله تعالى « لا ذَلُولٌ تُثيرُ الأرضَ » وقوله « اللَّهُ الذِي رَفَعَ السَّمواتِ بغيرِ عَمَدٍ ترونها » .

١١٤ ـ قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا** . . ﴾

البقرة آية «٢٧٥» .

خصَّ الأكل بالذِّكر مع أنَّ غيره كاللّبس ، والادّخار ، والهبة كذلك ، لأنه أكثرُ وأهمُّ انتفاعاً بالمال ، إذْ لا بدَّ منه .

أو أُريد بالأكل الانتفاعُ ، كما يُقال : فلانٌ أكل ماله ، إذا انتفع به في الأكل وغيره .

١١٥ ـ قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا . . ﴾ البقرة آية «٢٧٥» .

فإن قلتَ : كيف قالوا ذلكَ ، مع أن مقصودهم تشبيه الربا بالبيع المتَّفق على حِلِّه ؟

قلتُ : جاء ذلكَ على طريق المبالغة ، لأنه أبلغُ من اعتقادهم أن الربا حلالٌ كالبيعِ ، كالتشبيه في قولهم : القمرُ وجهُ زيدٍ[1]، والبحرُ ككفِّه ، إذا أرادوا المبالغة .

أو أنَّ مقصودهم أنَّ البيع والربا يتماثلان من جميع

---

(١) هذا النوع عند البلاغيّين يسمى بـ « التشبيه المقلوب » وهو أبلغ أنواع التشبيه ، حيثُ يجعل المشبَّه به مشبَّهاً ، زيادةً في الإيضاح والبيان ، وأصل الكلام في المثال : وجه زيدٍ كالقمر ، فعكَسَ وجعل المشبه به مشبهاً فقال : القمر وجه زيد ، فكأن القمر على جماله جزء من جمال وجه زيد ، وكذلك في الآية جعلوا الربا المحرَّم كأنه هو الأصل المباح ، وشبَّهوا به البيع في الحلّ ﴿ إنما البيعُ مثلُ الربا ﴾ وهو زيادةٌ في عدوانهم وطغيانهم واستحلالهم لما حرَّمه الله .

الوجوه ، فساغ قياسُ البيع على الربا كعكسه .

١١٦ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ **فَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ البقرة آية «٢٧٥» .

إن قلتَ : كيف قال ذلك ، مع أن مرتكب الكبيرة كآكل الربا لا يُخلَّد في النَّار ؟

قلتُ : الخلودُ يُقال لطول البقاء ، وإن لم يكن بصيغة التأبيد ، كما يُقال : خلَّد الأميرُ فلاناً في الحبس إذا أطال حبسه .

أو المراد بقوله « وَمَنْ عَادَ » العائد إلى استحلال أكل الربا ، وهو بذلك كافر ، والكافرُ مخلَّد في النَّار على التأبيد .

١١٧ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ **وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ البقرة آية «٢٨٠» .

« خيرٌ لكم » أي من إنظار المعسر .

فإن قلتَ : إنظارُ المعسِر واجبٌ ، والتصدُّق عليه تطوُّع ، فكيف يكون خيراً من الواجب ؟

قلتُ : التَّطوُع المحصِّل للواجب ، لِمَا اشتمل عليه من الزيادةِ كما هنا أفضلُ من الواجب ، كما أن الزُّهد في

الحرام واجب ، وفي الحلال تطوُّع ، والزهد في الحلال أفضل .

١١٨ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ البقرة آية «٢٨١».

قال فيه وفي الجاثية بـ «مَا كَسَبَتْ»[١] وقال في آخر النحل ﴿ وتُوَفَّى كلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ ﴾[٢] وفي آخر الزمر ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ ﴾[٣] . . موافقةً لما قبْل كلٍّ منها ، أو بعده ، أو قبْله وبعده .

إذْ ما هنا قبْله « أَنْفِقُوا من طَيِّباتِ ما كسبتُمْ » وبعده « لهَا مَا كَسَبَتْ وعليْها ما اكْتَسَبَتْ » .

وقبله في آخر النَّحل « من عمل صالحاً . . . ولنجزينَّهم أجرَهُمْ بأحسنِ ما كانوا يَعْملونَ » .

وبعده « ثُمَّ إنَّ رَبَّكَ للذينَ عَمِلُوا السُّوءَ » .

وقبل ما في الجاثية « ولا يُغْني عنهم ما كَسَبُوا شيئاً » .

---

(١) أشار إلى قوله تعالى ﴿ وخَلَقَ اللَّهُ السَّمواتِ والأرضَ بالحقِّ ولتُجزى كلُّ نفس بما كسبتْ وهم لا يُظلمون ﴾ الجاثية آية (٢٢) .

(٢) في قوله تعالى ﴿ يومَ تأتي كلُّ نفسٍ تجادل عن نفسها وتُوفّى كلُّ نفسٍ ما عملت وهم لا يُظلمون ﴾ النحل آية (١١١) .

(٣) في قوله تعالى ﴿ وَوُفِّيتْ كلُّ نفسٍ ما عملتْ وهو أعلم بما يفعلون ﴾ الزمر آية (٧٠) .

وبعدما في الزمر « فنعمَ أجرُ العاملينَ » .

١١٩ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدايَنْتُمْ بِدَيْنٍ . . ﴾ البقرة آية «**٢٨٢**» .

فإن قلتَ : ما فائدة قوله ﴿ بدينٍ ﴾ مع أنه معلوم من ﴿ تَدَاينتُمْ ﴾؟

قلتُ : فائدتُه الاحتراز عن « الدَّيْن » بمعنى المجازاة ، يُقال : داينتُ فلاناً بالمودَّة ، أي جازيتُه بها ، وهو بهذا المعنى لا كتابة فيه ولا إشهاد .

وقيل : فائدتُه رجوع الضمير إليه في قوله « فاكتبوه » إذْ لو لم يذكره لقال : فاكتبوا الدَّيْنَ ، والأولُ أحسنُ نظماً .

١٢٠ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُما الأُخْرَىٰ . . ﴾ البقرة آية «**٢٨٢**» .

قُرِىء « تَذْكُرَ » بالتخفيف والتشديد .

فإن قلتَ : كيف جعل « أَنْ تَضِلَّ » علةً لاستشهاد المرأتين بدل رجل ، مع أن علَّته إنما هو التذكير .

قلتُ : بل علَّته « أن تَضِلَّ » لأن الضلال من إحداهما يكثر وقوعُه فصلح أن يكون علَّة لاستشهادهما ،

وبتقدير عدم صلوحه فالتعليل « بأنْ تَضِلَّ » في الحقيقة إنما هو للتذكير ، ومن شأن العرب إذا كانت للعلَّة عِلَّة ، قدَّموا ذكر علَّة العِلَّة ، وجعلوا العِلَّة معطوفة عليها بالفاء ، لتحصل الدلالتان معاً بعبارة واحدة ، كقولك : أعددتُ الخشبة أن يميل الجدار ، فأدعمتُه بها ، فالإدعامُ علَّةٌ في إعداد الخشبة ، والميْلُ علَّةُ الإدعام .

١٢١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِباً فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ . . ﴾ البقرة آية «٢٨٣» .

فإن قلتَ : كيف شرط السفر في الارتهان مع أنه ليس بشرطٍ فيه ؟

قلتُ : لم يذكره لتخصيص الحكم به ، بل لكونه مظنة عوز الكاتب ، والشاهد ، الموثوق بهما .

١٢٢ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ . . ﴾ البقرة آية «٢٨٣» .

فإن قلتَ : ما فائدة ذكر القلب ، مع أن الجملة موصوفة بالإثم ؟

قلتُ : لمَّا كان كتمانُ الشهادة هو إضمارُها في القلب ، وإثمه مكتسباً بالقلب وبه ، أسند الإثم إليه ، لأن إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغُ ، كما

يُقال : هذا ممَّا أبصرتُه عينايَ ، وسمعتْه أذناي ، وعلِمه قلبي .

١٢٣ ـ قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ . . ﴾ البقرة آية «٢٨٤».

إن قلتَ : كيف قال في الإخفاء « يُحاسبْكُمْ به اللَّهُ » مع أن حديث النفس لا إثم فيه ، للحديث المشهور فيه ، ولأنه لا يمكن الاحتراز منه ؟

قلتُ : ذلك منسوخٌ بقوله « لا يُكلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَها » .

أو المرادُ بالإخفاء : العزمُ القاطعُ ، والاعتقادُ الجازم .

أو ذلك إخبارٌ بالمحاسبة لا بالمعاقبة ، فهو تعالى يُخبر العبادَ بما أخفوا وأظهروا ، ليعلموا إحاطة علمه ، ثم يغفر أو يُعذِّب فضلاً وعدلاً .

١٢٤ ـ قوله تعالى: ﴿ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ . . ﴾ البقرة آية «٢٨٤».

قدَّم المغفرة في هذه السورة وغيرها ، إلاَّ في « المائدة » فقدَّم العذاب[1]، لأنها في المائدة نزلت في

(١) وذلك في قوله تعالى ﴿ ألمْ تعلمْ أنَّ اللَّهَ لهُ ملكُ السمواتِ والأرضِ ، يُعذِّبُ من =

حقِّ السارق والسارقة ، وعذابُهما يقع في الدنيا فقدَّم العذاب ، وفي غيرها قُدّمت المغفرة رحمةً منه للعباد ، وترغيباً لهم إلى المسارعة إلى موجباتها .

١٢٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ . . ﴾ البقرة آية «٢٨٥» .

إن قلتَ : أيُّ فائدةٍ في هذا الإخبار مع أنَّ الأنبياء في أعلى درجات الإيمان ؟

قلتُ : فائدتُه أن يُبيِّن للمؤمنين زيادة شرف الإيمان ، حيث مدح به خوَّاصه ورسله ، ونظيره في « الصَّافَّات » أنه ذكر في كل نبيٍّ « إِنَّهُ منْ عِبَادِنا المُؤْمنينَ » .

١٢٦ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ . . ﴾ البقرة آية «٢٨٥» .

فإن قلتَ : كيف قال ذلك مع أن « بَيْنَ » لا تُضافُ إلاَّ إلى اثنين فأكثر ؟

قلتُ : « أَحَدٌ » هنا بمعنى الجمع الذي هو « آحاد » كما فى قوله تعالى « فما منكُمْ منْ أَحَدٍ عنهُ حَاجِزينَ »

= يشاءُ ويغفرُ لمنْ يشاءُ واللَّهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ ﴾ المائدة آية (٤٠) وذلك لأنها وردت بعد قوله تعالى ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ﴾ فناسب تقديم العذاب على المغفرة .

فكأنه قال : لا نُفرِّق بين آحادٍ من رسله[1].

١٢٧ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا ما اكْتَسَبَتْ . . ﴾ البقرة آية «٢٨٦».

« لها ما كَسَبَتْ » أي في الخير « وعليها مَا اكتَسَبَتْ » أي في الشَّرِّ .

فإن قلتَ : ما الدليلُ على أن الأول في الخير ، والثاني في الشرِّ ؟

قلتُ : « اللاَّمُ » في الأول و « عَلَى » في الثاني ، لأنهما يستعملان في ذلك عند تقارنهما كما في هذه الآية ، وكما في قوله « من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها » .

وقولهم : الدَّهرُ يومان : يومٌ لك ، ويومٌ عليك .

وقول الشاعر :

على أنني راضٍ بأن أحملَ الهوى
وأخلُص منه لا عَليَّ ولا لِيَا

---

(١) المراد بالتفريق بين الرسل الإيمان ببعضهم والكفر بالبعض الآخر ، وليس المراد به التفضيل بينهم فإن ذلك حاصل بنص الكتاب ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ﴾ . ويدلُّ على ما ذكرنا قوله تعالى «إنّ الذينَ يكفرون باللّهِ ورسُلِهِ ويُريدون أَنْ يُفرِّقوا بينَ اللّهِ ورسُلِهِ ويقولونَ نؤمنُ ببعضٍ ونكفرُ ببعضٍ » فهو كالتوضيح والبيان لمعنى التفريق بين الرسل .

فإن قلتَ : لم خصَّ الكسب بالخير ، والاكتساب بالشرّ ؟

قلتُ : لأن الاكتساب فيه أعمالٌ ، والشرُّ تشتهيه النفس وتنجذب ، فكانت أجـدَّ في تحصيله ، بخلاف الخير ، ولأن في ذلك إشارة إلى إكرامه تعالى وتفضّله على الخلق ، حيث أثابهم على فعل الخير من غير جدٍّ واعتمال ، ولم يؤاخذهم على فعل الشرِّ إلا بـالجدِّ والاعتمال .

« تمت سورة البقرة »

* * *

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ . . ﴾[1].

إن قلتَ : كيف قال هنا « نَزَّل » ثم قال « وأَنْزَل » مرتين ؟

قلتُ : للاحتراز عن كثرة التكرار .

وخُصَّ المشدَّدُ بالأول لمناسبته « مصدِّقاً » .

وقيل : لأن القرآن نزل منجَّماً ، والتوراةَ والإِنجيل نزلا جملةً واحدة ، فحيث عُبِّر فيه بـ « نَزَّل » أُريد الأول ، أو « أنزل » أُريد الثاني .

ورُدَّ الأولُ بقوله « وقالَ الَّذِينَ كفَرُوا لَوْلَا نُزِّل عليهِ القُرآنُ جُمْلَةً واحدةً » .

والثاني بقوله « وأَنْزَلَ الفُرقانَ » إن أُريد به القرآن .

وبقوله « هو الذي أنزل عليك الكتاب » .

---

(١) آل عمران آية (٣).

وبقوله « والَّذينَ يُؤْمنونَ بما أُنزلَ إليكَ »[1] .

٢ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ . . ﴾[2]

سمَّى ما مضى بأنه « بين يديه » لغاية ظهور أمره .

٣ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ ﴾[3] .

قـدَّم الأرضَ على السماء هنـا وفي موضـع من « يونس »[4] و « إبراهيم » و « طه » و « العنكبوت » . . عكْسَ الغالبِ في سائر الآيات ، لأن المخاطبين في الخمس كائنون في الأرض فقط ، بخلافهم في غيرها كذا قيّد .

٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ . . ﴾[5] .

إن قلت: كيف قال ذلك و « مِنْ » للتبعيض ، وقال في

---

(١) البقرة آية (٤) .

(٢) آل عمران آية (٣).

(٣) سورة آل عمران آية (٥).

(٤) في قوله تعالى ﴿ وما يعزبُ عن ربكَ من مثقال ذرةٍ في الأرض ولا في السماء ﴾ يونس آية (٦١) .

(٥) آل عمران آية (٧) .

هود « كِتَابٌ أُحْكِمتْ آيَاتُهُ » وهو يقتضي إحكام آياتِه كلّها ؟

قلتُ : المرادُ بـ « المحكماتِ » هنا النَّاسخاتُ ، أو العقليَّاتُ ، أو ما ظهر معناها .

كما أن المراد بـ « المتشابهات » المنسوخاتُ ، أو الشرعيَّاتُ ، أو ما كان في معناها غموضٌ ودقَّة .

والمرادُ بقوله « أُحكِمتْ آياتُه » أن جميع القرآن صحيحٌ ثابت ، مصونٌ عن الخَلَل والزَّلَل .

ولا تنافي بين « متشابهاتٍ » وقوله « كتاباً متشابهاً »[٢] إذِ المرادُ بـ « متشابهاتٍ » ما مرَّ . . وبـ « متشابهاً » أنه يشبه بعضُه بعضاً في الصِّحَّة ، وعدم التناقضِ ، وتأييد بعضِه لبعضٍ .

---

(١) أشار إلى قوله تعالى في سورة الزمر ﴿ اللَّهُ نزَّل أحسنَ الحديثِ كتاباً متشابهاً ﴾ وقد نبَّه الشيخ رحمه الله إلى التوفيق بين آية « آل عمران » الدالة على أن القرآن نوعان : متشابه ، ومحكم ، وبين ما جاء في سورة « هود » أن القرآن كله محكم ، وما جاء في سورة الزمر أن القرآن كله متشابه ، وخلاصة القول : أنه لا تعارض بين الآيات ، إذْ كل آيةٍ لها معنى خاص غير المعنى السابق ، فقوله تعالى ﴿ أحكمت آياتُه ﴾ بمعنى أنه ليس به عيبٌ ولا خَلَلٌ ، وأنه كلامٌ حقٌّ لا يتطرأ إليه الباطل ، وقولُه تعالى ﴿ كتاباً متشابهاً ﴾ أي أنه يشبه بعضُه بعضاً في الحُسْن ، وجودة النظم ، وفصاحة الألفاظ ، وعدم التناقض ، وأما آية آل عمران ﴿ منه آياتٌ محكماتٌ . . وأُخر متشابهات ﴾ فيراد بالمحكم ما عُرف تأويله ، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه .

٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ المِيعَادَ ﴾[١].

قاله بلفظ الغَيْبَة ، وقال في آخر السورة « إنك لا تُخْلِفُ المِيعَادَ » بلفظ الخطاب . . لأن ما هنا متَّصلٌ بما قبْلَه وهو قوله تعالى « ربنا إنك جامعُ النَّاسِ ليومٍ لا ريبَ فيهِ » اتصالاً لفظياً فقط .

وما في آخرها متَّصِلٌ بما قبْلَه وهو قوله « ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك » اتّصالاً لفظياً ومعنوياً ، لتقدم لفظ الوعد .

٦ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ والَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا . . ﴾[٢].

قال هنا وفي موضعٍ من الأنفال[٣] « كذَّبُوا » وفي آخر منها « كَفَرُوا »[٤] تفنُّناً ، جرياً على عادة العرب في تفنُّنهم في الكلام .

٧ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ يَـرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ العَيْنِ . . ﴾[٥].

---

(١) آل عمران آية (٩) .
(٢) آل عمران آية (١١) .
(٣) في قوله تعالى ﴿ كدأب آل فرعونَ والذينَ منْ قبلهِمْ كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قويٌّ شديد العقاب ﴾ الأنفال آية (٥٢) .
(٤) في قوله تعالى ﴿ كدأب آل فرعون والذينَ منْ قبلهِم كذَّبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين ﴾ الأنفال آية (٥٤) .
(٥) آل عمران آية (١٣)

أي ترى الفئةُ الكافرةُ المسلمةَ بمثليْ عدد نفسها ، أو بالعكس(١) على الخلاف .

إن قلتَ : هـذا ينافي قـوله في الأنفـال « وإذْ يريكموهُمْ إذِ التقيتُم في أعينكُمْ قَليلاً ويُقلِّلُكُمْ في أعينِهمْ » إذ قضيَّتُه أن كلاً منهما ترى الأخرى قليلة ؟

قلتُ : التقليلُ والتَّكثيرُ في حالَيْنِ :

قلَّلَ اللهُ المشركين في نظر المؤمنين ، وعكسه أولاً ، حتى اجترأت كلٌّ منهما على قتال الأُخرى .

ثمَّ كثَّر اللّهُ المؤمنين في نظر المشركين لما التقتا ، حتى جَبُنوا وفَشِلوا .

وكثَّر الله المشركين في نظر المؤمنين ، وأراهم إيَّاهم على ما هم عليـه ـ وكانوا في الحقيقة أكثر من المؤمنين ـ ليعلموا صدق وعد الله في قوله « فإن يكنْ منكم مائةٌ صابِرَةٌ يَغْلبوا مائتين » فإن المؤمنين غلبوهم في هذه الغَزَاةِ وهي « غَزَاةُ بدرٍ » مع أنهم كانوا أضعاف عدد المؤمنين .

٨ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

---

(١) يريد القول الآخر للمفسرين ، وهو أن الفئة المسلمة كانت ترى الفئة الكافرة مثليها وهذا هو الأرجح .

والمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُو العِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾[1].

كَرَّر فيها «لَا إِلهَ إِلَّا هوَ» لأن الأول قولُ اللَّهِ، والثاني حكاية قول الملائكة وأولي العلم .

أو لأن الأول جرى مجرى الشهادة، والثاني مجرى الحكم بصحةِ ما شهدته الشُّهودُ .

وقال جعفر الصادق : الأول وصفٌ، والثاني تعليمٌ أي قولوا واشهدوا كما شهدتُ .

٩ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[2] .

إنْ قلتُ : التولّي والإعراضُ واحدٌ ـ كما مرَّ في البقرة ـ فلم جَمَع بينهما ؟

قلتُ : لأن المعنى يتولون عن الدَّاعي، ويُعرضون عمَّا دعاهم إليه وهو كتاب الله . أو يتولون بإيذائهم ، ويُعرضون عن الحقِّ بقلوبهم .

أو كان الذي تولَّى علماؤهم ، والذي أعرض أتباعهم[3] .

---

(١) آل عمران آية (١٨) .

(٢) آل عمران آية (٢٣) .

(٣) أقول : جملة ﴿وهم معرضون﴾ جاءت إسمية بعد الجملة الفعلية ﴿ يتولى فريقٌ منهم ﴾ تأكيداً للتولي لإفادة الاستمرار ، أي وهم قومٌ طبيعتُهم الإعراض عن =

١٠ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(١) خصَّ الخير بالذِّكر ـ وإن كان بيده الشُّر أيضاً ـ لأن الكلام إنما ورد فيه ، ردًّا على المشركين فيما أنكروه ، ووعد اللَّهُ به نبيَّهﷺ ،ووعد النبي ﷺ به الصحابة رضي الله عنهم .

أو أراد الخير والشرَّ ، واكتفى بأحدهما لدلالته على الآخر ، كما في قوله تعالى «سَرَابيلَ تقيكم الحر . . »(٢) وإنما خصَّ الخير بالذكر لأنه هو المرغوب فيه .

١١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ في اللَّيْلِ . . ﴾(٣) . أي تدخله فيه بأن يزيد كلٌّ منهما ما نَقَص من الآخر .

١٢ ـقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ واللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾(٤) . كرَّره توكيداً للوعيد(٥) .

= الحق ، والإصرارُ على الباطل ، فهذه فائدة الجملة والله أعلم .

(١) آل عمران آية (٢٦) .

(٢) سورة النحل آية (٨١) ومعنى الآية أنه تعالى جعل لكم الثياب لتحفظكم من الحرِّ والبرد ، فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر .

(٣) آل عمران آية (٢٧) .

(٤) آل عمران آية (٣٠) .

(٥) جاء ذكر التحذير مرتين : في آية النهي عن موالاة الكافرين حيث قال ﴿ إلّا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم اللَّهُ نفسَه وإلى الله المصير﴾ وفي آية المجازاة والحث على فعل الخير حيث قال ﴿ ويحذركم الله نفسه والله رءوفٌ بالعباد ﴾ .

والأحسنُ ـ كما قال التفتازانيُّ ـ ما قيل : إنَّه ذكره أولاً للمنع من موالاة الكافرين، وثانياً للحثِّ على عمل الخير، والمنع من عمل الشرِّ .

١٣ ـ قوله تعالى : ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى . .﴾[1] .

إن قلتَ : ما فائدةُ ذكرهِ مع أنه معلومٌ؟

قلتُ : فائدته اعتذارها عمَّا قالته ظنّاً ،فإنها ظنَّت ما في بطنها ذكراً ، فنذرتْ أن تجعله خادماً لبيت المقدس، وكان من شريعتهم صحة هذا النَّذر في الذكور خاصة، فلمَّا خاب ظنُّها استحيتْ حيثُ لم يُقبَل نذرها فقالت ذلك ، معتذرةً أنها لا تصلح لما يصلح له الذَّكر من خدمة المسجد[2] ، فمنَّ الله عليها بتخصيص « مريم » بقبولها في النذر ، دون غيرها من الإناث فقال « فتقبَّلها ربُّها بقبولٍ حَسَنٍ » .

١٤ ـ قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ المَلاَئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي المِحْرَابِ أَنَّ اللَّهُ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾[3] .

إن قلت : كيف نادت الملائكةُ زكريا وهو قائمٌ

---

(١) آل عمران آية (٣٦) .

(٢) هذا على قول بعض المفسرين أن هذه الآية ﴿ وليس الذكر كالأنثى ﴾ من قول امرأة عمران ، فيكون هذا القول منها على سبيل الاعتذار ، وقال آخرون : الجملة معترضة من كلام الله تعالى لها ومعنى الآية : ليس الذكر الذي طلبته كالأنثى التي وُهبتها بل هذه أفضل ، وهذا القول أظهر والله أعلم .

(٣) آل عمران آية (٣٩) .

يصلي ، وأجابها وهو في الصلاة ؟

قلتُ : المرادُ بالصلاة هنا الدُّعاءُ كقوله تعالى «ولا تَجَهرْ بصلاتك» .

فإن قلتَ: لِمَ خصَّ «يحيى» عليه السلام بقوله «مصدِّقاً بكلمةٍ من اللَّهِ» مع أن كل واحدٍ من المؤمنين ، مصدِّقٌ بجميع كلمات الله تعالى ؟

قلتُ لأن معناه مصدِّقاً بـ «عيسى» الذي كان وجودُه بكلمة من الله تعالى وهو قولُه : كنْ من غير أبٍ في الوجود أو المرتبة ، وكان تصديق يحيى لعيسى أصدَق من تصديق كل أحدٍ به .

١٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الكِبَرُ وَامْرَأَتِي عاقِرٌ . . ﴾[1] .

قدَّم هنا ذكر «الكِبَرِ» على ذكرِ المرأة ، وعكس في «مريم»[2] لأن الذَّكَر مقدَّمٌ على الأنثى ، فقدَّم كبَره هنا وأخَّر ثَمَّ لتتوافق الفواصل في «عتيّاً، وَسَوِيّاً ، وعشيّاً ، وصبيّاً» وغيرها .

---

(١) آل عمران آية (٤٠) .

(٢) في مريم ﴿ قالَ ربِّ أنَّى يكونُ لي غلامٌ وكانتِ امرأتي عاقراً وقدْ بلغتُ من الكِبَرِ عتيّاً ﴾ مريم آية (٨) .

فإن قلتَ : كيف استبعد زكريا ذلك ، ولم يكن شاكاً في قدرة الله تعالى عليه ؟

قلتُ : إنما قال ذلك تعجباً من قدرة الله تعالى ، لا استبعاداً .

١٦ - قوله تعالى : ﴿قَالَ كَـذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَـلُ مَا يَشَاءُ . .﴾[١]. قال في حقِّ زكريا «**يَفْعَلُ**» وفي حقِّ مريم بعدُ «يَخْلُقُ»[٢] مع اشتراكهما في بشارتهما بولدٍ .

لأن استبعاد زكريا لم يكن لأمرٍ خارق ، بل نادرٍ بعيد فحسن التعبيرُ بـ «يفعل» .

واستبعاد مريمُ كان لأمرٍ خارقٍ ، فكان ذكر «الخلقِ» أنسب .

١٧ - قوله تعالى: ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً . .﴾[٣] .

---

(١) آل عمران آية (٤٠) .

(٢) في قوله تعالى ﴿ قالتْ رَبِّ أنَّى يكونُ لي ولدٌ ولم يَمسَسْني بشرٌ قال كذلكِ اللَّهُ يخلقُ ما يشاءُ إذا قضى أمراً فإنَّما يقولُ لهُ كُنْ فيكونُ ﴾ والسرُّ في هذا التفريق هو أن خلق عيسى من غير أبٍ إيجادٌ واختراع ، من غير سببٍ عادي ، فناسبه ذكر الخَلْق ، وهناك الزوج والزوجة موجودان ، ولكنَّ وجود الشيخوخة والعقم مانعٌ في العادة من وجود الولد ، فناسبه ذكر الفعل والله أعلم .

(٣) آل عمران آية (٤١) .

إن قلتَ : ما الجمعُ بين قوله هنا «ثلاثةَ أيامٍ» وقوله في مريم «ثلاثَ ليالٍ»؟

قلتُ : كلٌّ منهما مقيَّدٌ بالآخر ، فلا بد من الجمع بينهما .

١٨ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ العَالَمِينَ﴾[١] .

كرَّر «اصْطَفَاكِ» لأن الاصطفاء الأول للعبادة التي هي خدمة «بيت المقدس» وتخصيص مريم بقبولها في النَّذر مع كونها أنثى ، والاصطفاء الثاني لولادة عيسى .

١٩ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ . .﴾[٢] .

قال هنا «ولدٌ» وفي مريم «غلامٌ» .

لأن ذكر المسيح تقدَّم هنا وهو ولدها ، وفي مريم تقدَّم ذكرُ الغلام .

٢٠ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ . .﴾[٣] .

---

(١) آل عمران آية (٤٢) .
(٢) آل عمران آية (٤٧) .
(٣) آل عمران آية (٤٤) .

إن قلتَ: كيف نفى وجودَ النبي ﷺ في زمن مريم ، مع أنه معلوم عندهم ، وتَرَكَ ما كانوا يتوهمونه من استماعه ذلك الخبر من حُفَّاظه ؟

قلتُ : لأنهم يعلمون أنه ﷺ أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب ، وإنما كانوا منكرين للوحي ، فنفى اللَّهُ الوجودَ الذي هو في غاية الاستحالة ، على وجه التهكُّم بالمنكرين للوحي ، مع علمهم أنه لا قراءة له ولا رواية .

٢١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ . .﴾[1] . فيه التفاتٌ إذِ القياسُ «ابْنُكِ» .

فإن قلتَ : كيف قال «ابن مريم» والخطابُ معها ، وهي تعلمُ أنَّ الولد الذي بُشِّرتْ بِهِ يكون ابنَها ؟

قلتُ : لأن النَّاسَ يُنْسبون إلى الآبـاء ، لا إلى الأمهات ، فأُعلمتْ بنسبتهِ إليها أنه يُولد من غير أبٍ ، فلا يُنسب إلَّا إلى أمه .

٢٢ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[2] .

إن قلتَ : أيُّ معجزةٍ لعيسىٰ عليه السلام في تكليمه النَّاسَ كهلاً ؟

---

(١) آل عمران آية (٤٥) .
(٢) آل عمران آية (٤٦) .

قلتُ : معناه تكلُّمه في الحالتيْن بكلامِ الأنبياء ، من غير تفاوتٍ بين الطفولة والكهولة ، التي يستحكم فيها العقل وتُنبَّأ فيها الأنبياء .

وقال الزجَّاجُ: هذا أُخرج مخرج البشارة لمريم ، ببقاء «عيسى» إلى وقتِ الكهولة .

٢٣ ـ قوله تعالى: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ . .﴾[1] الآية .

نسبةُ هذه الأفعال إلى عيسى ، لكونه سبباً فيها ومعنى «بإِذن اللَّهِ» بإرادته ، وقال هنا «فأنفخُ فيهِ» وفي المائدة « فتنفخ فيها »[2] بإعادة الضمير هنا إلى الطير أو الطين ، وفي المائدة إلى هيئة الطَّير ، تفنُّناً جرياً على عادة العرب في تفنُّنهم في الكلام . وخَصَّ ما هنا بتوحيد الضمير مذكراً ، وما في المائدة بجمعه مؤنثاً[3] !!

قيل: لأنَّ ما هنا إخبارٌ من عيسى قبل الفعل فوحَّده ، وما في المائدة خطاب من الله له في القيامة ، وقد سبق من عيسى الفعلُ مرَّاتٍ فجمعه .

---

(١) آل عمران آية (٤٩) .

(٢) في قوله تعالى ﴿ وإذْ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني . . ﴾ المائدة آية (١١٠) .

(٣) أراد قوله تعالى ﴿ فتنفخ فيها ﴾ في المائدة بصيغة الجمع المؤنث ، وفي آل عمران ﴿ فأنفخ فيه ﴾ بتوحيد الضمير مذكراً .

٢٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ . .﴾[١] .

ذُكر هنا مرتين بهذا اللفظ ، وفي المائدة أربعاً بلفظ «بإِذني» !! لأنه هنا من كلام عيسىٰ، وثَمَّ من كلام الله .

٢٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[٢]. هو كقوله في مريم «وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ» وقال في الزخرف «وإِنَّ اللَّهَ هو رَبِّي وربُّكُمْ» بضمير الفعل ، الدَّالِّ على حصر المبتدأ في الخبر ، بمعنى إن الله ربي لا أبَ كما زعمتِ النَّصارى ، ولم يتقدَّم ذلك ما يغني عن الحصر ، فحسن ذكرُ «هو» بخلافه في الأُخْرَيَيْنِ، فإنه ذكر في آل عمران عشر آيات من قصة مريم وعيسى ، وفي مريم عشرون آية منها ، فأغنى ذلك فيهما عن ذكر «هو» .

٢٦ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[٣] .

قال هنا بـ «أنَّا» وفي المائدة[٤] بـ «أَنَّنَا» لأن ما فيها أول كلام الحواريين ، فجاء على الأصل ، وما هنا تكرارٌ له بالمعنى ، فناسب فيه التخفيف، لأنَّ كلًّا من التخفيف والتكرار فرعٌ، والفرع بالفرع أولى .

---

(١) آل عمران آية (٤٩) .

(٢) آل عمران آية (٥١) .

(٣) آل عمران آية (٥٢) .

(٤) في قوله تعالى ﴿ قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون ﴾ المائدة آية (١١١) .

٢٧ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ . .﴾ آل عمران آية « ٥٥ » .

إن قلتَ : كيف قاله واللَّهُ رفعَه ولم يَتوفَّه ؟

قلتُ : لما هدَّده اليهودُ بالقتل ، بشَّره الله بأنه لا يقبض روحه ، إلاّ بالوفاة لا بالقتل ، والواوُ لا تقتضي الترتيب . أو إنِّي متوفِّي نفسك بالنوم(١) من قوله تعالى « اللَّهُ يَتوفَّى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها . . »(٢) ورافعك وأنت نائم لئلا تخاف ، بل تستيقظُ وأنتَ في السَّماء آمنٌ مقرَّب .

٢٨ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ . .﴾ آل عمران آية « ٥٩ » .

إن قلتَ : كيف قاله وآدمُ خُلق من التراب ، وعيسى من الهواء ، وآدمُ خُلق من غير أب وأم ، وعيسى خُلق من أم ؟

---

(١) هذا القول ضعيف ، والصحيح أن معناه إني رافعك إلى السماء حياً بروحك وجسدك ، ثم مميتك بعد استيفائك كامل أجلك ، فهو من المقدَّم والمؤخر ـ كما قال قتادة ـ والمقصودُ بشارتُه عليه السلام بنجاته من اليهود ، ورفعه إلى السماء حياً سالماً دون أذى منهم ، ثم بعد انتهاء حياته على وجه الأرض سيموت كما يموت سائر البشر ، وفي الآية ردٌّ على النصارى في زعمهم أنه إلهٌ ، فكيف يموت لو كان ربّاً وإلهاً !!

(٢) سورة الزمر آية (٤٢) .

قلتُ : المرادُ تشبيهه به في الوجود بغير أبٍ ، والتشبيهُ لا يقتضي المماثلة من جميع الوجوه .

٢٩ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ . .﴾ .

إن قلتَ : لِمَ خصَّ أهل الكتاب بذلك ، مع أن غيرهم منهم الأمينُ والخائنُ ؟

قلتُ : إنَّما خصَّهم باعتبار واقعة الحال ، إذْ سببُ نزول الآية أن « عبد اللهِ بن سلام » أُودع ألفاً ومائتيْ أوقيةً من الذهب ، فأدَّى الأمانةَ فيها ، و« فنحاص بن عازوراء » أُودع ديناراً فخانه . ولأنَّ خيانة أهل الكتاب المسلمين ، تكون عن استحلالٍ[1] بدليل آخر الآية ، بخلاف خيانة المسلم المسلمَ .

٣٠ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي . .﴾ آل عمران آية « ٨١ » أي عهدي[2] .

٣١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ

---

(١) أشار المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى ﴿ذلكَ بأنهم قالوا ليس علينا في الأميّين سبيل﴾ أي ليس علينا في أكل أموال العرب إثم أو حرج فاستحلّوا أموالهم.

(٢) نبَّه الشيخ إلى أن الإصر كما يطلق على الثقل والشدة كما في قوله تعالى ﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا﴾ كذلك يُطلق على العهد ﴿وأخذتم على ذلكم إصري﴾ أي عهدي ، سُمِّي إصراً لأنه ممَّا يُشدُّ ويُعقد .

وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً . . ﴾ آل عمران آية « ٨٣ » .

إن قلتَ : كيف قال ذلك ، مع أن أكثر الإنس والجنِّ كفرة ؟

قلتُ : المرادُ بهذا الاستسلامُ والانقيادُ لما قدَّره عليهم ، من الحياةِ والموتِ ، والمرضِ والصّحةِ ، والشقاءِ والسعادةِ[1] ، ونحوها .

٣٢ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ . . ﴾ آل عمران آية «٩٠» .

إن قلتَ : كيف قال ذلك ، مع أن المرتدَّ وإن ازداد ارتداده مقبولُ التوبة ؟

قلتُ : الآية نزلتْ في قومٍ ارتدُّوا ، ثم أظهروا التوبة بالقول ، لسترِ أحوالهم ، والكفرُ في ضمائرهم[2] .

٣٣ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ

---

(١) هذا أحد الأقوال في تفسير الآية ، وقال بعضهم معنى ﴿طوعاً وكرهاً﴾ المسلمُ أسلم طوعاً فنفعه إسلامه ، والكافر أسلم كارهاً في وقت البأس والشدَّة فلم ينفعه ذلك ، كقوله ﴿ فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده . . ﴾ الآية وهذا قول قتادة وهو الأظهر .

(٢) وقيل : نزلت في اليهود كفروا بعيسى بعد إيمانهم بموسى ، ثم ازدادوا كفراً بكفرهم بمحمد والقرآن .

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً . .﴾ آل عمران آية « ٩٩ » قال ذلك هنا ، وقال في الأعراف[1] « من آمَنَ بِهِ وتبغونها عوجاً . . » بزيادة « بِهِ » و « الواو » جرياً هناك على الأصل ، في ذكر « بِهِ » لكونه معمولاً ، وذكر « واو العطف » إذ مدخولُها معطوفٌ على « تُوعِدُون » المعطوف عليه « تصدُّون » وجرياً هنا على موافقة « وَمَنْ كَفَرَ » في عدم ذكرِ « بِهِ » .

وإنما لم يذكر الواو هنا ، لأنَّ « تَبْغونَها » وقع حالاً ، والواو لا تُزاد مع الفعل إذا وقع حالاً ، كما في قوله تعالى « ولا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِر » .

٣٤ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ . .﴾ آل عمران آية « ١١٠ » .

إن قلتَ : كيف قال ذلك ، ولم يقل : أنتم خيرُ أمّةٍ ؟

قلتُ : لأنَّ معناه : كنتم في سابق علم الله ، أو في يومِ أخذِ الميثاق على الذرية .

فأعلم بذلك أن كونهم خير أمّةٍ ، صفةٌ أصليةٌ فيهم ،

---

(١) في قوله﴿ ولا تقعدوا بكل صراطٍ تُوعدون وتصدُّون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجاً . .﴾ الأعراف آية (٨٦)

لا عارضةٌ متجدِّدة . أو معنى « كُنْتُمْ » وُجدتم ، بجعل « كان » تامَّة .

٣٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ . .﴾ آل عمران آية « ١١٠ » .

إن قلتَ : كيف قال ذلك ، مع أن غير الإيمان لا خير فيه ، حتى يُقال إن الإيمان خيرٌ منه ؟

قلتُ : ليس « خير » هنا أفعل تفضيل ، بل هو خيرٌ . أو هو أفعل تفضيل ، وإيمانهم بمحمد ﷺ مع إيمانهم بموسى وعيسى ، خيرٌ من إيمانهم بموسى وعيسى فقط .

٣٦ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ . .﴾ الآية . أي حرٌّ أو بردٌ شَديدٌ[١] .

٣٧ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا . .﴾ وصف « الحسنة » بالمسِّ ، و « السيِّئَة » بالإصابة ، توسعةً في العبارة ، وإلَّا فهما بمعنى واحد[٢] في الأمرين ، قال تعالى « إنْ تُصبْك

---

(١) نبَّه المؤلف إلى أن معنى الصِرّ : الحرُّ الشديد ، أو البرد الشديد ، وأصلُ الصرِّ من الصرير الذي هو الصوت ، ويراد به في الآية الريح الشديدة الباردة التي لها صوتٌ مزعج .

(٢) وذهب بعض المفسرين إلى أن التعبير بالمسِّ ﴿ إن تمسَسْكم حسنةٌ ﴾ . والتعبير بالإصابة ﴿ وإن تصبكم سيئةٌ ﴾ فيه إشارة لطيفة ، إلى أن الحسنة ولو كانت=

حسنةٌ تسُؤْهم وإنْ تُصبْك مُصيبةٌ يقولُوا قَدْ أَخَذْنَا أمرَنا مِنْ قَبلُ »[1] .

وقال **تعـــالى**: « ما أَصابَكَ من حسنةٍ فمنَ اللّهِ وما أصابك من سيئةٍ فمن نفسك »[2] .

وقال **تعالى** : « إذا مسَّه الشرُّ جَزُوعاً . وإذَا مسَّه الخيرُ مَنُوعاً »[3] .

٣٨ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ . .﴾ آل عمران آية « **١٢٦** » هذه تخالف آية الأنفال[4] في ثلاثة أمور :

أ ـ لأنه ذكر في هذه « لكم » لتمام القصة قبلها ، وتركها ثَمَّ إيجازاً أو اكتفاءً بذكرِ لـه قبل في قـوله « فاستجاب لكم » .

ب ـ وقدَّم « قلوبكم » على « بِهِ » هنا ، وعكس في

= بأيسر الأشياء ، تسوء الأعداء ، ولو كانت مسّاً خفيفاً ، وأن المصيبة لا تشمتهم إلا إذا كانت عظيمة ومتمكنة إلى الحدِّ الذي يُشفي غليلهم، وهذا من أسرار بلاغة القرآن والله أعلم .

(١) سورة التوبة آية (٥٠) .

(٢) سورة النساء آية (٧٩) .

(٣) سورة المعارج آية (٢١)

(٤) في قوله تعالى﴿ وما جعله اللَّهُ إلاّ بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ﴾الأنفال آية (١٠) .

الأنفـال ليـزاوج بين الخـطابيْن هنـا في « لكمْ » و « قلوبكم » .

جـ ـ وذكر هنا وصفيْ « العزيز » و « الحكيم » تابعَيْن بقوله « العزيز الحكيم » وثَمَّ ذكرهما في جملة مستأنفة بقوله « إِنَّ اللَّهَ عزيزٌ حكيمٌ » لأنه لمَّا خاطبهم هنا ، حسُن تعجيلُ بشارتهم بأنَّ ناصرهم عزيزٌ حكيمٌ . ولأنَّ ما هناك قصة « بدرٍ » وهي سابقةٌ على ما هنا ، فإنها في قصة « أُحد » فأخبر هناك بأنه « عزيزٌ حكيمٌ » وجعل ذلك هنا صفةً لأن الخبر قد سبق .

٣٩ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ . .﴾ آل عمران آية « **١٣٣** » أي إلى أسبابها كالتوبة[١] .

إن قلتَ : كيف قال ذلك وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال : « العجلةُ من الشيطان ، والتأنّي من الرحمن » ؟!

قلتُ : استُثْني منه ـ بتقدير صحته ـ التوبةُ ، وقضاءُ الدَّيْن الحالِّ ، وتزويج البكر البالغِ ، ودفن الميت ، وإكرام الضيف .

---

(١) نبَّه المؤلف إلى أن المسارعة في أعمالِ الخير ، لا تدخل في العجلة المنهيّ عنها ، فإن الأعمال الصالحة تنبغي المبادرة إليها كما قال تعالى ﴿فاستبقوا الخيراتِ﴾ وقال ﷺ « بادروا بالأعمال . . » الحديث .

٤٠ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ . .﴾ آل عمران آية « ١٣٥ » صرَّح بذكر الفاحشة مع دخولها في ظلم النفس ، لأنَّ المراد بها نوعٌ من أنواع ظلم النفس ، وهو الزنى ، أو كلُّ كبيرة ، وخصَّ بهذا الاسم تنبيهاً على زيادة قبحه .

٤١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ . .﴾ آل عمران آية « ١٣٥ » أي يسترها .

فإن قلتَ : كيف قال ذلك ، مع أنه قال : « وَإِذَا ما غضِبُوا همْ يَغْفِرون »[1] ؟ وقال : « قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيامَ اللَّهِ »[2] ؟

قلتُ : معناه : ومن يغفر الذنوب من جميع الوجوه إلا الله ؟ وهذا لا يوجد من غيره .

٤٢ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ﴾[3] . ذكره بواو العطف هنا ، وتركها في العنكبوت[4] ، لـوقوع مدلولها هنا بعد خبرين متعاطفيْن بالواو ، فناسب عطفُه بها ربطاً ، بخلاف ما في العنكبوت إذْ لم يقع قبلَ ذلك

---

(١) سورة الشورى آية (٣٧) .

(٢) سورة الجاثية آية (١٤) .

(٣) آل عمران آية (١٣٦) .

(٤) في قوله تعالى ﴿ غُرَفاً تَجْري مِنْ تحتِها الأنهارُ خالدينَ فيها نِعْمَ أجرُ العَامِلينَ﴾ العنكبوت (٥٨) .

إلا خبرٌ واحد . كنظيره في الأنفال في قوله « نعم المولى ونعم النصير »[١] .

ونظير الأول قولُه في الحج « فنعم المولى » وإن كان العطفُ فيه بالفاء .

٤٣ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا . .﴾[٢] الآية . معطوف على مقدَّر ، والتقديرُ : وتلكَ الأيامُ نداولها بينَ النَّاسِ ، ليتعظوا وليعلم اللَّهُ الذين آمنوا .

٤٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . .﴾[٣] الآية .

إن قلتَ : كيف قال ذلك ، وقد قال « ولقد جئتُمونا فُرَادى كما خَلَقْناكُم أَوَّلَ مرَّة»؟

قلتُ : معناه يأتي به مكتوباً في ديوانه . أو يأتي به حاملاً إثمه[٤] .

---

(١) في قوله تعالى ﴿ وإن تولَّوْا فاعلموا أنَّ الله مولاكم نعْمَ المولى ونعمَ النَّصِيرُ﴾ الأنفال آية (٤٠) .

(٢) آل عمران آية (١٤٠) .

(٣) آل عمران آية (١٦١) .

(٤) ورد في الحديث الشريف أنه يأتي حاملاً له على عنقه يوم القيامة ، فضيحةً له على رءوس الأشهاد ، ولا ينافي هذه الآية الكريمة ﴿ولقد جئتمونا فرادى﴾ فإن المراد أنهم يأتون بلا أعوان ولا أنصار ، وبدون أهلٍ أو ولد .

ومعنى « فُـرادى » منفردين عن أهـلٍ ، ومالٍ ، وشركاء ، ينتصرون بهم .

٤٥ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ، واللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[١] أي ذوو درجات .

فإن قلتَ : الضميرُ في « هم » يعودُ على الفريقينِ ، وأهلُ النَّار لهم دركاتٌ لا درجاتٌ ؟

قلتُ : الدَّرجات تُستعملُ في الفريقين ، قال تعالى « ولكلٍ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا »[٢] وإنِ افترقتا عند المقابلة في قـولهم : المؤمنـون في درجـاتٍ ، والكفَّـارُ في دركاتٍ .

٤٦ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ . .﴾[٣] قال ذلك مع أنهم كانوا في زمن النبي ﷺ وما قتلوا أنبياء قطُّ ، لكنهم لما رَضُوا بقتل أسلافهِم أنبياءهم ، نُسب الفعلُ إليهم .

٤٧ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ

---

(١) آل عمران آية (١٦٣) .

(٢) قال تعالى ﴿ولكلٍ درجاتٌ ممَّا عملوا وما ربُّك بغافلٍ عمَّا يعملون﴾ الأنعام آية (١٣٢) .

(٣) قال تعالى ﴿ ذلكَ بما قدَّمتْ يداكَ وأن الله ليس بِظلَّامٍ للعبيد﴾ الحج آية (١٠) .

﴿لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[1] . قاله هنا .. بجمع اليد ، لأنه نزل في قومٍ تقدَّم ذكرهم ، وقاله في الحج بتثنِيتها[2] لأنه نزل في « النَّضر بن الحارث » أو في « أبي جهل » والواحد ليس له إلّا يدان .

٤٨ - قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[3] .

فإن قلت : « ظلام » صيغة مبالغةٍ من الظلم ، ولا يلزم من نفيها نفيه ، مع أنه منفيٌّ عنه قال تعالى « ولا يظلمُ ربُّك أحداً » ؟

قلتُ : صيغةُ المبالغة هنا لكثرة العبيد لا لكثرة الظلم ، كما في قوله تعالى « مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكم » إذِ التشديد فيه لكثرة الفاعلين ، لا لتكرار الفعل .

أو الصيغةُ هنا للنسبة ، أي لا يُنسب إليه ظلمٌ ، فالمعنى ليس بذي ظلمٍ .

٤٩ - قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ..﴾[4] جوابُ الشرط محذوفٌ ، إذْ لا يَصْلحُ قولُه

---

(١) آل عمران آية (١٨١) .
(٢) آل عمران آية (١٨٢) .
(٣) آل عمران آية (١٨٢) .
(٤) آل عمران آية (١٨٤) .

« فقد كُذِّب رسلٌ من قبلك » جواباً له ، لأنه سابقٌ عليه .

والتقديرُ : فإن كذَّبوك فتأَسَّ بمن كُذِّب من الرسل قبلك ، فهو من إقامة السبب مقام المسبّب .

٥٠ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿كُـلُّ نَـفْـسٍ ذَائِـقَـةُ المَوْتِ . . ﴾[1] أي أجسادها إذِ النّفْس لا تموت ، ولو ماتت لَمَا ذاقت الموت في حال موتها ، لأن الحياة شرطٌ في الذوق وسائر الإدراكات ، وقولُه تعالى « اللَّهُ يتوفَّى الأنفس حين موتها » معناه حين موت أجسادها .

٥١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوْتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ . . ﴾[2] .

إنْ قلتَ : ما فائدةُ « ولا تكتمونه » بعد « لتبيننُّنَه للنَّاس » مع أنه معلومٌ منه ؟

قلتُ : فائدتُه التأكيدُ ، أو المعنى لتبيننَّه في الحال ، ولا تكتمونه في المستقبل .

٥٢ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ . . ﴾[3] .

---

(١) آل عمران آية (١٨٥) .

(٢) آل عمران آية (١٨٧) .

(٣) آل عمران آية (١٩٢) .

إن قلتَ : هذا يقتضي خزيَ كلِّ من يدخُلها ، وقولُه « يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النبِيَّ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ » يقتضي انتفاء الخزي عن المؤمنين فلا يدخلون النار ؟

قلتُ : « أخزى » في الأول من « الخِزْي » وهو الإذلالُ والإهانة ، وفي الثاني من « الخِزاية » وهي النَّكالُ والفضيحةُ ، وكلُّ من يدخل النار يذلُّ ، وليس كلُّ من يدخلها يُنكَّل به .

فالمراد بالخزي في الأول الخلودُ . . وفي الثاني تَحلَّةُ القَسَم . أو التطهير بقدر ذنوب الداخل .

٥٣ - قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ . . ﴾[١] .

إن قلتَ : المسموعُ النِّداءُ لا المنادي ؟

قلتُ : لما قال « منادياً يُنادي » صار معناه : نداءَ منادٍ ، كما يُقال : سمعتُ زيداً يقول كذا ، أي سمعت قوله ، فمنادياً مفعول سمع . و« يُنادي » حال دالَّةٌ على محذوفٍ مضافٍ للمفعول .

٥٤ - قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا

---

(١) آل عمران آية (١٩٣) .

سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾[1] .

فإن قلتَ : كيف قال الثاني مع أنه معلومٌ من الأول ؟

قلتُ : المعنى مختلفٌ ، لأن الغُفران مجرَّد فضلٍ ، والتكفيرُ محو السيئات بالحسنات .

٥٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ . .﴾[2] أي على ألسنتهم .

فإن قلتَ : ما فائدةُ الدُّعاء ، مع علمهم أن الله لا يُخلف الميعاد ؟

قلتُ : فائدتُهُ العبادةُ ، لأن الدُّعاء عبادة ، مع أن الوعد من الله للمؤمنين عام ، يجوز أن يُراد بِهِ الخصوص ، فسألوا الله أن يجعلهم ممن أرادهم بالوعد .

٥٦ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي البِلَادِ﴾[3] . النَّهيُ في اللفظ « للتقلُّب » وفي الحقيقة « للنبي » والمرادُ أمته .

والقصدُ بذلك النَّهيُ عن الاغترار بالتقلُّب ، ففي ذكر الغرور تنزيل السبب منزلة المسبَّب ، والمنعُ عن السبب ـ

(١) آل عمران آية (١٩٣) .
(٢) آل عمران آية (١٩٤) .
(٣) آل عمران آية (١٩٦) .

ـ وهو غرور تقلُّبِهم له ـ منعٌ للمسبَّب وهـو الاغترار بتقلبهم .

والمــراد بتقلبهم : تصــرُّفهم في التجــارات ، والأموال، والانتقال بِها في البلاد متنعّمين ، والفقيرُ إنما يتألم وينكسر قلبُه ، إذا رأى الغنيَّ يتقلَّب ويتمتع بها ، فلذلك ذكر التقلب .

تمت سورة آل عمران

* * *

سُورَة النِّسَاء

١ ـ **قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا . .﴾**[1] أي حواء .

فإن قلتَ : إذا كانت مخلوقةً من « آدمَ » ونحنُ مخلوقون منه أيضاً ، تكون نسبتُها إليه نسبةَ الولد ، فتكونُ أختاً لنا ، لا أُمّاً ؟

قلتُ : خلقُها من آدم لم يكن بتوليد ، كخلق الأولاد

٣ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً﴾[١] أي مضمومة إليها .

إن قلتَ : أكلُ مال اليتيم حرامٌ وإن لم يُضمَّ إلى مال الوصيّ ، فلم خصَّ النهي بالمضموم ؟

قلتُ : لأن أكل مال اليتيم مع الاغتناء عنه أقبحُ ، فلذلك خصَّ النهي به ، ولأنهم كانوا يأكلونه مع الاغتناء عنه ، فجاء النهي على ما وقع منهم .

٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ . .﴾[٢] أي سواء أكان الولد ذكراً أو أنثى .

وما يأخذه الأب فيما إذا كان الولد « أنثى » ، من الزائد على السدس ، إنما يأخذه تعصيباً ، والآيةُ إنما وردت لبيان الفرض .

٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾[٣]

ذكر « الواو » فيه هنا ، وتركها في التوبة[٤] ، موافقة لذكرها هنا قبله ، في قوله تعالى « وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ » وبعده

---

(١) النساء آية (٢) .

(٢) النساء آية (١١) .

(٣) النساء آية (١٣) .

(٤) في قوله تعالى ﴿ومساكنَ طيِّبةً في جناتِ عدنٍ ورضوانٌ من اللَّهِ أكبرُ ذلِكَ هُوَ الفوزُ العظيمُ﴾ التوبة آية (٧٢)

في قوله تعالى « وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ » وقوله تعالى « وله عذاب مهينٌ » بخلاف ذلك .

٦ ـ قوله تعالى : ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ . .﴾[١] أي مَلَك الموتِ ، إذ المتوفّي هو الموتُ ، ولا يصحُّ به المعنى بغير إضمار ، إذ يصير المعنى حتى يميتهنَّ الموتُ[٢] .

٧ ـ قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ . .﴾[٣] أي إنما قبولُها عليه لا وجوبُها ، إذْ وجوبُها إنما هو على العبد ، وتوبةُ الله رجوعُه على العبد بالمغفرة والرحمة .

فإن قلتَ : لم قيَّد « بجهالةٍ » مع أن من عمل سوءً بغير جهالة ، ثم تاب قُبلت توبتُه ؟

قلتُ : المرادُ « بالجَهَالةِ » الجَهَالَةُ بقدر قُبح المعصية ، وسوء عاقبتها ، لا بكونها « معصية » و « ذمًّا » ! !

وكلُّ عاصٍ جاهلٌ بذلك حال معصيته ، لأنه حال

(١) النساء آية (١٥) .

(٢) قال في السراج المنير : معنى الآية احبسوهن في البيوت واجعلوها سجناً لهنَّ ، وامنعوهنَّ عن مخالطة الناس ، حتى يتوفاهن الموتُ أي ملائكتُه ا هـ السراج المنير ١ / ٢٧٥

(٣) النساء آية (١٧) .

المعصية مسلوبٌ كمالَ العلم به ، بسبب غلبة الهوى .

٨ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ . .﴾[١] .

ليس المراد بـ « القريبِ » مقابلةُ البعيد ، إذْ حكمهما هَنا واحدٌ . بل المرادُ من قوله « مِنْ قَرِيبٍ » منْ قبلِ معاينةِ سبب الموت ، بقرينة قوله تعالى « حتَّى إذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ إني تُبْتُ الآن »[٢] .

٩ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً . .﴾[٣] .

إن قلتَ : حرمةُ الأخذ ثابتة ، وإن لم يكن قد آتاها المسمَّى ، بل كان في ذمَّته أو في يده ؟

قلتُ : المرادُ بالإيتاء : الالتزامُ والضَّمانُ ، كما في قوله تعالى « إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالمَعْرُوفِ »[٤] أي التزمتم وضمنتم .

١٠ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾[٥] .

---

(١) النساء آية (١٧) .
(٢) النساء آية (١٨) .
(٣) النساء آية (٢٠) .
(٤) البقرة آية (٢٣٣) .
(٥) النساء آية (٢٠) .

إن قلتَ : كيف قال ذلكَ مع أن « البُهتانَ » الكذبُ مكابرةً، وأخذُ مهرِ المرأةِ قهراً ظلمٌ لا بُهتان ؟

قلتُ : المراد بالبهتان هنا الظلم[1] تجوُّزاً ، كما قال به ابن عباس وغيرُه .

وقيلَ : المرادُ أنه يرمي امرأته بِتهمةٍ ، ليتوصل إلى أخذ المهر .

١١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ . .﴾[2] .

إن قلتَ : المستثنَى منه مستقبلٌ ، والمستثنى ماضٍ ، فكيف صحَّ استثناؤه من المستقبل ؟

قلتُ : « إلَّا » بمعنى « بعد » أو « لكنْ » كما قيل في قوله تعالى « لا يَذوقُونَ فيهَا المَوْتَ إلَّا المَوْتَةَ الأُولى »[3] والاستثناءُ هنا كهوَ في قوله :

وَلَا عَيْبَ فيهِمْ غيرَ أنَّ سيوفَهُمْ
بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ

والمعنى : إنْ أمكن كونُ فُلولِ السيوفِ من الكتائب

(١) معنى الآية : « أتأخذونه باطلاً وظلماً » اهـ صفوة التفاسير ١ / ٢٦٧ .
(٢) النساء آية (٢) .
(٣) الدخان آية (٥٦) ومعنى الآية : لا يذوقون في الجنة الموت ، لكنهم قد ذاقوا الموتة الأولى في الدنيا ، فلم يعد ثمة عليهم موتٌ ؛ بل خلودٌ أبد الآبدين » اهـ صفوة التفاسير ٣ / ١٧٨ .

عيبــاً ، فهـو عيبٌ فيهم ، فهــو من بــاب التعليق بالمستحيل .

١٢ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾[١] .

إن قلتَ : كيف جاء بلفظ الماضي ، مع أن نكاحَ منكوحةِ الأب ، فاحشةٌ في الحال والاستقبال ؟

قلتُ : « كَانَ » تُستعمل تـارةً للماضي المنقـطع نحو : كان زيدٌ غنيّاً . وتارةً للماضي المتَّصل بالحال نحو « وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً » . . « وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيءٍ عليماً » ومنه « إنه كان فاحشةً » .

١٣ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ . .﴾[٢] ذكــرُ « في حُجُورِكُمْ » جَرَى على الغالبِ ، فلا مفهوم له ، إذِ الربيبةُ الَّتي ليست في « الحَجْرِ » حرامٌ أيضاً ، بقرينة تركِه في قوله : « فإنْ لم تكونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عليكم » .

١٤ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ . .﴾[٣] .

---

(١) النساء آية (٢٢)

(٢) النساء آية (٢٣) .

(٣) النساء آية (٢٣) أيضاً .

إن قلتَ : ما فائدةُ ذلك مع أنه مفهوم من قوله « وأُحِلَّ لكُمْ ما وَرَاءَ ذلكُمْ » ومن مفهوم قوله « منْ نِسَائِكُمُ اللَّاتي دخلتُمْ بِهِنَّ » .

قلتُ : فائدتُه رفعُ توهُّمِ أنَّ « قيْدَ الدخولِ » خرج مَخْرج الغالب ، كما قيل : في حجوركم .

١٥ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ . .﴾[1] .

اقتصر عليه هنا ، لأنه في « الحرائر » المسلمات ، وهنَّ إلى الخيانةِ أبعدُ من بقيَّةِ النساء .

وزادَ بعدُ في قوله « مُحْصَناتٍ غيرَ مُسَافِحاتٍ ولا مُتَّخِذاتِ أَخْدَانٍ »[2] لأنه في « الإماء » وهنَّ إلى الخيانة أقربُ من حرائر المسلمات .

وزاد أيضاً في المائدة في قوله « محصنينَ غيرَ مُسَافحينَ » قولَه « ولا متَّخِذي أَخْدَانٍ »[3] لأنه في « الكتابياتِ » الحرائر ، وهنَّ إلى الخيانة أقرب من الحرائر المسلمات .

---

(١) النساء آية (٢٤) .

(٢) النساء آية (٢٥) .

(٣) أَخْدانٍ : جمع خِدْنٍ وهو الصديق للمرأة والصاحب لها يزني بها سراً ، وهذا قول ابن عباس .

١٦ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ . .﴾[١] أي الإماء ، ففي « آتُوهُنَّ » حذفُ مُضافٍ ، أي وآتوا مواليهنَّ أجورهنَّ ، لأن مهورهنَّ إنما تُعطى لمواليهنَّ لا لهنَّ .

فإن أُعطي لهنَّ بإذن مواليهنَّ فلا حذف .

١٧ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ . .﴾[٢] أي تزوَّجْن .

فإن قلتَ : الإحصانُ ليس قيداً ، في وجوب تنصيف الحدِّ على الأَمَةِ إذا زنت ، بل هو عليها أُحْصِنَتْ أوْ لا ؟

قلتُ : ذكرُ الإحصانِ خرج مَخْرج جواب سؤالٍ ، فلا مفهوم له ، إذِ الصحابة عرفوا مقدار حدِّ الأمة التي لم تتزوَّجْ، دون مقداره من التي تزوجت ، فسألوا عنه فنزلت الآية .

١٨ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ . .﴾[٣] اللامُ في « ليبيِّن » بمعنى « أنْ » كما في قوله تعالى « وأُمرنا لنُسْلِم لربّ العالمين »

---

(١) النساء آية (٢٥) .

(٢) تتمة الآية ﴿ فإذا أُحْصِنَّ فإنْ أتينَ بِفَاحِشةٍ فعليهنَّ نصفُ ما على المحصنات من العذاب ﴾ النساء آية (٥) . والمعنى : فإذا أحصنَّ بالزواج فعليهن نصف ما على الحرائر من عقوبة الزنى . ا هـ من الصفوة ١ (٢٧٠)

(٣) سورة النساء آية (٢٦) .

وقوله : « وأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بينَكُمْ »[1] وقولِه : « يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ »[2] وقد قال في محلٍّ آخر « يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ »[3] .

١٩ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً . . ﴾[4] أي أموال تجارة . خصَّ التِّجارة بالذِّكر عن غيرها كالهِبةِ ، والصَّدقةِ ، والوصيَّة ، لأنَّ غالب التصرف في الأموال بها ، ولأن أسباب الرزق متعلقة بها غالباً .

٢٠ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الأَرْضَ . . ﴾[5] أي بأن يكونوا تراباً مثلها لعظم هوله ، كما قال في الآية الأخرى « وَيَقُولُ الكافِرُ يا ليتني كنتُ تراباً »[6] .

٢١ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ . . ﴾[7] الآية .

زاد في المائدة عليه « منه » ، لأنَّ المذكور ثَمَّ جميعُ واجباتِ الوضوء والتيمُّم ، فحسُنَ البيانُ والزِّيادةُ ،

(١) سورة الشورى آية (١٥) .
(٢) سورة الصف آية (٨) .
(٣) سورة التوبة آية (٣٢) .
(٤) سورة النساء آية (٢٩) .
(٥) سورة النساء آية (٤٢) .
(٦) سورة عمَّ آية (٤٠)
(٧) سورة النساء آية (٤٣) .

بخلاف ما هنا فحسُنَ التَّركُ .

٢٢ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوْتُوا الكِتَابَ . .﴾[1] الآية .

قال ذلك هنا ، وقال في غيره « يا أهل الكتابِ » لموافقة التعبير هنا قبله وبعده « بالَّذينَ أُوْتُوا » .

ولأنه **تعالى** استخفَّ بهم هنا قبلُ ، وختم بعد بالطمس وغيره ، بخلاف ذلك في غير هذا الموضع .

٢٣ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ . .﴾[2] أي من العَالِمِ المتعمِّد .

٢٤ -قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ باللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْماً عَظِيماً﴾[3] .

ختم الآية مرَّة بقوله : « فقدِ افْتَرَى إثْماً عَظِيماً » .

ومرَّة بقوله : « فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بعيداً » .

ولا تكرارَ فيه وإن اشتركا في الضلال ، لأن الأول نزل في اليهود ، والثاني في كفارٍ لا كتاب لهم ، وخصَّ ما نزل في « اليهود » بالافتراء ، لأنهم حرَّفوا وكتموا ما في

---

(١) سورة النساء آية (٤٧) .
(٢) سورة النساء آية (٤٨) .
(٣) سورة النساء آية (٤٨) .

كتابهم وذلك افتراء ، بخلافه في الكفار الذين لا كتاب لهم .

٢٥ - قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ . .﴾[١] الآية .

إن قلتَ : كيف ذمَّهم على ذلك ، بما قاله ونهى عنه بقوله : « فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ »[٢] مع قول النبي ﷺ : « واللَّهِ إنّي لأمينٌ في السماء ، أمينٌ في الأرض » وقول يوسف عليه السلام : « قالَ اجْعَلْني عَلى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حفِيظٌ عَلِيمٌ »[٣] ؟

قلتُ : إنما قال النبيُّ ما قاله حين قال المنافقون « إعْدِلْ في القسمة »[٤] تكذيباً لهم ، حيثُ وصفوه بخلافِ ما كان عليه من العدل والأمانة . وإنما قال « يوسف » ما قاله ، ليتوصَّل إلى ما هو وظيفةُ الأنبياء ، وهو إقامةُ العدل ، وبسطُ الحقِّ[٤] .

ولأنه عَلِمَ أنه لا أحد في زمنه أقوم منه بذلك العمل ، فكان متعيِّناً عليه .

---

(١) سورة النساء آية (٥٠) . (٢) سورة يوسف آية (٥٥) .

(٣) الحديث أخرجه البخاري ومسلم في قصة طويلة ، وفيها أن « ذا الخويصرة » المنافق قال للنبي ﷺ : إعدل فإنك لم تعدل ، فقال رسول الله ﷺ : وَيْلَكَ ومنْ يعدلُ إذا لم أعدلْ ؟ وفيه أن النبي ﷺ قال : ألا تأمنوني وأنا أمينُ من في السماء . . الحديث وانظر جامع الأصول ١٠ /٨٣

(٤) إنما قال ذلك يوسف عليه السلام تحدثاً بنعمة الله وبياناً لحنكته ومعرفته ، لا تزكيةً للنفس .

٢٦ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا . .﴾[١] أي بأن تُعاد إلى حالها الأول غيرَ منضجة أي متحرِّقة ، فالمرادُ تُبدَّل الصفة لا الذَّاتُ ، كما في قوله تعالى : « يومَ تُبدَّلُ الأَرْضُ غيرَ الأَرْضِ والسَّمٰواتُ »[٢] .

٢٧ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً﴾[٣] .

هو عبارةٌ عن المستلذِّ المستطيب كقوله تعالى « ولهمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرةً وعشيّاً »[٤] جرياً على المتعارف بين الناس ، وإلَّا فلا شمس في الجنة طالعة ولا غاربة[٥] ، كما أنه لا بكرة فيها ولا عشيّة .

٢٨ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ..﴾[٦] الآية .

إن قلتَ : هذا مدحٌ لمن يطيعُ اللَّهَ والرسول ، وعادةُ العرب في صفات المدح ، الترقِّي من الأدنى إلى الأعلى ، وهذا عكسُه ؟

---

(١) سورة النساء آية (٥٦) .
(٢) سورة إبراهيم آية (٤٨) .
(٣) سورة النساء آية (٥٧) .
(٤) سورة مريم آية (٦٢) .
(٥) لقوله تعالى ﴿لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً﴾ الدهر آية (١٣) .
(٦) سورة النساء آية (٦٩)

قلتُ : ليس هو من ذاك الباب ، بل المقصودُ منه الإخبارُ إجمالاً عن كون المطيعين للّهِ ولرسوله ، يكونون يوم القيامة مع الأشراف ، وقد تمَّ الكلامُ عنه قوله « أنعمَ اللَّهُ عليهمْ » ثم فصَّلهم بذكر الأشرف فالأشرف بقوله « من النبيِّين »[1] إلى آخره جرياً على العادة في تعديد الأشراف . ومثلُه « أطيعوا الله وأطيعوا الرسولَ وأولي الأمر منكم » وكذلك « شهد اللَّهُ أنه لا إِلَه إلاّ هو والملائكةُ وأولو العلم » .

٢٩ - قولُهُ تعالى : ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾[2] .

إن قلتَ : كيف وصف فيه كيد الشيطان بالضعف ، وفي قوله « إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ »[3] وصف كيد النِّساءِ بالعِظَم ، مع أن كيد الشيطان أعظم ؟

قلتُ : المرادُ أن كيد الشيطان ضعيفٌ بالنسبة إلى نصرةِ الله أولياءَه ، وكيدُ النساءِ عظيم بالنسبة إلى الرجال .

---

(١) تتمة الآية ﴿من النبيّينَ والصِدِّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئيك رفيقاً﴾ النساء آية (٦٩) فقد بدأ بالنبيين ثم بالصديقين ثم بالشهداء والصالحين على حسب ترتيبهم في الشرف ورفعة المنزلة والقدر .

(٢) سورة النساء آية (٧٦) .

(٣) سورة يوسف آية (٢٨) .

٣٠ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ . .﴾[١] الآية . جُمع بينه وبين قوله تعالى « قُلْ كُلٌّ من عندِ اللَّهِ » الواقع ردّاً لقول المشركين « وإِن تصبهم حسنةٌ يقولوا هذه من عند الله . . » الآية .

بأن قوله تعالى « قُلْ كُلٌّ من عند الله » أي إيجاداً .

وقوله « ومَا أصابَكَ مِنْ سَيِّئَةً فمنْ نفسِكَ »[٢] أي كسباً . كما في قوله تعالى « وما أصابكم من مصيبةٍ فبما كسبتْ أيديكم »[٣] . وبأن قوله « ما أصابك من حسنةٍ فمن الله » الآية حكايةُ قول المشركين[٤] ، والتقدير : فما لهؤلاءِ القومِ لا يكادونَ يفقهونَ حديثاً فيقولون : ما أصابك ؟ الآية .

٣١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً﴾[٥] . يدلُّ بمفهومه على أن في

---

(١) سورة النساء آية (٧٩) .
(٢) سورة النساء آية (٧٩) .
(٣) سورة الشورى آية (٣٠) .
(٤) ما ذكره الشيخ غير مُسَلَّم ، فإن الآية ليست حكاية عن قول المشركين ، وإنما هي بيانٌ وتوضيحٌ من المولى جلَّ وعلا ، إلى أن الحسنة بمحض فضل الله ، وأن السيئة بكسب الإنسان ، كما قال تعالى ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ ولا تعارض بين الآيات فقوله ﴿قل كل من عند الله﴾ أي خلقاً وإيجاداً أي الحسنة والسيئة بتقدير الله وإيجاده ، والآية الثانية ﴿وما أصابك من سيئةٍ فمن نفسك﴾ أي تسبباً وكسباً بسبب الذنوب والعصيان ، فتدبَّره فإنه دقيق .
(٥) سورة النساء آية (٨٢) .

القرآن اختلافاً قليلاً ، وإلّا لما كان للتقييد بوصف الكثرة فائدة ، مع أنه لا اختلاف فيه أصلاً ، إذ المرادُ بالاختلاف فيه : التناقض في معانيه ، والتبايُن في نظمه .

وأُجيبَ بأن التقييد بالكثرة ، للمبالغة في إثبات الملازمة ، أي لو كان من عند غير الله ، لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ، فضلاً عن القليل ، لكنَّه من عند الله ، فليس فيه اختلافٌ كثيرٌ ولا قليل .

٣٢ ـ قوله تعالى : ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[1] .

إن قلتَ : كيف استثنى القليلَ ، بتقدير انتفاء الفضل والرحمة ، مع أنه لولاهما لاتَّبع الكلُّ الشيطان ؟

قلتُ : الاستثناءُ راجعٌ إلى « أذاعوا به » أو إلى « لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتنبِطُونَهُ مِنهمْ » أو إلى « لاتَّبعتُمُ الشَّيْطانَ » لكنْ بتقييد الفضل والرحمة بإرسال الرسول ، أي لاتبعتم الشيطانَ في الكفر والضلال ، إلَّا قليلاً منكم كانوا يهتدون بعقولهم ، إلى معرفة الله وتوحيده ، كـ « قِسِّ بن ساعدة » و« ورقة بن نوفل » قبل البعثة ، والخطابُ في الآية للمؤمنين .

---

(١) سورة النساء آية (٨٣) .

٣٣ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الفِتْنَةِ﴾[١] أي دُعوا إليها ﴿أُرْكِسُوا فيها﴾ أي عادوا إليها ، وقُلِبوا فيها أقبح قلب .

٣٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً . .﴾[٢] الآية .

فإن قلتَ : « إلّا » هنا في قوله « إلّا خطأً » ما معناها ؟

قلتُ : « إلّا » بمعنى « ولا » كما في قوله تعالى « إِنِّي لا يَخافُ لَدَيَّ المُرْسَلُونَ . إِلَّا مَنْ ظَلَم »[٣] وقوله « لِئَلّا يكونَ للنّاسِ عليكُمْ حُجَّةٌ إلّا الّذِينَ ظَلَمُوا منهُمْ »[٤] .

٣٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿فَضَّلَ اللَّهُ المُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى القَاعِدِينَ دَرَجَةً . .﴾[٥] الآية .

إن قلتَ : كيف قال هنا « درجة » وقال في التي بعدها « درجاتٍ » ؟

---

(١) سورة النساء آية (٩١) .
(٢) سورة النساء آية (٩٢) .
(٣) سورة النمل آية (١٠) .
(٤) سورة البقرة آية (١٥٠) .
(٥) سورة النساء آية (٩٥) .

قلتُ : المرادُ بالأول تفضيلُهم على القاعدين بعذر ، لأن لهم أجراً لكونهم من الغزاة بالهمَّة والقصد ، ولهذا قال « وكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الحُسْنَى » أي الجنَّة .

والمرادُ بالثاني تفضيلُهم على القاعدين بلا عذر ، لأنهم مقصِّرون ومسيئون ، فكان فضلُ الغزاة عليهم درجات ، لانتفاء الفضل لهم .

٣٦ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ . .﴾[1] الآية .

إن قلتَ : هذا الجواب ليس مطابقاً للسؤال ، بل المطابقُ له : كنَّا في كذا ، أولم نكنْ في شيء ؟

قلتُ : المرادُ بالسؤال توبيخُهم بأنهم لم يكونوا على الدِّين ، حيثُ قدروا على الهجرة ولم يُهاجروا ، فصار قول الملائكة « فيمَ كنتم » مجازاً عن قولهم : لِمَ تركتُم الهجرة ؟ فقالوا اعتذاراً عمَّا وُبِّخوا به « كُنَّا مستضعفين في الأرض » .

٣٧ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ . .﴾[2] الآية . أي ثبتَ وتحقَّق ، أو وجب بوعد الله

---

(١) سورة النساء آية (٩٧) .
(٢) سورة النساء آية (١٠٠) .

بقوله « إِنَّا لا نُضيعُ أجْر مَنْ أحسن عملاً » .

٣٨ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً﴾(١) أي متحولاً يتحوَّلُ إليه ، من « الرَّغام » وهو التُّراب ، وسُمّيت المهاجَرةُ مراغمةً ، لأن من يُهاجر يُراغم قومه ، لما يجد في ذلك البلد من النّعمةِ والخير ، ما يكون سبباً لرغم أنف أعدائه ، الذين كانوا معه في بلده الأصليّ ، فإنه إذا استقام حالُه في البلد الأجنبيّ ، ووصل خبرُه إلى أهل بلده ، خجلوا من سوء معاملتهم له ، ورغِمَتْ أنوفُهم بذلك .

٣٩ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا . .﴾(٢) الآية .

تقييدُ القصرِ بالخوف جرى على الغالب ، فلا مفهوم له ، إذْ للمسافر القصرُ في الأمن أيضاً .

٤٠ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَتَرْجُـونَ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ . .﴾(٣) الآية .

---

(١) سورة النساء آية (١٠٠) .
(٢) سورة النساء آية (١٠١) .
(٣) سورة النساء آية (١٠٤) .

إن قلتَ : رجاءُ الفريقين مشتركٌ ، إذِ الكفَّارُ يرجون الثواب في قتالهم المؤمنين ، لاعتقادهم أنه قُرْبةٌ للَّهِ ، كالمؤمنين في قتالهم الكفَّارَ ؟

قلتُ : ممنوعٌ إذِ المرادُ بالكفَّار عبدةُ الأوثانِ، ونحوهم ممن لا يعتقد الجزاء ، فاعتقادُهم فاسدٌ لبنائه على فاسد ، فرجاؤهم وهميٌّ فهو كالمعدوم .

٤١ ـ قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ . .﴾(١) الآية المرادُ بعمل السُّوءِ ما دونَ الشِّركِ ، وبظلم النَّفسِ الشِّرْكُ . أو بعمل السُّوءِ الذَّنبُ المتعدِّي ضررُه إلى الغير ، وبظلم النفسِ الذنبُ القاصرُ عليها .

٤٢ ـ قوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ . .﴾(٢) الآية .

إن قلتَ : ظاهرهُ نفيُ وقوع الهَمِّ منهم بإضلاله ، والمنقولُ خلافُه ؟

قلتُ : المرادُ بالهَمِّ المؤثِّرُ أي لَهمَّتْ هَمّاً يُؤثِّر عندك . والمرادُ بالإضلالِ الإضلالُ عن الشريعة أي لهمَّتْ أن يضلوك عن دينك وشريعتك ، وكلٌّ من هذين

---

(١) سورة النساء آية (١١٠) .
(٢) سورة النساء آية (١١٣) .

الهمَّيْن لم يقع .

٤٣ ـ **قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَىٰ . .﴾**[١] قاله هنا بالإظهار « يُشَاقِقْ » كنظيره في الأنفال[٢] ، وقاله في الحشر[٣] بالإدغام ، لأن « أل » في اللَّهِ لازمة ، بخلافها في الرسول ، ولأن حركة الحرف الثاني في ذلك وإن كانت لالتقاء الساكنَيْنِ كاللازمة لمجاورتها اللازم ، فلزم الإدغامُ في « الحشر » دون غيرها ، وإنما أظهر في الأنفال مع وجود لفظ « اللَّهِ » لانضمام الرسول إليه في العطف ، لأن التقدير فيه أن الحرف الثاني اتَّصَل بالمتعاطفيْن جميعاً ، إذِ الواوُ تُصيِّرهما في حكم شيءٍ واحد .

٤٤ ـ **قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوْءً يُجْزَ بِهِ . .﴾**[٤] الآية . أي إن ماتَ مصرّاً عليه ، فإنْ تاب منه لم يُجْزَ به .

٤٥ ـ **قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ . .﴾**[٥] الآية ، أخّر « للَّهِ » عن قوله

---

(١) سورة النساء آية (١١٥) .

(٢) في قوله تعالى ﴿ ذلك بأنَّهمْ شاقُّوا اللَّهَ ورسولَه ، وَمَنْ يُشَاقق اللَّهَ ورسولَهُ فإنَّ الله شديدُ العقاب﴾ الأنفال آية (١٣)

(٣) في قوله تعالى ﴿ ذلك بأنهم شاقُّوا اللَّهَ ورسوله ، ومن يُشاقِّ اللَّهَ فإنَّ اللَّهَ شديد العقاب﴾ الحشر آية (٤) .

(٤) سورة النساء آية (١٢٣) .

(٥) سورة النساء آية (١٣٥) .

بالقِسْطِ هنا ، اهتماماً بطلب القِسْطِ أي العدل ، وَعَكَسَ في المائدة[1] ، لأن « للَّهِ » فيها متعلِّقٌ بقوَّامين ، لكون الآية ثَمَّ في الوُلاةِ بدليل قوله « ولا يجرمنكم شنآن قومٍ على أَلَّا تعدِلوا » أي كونوا أيها الولاةُ قوَّامين في أحكامكم للَّهِ لا للنفع .

٤٦ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا باللَّهِ وَرَسُولِهِ . .﴾[2]الآية، أي داوموا على الإيمانِ ، إذْ لو حُمِل على ظاهِره ، لكان تحصيلاً للحاصل .

٤٧ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ . .﴾[3] الآية . سَمَّى ظفرَ المسلمين فتحاً ، وظَفر الكافرين نصيباً[4] بعده ، تعظيماً لشأن المسلمين ، وتحقيراً لحظِّ الكافرينَ ، لتضمُّنِ الأول نصرةَ دينِ اللَّه ، وإعلاء كلمته ، ولهذا أضاف الفتحَ إليه تعالى ، وحظُّ الكافرين في ظفرهم دنيويٌّ .

٤٨ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً﴾[5] كرَّره لتكرار الكفر منهم ، فإنهم كفروا

---

(١) في قوله تعالى ﴿ يا أيها الذينَ آمنُوا كونُوا قوَّامينَ للَّهِ شُهَداءَ بالقِسْطِ . . ﴾

(٢) سورة النساء آية (١٣٦) . (٣) سورة النساء آية (١٤١) .

(٤) في قوله تعالى ﴿وإن كان للكافرينَ نصيبٌ قالوا ألم نستحوذْ عليكم ونَمْنعْكُم من المؤمنين﴾ النساء آية (١٤١) .

(٥) سورة النساء آية (١٥٦) والتكرارُ ورد بعد قوله تعالى ﴿فبما نَقْضِهِمْ ميثاقهم وكفرهم بآيات الله . . ثم قال﴿وبكفرهم . .﴾. الآية

بموسى وعيسى وبمحمد ﷺ .

٤٩ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ . .﴾(١) الآية .

إن قلتَ : اليهودُ الداخلون تحت أهل الكتاب ، كانوا كافرين بعيسى ، فكيف أقرُّوا بأنه رسولُ الله ؟!

قلتُ : قالوه استهزاءً كما قال فرعون « إِنَّ رسولكُمُ الَّذِي أُرْسِل إِليكم لَمَجْنُونٌ »(٢) .

٥٠ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ . .﴾(٣) الآية وصفُهم بالشكِّ لا يُنافي بعده وصفهم بالظنِّ ، لأنَّ المراد بالشكِّ هنا « شكُّ الظنِّ » واستثناءُ الظنِّ من العلم في الآية منقطعٌ ، فـ « إِلَّا » فيها بمعنى « لكِنْ » كما في قوله تعالى « لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً . إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً »(٤) ونحوِهِ .

٥١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ . .﴾(٥) الآية .

---

(١) سورة النساء آية (١٥٧) .
(٢) سورة الشعراء آية (٢٧) .
(٣) سورة النساء آية (١٥٧) .
(٤) سورة الواقعة آية (٢٦) .
(٥) سورة النساء آية (١٦٦) .

إن قلتَ : كيف قال « أنزلَه بعلمِهِ » ولم يقل : بقدرته ، أو بعلمه وقدرته ، مع أنه تعالى لا يُنزل إلاَّ عن علمٍ وقُدرة ؟!

قلتُ : معناه أنزله مُلتبساً بعلمه ، أي عالماً به ، أو وفيه علمُه أي معلومُه .

٥٢ - قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ . .﴾(١) الآية .

فإن قلتَ : كلامُه تعالى صفةٌ قديمةٌ قائمةٌ بذاته ، وعيسى مخلوقٌ وحادث ، فكيف صحَّ إطلاقُ الكلمة عليه ؟!

قلتُ : معناه أن وجوده كان بكلمة الله تعالى ، وهو قوله « كُنْ » من غير واسطةِ أبٍ ، بخلاف غيره من البشر سوى آدم ، وإنما خصَّ ذلك بعيسى لأنه جيء به للردِّ على من افترى عليه وعلى أمه مريم .

« انتهت سورة النساء »

* * *

---

(١) سورة النساء آية (١٧١) .

سُورَة المَائِدَة

١ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ . . ﴾[١] الآية .

أي وما أكل منه السَّبُع وهو الباقي ، إذْ ما أكله السَّبُع عُدِم وتعذَّر أكله ، فلا يَحْسُنُ تحريمُه .

٢ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ . . ﴾[٢] الآية .

حذفت الياء فيه ، وفي قوله تعالى « واخشَوْنِ ولا تَشْتَروا بآياتي ثَمناً قليلاً »[٣] لفظاً وخطّاً .

أما لفظاً ففي هذه لالتقاء الساكنيْنِ ، وفي تلك فَتبَعاً لهذه .

وأما خطّاً فتبعاً لحذفها لفظاً ، وأُثْبِتتْ فيما عدا ذلك عملاً بالأصل .

---

(١) سورة المائدة آية (٣) .

(٢) سورة المائدة آية (٣).

(٣) سورة المائدة آية (٤٤).

٣ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً .. ﴾[1] الآية .

جملةٌ مستأنفةٌ ، لا معطوفةٌ على أكملتُ في قوله «اليوم أكملتُ لكم دينكم » وإلَّا كان مفهومُ ذلك ، أنه لم يرضَ لهم الإِسلام ديناً ، قبل ذلك اليوم ، وليس كذلك .

٤ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ .. ﴾[2] الآية .

إن قلتَ : ما فائدة ذكره بعد قوله « وما علمتم من الجوارحِ » والمكلِّب هو معلم الكلاب للصيد وفيه تكرارٌ ؟

قلتُ : قدفُسِّر « المكلِّب » بأنه المُغْري للجارح فلا تكرار ، وفي الآية إضمارٌ بقرينة قوله « فكلوا مما ذكر اسمُ الله عليه » أي ومَصِيدُ ما علَّمْتم من الجوارح ، وإلَّا فالجوارح لا تحلُّ وإن كانت معلَّمة .

٥ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ .. ﴾[3] الآية .

---

(١) سورة المائدة آية (٣) .

(٢) سورة المائدة آية (٤) .

(٣) سورة النساء آية (٥) .

قيـاسُ قولِهِ « وَمَنْ يُؤْمنْ باللَّهِ » أن يُقالَ : وَمَنْ يكفرْ باللَّهِ ، فالمرادُ بالكفر هنا الارتدادُ ، والباءُ بمعنى «عَنْ» كما في قوله « سأل سائلٌ بعذابٍ واقع » أي ومن ارتدَّ عن الإِيمان .

وقيلَ : المرادُ بالإِيمان المؤمَنُ به ، تسميةً للمفعول بالمصدر ، كما في قوله تعالى « أُحِلَّ لكم صيـدُ البحر » أي مصيدُه .

٦ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾(١).

ثم قـال تعالى « واتقوا اللَّهَ إنَّ اللَّهَ خبيرٌ بمـا تعملونَ » (٢).

غايَر بينهما لأنَّ الأول وقع في النية ، المأخوذة من آية التيمُّم والوضوء ، والنيَّةُ محلُّها ذات الصُّدور ، والثاني فـي العمل .

٧ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾(٣).

---

(١) سورة النساء آية (٧) .

(٢) في قوله تعالى ﴿ولا يجرمنَّكم شنآنُ قومٍ على ألَّا تَعْدلُوا آعْدِلُوا هو أقربُ للتَّقْوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾ النساء آية (٨) .

(٣) سورة النساء آية (٩) .

رفع أجر هنا ونصبَه في الفتح في قوله ﴿ وعدَ اللَّهُ الـذينَ آمنوا وعملُوا الصَّـالحاتِ منهمْ مغفـرةً وأجـراً عظيماً ﴾[1] موافقة للفواصل .

ومفعولُ « وَعَدَ » هنا محذوفٌ تقديره خيراً .

فإن قلتَ : كيف قال : وعملوا الصَّالحاتِ ولم يقل : وعملوا السِّيئات ، معَ أن المغفرة إنما هي لفاعلِ السِّيئات ؟!

قلتُ : كلُّ أحدٍ ممَّن ليس بمعصوم ، لا يخلو عن سيّئة وإن كان ممن يعمل الصالحات ، فالمعنى أنَّ من آمن وعمل حَسناتٍ غُفرتْ له سيئاتُه كما قال تعالى : « إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ » .

٨ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ **فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ** ﴾[2] .

فإن قلتَ : كيف قال ذلكَ ، مع أنَّ من كفر قبل ذلِكَ كذلك ؟

قلتُ : نعمْ لكنَّ الكفر بعدما ذُكِرَ من النِّعَمِ أقبحُ ممَّا قبله .

---

(١) سورة الفتح آية (٢٩) .

(٢) سورة النساء آية (١٢) .

٩ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ . . ﴾[(١)] الآية .

وقال بعده ﴿ يُحرِّفون الكَلِمَ مِنْ بعدِ مواضعِهِ ﴾ لأن الأول في أوائل اليهود ، والثاني فيمن كانوا في زمن النبي ﷺ أي حرَّفوها بعد أن وضعها الله مواضعها ، وعرفوها وعملوا بها زماناً .

١٠ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ . . ﴾[(٢)] الآية .

إن قلتَ : لِمَ قال ذلك ولم يقل : ومن النَّصارى .

قلتُ : إنما قاله توبيخاً لهم ، لأنهم كانوا كاذبين في دعواهم أنهم نصارى ، ادِّعاءً منهم لنصرة اللَّهِ بعدما اختلفوا « نسطورية » و « يعقوبيّة » و « ملكانيَّة » أنصار الشياطين[(٣)] .

١١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ يَا أَهْلَ الكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الكِتَابِ وَيَعْفُو

---

(١) سورة النساء آية (١٣) .

(٢) سورة النساء آية (١٤) .

(٣) صدق الشيخ فإن هؤلاء الضالين أنصار الشيطان لا أنصار الرحمن ، فإنهم يبذلون جهدهم لإطفاء نور الله ، وطمس عقيدة التوحيد التي جاء بها رسل الله صلوات الله عليهم أجمعين .

عَنْ كَثِيرٍ . . ﴾[1] الآية .

إن قلتَ : لمَ عَفَا ، أي تَرَكَ كثيراً ممَّا أخفَوْه من كتابهم ، مع أنه مأمورٌ ببيانه ؟

قلتُ : إنما لم يبيِّنْه لأنه لم يُؤمر ببيانه ، أو لأن المأمور ببيانه ما يكون فيه إظهارُ حكمٍ شرعيّ ، كصفته ، وبعثته ، والبشارة به ، وآية الرجم ، دون ما لم يكن فيه ذلك ممَّا فيه افتضاحُهم ، وهتكُ أستارهم فيعفو عنه .

١٢ - قوله تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾[2] .

إن قلتَ : كيف قال ذلكَ ، مع أن العبد ما لم يهده الله لا يتَّبع رضوانه فيلزم الدَّورُ ؟

قلتُ : فيه إضْمـارٌ تقديرُه : يهدي به اللَّهُ منْ علِم أنه يريد أن يتَّبع رضوانه ، كما قال : « والَّذينَ جاهَدُوا فينَا لَنَهْدِينَّهُمْ سُبُلَنَا »[3] أي والَّذين أرادوا سبيل المجاهدة لنهدينهم سبيل مجاهدتنا .

١٣ - قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْض

---

(١) سورة النساء آية (١٥) .

(٢) سورة النساء آية (١٦) .

(٣) سورة العنكبوت آية (٦٩) وتتمة الآية ﴿ وإنَّ الله لَمَعَ المحسنين ﴾ .

وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ المَصِيرُ ﴾[1].

فإن قلتَ : لِمَ كرَّرها وختم الأولى بقوله ﴿ واللَّهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ ﴾[2] والثانية بقوله ﴿ وإليهِ المَصِيرُ ﴾؟

قلتُ : لأنَّ الأولى نزلت في النَّصارى ، حين قالوا « إن اللَّهَ هو المسيحُ ابنُ مريم » فردَّ الله عليهم بقوله « وللَّهِ مُلْكُ السَّمواتِ والأرضِ » تنبيهاً على أنه مالكٌ لعيسى وغيره ، وأنه قادرٌ على إهلاكه وإهلاك غيره .

والثانيةُ : في اليهود والنَّصارى ، حين قالوا « نحنُ أبناءُ اللَّهِ وأحبَّاؤُه » فردَّ الله تعالى بقوله « وللَّهِ مُلْكُ السَّمواتِ والأرضِ » تنبيهاً على أن الجميع مملوكون له ومصيرهم إليه ، يُعذِّب من يشاء ويغفر لمن يشاء ، ولو كان « عيسى » ابنه لم يملكه ولم يعذبه ، إذِ الأب لا يملك ابنه ولا يعذِّبه .

١٤ - قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ . . ﴾[3] الآية .

---

(١) سورة النساء آية (١٨) .

(٢) في قوله تعالى ﴿وللَّهِ ملكُ السمواتِ والأرضِ وما بينهما يخلقُ ما يشاءُ واللَّهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ﴾ وفيها أيضاً زيادة ﴿ يخلُقُ ما يشاءُ ﴾ النساء آية (١٧) .

(٣) سورة المائدة آية (١٨) .

فإن قلتَ : كيف أخبر الله عنهم أنَّهم قالوا : نحنُ أبناءُ اللَّهِ ، مع أنه لم يُعرفْ أنَّهم قالوه ؟!

قلتُ : المرادُ بـ « أبناءُ اللَّهِ » خاصَّتُه كما يُقال : أبناءُ الدنيا ، وأبناءُ الآخرة .

وقيل : فيه إضمارٌ تقديرُه : نحنُ أبناءُ أنبياءِ اللَّهِ .

١٥ - قوله تعالى : ﴿ قُـلْ فَـلِمَ يُعَـذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ . . ﴾[١] الآية .

إن قلتَ : كيف يصحُّ الاحتجاج عليهم به ، مع أنهم ينكرون تعذيبَهم بذنوبهم ، مدَّعين أن ما يُذنبون بالنَّهار يُغفرُ بالليل وبالعكس ؟

قلتُ : هم مقرُّون بأنهم يُعذَّبون أربعين يوماً ، مدة عبادتهم العجل في غيبة « موسى » عليه الصلاة والسلام لميقات ربه كما قال تعالى « وَقَالُوا لَنْ تمسَّنَا النَّارُ إلَّا أَيَّاماً معدودة »[٢] .

١٦ - قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ . . ﴾[٣] .

---

(١) سورة المائدة آية (١٨) .
(٢) سورة البقرة آية (٨٠) .
(٣) سورة المائدة آية (٢٠) .

قال ذلك هنا ، وقال في إبراهيم « وإذْ قَالَ موسَى لقَوْمِهِ اذكُرُوا » لموافقة ما قبله وما بعده من النِّداء ، أو لأن التصريح باسم المخاطب مع حرف الخطاب يدلُّ على تعظيم المخاطَبِ به ، وقد ذُكِرَ هنا نِعَمٌ جِسامٌ ، وهو قوله « جَعَلَ فيكمْ أَنْبياءَ » فناسب ذكر « يا قومِ » بخلاف ذلك في إبراهيم .

١٧ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ﴾[١] .

هو من مقول الداخلين .

فإن قلتَ : من أين عَلِما أنَّهم غالبون حتَّى قالا ذلك ؟!

قلتُ : من جهةِ وُثوقِهم بإخبار موسى عليه السلام بقوله « ادخلُوا الأَرْضَ المقدَّسَةَ التي كَتَبَ اللَّهُ لكُمْ » .

وقيل : عَلِمَا ذلكَ بغلبة الظنِّ ، وما عهداه من صُنْعِ الله تعالى بموسى عليه السلام من قهر أعدائِهِ .

١٨ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ في الأَرْضِ . . ﴾[٢] .

---

(١) سورة المائدة آية (٢٣) .

(٢) سورة المائدة آية (٢٦) .

إن قلتَ : هذا يُنافي قوله قبْلُ « ادخلُوا الأرضَ المقدَّسةَ التي كَتَبَ اللَّهُ لكمْ » ؟

قلتُ : لا منافاةَ لأنَّ المعنى : كتبَها لكم بشرط أن تُجاهدوا أهلها ، فلمَّا أبَوْا حُرِّمتْ عليهم .

أو كلٌّ منهما « عَامٌّ » أُريد بهِ « خاصٌّ » فالكتابة للبعض ، وهم المطيعون ، والتحريمُ على البعضِ ، وهم العاصون .

١٩ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً . . ﴾[١] الآية .

هو للجنس ، والمرادُ إذْ قرَّبا قربانينِ .

٢٠ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾[٢] .

إن قلتَ : كيف يصحُّ جواباً لقوله « لأقْتُلَنَّكَ » ؟

قلتُ : لمَّا كان الحسدُ لأخيه على تقبُّلِ قربانه ، هو الحاملُ له على توعُّده بالقتل ، قال : إنما أُتيتَ من قبَلِ نفْسِك ، لانسلاخها من لباس التَّقوى ، فلم يُتقبَّلْ قُربانُك .

---

(١) سورة المائدة آية (٢٧) .

(٢) سورة المائدة آية (٢٧) .

٢١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ . . ﴾[1] الآية .

أي بإثم قتلي ، وإثمكَ الذي ارتكبتَه من قِبَلي ، وهو توعُّدك بقتلي .

فإن قلتَ : كيف قال « هابيلُ » لقابيلَ ذلكَ ، مع أنَّ إرادةَ الشخصِ السُّوءَ ، والوقوعَ في المعصية لغيره حرام ؟!

قلتُ : في ذلك إضمارُ[2] « لا » تقديره : إني لا أريد أن تبوء بــإثمي ، كما في قوله تعالى « تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ » أي لا تفتأ ، أو إضمارُ مضاف تقديره : إني أريد انتفاء أن تبوء كما في قوله تعالى : « وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ العِجْلَ » أي حبَّه .

٢٢ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾[3] .

إن قلتَ : هذا يقتضي أن « قابيل « كان تائباً ، والنَّدمُ توبةٌ لخبرِ « النَّدَمُ تَوْبَةٌ » فلا يستحقُّ النَّارَ ؟!

قلتُ : لم يكن ندمُه على قتلِ أخيهِ ، بل على حمْلهِ

---

(١) سورة المائدة آية (٢٩) .

(٢) لا حاجة إلى هذا الإضمار إذ المعنى : إني أُريد أن أكون مظلوماً لا ظالماً ، فإن قتلتني فذاك أحبُّ إليَّ من أن أقتلك، وعند ذاك ترجع بإثم قتلي وإثمك الذي كان منك.

(٣) سورة المائدة آية (٣١) .

على عنُقهِ ، أو على عدم اهتدائه للدَّفن الذي تَعلَّمه من الغراب(١)، أو على فقدِهِ أخاه ، أو على قتل أخيه ، لكنَّ مجرَّد النَّدمِ ليس بتوبةٍ ، إذِ التوبةُ إنَّما تتحقَّق بالإقلاع ، وعزم(٢) ألَّا يعود ، وتدارك ما يمكن تداركه .

٢٣ - قوله تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ . . ﴾(٣) الآية .

إن قلتَ : كيف يكون قتلُ الواحدِ كقتل الكُلِّ ، مع أن الجناية إذا تعدَّدت كانت أقبح ؟!

قلتُ : تشبيهُ أحد الشيئين بالآخر ، لا يقتضي تساويهما من كلّ وجه ، ولأن المقصود من ذلك المبالغةُ ، في تعظيم أمر القتلِ العمدِ العدوانِ.

أو لأن المعنى : من قَتَل نفساً بغير حقٍّ ، كان جميع النَّاس خصومَه في الآخرة مطلقاً ، وفي الدُّنيا إن لم يكن له وليٌّ .

---

(١) هذا القولُ أظهر من الأول ، فإنه لمَّا قتله لم يدْرِ كيف يواري جثَّته ، فندم على عدم الاهتداء إلى دفن أخيه ، قال ابن عباس : ولو كانت ندامتُه على قتله ، لكان النَّدمُ توبة له ، وفي الحديث الذي رواه الشيخان « ليس من نفسٍ تُقتلُ ظلماً إلَّا كان على ابن آدمَ الأول كفلٌ - أي وزرٌ - من دمها ، لأنه كان أوَّلَ من سنَّ القتل ».

(٢) في المطبوع : وعدم ألَّا يعود وهو خطأٌ .

(٣) سورة المائدة آية (٣٢) .

أو المعنى : من قَتَل نبيّاً ، أو إماماً عادلاً ، كان كمن قتل النَّاس جميعاً، من حيث إبطال المنفعة عن الكلّ[1] .

٢٤ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ . . ﴾[2] الآية .

إن قلتَ : كيف قال ذلك ، مع أن الإنجيل منسوخٌ بالقرآن ؟!

قلتُ : معناه «وليحكمْ أهل الإنجيل بما أنزل اللَّهُ فيه بما لم يُنسخ بالقرآن » .

أو المعنى : لمَّا أنزلنا الإنجيل قلنا : وليحكمْ أهل الإنجيل بما أنزل اللَّهُ فيه[3] .

٢٥ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ ﴾[4] .

كرَّره ثلاث مراتٍ ، وختم الأولى بقوله « الكَافِرونَ » والثانية بقوله « الظَّالمونَ » والثالثة بقوله « الفَاسِقونَ »!!

---

(١) الأرجح من الأقوال هو ما قاله البيضاوي ﴿ فكأنما قتلَ الناسَ جميعاً ﴾ من حيثُ إنه هتك حرمة الدِّماء ، وسنَّ القتل ، وجرَّأ الناس عليه ، فالآية وردت مورد التغليظ والترهيب .

(٢) سورة المائدة آية (٤٧) .

(٣) هذا هو الأظهر أي أنه تعالى أمرهم بالعمل بالإنجيل وقت نزوله عليهم ، لا أنه يأمرهم بتطبيق أحكام الإنجيل الآن ، فإنه قد نُسخ بالقرآن ، فشريعة محمد ﷺ ناسخةٌ لجيمع الشرائع والأديان .

(٤) سورة المائدة آية (٤٤) .

قيل : لأنَّ الأولى في حُكَّام المسلمين ، والثانية في حُكَّام اليهود ، والثالثة في حُكّام النَّصارى .

وقيلَ : كلُّها بمعنى واحد وهو « الكفرُ » عبَّر عنه بألفاظٍ مختلفة ، لزيادة الفائدة ، واجتناب التَّكرار .

وقيل : « ومن لم يحكم بما أنزل اللَّهُ » إنكاراً له فهو كافرٌ ، ومن لم يحكم بالحقِّ ، مع اعتقاده للحقِّ ، وحَكَم بضدِّه فهو ظالمٌ ، ومن لم يحكم بالحقِّ جهلاً وحكم بضدِّه فهو فاسقٌ .

وقيل : ومن لم يحكم بما أنزلَ اللَّهُ فهو كافرٌ بنعمة الله ، ظالمٌ في حكمه ، فاسقٌ في فعله[1] .

٢٦ - قوله تعالى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّما يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ . . ﴾[2] الآية .

قلت : أراد به عقوبتهم في الدُّنيا ، على تولِّيهم عن الإيمان، بالسَّبْيِ ، والجزية وغيرهما ، وهذه العقوبة

---

(١) كلُّ هذه الأقوال التي ذكرها الشيخ أقوالٌ لبعض المفسرين ، والراجحُ أنَّ الله تعالى وصفَ كلَّ من لم يحكم بما أنزل الله بالكفر ، والظلم ، والفسق ، فجمعَ له هذه الأوصاف الثلاثة ، فهو كافرٌ لأنه لم يحكم بشريعة الله ، وهو ظالمٌ لنفسه لأنه تعدَّى الحدود ، وهو فاسق لأنه خرج عن طاعة الله ، فليعتبرْ حكام المسلمين ، بهذه الآيات البيِّنات ، وليرجعوا إلى تحكيم شريعة الله ، ليردَّ الله لهم عزَّهم ، وينصرهم على أعدائهم ﴿ ولينصرنَّ اللَّهُ من ينصره إن الله لقويٌّ عزيز ﴾ .

(٢) سورة المائدة آية (٤٩) .

منقطعةٌ ، بخلاف عقوبة الآخرة ، فإنها على جميع الذنوب، من تولِّيهم عن الإيمانِ، وعن جميع فروعهِ ، ودائمةٌ لا تنقطع .

٢٧ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[١] .

إن قلتَ : لم خصَّ « الموقنين » بالذِّكر، مع أنَّ أحسنيَّةَ حكمِ اللَّهِ لا يختصُّ بهم ؟

قلتُ : لأنهم أكثر انتفاعاً بذلك من غيرهم ، كنظيره في قوله تعالى : « إنَّمَا أنتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا » .

٢٨ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[٢] .

إن قلتَ : هذا يقتضي أنَّ منْ وادَّ أهلَ الكتابِ يكونُ كافراً ، وليس كذلك ؟!

قلتُ : إنما قال ذلك مبالغةً في اجتناب المخالِفِ في الدِّينِ .

أو لأنَّ الآية نزلتْ في « المنافقين » وهم كفَّارٌ ، وقولُه تعالى « إنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمينَ » أي ما داموا

---

(١) سورة المائدة آية (٥٠) .

(٢) سورة المائدة آية (٥١) .

على ظلمهم ، والمعنى : لا يهدي من سبق في علمه أنه يموت ظالماً .

٢٩ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى المؤمنين . . ﴾[١]

« على » بمعنى اللَّام[٢]، أو ضَمَّنَ الذلَّةَ معنى « العطف » فعدَّاها تعديته ، كأنه قال : عاطفين على المؤمنين .

٣٠ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَمَنْ يتولَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الغَالِبُونَ﴾[٣] المرادُ بالغلبة فيها ، الغلبةُ بالحجَّة والبرهان، فإنها مستمرَّةٌ أبداً ، لا بالدَّوْلةِ والصَّوْلةِ ، وإلَّا فقد غُلبَ حزبُ آللَّهِ غير مرَّة ، حتَّى في زمن النبي ﷺ .

٣١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ . . ﴾[٤] الآية .

إن قلتَ: كيف قال ذلك ، مع أن المثوبة مختصَّةٌ بالإحسان ؟

---

(١) سورة المائدة آية (٥٤) .

(٢) ويصبح معنى الآية : أذلَّةٍ للمؤمنين ، أعزَّةٍ على الكافرين .

(٣) سورة المائدة آية (٥٦) .

(٤) سورة المائدة آية (٦٠) .

قلتُ : لا نُسلِّم اختصاصها بذلك لغةً ، بل هي الجزاء مطلقاً، بدليل قوله تعالى « **فأثابكم غمّاً بغمٍ** » وقوله «هل ثُوِّبَ الكفَّارُ ما كانوا يفعلون»؟ أي هل جوزوا . غايتُه أن الثواب قد يكون خيراً ، وقد يكون شرّاً ، يُقصد به «التهكُّمُ والاستهزاءُ» كلفظ البشارة، لا اختصاص له لغةً بالخير ، بل هو شاملٌ للشرِّ، قال تعالى «فبشرهم بعذاب أليم» .

٣٢ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾[١] وقضيَّتُه أنَّ إقامةَ الكتاب، توجبُ سعة الرِّزق والرخاء .

فإن قلتَ: ليس الأمر كذلك ، لأنَّا نجد كثيراً من المؤمنين ، ضيِّقي المعيشة في الدنيا ؟

قلتُ : القضيَّةُ خاصَّةٌ بأهل الكتاب، لأنهم شكَوا ضيقَ الرزق ، حتَّى قالوا «يدُ اللَّهِ مغلولةٌ» فأخبرهم الله أن ذلك التضييق عقوبة لهم، بعصيانهم وكفرهم ، والله تعالى يجعل ضيق الرزق وسعته ، نعمة في بعض عباده ، ونقمةً على الآخرين، فلا يلزم من توسيع الرزق الإكرامُ، ولا من تضييقه الإهانة .

---

(١) سورة المائدة آية (٦٦) .

٣٣ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[1] .

إن قلتَ : ما فائدته مع أنه معلومٌ أنه إذا لم يُبلِّغْ ما أُنزِل إليه ، لم يكن قد بلَّغ الرسالة ؟

قلتُ : فائدته الحثُّ على تبليغ معايب اليهود، حتَّى لو فُرض كتمانُ حرفٍ واحد ، كان في الإِثم ككتمان الجميع .

أو الأمر بتعجيل التبليغ ، لأنه كان عازماً على تبليغ جميع ما أنزل إليه ، إلَّا أنه أخَّر البعض خوفاً على نفسه ، مع بقاء العزم ويؤيده قوله تعالى «واللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ» أي من القتل ، لا من جميع أنواع الأذى ، كشجِّ الوجه ، وكسْرِ الرباعية[2] .

أو لعلَّ الآية نزلت بعد أُحدٍ، لأن المائدة من أواخر ما نزل من القرآن !!

٣٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ

---

(١) سورة المائدة آية (٦٧) .

(٢) أشار المؤلف إلى ما جرى للنبي ﷺ في « غزوة أحد » فقد شُجَّ وجهُه الشريف ، وكسرتْ رباعيته ـ أي مقدمة أسنانه ـ فقال ﷺ : كيف يفلح قومٌ شجُّوا رأس نبيهم ، وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله ؟! فأنزل الله ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ أخرجه مسلم .

﴿الْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ . . ﴾[1] الآية .كرَّر الآية ، وختم هذه بقوله «إنَّ اللَّهَ هو المسيحُ ابنُ مريمَ» والثانية بقوله «إن اللَّهَ ثالثُ ثلاثةٍ» .

لأن «اليعقوبيَّة» من النَّصارى ،زعموا أنَّ اللَّه تجلَّى في زمنٍ على شخص «عيسى»، فظهرت منه المعجزاتُ ، فصار إلٰهاً .

والملكانية[2] منهم زعموا أن الله اسمٌ يجمع «أمًّا ، وإبناً، وروحَ القُدُس» فصار كل منهم إلٰهاً واحداً ، أخذاً من قوله تعالى «أأنتَ قلتَ للنَّاسِ اتَّخذوني وأُمِّيَ إلٰهين من دون الله» فكرَّر الآية لذلك ، وأخبر تعالى عنهم أنهم كلَّهم كفَّارٌ .

٣٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[3] .

المرادُ بالظَّالمين هنا المشركون ، بقرينةِ ما قبله ، إذِ الظَّالمون من المسلمين لهم ناصرٌ ، وهو النبيُّ ﷺ لشفاعته لهم يوم القيامة .

---

(١) سورة المائدة آية (٧٢)

(٢) النَّصارى فرقٌ عديدة كما أشار المؤلف ، فمنهم من يعتقد بألوهية عيسى ومنهم من يعتقد أنه ابن الله ، ومنهم من يعتقد أنه ثالث ثلاثة ، والكلُّ في ضلال ، لأنهم ألَّهوا بشراً ، وجعلوا الإلٰه الواحد الأحد ، مجموعة من الأقانيم «الآب ، والإبن ، وروح القدس» الجميع آلهة والكلُّ واحد ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

(٣) سورة المائدة آية (٧٢) .

٣٦ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾[1] .

فائدةُ ذكرِه بعد قوله «قدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ» أن المراد بالضَّلال الأول ضلالُهم عن الإنجيل، وبالثاني ضلالهم عن القرآن .

٣٧ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ . .﴾[2] الآية .

إن قلتَ : النَّهيُ عن المنكر بعد فعله لا معنى له ؟!

قلتُ : فيه حذف مضافٍ ، أي كانوا لا يتناهون عن معاودة منكرٍ فعلوه ، أو عن مثله ، أو عن منكرٍ أرادوا فعله ، أي لا يمتنعون ، أو المعنى كانوا لا ينتهون عن منكرٍ فعلوه ، بل يُصِرُّون عليه .

٣٨ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[3] .
أي من المنافقين أو اليهود .

إن قلتَ : كلُّهم فاسقون ، لا كثيرٌ منهم فقط ؟!

قلتُ : المرادُ بالفسقِ ، فسقُهم بموالاة المشركين ، ودسِّ الأخبار إليهم ، لا مطلق الفسق ، وذلك مخصوص

---

(١) سورة المائدة آية (٧٧) .
(٢) سورة المائدة آية (٧٩) .
(٣) سورة المائدة آية (٨٧) .

بكثيرٍ منهم ، وهم المذكورون في قوله تعالى قبل « تَـرَىٰ كثيراً منهْمَ يَتولَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا » .

٣٩ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا الخَمْرُ والمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ . .﴾[1] الآية .

إن قلتَ : هذه المذكورات من عملِ اللَّهِ ، لا من عمل الشَّيطان ؟!

قلتُ : في الكلام إضمارٌ ، أي تعاطي هذه الأشياء من عمل الشيطان .

فإن قلتَ : مع هذا الإِضمار كيف قال «مَنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ » ، وتعاطي هذه الأشياء من عمل الإِنسان ، لا من عمل الشيطان ؟!

قلتُ : لمَّا كان تعاطي هذه الأشياء ، بوسوسة الشيطان وتزيينه ذلك للفُسَّاقِ ، صار كما لو أغرى رجلٌ رجلاً بضرب آخر فضربه ، فإنه يجوز أن يُقال للمُغْري هذا من عملك .

فإن قلتَ : لم خصَّ من الأشياء المذكورة « الخمر » و« الميسر » بالذّكر ، في قوله « إِنَّما يريدُ الشَّيطانُ أن يُوقعَ

---

(١) سورة المائدة آية (٩٠) .

بينكمُ العَدَاوةَ والبَغْضاءَ في الخَمْرِ والميْسرِ » ؟

قلتُ : خصَّهما بالذكر تعظيماً لأمرهما ، ولأنّ ما ذُكر من العداوة والبغضاء بين النَّاس ، يقع كثيراً بسببهما دون الباقي .

وقيل : إنما خصَّهما بالذّكر بياناً للواقع ، لأن الخطاب للمؤمنين بدليل قوله « يا أيها الَّذين آمنوا » وهم إنما كانوا يتعاطون الخمر والميسر فقط .

٤٠ - قوله تعالى : ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخافُهُ بالغَيْبِ . .﴾[١] الآية ، أي علم ظهور[٢] .

٤١ - قوله تعالى: ﴿ومَنْ قَتلَهُ مِنْكُمْ مُتعَمِّداً . .﴾[٣] الآية .

قيل : العمدُ ليس بشرطٍ ، لوجوب الجزاء كما بيَّنْته السُّنَّةُ ، وذكرُه في الآية بيانٌ للواقع ، لأن الواقعة التي كانت سبب نزول الآية ، كانت عمداً فلا مفهوم له .

٤٢ - قوله تعالى: ﴿هَدْياً بَالِغَ الكَعْبَةِ . .﴾[٤] الآية

---

(١) سورة المائدة آية (٩٤) .

(٢) إنما فسَّره بذلك، ليدفع شبهة أن الله تعالى لا يعلم الشيء إلَّا بعد حدوثه ، فهو كما يقول المفسرون علم ظهورٌ لا علم خفاء؛ أي ليظهر علمه تعالى لعباده.

(٣) سورة المائدة آية (٩٥) .

(٤) سورة الكائدة آية (٩٥)

قيِّد بها تعظيماً لها ، وإلاَّ فالشَّرطُ بلوغُه الحرمَ .

٤٣ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلاَ سَائِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ . .﴾[١] الآية، أي ما حرَّم أو ما شرع[٢] ، ولا يصحُّ تفسيرُه بـ « خَلَقَ » لأن الأشياء المذكورة خلقها اللَّهُ .

٤٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ . .﴾[٣] الآية . أي احفظوا أنفسَكم ، وقوموا بصلاحها .

فإن قلتَ : ظاهرُ الآية يقتضي عدمَ وجوبِ الأمرِ بالمعروفِ ، والنهي عن المنكرِ ؟

قلتُ : لا نُسلِّمُ ذلك ، فإنها إنما تقتضي أن المطيعَ ، لا يُؤاخذ بذنوب المُضَلِّ . أو لأن الآية مخصوصةٌ بما إذا خاف الإنسانُ ، عند الأمر بالمعروف والنهيِ عن المنكر ،

---

(١) سورة المائدة آية (١٠٣) .

(٢) هذه من عادات الجاهلية نهى الله عزَّ وجلَّ عنها ، فقد كانوا أذا أنتجت الناقة خمسة أبطن ، آخرُها ذكرٌ ، بَحَروها ـ أي شقوا أذنها ـ وحرَّموا ركوبها ، وهي البحيرة ، وكان الرجلُ يقول : إذا قدمتُ من سفري ، أو شفيتُ من مرضي ، فناقتي سائبة، ثم يطلقها فلا ينتفع بها وهي السائبة، وإذا ولدت الشاة سبعة أبطن آخرها ذكرٌ أو أنثى قالوا : وصلت أخاها وهي الوصيلة، وإذا نتج من صُلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره وهو الحام ، فلما جاء الإسلام أبطل هذه العادات ، قال في السراج المنير : ومعنى﴿ما جعلَ اللَّهُ﴾أي ما شرع ذلك ولا أمر بالتبحير ولا التسييب،ولا غير ذلك .

(٣) سورة المائدة آية (١٠٥) .

على نفسه ، أو عرضه ، أو ماله[1] .

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿**قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ**﴾[2] .

إن قلتَ : كيف قال ذلك ، مع أنهم عالمون بماذا أُجيبوا ؟

قلتُ : هذا جوابُ دهشةٍ وحيرة ، حين تَطيشُ عقولُهم من زفرة جهنَّم .

أو المعنى : لا علمَ لنا بحقيقةِ ما أجابوا به ، لأنَّا لا نعلم إلَّا ظاهره ، وأنتَ تعلمُ ظاهِرَه وباطنَه ، بدليل آخر الآية .

وقيل : المرادُ منه المبالغةُ في تحقيق نصيحتهم ، كمن يقول لغيره : ما تقول في فلانٍ ؟! فيقول : أنتَ أعلم به منّي ، كأنَّه قيل : لا يحتاج فيه إلى شهادة لظهوره .

٤٦ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿**إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ**

---

(١) الآية إنما وردت فيمن أدَّى واجب النصح والتذكير، فلم يُستجبْ له فلا لوم عليه ، أو في آخر الزمان عند فساد الناس، وإعجابهم برأيهم كما صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال : «ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيتَ شُحَّاً مُطاعاً، وهوىً مُتَّبعاً ،ودنيا مؤثرة،وإعجاب كل ذي رأيٍ برأيه ،فعليك نفسك» فهي على هذا تسلية لمن يأمر وينهى فلا يُقبل منه ، وانظر كتابنا صفوة التفاسير ٣٦٩/١ .

(٢) سورة المائدة آية (١٠٩) .

مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ . . ﴾[1] الآية .

فإن قلتَ : كيف قال الحواريُّون ذلك ـ وهم خُلَّصُ أتباعِ عيسى ـ وهو كفرٌ ، لأنه شكٌّ في قدرة الله تعالى[2] وذلك كفر ؟!

قلتُ : الاستفهامُ المذكورُ ، استفهامٌ من الفعل ، لا من القُدرة ، كما يقول الفقير للغني القادر : هل تقدرُ أن تُعطيني شيئاً ؟ وهذه تُسمَّى استطاعة المطاوعة ، لا استطاعة القُدرة .

والمعنى : هل يسهُل عليكَ أن تسأل ربك ؟ كقولك لآخر : هل تستطيع أن تقوم معي ؟ وأنتَ تعلم استطاعته لذلك .

فإن قلتَ : لو كان ما ذُكر مراداً ، لما أنكر عليهم عيسى بآخر الآية ؟

قلتُ : إنكارُه عليهم إنَّما كان لإتيانهم بلفظٍ ، لا يليق بالمؤمن المخلص ذكره .

---

(١) سورةالمائدة آية (١١٢) .

(٢) لم يكن سؤالهم عن شكٍ في قدرة الله تعالى ، لأنهم مؤمنون ، وهم خواصُّ أصحاب عيسى ابن مريم ، وإنما سألوه سؤال مستخبر : هل يُنزِّل أم لا ؟ فإن كان يُنزِّلُ فاسأله لنا ، فسؤالهم كان للاطمئنان والتثبت ، وهذا خلاصة قول الحسن البصري .

٤٧ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ . . ﴾[١] الآية .

إن قلتَ : كيف قال عيسى ذلك ، مع أنَّ كل ذي نفْسٍ فهو ذو جسم ، لأن النَّفْس جوهرٌ قائمٌ بذاته ، متعلِّقٌ بالجسم تعلُّق التدبير ، واللَّهُ منزَّهٌ عن ذلك ؟

قلتُ : النَّفْسُ كما تُطلق على ذلك ، تُطلق على ذاتِ الشيء وحقيقته ، كما يُقال : نفْسُ الذَّهبِ والفضَّةِ محبوبةٌ أي ذاتُهما ، والمرادُ هنا الثاني[٢] .

٤٨ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَن اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَني كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ . . ﴾[٣] .

فإن قلتَ : كيف قال ذلك ، مع أنه غير لهم أيضاً غير ما ذُكِر ؟

قلتُ : معناه « ما قلت لهم فيما يتعلَّقُ بالإِلَه » .

---

(١) سورة المائدة آية (١١٦) .

(٢) مراد الشيخ أن يقول : إن معنى الآية تعلمُ يا أللَّهُ حقيقة ذاتي ، وما انطوت عليه من أسرار ، ولا أعلم حقيقة ذاتك ، فيراد بالنفس الذات ، وقيل : المراد تعلم الخفايا والنوايا ، وما انطوتْ عليه نفسي ، ولا أعلم الغيب الذي تعلمه بدليل قوله﴿إنك أنت علاَّمُ الغيوب﴾فيكون ذكر﴿نفسك﴾بطريق المشكلة .

(٣) سورة المائدة آية (١١٧) .

فإن قلتَ : عيسى حيٌّ في السَّماءِ ، فكيف قال « فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي » ؟

قلتُ : المرادُ بالتوفّي النَّومُ كما مرَّ ، مع زيادة في قوله في آل عمران : « إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ »[1] .

مع أنَّ السؤال إنَّما يتوجَّهُ ، على قول منْ قال : إنَّ السؤال والجواب ، وُجدا يوم رفعِه إلى السَّماء ، وأمَّا من قال : إنهما يكونان يوم القيامة ـ وعليه الجمهورُ ـ فلا إشكال .

٤٩ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ . .﴾[2] الآية، أي يوم القيامة .

فإن قلتَ : كيف قال ذلك ، مع أنَّ الصِّدقَ نافعٌ في الدُّنيا أيضاً ؟

قلتُ : نفعُه بالنسبة إلى نفعِ يومِ القيامة ، الذي هو الفوزُ بالجنَّة ، والنَّجاةُ من النَّار كالعَدَم .

فإن قلتَ : إن أراد بالصِّدقِ صدقُهم في الآخرة ،

---

(١) هذا القول الذي ذكره المصنِّف أنَّ المعنى ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ أنه يراد به النَّومُ ، أي فلمَّا أنمتني قولٌ ضعيفٌ ، والصحيحُ أن معنى الآية : فلمَّا قبضتني بالرفع إلى السَّماء ، فالتوفِّي لا يرادُ به الموتُ أو النومُ كما قال المؤلف ، وإنما يراد به القبضُ بالروح والجسد وهو الرفع ، مأخوذ من قولهم : توفيتُ ديني أي قبضتُه كاملاً .

(٢) سورة المائدة آية (١١٩) .

فالآخرةُ ليست بدار عمل ، أو في الدنيا ، فليس مطابقاً لما ورد فيه ، وهو الشهادة لعيسى بالصِّدق ، بما يُجيب به يوم القيامة ؟

قلتُ : أراد به الصِّدق المستمرَّ بالصادقين ، في دنياهم وآخرتهم .

« تمت سورة المائدة »

* * *

سُورَةُ الأَنْعَام

١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ والنُّورَ..﴾[1] جَمَعَ السَّماء دون الأرض ، لِمَا مرَّ في البقرة . . وَجمع الظُّلمة دون النُّور ، لأنها اسم جنس ، والنُّورُ مصدرٌ ، والمصدرُ لا يُجمع .

وقيل : لكثرة أسبابها[2] ، بخلاف النُّور.

و «**جَعَلَ**» تأتي لخمسةِ معانٍ :

فتأتي: بمعنى «خَلَقَ» كما هنا ، وكما في قوله تعالى «وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا»[3] .

وبمعنى : « بَعَثَ » كما في قوله تعالى « وَجَعَلْنَا مَعَهُ

---

(١) سورة الأنعام آية (١).

(٢) إنما جمع الظُّلمات لأنَّ شُعب الضلال كثيرةٌ ومتنوعة ، وأفرد النُّور لأن مصدره واحدٌ ، وهو الرحمن منوِّرُ الأكوان ، فالهُدى واحد، والضلال متنوِّع .

(٣) سورة فصلت آية (١٠).

أَخَاهُ هَارونَ وَزيراً »[1] .

وبمعنى : « قال » كما في قوله تعالى « وَجَعَلُوا المَلائِكَةَ الذينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمنِ إِنَاثاً »[2] .

وبمعنى: «بَيَّنَ» كما في قوله تعالى «إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبياً»[3] أي بيَّناهُ بحلاله وحرامه .

وبمعنى «صَيَّر» كما في قوله تعالى «وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً »[4] وقوله تعالى : «وَجَعَـلَ بَيْنَ البَحْرينِ حَاجِزاً»[5].

٢ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمٰوات وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ . . ﴾[6].

فائدةٌ: ذكرِ الجهر بعد السرِّ، مع أنه مفهومٌ منه بالأَوْلى ، المقابلةُ و «التأكيد» كما في قوله تعالى «فمنْ تَعجَّلَ في يَومَيْن فَلا إِثْمَ عليه ومن تأخَّر فلا إثم عليه»[7] .

٣ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالَحقِّ لَمَّا جاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهزِئُونَ ﴾[8] بَسَط هنا ،

---

(١) سورة الفرقان آية (٣٥).
(٢) سورة الزخرف آية (١٩)
(٣) سورة الزخرف آية (٣)
(٤) سورة الأنعام آية (٢٥)
(٥) سورة النمل آية (٦١)
(٦) سورة الأنعام آية (٣)
(٧) سورة البقرة آية (٢٠٣)
(٨) سورة الأنعام آية (٥)

واختصر في الشعراء فقال: «فَقَدْ كذَّبُوا فسَيَـأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا به يَسْتهْزِئُونَ»لأنَّ ما هنا سابقٌ على ما هناك ، فناسب البسط هنا،والاختصارُ ثمَّ .

٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ . . ﴾[١] الآية ، قاله هنا وفي النحل [٢] ، بلا عاطفٍ من واوٍ أوفاء عقب الهمزة ، وفي الشعراء[٣] بواوٍ، وفي سبأ[٤] بفاء. . لأنَّ مثل هذا الكلام يأتي للإنكار، فإن اعتُبر فيه الاستدلال ، لم يؤت بواوٍ ولا فاء ، ليكون كالمستأنف .

وإن اعتُبرتْ فيه المشاهدة أُتي بالواو والفاء ، لتدلَّ الهمزة على الإنكار ، والواو أو الفاء على عطف ما بعدها ، على مقدَّر قبلها يناسبه في المعنى ، المناسب لمعنى ما قبل الهمزة ، لكنَّ الفاء أشدُّ اتصالاً بما قبلها من الواو ، والتقديرُ في الشعراء :« أكذَّبوا الرسُّلَ ولَمْ يروْا»؟ .

وفي سبأ :«أكفَروا فلم يروْا » ؟

---

(١) سورة الأنعام آية (٦)
(٢) في قوله تعالى ﴿ألَمْ يَرَوْا إلى الطَيرِ مُسخَّرَاتٍ في جَوِّ السَّمَاءِ﴾.
(٣) في قوله تعالى﴿أوَ لَمْ يَرَوْا إلى الأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَـرِيمٍ ﴾
(٤) في قوله تعالى﴿أفَلَمْ يروا إلى مَا بَيْنَ أيديهم وَمَا خلفهم من السَّماء والأرض﴾

٥ - قوله تعالى: ﴿قُلْ سيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا . .﴾[1] الآية . قاله هنا بـ «ثمَّ» الدَّالة على التراخي ، وفي غير هذه السورة بالفاء ، الدَّالة على التعقيب ، مع اشتراكهما في الأمر بالسير ، لأن ما في هذه السورة ، وقع بعد ذكر القرون ، في قوله : «كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ» وقوله «وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ» فتعدَّدت القرونُ في أزمنةٍ متطاولة ، فخُصَّت الآيةُ هنا بـ «ثُمَّ» ، بخلاف ما في غير هذه السورة، إذْ لم يتقدَّمه شيءٌ من ذلك ، فخُصَّت بالفاء .

٦ - قوله تعالى : ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾[2] . خصَّ السَّاكن بالذِّكر دون المتحرك ، لأن السَّاكنَ من المخلوقات ، أكثرُ عدداً من المتحرّك .

أو لأن كل متحرك يصير إلى السُّكون ، من غير عكس .

أو لأن السُّكون هو الأصل ، والحركةُ حادثةٌ عليه .

٧ - قوله تعالى : ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ . .﴾[3]

---

(١) سورة الأنعام آية (١١)

(٢) سورة الأنعام آية (١٣)

(٣) سورة الأنعام آية (١٤).

الآية. خَصَّ الإطعام بالذِّكر، لأن الحاجة إليه أتمُّ.

٨ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ..**﴾[١]

إن قلتَ: كيف اكتُفي من النبي ﷺ في الجواب بقوله «اللَّهُ شَهِيدٌ بَيني وبينكُمْ» مع أنَّ ذلك لا يكفي من غيره؟

قلتُ: لأنه قادرٌ على إقامة الحجة، على أنه شهيدٌ له، وقد أقامها بقوله «وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا القُرْآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ» بخلاف غيره لا يقدر على ذلك.

٩ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْكَذَّبَ بآياتِهِ إنَّه لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾[٢].بدأ الآية هنا بالواو، وختمها بقوله: «إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالمونَ».

وبدأها في يونس[٣] بالفاء، وختمها بقوله: «إِنَّه لا يُفْلِحُ المجرمون».

لأن ما قبلها ثَمَّ سببٌ لها، ومعطوفٌ بالفاء، ومذكورٌ فيه المجرمون، فناسب فيها ما ذكر، بخلاف ما هنا، فإن

---

(١) سورة الأنعام آية (١٩). (٢) سورة الأنعام آية (٢١)

(٣) في قوله تعالى: ﴿فَمَن أظلمُ ممَّنِ افْتَرى على اللَّهِ كَذِباً أو كذَّبَ بآياتِهِ إنَّهُ لا يُفْلحُ المُجْرمونَ﴾ يونس آية (١٧).

المتقدّم فيه معطوف بالواو، ولم يُذكر فيه المجرمون .

١٠ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[1].كذبوا في قولهم ذلك ، مع معاينتهم حقائق الأمور ،ظـنًّـا منهم أنهم يتخلَّصون به .

فإن قلت : كيف الجمعُ بين هذا وبين قوله «ولا يَكْـتُمُــون اللَّهَ حَدِيثاً»؟

قلتُ : في القيامة مواقف مختلفة ، ففي بعضها لا يكتمون ، وفي بعضها يكتمون ، بل يكذبون ويحلفون ، كما في قوله تعالى «فَوَربِّكَ لَنَسأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ»[2] مع قوله تعالى «فَيوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلَا جانٌّ »

١١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ :﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ . . ﴾[3] الآية. قال هنا « يَسْتمعُ» بالإفراد ، وفي يونس «وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ» بالجمع ، لأنَّ ما هنا نزل في قومٍ قليلين، وهم «أبو سفيان» و«النّضر بن الحارث» و «عتبة، وشيبة، وأمية ، وأُبيّ بن خلف» فنُزِّلوا منزلة الواحد ، فأُعيد الضميرُ على لفظ «مَنْ» . وما في «يونس» نزل في

---

(١) سورة الأنعام آية (٢٣)
(٢) سورة الحجر آية (٩٣)
(٣) سورة الأنعام آية (٢٥)

جميع الكفار، فناسب الجمع ، فأُعيد الضميرُ على معنى «مَنْ» .

وإنما لم يُجمع ثَمَّ في قوله تعالى : «ومنهم من ينظر إليكَ» لأن الناظرين إلى المعجزات ، أقلُّ من المستمعين للقرآن .

١٢ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ . . ﴾[١]. وفي أُخْرى بعدها « وَلَوْتَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ » لأنهم انكروا وجود النَّار في القيامة ، وجزاء ربهم وَنَكَالَه فيها ، فقال في الأولى «على النار » وفي الثانية «إذْ وُقِفُوا على ربهم» أي على جزاء ربِّهم ، ونكاله في النَّار.

١٣ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَقَالُوا إِنْ هِـيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[٢] . قاله هنابدون «نموتُ ونحيا» وفي «المؤمنون»[٣] و «الجاثية»[٤] به ، لأنهم في القيامة قالوه بموقفٍ ولم يقولوه بآخر ، فأشار إلى الأمرين بما ذكر.

---

(١) سورة الأنعام آية (٣٠)

(٢) سورة الأنعام آية (٢٩)

(٣) في قوله تعالى ﴿إنْ هيَ إلَّا حياتنا الدّنيا نموتُ ونحيا وما نحن بمبعوثين ﴾ المؤمنون آية (٣٧)

(٤) في قوله تعالى ﴿وقالوا ما هي إلَّا حياتُنا الدنيا نموتُ ونحيا وما يهلكنا إلَّا الدَّهرُ﴾ الجاثية آية (٢٤).

١٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ . .﴾[1] الآية. قدَّم اللَّعب هنا وفي « القِتال» و «الحديد» وعكس في «الأعراف»[2] و «العنكبوت»[3] لأن اللَّعب زمنُ الصِّبا ، واللَّهوُ زمنُ الشباب، وزمنُ الصِّبا مقدَّمٌ على زمنِ الشباب، فناسبَ إِعطاء المقدَّم للأكثر، والمؤخرّ للأقلّ.

١٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[4]؟ .

خصَّ المتَّقينَ بالذِّكر ، مع أنّ غيرهم كذلك ، لأنهم الأصل وغيرُهم تبعٌ لهم ، وقرىء هنا «ولَلدَّارُ الآخرةُ» بلامَيْنِ ثَانيهما مدغمةٌ في الدَّار ، ورفع الآخرة بجعلها صِفةٌ للدار ، وبإِضافة الدَّار إليها بلام واحدة ، تبعاً لاختلاف المصاحف في ذلك. وفي «يوسف»[5] بالوجه الثاني فقط تبعاً للمصاحف»[6].

---

(١) سورة الأنعام آية (٣٢) .

(٢) في قوله تعالى ﴿الذين اتَّخذُوا دينهم لَهْواً ولَعباً وغَرَّتهمُ الحَياةُ الدُّنيا . .﴾ الأعراف آية (٥١).

(٣) في قوله تعالى ﴿ وَما هذه الحياةُ الدنيا إلَّا لَهوٌ ولعبٌ وإنَّ الدار الآخرة لهيَ الحيوان لو كانوا يعلمون﴾ العنكبوت آية (٦٤)

(٤) سورة الأنعام آية (٣٢).

(٥) في قوله تعالى ﴿ولَدَارُ الآخرة خيرٌ للذين اتَّقَوْا أفلا تعقِلُونَ﴾ يوسف آية (١٠٩).

(٦) يريد الشيخ رحمه الله أن في سورة الأنعام وردت القـراءتـان﴿ولدارُ الآخرةُ خيرٌ﴾ ﴿والدارُ الآخرةِ خيرٌ﴾ بخلاف ما جاء في سورة يوسف فهي بالإضافة فقط.

١٦ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾[٣] .

إن قلتَ : كيف قال لمحمد ذلك[٤] ، وهو أغلظُ خطاباً من قوله لنوحٍ « إِنّي أَعِظُكَ أَنْ تكُونَ مِنَ الجَاهِلينَ » مع أنَّ محمداً ﷺ أعظمُ رتبةً ؟

قلتُ : لأن نوحاً كان معذوراً بجهله بمطلوبه ، لأنه تمسَّكَ بوعدِ الله تعالى ، في إنجاء أهله ، وظنَّ أنَّ ابنه من أهله .

بخلاف محمد ﷺ لم يكن معذوراً ،لأنه كَبُر عليه كفرُهم ، مع علمه أنَّ كفرهم وإيمـانهم بمشيئة الله تعالى ، وأنَّهم لا يهتدون إلَّا أن يهديهم الله تعالى .

١٧ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَالمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[٣] .

إن قلتَ : ما فائدة ذكرِه ، مع أنه مفهوم من قوله قبله : « والمـوتَى يَبْعثُهم اللَّهُ » لأنهم إذا بعثـوا من

---

(١) سورة الأنعام آية (٣٥) .

(٢) هذا الأسلوب للتنبيه والتحذير ، وليس للتوبيخ ، والمراد تنبيه الرسول ﷺ من الغفلة والمعنى : لو أراد الله هداية المشركين لهدلهم إلى الإيمان ، فلا تكوننَّ يا محمد من الذين يجهلون حكمة الله ومشيئته الأزلية ، فالأسلوب إذاً أسلوب تحذيرٍ وتنبيه .

(٣) سورة الأنعام آية (٣٦) .

قبورهم ، فقد رجعوا إليه بالحياة بعد الموت ؟

قلتُ : ليس مفهوماً منه ، لأن المراد به ، وقوفهم بين يديه للحساب والجزاء ، وهو غير البعث الذي هو إحياءٌ بعد الموت .

١٨ ـ **قوله تعالى** : ﴿**قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيةً . .**﴾[1]. وقع جواباً لقولهم : « لولا نُزِّل عليهِ آيةٌ من ربِّهِ » .

فإن قلتَ : لو صحَّ جواباً له ، لصحَّ من كلِّ من ادَّعى النبوَّة ، وطولب بآيةٍ أن يُجيب بذلك ؟!

قلتُ : يلتزم ذلك إن تَثْبُتَ نُبوَّتُه بمعجزة ، كما ثبت للنبي ﷺ بها ، وإلَّا فلا يصحُّ الجوابُ بذلك .

١٩ ـ **قوله تعالى** : ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ . .**﴾[2] الآية ، فائدةُ ذكرِ « في الأَرْضِ » بعد دابةٍ ، مع أنها لا تكون إلَّا في الأرض ، وذكرِ « يطيرُ بجناحيْه » التأكيدُ ، كما في قوله تعالى « لا تَتَّخذُوا إلَهيْنِ اثْنَينِ » ، أو زيادة التعميم والإحاطة .

٢٠ ـ **قوله تعالى** : ﴿**قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ**

---

(١) سورة الأنعام آية (٣٧) .

(٢) سورة الأنعام آية (٣٨) .

اللَّهِ . . ﴾[1] الآية .أي أرأيتم آلهتكم تنفعكُم إن أتاكم عذاب الله ؟! وقد جَمَع في هذه الآية ونظيرتها بعدُ[2] ، بين عـلامتيْ خطابٍ « التّـاءِ » و « الكافِ » ، لمـزيد الاهتمام للمراد ، والذي هو الاستئصال بالهلاك ، والتاءُ اسمٌ إجماعاً ، والكافُ حرف خطابٍ عند البصريين .

٢١ ـ قوله تعالى : ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِالبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾[3]. قال ذلك هنا ، وقال في الأعراف « يَضَّرَّعُونَ » بالإِدغام . لأن ههنا وافق ما بعده ، وهو قولُه « جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعوا » ومستقبلُ « تضرَّعوا » يتضرَّعون » لا غيرُ .

٢٢ ـ قوله تعالى: ﴿أنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْـدِفُونَ﴾[4]. كـرَّره[5] طلبـاً للرغبـة في إيمـان المذكورين ، إذِ التَّقديرُ : « انظُرْ كيفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ » أي يُعرضون عنها ، فلا تُعرضْ عنهم ، بل كرِّرْها لهم « لعلَّهم يفقهون » أي يفهمون .

---

(١) سورة الأنعام آية (٤٠) .

(٢) في قوله تعالى بعدها ﴿قل أرأيتكُمْ إنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بغتةً أو جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إلا القومُ الظالمونَ﴾ آية (٤٧) .

(٣) سورة الأنعام آية (٤٢) .

(٤) سورة الأنعام آية (٤٦) .

(٥) سورة الأنعام آية (٥٠) .

وإنَّما ختَم الأولى بقوله « ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ » والثانية بقوله « لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ » لأن الإعراض عن الشيءِ ، أقبحُ من عدم فهمه ، فوُصِفوا بالأول في الآية الأولى ؛ تَبَعاً لما وُصِفوا به قبلها من قسوة قلوبهم ، ونسيانهم ما ذُكِّروا به وغيرهما ، وذلك مفقودٌ في الثانية .

٢٣ - قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ . .﴾[١] الآية، كرَّر[٢] فيها « لكم » لعدم ذكره قبلها وبعدها ، ولم يكرِّره في آية هود[٣] ، اكتفاءً بذكره قبلها مرتين : في قوله « إني لكم نذيرٌ » وقوله « وما نرى لكم » وبعدها مرَّة في قوله « أن أنصحَ لكم » .

٢٤ - قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾[٤] . تَرْكُ تعيينِ سبيلِ المؤمنين[٥] ، لعلْمِهِ من تبيينِ سبيلِ المجرمين .

---

(١) كرّرت الآية في قوله تعالى ﴿أنْظُرْ كيفَ نُصَرِّفُ الآياتِ لعلَّهم يَفْقَهُونَ﴾ الأنعام آية (٦٥) .

(٢) التكرار واضحٌ في هذه الآية ﴿قلْ لا أقولُ لكمْ عندي خَزَائنُ اللَّهِ وَلَا أعلمُ الغَيْبَ ولا أقولُ لكم إني مَلَكٌ﴾ الأنعام آية (٥٠) .

(٣) في قوله تعالى ﴿ولا أقولُ لكم عندي خزائنُ اللَّهِ ولا أعلمُ الغيبُ ولا أقول إني مَلَكٌ . .﴾ هود آية (٣١) .

(٤) سورة الأنعام آية (٥٥) .

(٥) أي كذلك نوضح الآية ونبينها ، لتظهر طريق المؤمنين من طريق المجرمين ، فاكتفى بأحدهما عن الآخر .

٢٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ . .﴾[1] الآية، أي كسبتم فيه ، وخصَّ النهارَ بالذِّكر دون اللّيل ، لأن الكسبَ فيه أكثرُ ، لأنه زمنُ حركة الإنسان ، والليلُ زمنُ سكونه .

٢٦ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ . .﴾[2] الآية، أي مولى جميع الخلق ، وهذا لا يُنافي قوله « وأنَّ الكافرينَ لا مَوْلَى لهمْ » لأن المراد بالمولى هنا : المالكُ ، أو الخالقُ ، أو المعبودُ . . وثَمَّ النَّاصِرُ .

٢٧ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ . قَوْلُهُ الْحَقُّ . .﴾[3] الآية، خصَّ « قولُه الحقُّ » بيوم القيامة ، مع أنه لا يختصُّ به ، لوجوده في الدنيا أيضاً ، لأن ذلك اليوم ، ليس لغيره تعالى فيه قولٌ يُرجع إليه ، بل قولُه فيه هو الحقُّ الذي لا يدفعه أحدٌ من العباد ،لانكشافِ الغِطاء فيه . . ونظيرُه قولُه تعالى : « والأمرُ يومئذٍ للَّهِ »[4] مع أنَّ الأمرَ له في كل زمان .

ومثلُ ذلك يأتي في قوله « ولهُ المُلْكُ يومَ يُنْفخُ في

---

(١) سورة الأنعام آية (٦٠) .
(٢) سورة الأنعام آية (٦٢) .
(٣) سورة الأنعام آية (٧٣) .
(٤) سورة الإنفطار آية (١٩) .

الصُّورِ » وأمَّا ملكُ غيره في الدنيا ، فهو إنما يكون خِلافةً عنه ، وهبةً منه وإنعاماً ، بدليل قوله تعالى في حقِّ « داود » عليه السلام : « وآتَاهُ اللَّهُ المُلْكَ والحِكْمَةَ » .

٢٨ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ . .﴾[١] الآية .

إن قلتَ : كيف ذكَر في معرض الامتنان من أولاده « إسحاق » ولم يذكر معه « إسماعيلَ » بل أخَّره عنه بدرجاتٍ ، مع أنه أكبرُ منه ؟

قلتُ : لأن إسحاق وُهب له من حُرَّةٍ ، وكانت عجوزاً عقيماً . . وإسماعيل من أَمَةٍ فكانت المِنَّةُ في هبة إسحاقَ أظهرَ .

وقيل : لأن القصد هنا ذكرُ أنبياءِ بني إسرائيل ، وهم بأسرهم أولادُ إسحاق ، وإسماعيلُ لم يخرج من صلبه نبيٌّ إلا محمدٌ ﷺ .

٢٩ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾[٢] قاله هنا بدون تنوين ، وفي يوسف[٣] بالتنوين ، لأنه ذكر هنا قبلُ قولَه « فلا تقعدْ بعد

---

(١) سورة الإنفطار آية (٨٤) .

(٢) سورة الأنعام آية (٩٠) .

(٣) في قوله تعالى : ﴿وما تسألُهم عليهِ من أجرٍ إن هو إلاَّ ذكرٌ للعَالَمين﴾ يوسف آية (١٠٤) .

الذِّكرى » بلا تنوين ، فناسب ذكرُه هنا كذلك .

٣٠ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ . .**﴾[1] الآية .

إن قلتَ : كيف قال في وصف القرآن ذلك ، مع أن كثيراً ممن يؤمنُ بالآخرةَ ، من اليهود ، والنَّصارى وغيرهم لا يُؤمن به ؟!

قلتُ : معناه والذين يؤمنون بالآخرة إيماناً نافعاً مقبولاً ، هم الذين يؤمنون به .

٣١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ**﴾[2] الآية .

إن قلتَ : كيف أفرده بالذِّكر ، مع دخوله في قوله قبلُ « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افترى علَى اللَّهِ كَذِباً . . » ؟

قلتُ: إنَّما أفرده بالذِّكرِ، لأنه لمَّا اختصَّ بمزيد قبح من بين أنواع الافتراء ، خُصَّ بالذِّكر ، تنبيهاً على مزيد العقاب فيه والإثم .

٣٢ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ الميِّتِ وَمُخْرِجُ المَيِّتِ منَ الحَيِّ . .**﴾[3] الآية، قال ذلك هنا ، وقال في

---

(١) سورة الأنعام آية (٩٢) .

(٢) سورة الأنعام آية (٩٣) .

(٣) سورة الأنعام آية (٩٥) .

« آل عمران » و « يونس » و« الروم » : ﴿ويُخرجُ الميِّتَ من الحيِّ﴾ بالفعل .

لأنَّ ما هنا وقع بعد اسم فاعل وهو « فالقُ » . . وقبْلَ اسمَيْ فاعل وهما : فالق ، وجاعلُ[1] ، فناسَبَ ذكرُ « مخرج » لكونه اسم فاعل ، وخُصَّ بالإسم لتكرّر الإسمين بعده . . وخصَّ « يُخرج الحيَّ » قبله بالفعل ، إذْ لم يتقدَّمْه إلا اسمٌ واحدٌ .

وما في بقية السُّور لم يقع قبله وبعده إلَّا أفعال ، فناسب ذكرُه بالفعل .

٣٣ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ . .﴾[2] الآية . قاله هنا بلفظ « أنشأكم » وفي غير هذه السورة بلفظ « خلقكم » لأن ما هنا موافقٌ لقوله قبله « أنشأنا من بعدهم » ولقوله بعده « وهو الذي أنشأ جناتٍ » بخلاف البقية[3] .

---

(١) هذا الذي أشار اليه الشيخ على غير قراءة حفص ، أما قراءة حفص فقد جاءت بالفعل ﴿فالقُ الإصباح وجَعَلَ اللَّيلَ سكناً . .﴾ وليست باسم الفاعل « وجاعلُ الليل سكناً » .

(٢) سورة الأنعام آية (٩٨) .

(٣) نبَّه المؤلف الى أن لفظ « أنشأكم » إنما جاء هنا بخلاف سائر الآيات ، لكمال التناسب والتناسق بين الآيات ، حيث تقدمه لفظ الإنشاء وهذا من أسرار القرآن .

٣٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿بَدِيعُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[١] .

فائدة ذكر قوله : « خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعبدُوهُ » فيها بعد قوله « وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ » جعلُه توطئةً لقولـه تعالى : « فَاعْبُدُوهُ » وأمَّا قولُه « وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ » فإنما ذُكر استدلالاً على نفي الولد .

٣٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾[٢]

إن قلتَ : كيف خصَّ الأبصار في الثاني بالذكر ، مع أنه تعالى يُدرك كل شيء ؟!

قلتُ : خصَّه بالذكر لرعاية المقابلة اللفظية ، لأنها نوعٌ من البلاغة[٣] .

٣٦ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿أَفغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ اليكُمُ الكِتَابَ مُفَصَّلاً . .﴾[٤]

إن قلتَ : كيف قال « إليكُمْ » ولم يقل « إليَّ » مع أنه تعالى إنما قال « وَأَنْزَلْنَا إليكَ الكِتَابَ » ؟

---

(١) سورة الأنعام آية (١٠١) .

(٢) سورة الأنعام آية (١٠٣) .

(٣) يُسمَّى هذا في علم البلاغة « طباق السَّلب » وهو من المحسنات البديعية.

(٤) سورة الأنعام آية (١١٤) .

قلتُ : لما كان إنزالُه لأجل تبليغهم ، كان كأنه أُنزل إليهم .

٣٧ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[١] .

قاله هنا بلفظ الرّب ، وبعده بلفظ الله ، لأنه هنا وقع بين آياتٍ فيها ذكرُ الربِّ مرَّات ، وما بعدُ وقع بعد آياتٍ فيها ذكرُ اللَّهِ مرات ، ولهذا ذكر لفظ « الله » قبلُ ، في قوله تعالى « ولو شاء اللّٰهُ ما أشركوا » وبعدُ ، في قوله تعالى « لو شاءَ اللّٰهُ ما أشركنا » .

٣٨ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٢] .قال ذلك هنا بلا « باء » وبالمضارع ، موافقة لقوله بعدُ « الله أعلمُ حيثُ يجعل رسالته » .

وقال في « النَّحل »[٣] و« النَّجم [٤] » و« نٓ »[٥] :

---

(١) سورة الأنعام آية (١١٢) .

(٢) سورة الأنعام آية (١١٧) .

(٣) أشار إلى قوله تعالى ﴿إن ربك هو أعلمُ بمنْ ضَلَّ عن سبيلِه وهو أعلمُ بالمُهتدين﴾النحل آية (١٢٥)

(٤) أشار إلى قوله تعالى﴿إن ربك هو أعلمُ بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلمُ بمن اهتدى﴾ آية (٣٠)

(٥) في سورة نٓ ﴿إن ربك هو أعلمُ بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾.

« بِمَنْ ضَلَّ » بزيادة الباء وبالماضي ، عملاً بزيادة الباء في مفعول « أعلمُ » تقويةً له لضعفه ، كما في قوله تعالى « وهو أعلمُ بالمهتدين » وقوله « وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى » وعملاً في الماضي بكثرة الاستعمال في قولهم : « أعلمُ بمن دبَّ وَدَرَجَ ، وأحسنُ من قام وقعد ، وأفضلُ من حجَّ واعتمر .

وحيثُ حُذِفتِ الباءُ ، أُضْمِر فعلٌ من مادة « عَلِمَ » يعملُ في المفعول ، لضعف « أَعْلَمُ » عن العمل بلا تقوية ، وتقديره في الآية : يعلم من يَضِلُّ .

٣٩ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ . المزيِّنُ لهم هو اللهُ لقوله تعالى : « زيَّنا لهم أَعمالَهُمْ » . أو الشيطان لقوله تعالى : « وَزَيَّنَ لَهُمُ الشيطانُ أَعمَالهم » وكلٌّ صحيحٌ ، فالتزيينُ من الله بالإيجاد والخلق ، ومن الشيطان بالإغواء والوسوسة .

٤٠ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا مَعْشَرَ الجِنِّ والإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ [٢] الآية .

فإن قلتَ : كيف قال ذلك ، والرسُلُ إنما كانت من الإنسِ خاصةً ؟ !

---

(١) سورة الأنعام آية (١٢٢) .

(٢) سورة الأنعام آية (١٣٠) .

قلتُ : بل ومن الجن أيضاً على قول الضحاك ومقاتل ، أنه أُرسل إليهم رسل ، وأمَّا على قول غيرهما بمنع ذلك ، فالمرادُ برسل الجنِّ ، الذين سمعوا القرآن من النبي ﷺ ، ثم ولَّوْا إلى قومهم منذرين ، كما قال تعالى : ﴿ **وإذْ صَرَفْنا إليكَ نَفَراً من الجنِّ يستَمعونَ القرآنَ** . . ﴾ الآية .

٤١ ـ **قوله تعالى** : ﴿ **قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُم الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِم أَنَّهُم كَانُوا كَافِرِينَ** ﴾ [1] كرَّرَ شهادتهم على أنفسهم ، لاختلافها باختلاف المشهود به ، لأن الأولى شهادتُهم بتبليغ الرسل إليهم ، والثانية شهادتُهم بكفرهم .

فإن قلتَ : شهادتهم بكفرهم تضمَّنتْ إقرارهم به ، وهو منافٍ لجحدِهم في قوله حكاية عنهم « واللَّهِ رَبِّنَا ما كنَّا مُشْرِكِينَ » ؟ !

قلتُ : مواقفُ القيامة مختلفة ، ففي موقفٍ أقرُّوا ، وفي آخر جحدوا .

أو المراد بشهادتهم : شهادةُ أعضائهم عليهم ، حين

---

(١) سورة الأنعام آية (١٣٠) .

يُختم على أفواههم ، كما قال تعالى ﴿ اليومَ نَخْتِمُ على أَفْواهِهِمْ وتُكلِّمنا أيديهِمْ وتشهدُ أرجلُهم بمَا كانُوا يَكْسِبونَ ﴾[1] . وبجحدهم : جحدُهم بأفواههم قبل أن يُختم عليها .

٤٢ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ﴾[2] .

قاله هنا وفي مواضع بالفاء ، لأنه وقع جواباً بالأمرِ قبله .

وقال في أواخر « هود » بدون فاء [3] ، لأنه لم يتقدّمْه أمرٌ ، فصار استئنافاً ، أو صفة لـ « عاملٌ » أي إني عاملٌ سوف تعلمون .

٤٣ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذين قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ . .﴾[4] الآية .

---

(١) سورة يس آية (٦٥) .

(٢) سورة الأنعام آية (١٣٥) .

(٣) أشار إلى قوله تعالى :﴿ويا قومِ اعملُوا على مكانَتِكُمْ إني عاملٌ سوف تعلمون من يأتيه عَذَابٌ يُخزيه﴾ سورة هود آية (٩٣)

(٤) سورة الأنعام آية (١٤٠) .

إن قلتَ : ما فائدتُه بعد قوله « سَفَهاً » مع أن السَّفه لا يكون إلا بغيرِ علم ؟ !

قلتُ : معنى قوله تعالى « بغير علْمٍ » بغير حُجَّة .

٤٤ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ .

فائدتُه بعد قوله « قَدْ ضَلُّوا » أنهم بعدما ضلُّوا ، لم يهتدوا مرَّة أُخرى .

٤٥ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ . .﴾(٢)

إن قلتَ : ما فائدةُ ذكرِه بعد قوله « كلُوا من ثَمَرِهِ » مع أنَّـه معلومٌ أنه إنما يُؤْكل من ثمره إذا أثمر ؟

قلتُ : فائدتُه نفيُ توهُّم توقُّف إباحة أكلِهِ ، على بُدُوِّ صلاحه .

٤٦ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أن يَكُونَ مَيْتَةً﴾(٣) الآية ، أي لا أجد

---

(١) سورة الأنعام آية (١٤٠) .

(٢) سورة الأنعام آية (١٤١) .

(٣) سورة الأنعام آية (١٤٥) .

فيه محرَّماً ، ممَّا كانوا يُحَرِّمونه في الجاهلية « إلَّا أنْ يَكُون مَيْتَةً » إلى آخره ، وإلا ففي القرآن تحريمُ أشياء أُخَرَ غيْرَ ذلك ، كالرِّبا ، وأكلِ مالِ اليتامى ، ومالِ الغير بالباطلِ .

٤٧ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فإنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ القَوْمِ المُجْرِمِين﴾ (١)

فإن قلتَ : كيف قال في الجواب ذلك ، مع أنَّ المحلَّ محلُّ عقوبة ، فكان الأنسبُ أن يُقال : فقل ربُّكُمْ ذو عقوبة شديدة ؟ !

قلتُ : إنما قال ذلك نفياً للاغترار بسعة رحمته ، في الاجتراء على معصيته ، وذلك أبلغُ في التهديد ، معناه : لا تغتروا بسعة رحمته (٢) ، فإنه مع ذلك لا يُرَدُّ عذابه عنكم .

٤٨ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ . .﴾(٣) الآية .

قال ذلك هنا ، وقال في النحل : ﴿لَوْ شَاءَ اللهُ مَا

---

(١) سورة الأنعام آية (١٤٧) .

(٢) الأولى أن يُقال : إن هذا الأسلوب « أسلوب التعجب » قاله تلطفاً بهم في دعوتهم إلى الإيمان والمعنى : إن كذَّبك يا محمد هؤلاء اليهود ، فقل متعجباً من حالهم : ربُّكم ذو رحمة واسعة ، حيث لم يعاجلكم بالعقوبة ، مع شدة إجرامكم ، وهذا كما تقول عند رؤية معصية عظيمة : ما أحلمَ اللّهَ ! ! أي ما أحلمه على إمهاله للعاصي ! !

(٣) سورة الأنعام آية (١٤٨) .

عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شيءٍ نحنُ ولا آباؤنا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيءٍ . . ﴾(١) .

بزيادةِ « مِنْ دُونِهِ » مرتين ، وزيادة « نَحْنُ » .

لأن الإِشراك يدلُّ على إثبات شريكٍ لا يجوز إثباته ، وعلى تحريم أشياء من دون الله ، فلم يحتجْ إلى « منْ دونِهِ » فحُذِفَ ، وتبعَهُ في الحذفِ « نحنُ » طرداً للتخفيف .

بخلاف العبادة فإنها غيرُ مستنكرة ، وإنما المستنكرُ عبادةُ شيءٍ مع الله ، ولا يدلُّ لفظُها على تحريم شيء ، كما دلَّ عليه « أشرك » فلم يكنْ بُدٌّ من تقييده بقوله « من دونه » وناسب استيفاءُ الكلام فيه زيادةُ « نحنُ » وظاهرٌ أنَّ زيادة ذكرِ التحريم في آية « لو شاءَ اللَّهُ ما أشركنا » تصريحٌ بما أفاده لفظ « أشركنا » .

٤٩ - قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإيَّاهُمْ ﴾ (٢) الآية ، قال ذلك هنا، وقال في الإسـراء « وَلَا تَقتلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إمْلَاقٍ نحنُ نرزقُهُم وَإيَّاكُمْ »(٣) .

---

(١) سورة النحل آية (٣٥) .

(٢) سورة الأنعام آية (١٥١) .

(٣) سورة الإسراء آية (٣١) .

قدَّم هنا المخاطبين على الغائبين ، وعكسَ ثَمَّ ، لأن ظاهر قوله هنا « منْ إملَاقٍ » أي فقر ، أن الإملاق حاصلٌ للوالديْنِ المخاطبين ، لا توقُّعُهُ فبُدىء بهم ، وظاهر قوله ثَمَّ « خشيَةَ إملاق » أَن الإملاق متوقّعٌ بهم وهم موسرون ، فبُدىء بالأولاد ، فما هنا يفيد النهي للآباء عن قتلِ الأولاد وإن تلبَّسوا بالفقر ، وما هناك يُفيده وإن تلبَّسوا باليُسر .

٥٠ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُـرْبَـى . .﴾[1] الآية .

إن قلتَ : لم خصَّ العدل بالقول ، مع أن الفعل إلى العدل أحوج ، فإن الضَّررَ الناشىء من الجور الفعلي ، أقوى من الضَّرر الناشىء من الجور القوليِّ ؟

قلتُ : إنما خصَّه بالقول ، ليُعلم وجوب العدل في الفعل بالأولى ، كما في قوله تعالى « ولا تقُلْ لهما أُفٍّ » .

٥١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِـهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2] .

ختم الآية الأولى بقوله « تعقلون » ، والثانية بقوله

---

(١) سورة الأنعام آية (١٥٢) .

(٢) سورة الأنعام آية (١٥١) .

« تذكَّرُون » ، والثالثة بقوله « تَتَّقُونَ » .

لأن الأولى اشتملت على خمسةِ أشياء عظام ، والوصيَّةُ فيها أبلغ منها في غيرها ، فختمها بما في الإِنسان من أعظم السجايا وهو « العقل » الذي امتاز به على سائر الحيوان .

والثانية : اشتملت على خمسة أشياء يقبُحُ ارتكابُها ، والوصيَّةُ فيها تجري مجرى الزجر والوعظ ، فختمها بقوله « تذكَّرون » أي تتعظون .

والثالثة : اشتملت على ذكرِ الصِّراط المستقيم ، والتحريض على اتباعه واجتناب مُنافيه ، فختمها بالتقوى التي هي ملاكُ العمل ، وخير الزَّاد .

٥٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى.﴾[١]

إن قلتَ : هو منافٍ لنحو قوله تعالى : « وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ » ولخبر « من عمل [٢] سيئة فعليه وزرها ووزرُ من عمل بها إلى يوم القيامة » ؟

قلتُ : لا منافاةَ إذِ الوزرُ في الآيةِ الأولى ، محمولٌ على

---

(١) سورة الأنعام آية (١٦٤) .

(٢) الحديث رواه مسلم في قصة طويلة وفيه « ومن سنَّ في الإِسلام سُنَّة سيئة ، كان عليه وزرها ووزرُ منْ عملَ بها من بعده ، من غير أن يَنْقصَ من أوزارهم شيء » .

مـن لـم يتسبَّبْ في الفعل بوجهٍ ، وفيما عداها على من تسبَّب فيه بوجه كالأمر به ، والدلالة عليه ، فعليه وزرٌ مباشرته له ، ووزرُ تسبُّبه فيه .

**٥٣ ـ قولُهُ تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذي جَعَلَكُمْ خلائِفَ الأَرْضِ .﴾[١] الآية . قال ذلك هنا ، وقال في « يونس »[٢] و« فاطر » ﴿خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ﴾ لأن ما ههنا تكرَّرَ قبلَه ذكرُ المخاطبين مراتٍ ، فعرَّفهم بالإضافة ، وما في السورتين جاء على الأصل ، كما في قوله تعالى ﴿إنِّي جاعِلٌ في الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ وقوله : ﴿وَأَنْفقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيه﴾ .

٥٤ ـ قولُهُ تعالى : ﴿إنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ وَإنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٣] وقال في الأعراف « إنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ العِقَابِ وإنَّه لَغَفُورٌ رحيمٌ » باللام في الجملتين ، لأنَّ ما هنا وقع بعد قوله « مَنْ جَاءَ بالحسنة فلهُ عشرُ أمثالها » وقوله« وهو الذي جعلكم خلائف الأرض » فأتى باللَّام المؤكدة في الجملة الثانية فقط ، ترجيحاً للغُفران على سرعة العقاب .

---

(١) سورة الأنعام آية (١٦٥) .

(٢) أشار إلى قوله تعالى ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأرضِ مِنْ بعدِهِمْ لننظُرَ كيفَ تعملون﴾ سورة يونس آية (١٤) .

(٣) سورة الأنعام آية (١٦٥) .

وما هناك وقع بعد قوله « وأخذنا الَّذين ظَلَمُوا بعذابٍ بئيس » وقوله « فقلنا لهم كونوا قردةً خاسئين » فأتى باللَّام في الجملة الأولى ، لمناسبة ما قبلها ، وفي الثانية تَبَعاً للَّام في الأولى .

فإن قلتَ : كيف قال « سريعُ العقابِ » مع أنه حليمٌ ، والحليمُ لا يُعَجِّل بالعقوبة على من عصاه ؟ !

قلتُ : معنى « سريع » شديدٌ ، أو المعنى سريعُ العقاب إذا جاء وقته .

انتهت سورة الأنعام

* * *

سُورَةُ الأَعْرافِ

١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ منه﴾[1]. أي ضيق من الكتاب أن تبلِّغه مخافة أن تُكذَّب ، والنَّهيُ في اللفظ للحرَج ، والمرادُ المخاطبُ ، مبالغةً في النهي عن ذلك ، كأنه قيل : لا تتسبَّبْ في شيء ينشأ منه حرجٌ ، وهو من باب « لَا أرينَّك ههنا » النهيُ في اللفظ للمتكلِّم ، والمرادُ المخاطبُ، أي لا تكن بحضرتي فأراك ، ومثلُه « فلا يَصُدَّنَّكَ عنها من لا يُؤْمِنْ بها »[2].

٢ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾[3] أي أردنا إهلاكها[4] .

٣ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ

---

(١) سورة الأعراف آية (٢) .

(٢) سورة طه آية (١٦) .

(٣) سورة الأعراف آية (٤) .

(٤) إنما فسَّرها بذلك لأنه جاء بعدها قوله ﴿فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون﴾ أي فجاءها عذابنا ليلاً ، أو وقت الراحة ظهراً عند القيلولة ، ولو هلكت قبل لما أفاد نزول العذاب .

مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾[1] جَمَع ميزان القيامة مع أنه واحدٌ ، باعتبار تعدُّد ما يُوزن به من الأعمال ، أو باعتبار أنه يقوم مقام موازين كثيرة ، لأنه يميز الذَّرة وما هو كالجبال .

فإن قلتَ : الأعمالُ أعراضٌ فكيف تُوزن ؟ !

قلتُ : يصيِّرها اللهُ أجساماً ، أو الموزون صحائفُها[2]

٤ - قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾[3] أتى بـ« ثُمَّ » الثانية وهي للترتيب ، مع أنَّ الأمر بالسجود لآدم ، كان قبل خلقنا وتصويرنا . لأن « ثُمَّ » هنا للترتيب الإخباري ، أو لتفاوت ما بين نعمتيْ السجود له وما قبله ، لأن السجود له أكمل إحساناً ، وأتمّ إنعاماً مما قبله .

---

(١) سورة الأعراف آية (٨) .

(٢) ليس هناك شيءٌ غريب وعجيب على قدرة الله ، فإن الله تعالى يزن أعمال العباد بالميزان العادل الدقيق كما قال تعالى ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾ وإذا كان البشر في عصرنا استطاع بواسطة الآلات الدقيقة ، والمخترعات الحديثة - أن يزن حرارة الجسم ، وحرارة الجوّ ، وأن يزن مقدار ضغط الدم في جسم الإنسان ، بكل دقة متناهية ، فكيف يعجز الله عن وزن أعمال العباد يوم القيامة ، فالواجب التسليم في أمثال هذه الأخبار للحكيم العليم ! !

(٣) سورة الأعراف آية (١١) .

أو المراد : ولقد خلقنا أباكم ثم صوَّرناه [١] ؛ بحذفِ مضافٍ .

٥ ـ قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ [٢] الآية ، قال ذلك هنا ، وقال في الحِجْر : « قال يا إبليسُ ما لكَ أَلَّا تكونَ مع الساجدينَ » .

وفي (صٓ) : « قال يا إبليسُ ما منعَكَ أن تسجدَ لما خلقتُ بيديَّ » بزيادة « يا إبليسُ » فيهما .

لأن خطابه هنا قَرُبَ من ذكره ، فحسن حذفُ ذلك ، وفي تيْنِك لم يقرب منه قربه هنا ، فحسُن ذكره .

وأما قولُه هنا وفي ﴿صٓ﴾ « مَنَعَكَ » وفي الحِجْر « مَا لَكَ »؟ فتفنُّنٌ ، جرياً على عادة العرب في تفنُّنهم في الكلام .

وقولُه ﴿أَلَّا تسجد﴾ قال ذلك بزيادة « لا » كما في قوله تعالى « لِئَلَّا يعلمَ أَهْلُ الكِتابِ » وقال في ﴿صٓ﴾ بحذفها ، وهو الأصلُ ، فزيادتها هنا لتأكيد معنى النَّفي في « مَنَعَكَ » .

---

(١) هذا القول أرجح أي خلقنا أباكم آدم ثم صورناه أبدع تصوير وجاء بصيغة الجمع ﴿خلقناكم ثم صورناكم﴾ تكريماً لآدم وذريته ، فإن النعمة على الآباء نعمةٌ على الأبناء .

(٢) سورة الأعراف آية (١٢) .

أو لتضمين « مَنَعك » حَمَلَك ، وهي على الثاني ليست زائدةً في المعنى .

٦ ـ **قوله تعالى: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾**[(١)] أي في السماء . . خصَّها بالذِّكر لأنها مقرُّ الملائكةِ المطيعين ، الذين لا يعصون اللَّهَ ، وإلَّا فليس لإِبليس أن يتكبَّر في الأرضِ أيضاً .

٧ ـ **قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾**[(١)] قاله هنا بحذف الفاء ، موافقةً لحذفِ « يَا إبليس » هنا . وقال في « الحِجْر »[(٢)] و« صَ »[(٣)] بذكرها ، موافقة لذكره ثَمَّ ، لما تضمَّنه النداء من « أدعوك » وأناديك ، كما في قوله تعالى « ربنا فاغفر لنا ذنوبنا » .

٨ ـ **قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾**[(٤)] قاله هنا بحذف الفاء موافقةً لحذفها في السؤال هنا .

وقال في « الحجر » و« صَ » بذكرها موافقةً لذكرها فيه ثَمَّ .

---

(١) سورة الأعراف آية (١٣) .

(٢) أشار إلى قوله تعالى في سورة الحجرِ ﴿قال ربِّ فأنظرني إلى يوم يبعثون﴾

(٣) وأشار إلى قوله تعالى في سورة صَ ﴿قَالَ رب فأنظرني إلى يوم يبعثون . قَالَ فإنك من المنظرين﴾ آية (٨٠) .

(٤) سورة الأعراف آية (١٥) .

فإن قلتَ : كيف أُجيبَ إبليس إلى الإنظار ، مع أنه إنما طلبه ليُفسد أحوال عباد اللَّهِ تعالى ؟ !

قلتُ : لما في ذلك من ابتلاء العباد ، ولما في مخالفته من أعظم الثواب .

٩ ـ قوله تعالى : ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطِكَ المُسْتَقِيمَ﴾(١). قال ذلك هنا بالفاء ، وبالحِجْر(٢) بحذفها ، مع اتفاقهما في مدخول الباء .

وقال في « صٓ » : ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ بالفاء ، مع مخالفته لتيْنك في مدخول الباء . لأنَّ « الفاء » وقعت هنا في محلها ، وفي « صٓ » لأنها متسببة عما قبلها ، ولا مانع فحسنت ، ولم تحسُن في « الحِجْر » لوقوع النِّداء ثَمَّ في قوله ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ والنداء يُستأنف له الكلام ويُقطع ، والـ« باءُ » في المواضع الثلاثة للسببيَّة ، أو للقَسَم ، وما بعدها في « صٓ » موافقٌ لما بعدها في غيرها في المعنى ، وإن خالفه لفظاً ، فلا اختلاف في الحقيقة ، إذ غوى اللهِ للشيطانِ يتضمَّنُ عزته تعالى .

---

(١) سورة الأعراف آية (١٦) .

(٢) أشار إلى قوله تعالى ﴿قال ربِّ بما أغويتني لأزيننَّ لهمْ في الأرض ولأغوينهم أجمعين﴾ الحجر آية (٣٩) .

١٠ - قوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوآتِهِما .. ﴾ (١) اللَّام فيه « لامُ العاقبة » والصَّيرورة ، لا « لامُ كيْ » ، لأن الغرض إخراجهما من الجنَّة ، لا كشف عورتهما (٢) ، كما في قوله تعالى ﴿ فالتقطَهُ آلُ فِرعونَ ليكونَ لهمْ عَدُوًّا وَحَزَناً ﴾ وقول الشاعر :

لِدُوا للمَوْتِ وابْنُوا للخَرَاب فكلكمُ يَصيرُ إلى التُّراب

١١ - قوله تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ .. ﴾ (٣)

إن قلتَ : كيف قال ذلك ، مع أنه تعالى بدأَنا أوَّلاً نطفةً ، ثم عَلَقة ، ثم مضغةً ، ثم عظاماً ، ثمَّ لحماً ، ونحن نعودُ بعد الموتِ كذلك ؟

قلتُ : معناه : كما بدأكم من تُرابٍ ، كذلك تعودون منه !! أو كما أوجدكم بعد العدم ، كذلك يعيدكم بعده ..

---

(١) سورة الأعراف آية (٢٠١) .

(٢) قد يكون هدف « إبليس » هو كشف عورتهما ، حتَّى يمنع عنهما رحمة الله ، فإن التكشف والتعرّي سببٌ لسخط الله وغضبه ، وإبليس عليه اللعنة لا يريد الخير لبني آدم كما قال تعالى﴿ يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما﴾ وهذا ما يفعله في هذا الزمان بالنساء الشيطانُ وأعوانه من دُعاة الضلال.

(٣) سورة الأعراف آية (٢٩) .

فالتشبيهُ في نفسِ الإِحياءِ والخلق ، لا في الكيفيَّة والترتيب .

١٢ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ القِيامة . . ﴾ الآية ، الأعراف آية « ٣٢ » .

إنْ قلتَ : كيف أخبر عن الزِّينة والطيِّبات ، بأنهما للذينَ آمنوا في الحياة الدنيا ، مع أنَّ المشاهدَ أنهما لغير الذين آمنوا أكثر وأدوم ؟

قلتُ : في الآية إضمارٌ تقديره [١] : قل هي للذين آمنوا غير خالصةٍ في الحياة الدنيا [٢] ، خالصةٌ للمؤمنين يوم القيامة .

١٣ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [٣] . قاله هنا وفي سائر المواضع بالفاء ، إلاّ في « يونس » فبحذفِها [٤] ، لأن مدخولها في غير يونس ، جملةٌ معطوفةٌ على أخرى ، مصدَّرة بالواو ، وبينها

---

(١) سقط من المخطوطة لفظ « تقديره » وهي في المصَّورة مذكورة .

(٢) أقول : لايُحتاج إلى هذا التأويل ، فإن قوله ﴿في الحياة الدنيا﴾ متعلقة بآمنوا ، والمعنى : قل هي لهؤلاء المؤمنين الذين آمنوا في الدنيا ، خالصة لهم يوم القيامة ، لا يشاركهم فيها غيرهم ، بخلاف الدنيا فإن البرَّ والفاجر يشتركون فيها ، والله أعلم .

(٣) سورة الأعراف آية (٣٤) .

(٤) أشار إلى قوله تعالى ﴿لكلّ أمةٍ أجلٌ إذا جاءَ أجلُهم فلا يستأخرونَ ساعةً ولا يستقدمون﴾ يونس آية (٤٩) .

اتِّصالٌ وتعقيبٌ ، فحسُنَ الإِتيان بالفاء ، الدالة على التعقيب ، بخلاف ما في يونس .

وقولُه : في الآية « ولا يستقدمون » معطوفٌ على الجملة الشرطية [(١)] ، لا على جواب الشرط ، إذْ لا يصحُّ ترتُّبه على الشرط . .

١٤-قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[(٢)].

إن قلتَ : كيف قال ذلك ، مع أن الميراث هو ما ينتقل من ميِّتٍ إلى حيٍّ ، وهو مفقودٌ هنا ؟ !

قلتُ : بل هو تشبيهُ أهل الجنة وأهل النَّار بالوارث والموروث عنه ، لأن الله خلق في الجنَّة منازل للكفار ، بتقدير إيمانهم ، فمن لم يُؤمن منهم جُعل منزلُه لأهل الجنة .

أو لأنَّ : دخول الجنة ، لا يكون إلَّا برحمة الله تعالى لا بعمل [(٣)] ، فأشبه الميراثَ ، وإن كانت الدرجاتُ فيها بحسب الأعمال .

---

(١) أي لا يتقدم أجل وفاتهم ولا يتأخر برهةً من الزمن .

(٢) سورة الأعراف آية (٤٣) .

(٣) أشار المؤلف رحمه الله إلى قول النبي ﷺ : « لن يُدخل أحدَكُمْ عَمَلُه الجنةَ ، =

١٥ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُمْ بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴾[1] . قال ذلك هنا ، وقال في هود[2] « وهمْ بالآخِرةِ همْ كَافِرونَ » لأنَّ ما هنا جاء على الأصل ، وتقديره : وهم كافرون بالآخرة ، فقدَّم « بالآخرة » رعايةً للفواصل .

وما في هود ، وقع بعد قوله تعالى ﴿ ويقولُ الأشهادُ هؤلاءِ الذينَ كَذَبواعلى ربهم أَلَا لعنةُ اللَّهِ على الظَّالمينَ ﴾ والقياسُ عليهم ، فلمَّا عَبَّر عنهم بالظَّالمين ، التبسَ أنهم همُ الذين كَذَبوا على ربِّهم أم غيرهُم ، فقال : « وهمْ بالآخرةِ همْ كافرونَ » ليُعلم أنهم هم المذكورون لا غيرُهم .

١٦ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا . . ﴾[3] الآية،أي بعد أن أصلحها اللَّهُ ، بالأمر بالعدلِ ، وإرسالِ الرسل . أو بعد أن أصلـح اللَّهُ أهلَها ، بحذف مضاف .

=قالوا : ولا أنت يا رسول الله ! قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني اللّهُ برحمةٍ منه وفضل » رواه الترمذي .

(١) سورة الأعراف آية (٤٥) .

(٢) في قوله تعالى﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عن سبيلِ اللّهِ ويبغونها عِوَجاًوهم بالآخرة هم كافرون﴾ سورة هود آية (١٩) .

(٣) سورة الأعراف آية (٥٦) .

١٧ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ . . ﴾[١] الآية .

قاله هنا : وفي « الروم » بلفظ المضارع .

وقال في : « الفرقان »[٢] و « فاطر »[٣] : **أرسلَ** بلفظ الماضي .

لأنَّ ما هنا تقدَّمه ذكرُ الخوف والطَّمع في قوله تعالى : ﴿ **وادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً** ﴾ وهما للمستقبل .

وما في الروم[٤] ، تقدَّمه التعبيرُ بالمضارع مرَّاتٍ في قوله تعالى : ﴿ **ومن آياتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مبشِّرَاتٍ** ﴾ الآية ، فناسبَ ذكرُ المضارع فيهما .

وما في « الفرقان » تقدَّمه التعبيرُ بالماضي مرَّاتٍ ، في قوله تعالى ﴿ **أَلَمْ ترَ إلىَ ربكَ كيفَ مدَّ الظِّلَّ** ﴾ وتأخَّر عنه ذلك في قوله « وهو الذي مرج البحرين » الآية .

---

(١) سورة الأعراف آية (٥٧) .

(٢) في قوله تعالى : ﴿وهو الذي أرسلَ الرياح بُشْراً بين يدي رحمته . . ﴾ ، (الآية ، الفرقان آية (٤٨) .

(٣) في قوله تعالى : ﴿واللَّهُ الذي أرسلَ الرياح فتثيرُ سَحَاباً . . ﴾ الآية ، سورة فاطر آية (٩) .

(٤) في قوله تعالى ﴿ اللَّهُ الذي يرسلُ الرياح فتثيرُ سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء . . ﴾ ، الروم آية (٤٨) .

وما في « **فاطر** » تقدَّمه في أولها « فاطر » و « جاعل » وهما بمعنى الماضي ، فناسب ذكرُ الماضي في السورتين .

١٨ - قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ . . ﴾[1] الآية . قاله هنا بغير واو ، وقاله في « هود » و « المؤمنين » بواوٍ . لأنَّ ما هنا مستأنفٌ لم يتقدَّمه ذكرُ نبيٍّ ، وما في هود تقدَّمه ذكرُ الأنبياء مرَّةً بعد أخرى ، وما في المؤمنين تقدَّمه « ولقد خلقنا فوقكم سبعَ طرائق » وقوله « وعليها وعلى الفُلك تُحملون » وكلُّها بالواو ، فناسب ذكرها فيهما .

١٩ - قوله تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ . . ﴾[2] الآية .

قاله هنا في قصة « نوح » و « هود » بلا فاء ، لأنه خرج مخرج الابتداء وإن تضمَّن الجواب ، كما في قوله تعالى ﴿ **قالوا نحنُ أعلمُ بمنْ فيها** ﴾ بعد قوله ﴿ **قال إن فيها لوطاً** ﴾ .

وقاله في « هود »[3] و « المؤمنين »[4] بالفاء ، لأنه وقع

(١) سورة الأعراف آية (٥٨) .

(٢) سورة الأعراف آية (٥٩) .

(٣) أشار إلى قوله تعالى ﴿ فقال الملأ الذِينَ كفروا مِنْ قومه ما نراك إلاَّ بشراً مثلنا﴾ .

(٤) أشار إلى قوله تعالى ﴿فَقَالَ الملأُ الذين كفروا من قومِهِ ما هَذا إلاَّ بشرٌ مثلكم يريد أن يتفضل عليكم﴾ آية (٢٧) .

جواباً لما قبله ، فناسبتْه الفاء .

فإن قلتَ : كيف وصفَ الملأَ بـ « الذين كفروا » في قصة هود ، دون قصة نوحٍ عليهما الصلاة والسَّلام ؟ !

قلتُ : لأنه كان قد آمنَ بهودٍ بعضُهم ، فلم يكونوا كلهم قائلين له « إنا لنراكَ في سفاهة » بخلاف قوم نوحٍ ، فإنه لم يكن فيهم من آمن به إذ ذاك .

وَنُقِضَ بأنه تعالى ، وصف أيضاً الملأ من قوم نوحٍ بالكفر في سورة هود .

وأُجيب بجواز كون هذا القول وقع مرتين ، المرة الثانية بعد إيمان بعضهم ، بخلاف المرَّة الأولى .

٢٠- قوله تعالى: في قصة نوح : ﴿ **أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ** .. ﴾[١] . قال فيها بلفظ المضارع في الجملة الثانية ، مناسبة للمضارع في الأُولى ، كما **عطف** الماضي على الماضي في قوله ﴿ **لقدْ أبلغتكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي ونصحتُ لكم** ﴾[٢] .

---

(١) سورة الأعراف آية (٦١) .

(٢) سورة الأعراف آية (٩٣) وتتمة الآية ﴿فكيف آسَى على قومٍ كافرين﴾ .

وقاله في قصة هود بلفظ اسم الفاعل[1] ، مناسبةً لاسم الفاعل قبله في قوله ﴿ وإنَّا لنظنُّكَ من الكاذبينَ ﴾ وبعده في قوله « أمينٌ » .

وعبَّر في قصة « نوحٍ » و « هود » بالمضارع في الجملة الأولى ، وفي قصة « صالح »[2] و « شُعَيْب »[3] بالماضي فيهما ، لأن ما في الأَوَّلَيْن وقع في ابتداء الرسالة ، وما في الآخَرَيْن وقع في آخرها .

٢١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا في دَارِهِمْ جَاثِمينَ ﴾ .

قاله هنا مرتين (٤) ، وفي العنكبوت مرَّةً ، بالإفراد .

وقال في « هود » ﴿ فأصبحُوا في دِيَارِهِمْ جَاثمينَ ﴾ مرتين بالجمع لأن ما في المواضع الأُوَل ، تقدَّمه ذكرُ الرِّجفة

---

(١) أشار إلى قوله تعالى ﴿أبلغكم رسالاتِ ربي وأنا لكم ناصحٌ أمين﴾ الأعراف آية (٦٨) .

(٢) أشار إلى قوله تعالى في قصة صالح ﴿ فتولَّى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالةَ ربِّي ونصحتُ لكم ولكنْ لا تحبون الناصحين ﴾ الأعراف آية (٧٩) .

(٣) أشار إلى قوله تعالى في قصة شعيب ﴿فتولَّى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات رَبّي ونصحتُ لكم فيكف آسى على قومٍ كافرين﴾ الأعراف آية (٩٣) .

(٤) أي في سورة الأعراف وردت الآية مرتين بالإفراد في لفظ « دارهم » مرَّة في قصة صالح ﴿فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ آية (٧٨) ومرة في قصة شعيب ﴿فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ آية (٩١) .

أي الزلزلة ، وهي تختصُّ بجزءٍ من الأرض ، فناسبها الإفراد . وما في الأخيرين ، تقدَّمه ذكرُ الصَّيْحة ، وكانت من السَّماء ، وهي زائدةٌ على الرجفة ، فناسبها الجمعُ .

٢٢ - **قوله تعالى** : في قصة صالح : ﴿ **فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي** ﴾ قال ذلك فيها بالتوحيد [٤] ، وقاله في قصة شعيب بالجمع . .

لأن ما أمر به شعيبٌ قومَه من التوحيد ، وإيفاء الكيل ، والنَّهي عن الصِّدِّ ، وإقامة الوزنِ بالقسط ، أكثرُ ممَّا أمرَ به صالحُ قومه .

أو لأن شعيباً : أُرسل إلى أصحاب الأيكة ، وإلى مدين ، فجُمعَ باعتبار تعدُّد المرسَل إليهم . . و « صالح » عليه السلام وحَّد باعتبار الجنس .

فإن قلتَ : كيف قال صالح لقومه ، بعد ما أخذتهم الرجفةُ وماتوا : « يا قومِ لقد أبلغتكُمُ رسالة ربي » الآية ، ومخاطبةُ الحيِّ للميِّت لا فائدة فيه ؟

قلتُ : بل فيه فائدة ، وهي نصيحة غيره ، فإن ذلك

---

(٤) أي بالإفراد ﴿رسالةَ ربي﴾ في قصة صالح ، وأما في قصة شعيب فقد جاءت بالجمع ﴿رسالاتِ ربي﴾ وقد بَيَّن المصنف رحمه الله السرَّ في ذلك .

يُستعمل عُرفاً فيما ذكر ، لأن من نصح غيره فلم يَقبل منه حتى قُتل ، ويراه ناصحُه فإنه يقول له : كم نصحتُك فلم تقبل حتى أصابك هذا !! حثًّا للسَّامعين له ، على قبولهم النصيحة [1] .

٢٣ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴾[2] .

عبَّر هنا بلفظ السَّرف والإسم ، وفي « النَّمل » بلفظ الجهل والفعل [3] تكثيراً للفائدة في التعبير عن المراد ، بلفظيْن متساوييْن معنىً ، إذْ كلُّ سَرَفٍ جهلٌ ، وبالعكس ، ورعايةً للفواصل في التعبير بالإسم والفعل ، إذِ الفواصلُ هنا أسماء وهي : « العالمين ، المرسلين ، النَّـاصحين » إلى آخرها .

وفي النَّمـل أفعال وهي : « يعلمـون ، يتقون ، يبصرون » فناسب الإسم هنا ، والفعلُ ثَمَّ .

٢٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إلَّا أَنْ

---

(١) هذا كما قال النبي ﷺ لقتلى المشركين عندما أُلقوا في القليب ببدر : يا فلان ويا فلان ، يناديهم بأسمائهم هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ فإني وجدتُ ما وعدني ربي حقاً . . القصة .

(٢) سورة الأعراف آية (٨١) .

(٣) أشار إلى قوله تعالى ﴿أئنكمْ لتأتون الرجال شهوةً من دونِ النساء بل أنتم قومٌ تجهلون﴾ (النمل آية (٥٥) .

قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ .. ﴾[1] قاله هنا بالواو ، وفي « النمل »[2] وفي « العنكبوت »[3] في الموضعيْن بالفاء .

لأن ما هنا : تقدَّمه اسمٌ هو « مُسْرِفونَ » والاسم لا يناسبه التعقيبُ . وما في تَيْنِكَ تقدَّمه فعلٌ ، هو « تجهلون » و « تقطعون » و « تأتون في ناديكُمُ المنكر » ، والفعل يناسبُه التعقيبُ ، فناسبَ ذكرُ الفاءِ الدَّالة عليه ثَمَّ ، وذكرُ « الواو » هنا .

٢٥ ـ قوله تعالى: ﴿ لَنُخْرِجنَّك يا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيتِنا أَوْ لَتعُودُنَّ في مِلَّتنا .. ﴾[4]. فيه تغليبُ الجمعِ على الواحد ، إذ منهم شعيبٌ ، ولم يكن في ملَّتهم حتى يعود إليها ، وكذا قول شعيب « إنْ عُدْنا في مِلَّتِكُمْ بعدَ إذْ نجَّانَا اللَّهُ منهَا » على أن « عادَ » تأتي بمعنى صار ، كما في قوله تعالى ﴿ حتَّى عَادَ كَالعُرْجونِ القَدِيمِ ﴾[5] والمعنى : إن صرنا في ملَّتكم .

---

(١) سورة الأعراف آية (٨٢)

(٢) أشار إلى قوله تعالى ﴿فما كانَ جوابَ قومِهِ إلَّا أنْ قالُوا أخرجُوا آلَ لوطٍ من قريتكُمْ﴾ النمل آية (٥٦)

(٣) أشار إلى قولِه تعالى ﴿فَمَا كَانَ جوابَ قومِهِ إلَّا أنْ قالوا آئْتِنَا بِعذابِ اللَّهِ إنْ كنتَ مِنَ الصَّادقين﴾ العنكبوت آية(٢٩) .

(٤) سورة الأعراف آية (٨٨) .

(٥) سورة يسٓ آية (٣٩) .

٢٦ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ . . ﴾[١] .

قاله هنا بحذف المعمول وهو « به ». . وفي« يونس»[٢] بإثباتِه تَبَعاً لما قبلهما في الموضعين .

إذْ قبلَ ما هنا « ولكنْ كذَّبوا » وقبل ما في يونس « كذبوا بآياتنا » بإثباته .

٢٧ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾[٣] . مع قوله بعدُ **﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الكَافِرِينَ ﴾[٤]** .

قاله هنا أولاً بالنون ، وإضمار الفاعل ، وثانياً بالياء وإظهار الفاعل ، وقال في « يونس » بالنون والإضمار[٥] . . لأن الآيتين هنا تقدمهما الأمران : الياء مع الإظهار مرتين في قوله تعالى : **﴿أفأمنوا مكر اللَّهِ**

(١) سورة الأعراف آية (١٠٠) .

(٢) أشار إلى قوله تعالى ﴿ثم بعثنا من بعده رُسُلاً إلى قومِهِم فجاءوهُمْ بالبيِّناتِ فما كانُوا ليؤمِنُوا بما كذَّوْا بِهِ من قبلُ كذلكَ نَطبعُ على قُلُوبِ المعتدين﴾، يونس(٧٤) .

(٣) سورة الأعراف آية (١٠٠)، .

(٤) سورة الأعراف آية (١٠١) .

(٥) أشار إلى قوله تعالى ﴿ كذلك نطبع على قلوب المعتدين﴾ (يونس آية ٧٤) .

فلا يأمنُ مكرَ اللَّهِ إلا القومُ الخاسرونَ﴾ والنون مع الإضمار في قوله **﴿أنْ لَوْ نشاءُ أَصَبْناهم بـذنوبهم﴾** فناسبَ الجمعُ بين الأمرين هنا .

والآية ثَمَّ تقدَّمها النونُ مع الإضمار فقط ، في قوله «فنجيناهم » «وجعلناهم » « ثمَّ بعثنا » فناسبَ الاقتصار على النون مع الإضمار ثَمَّ .

٢٨ ـ قوله تعالى : ﴿ قَالَ إنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَائتِ بِهَا إنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[1] .

إن قلتَ : لم قال فرعون هذا ، بعد قوله « إن كنتَ جئتَ بآيةٍ » ؟

قلتُ : معناه إن كنت جئتَ بآيةٍ من عند الله فأتني بها .

فإن قلتَ : كيف قال تعالى هنا حكايةً عن السَّحرة الذين آمنوا وعن فرعون « قالوا آمنا بربّ العالمين . . إلى قوله وتوفنا مسلمين » ثم حكى عنهم هذا في « طه » و « الشعراء » بزيادةٍ ونقصان ، واختلاف ألفاظٍ في الألفاظ المنسوبة إليهم ، والقصةُ واحدة ، فكيف اختلفت عبارتهم فيها ؟

قلتُ : حكى الله ذلك عنهم مراراً ، بألفاظ متساويةٍ

---

(١) سورة الأعراف آية (١٠٦) .

معنى ، جرياً على عادة العرب في التفنُّن في الكلام ، والحذفِ في محلٍّ ، إحالةً على ذكره في محلٍّ آخر ، وإنما خولف في ذلك ، لئلا يُملَّ إذا تمحَّضَ تكرارُه .

والحكمةُ في تكرار قصة موسى وغيرها من القصص ، تأكيدُ التحدي ، وإظهارُ الإِعجاز ، ولهذا سمَّى الله القرآن « مثاني » لأنه تُثنَّى فيه الأخبارُ والقصص، أو إفادة الغائب عن المرَّة السابقة ، فقد كان أصحابُ النبي ﷺ يحضرُ بعضُهم ، ويغيبُ بعضُهم في الغزوات ، فإذا حضر الغائبون ، أكرمهم الله تعالى بإعادة الوحي ، تشريفاً لهم .

٢٩ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ المَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾(١) .

إن قلتَ : كيف نسبَ القول هنا للملأ ، ونسبه في الشعراء لفرعون في قوله تعالى « قَالَ للملأ حولَه إن هذا لساحرٌ عليمٌ » ؟

قلتُ : قاله فرعون وهم ، فحكى قوله ثَمَّ ، وقولهم وحدهم أو معه هنا .

٣٠ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ

---

(١) سورة الأعراف آية (١٠٩) .

﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾[1]. قاله هنا بحذف « بسحره » وقاله في الشعراء بإثباته [2] ، لأن الآية هنا بُنيتْ على الاختصار ، ولأن ما قبل الآية هنا وهو « لساحرٌ عليمٌ » يدلُّ على السحر ، بخلاف الآية ثَمَّ .

٣١ - قوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حاشِرِين ﴾[3] قاله هنا بلفظ « وأَرْسِلْ » وفي الشعراء بلفظ « وابْعَثْ » [4] وهما بمعنى واحد ، تكثيراً للفائدة في التعبير عن المراد ، بلفظيْن متساوييْن معنىً .

٣٢ - قوله تعالى : ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾[5] . قاله هنا وفي « يونس » بلفظ ﴿ سَاحِرٍ ﴾ موافقةً لما قبله ، وهو « إنَّ هذا لَسَاحِرٌ عليمٌ » هنا ، و﴿ **إنَّه لا يفلحُ السَّاحِرونَ** ﴾ في يونس .

وقُرىء « بكل سَحَّار » موافقةً لما في الشعراء [6] .

---

(١) سورة الأعراف آية (١١٠) .

(٢) أشار إلى قوله تعالى﴿قال للملأ حوله إن هذا لسَاحرٌ عليمٌ . يريد أن يخرجكمْ منْ أرضكمْ بسحرِهِ فماذَا تأمرون﴾ الشعراء آية (٣٤) .

(٣) سورة الأعراف آية (١١١) .

(٤) أشار إلى قوله تعالى ﴿قَالُوا أَرْجِهْوَأَخَاه وابْعَثْ في المَدَائِنِ حَاشِرينَ﴾ . الشعراء آية (٣٦) .

(٥) سورة الأعراف آية (١١٢) .

(٦) في قوله تعالى ﴿ يأتوكَ بِكِل سحَّارٍ عليمٍ ﴾ ، الشعراء آية (٣٧) .

٣٣ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ .. ﴾[1]. قاله هنا بلفظ « به » وقال في طه والشعراء بلفظ « له » . لأن الضمير هنا عائدٌ إلى ربِّ العالمين ، وفي تَيْنِكَ إلى موسى ، لقوله فيهما ﴿ إِنَّهُ لَكبيرُكُمْ ﴾ .

وقيل : « آمنتم بِهِ » و « آمنتُم له » واحد .

٣٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[2] .

إن قلتَ : كيف سمَّوْا ذلكَ آيةً مع قولهم « لِتَسْحَرَنا بِهَا » ؟!

قلتُ : إنما سمَّوْه آيةً استهزاءً بموسى ، لا اعتقاداً أنه آية .

٣٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعرِشُونَ ﴾ .

إن قلتَ : ما الجمعُ بينه وبين قوله في الشعراء ﴿ فَأَخرجناهُم من جَنَّاتٍ وعُيونٍ ﴾ ؟ الآية .

قلتُ : معنى « دمَّرْنا » أبطلنا ما كان يصنع فرعون

---

(١) سورة الأعراف آية (١٢٣) .

(٢) سورة الأعراف آية (١٣٢) .

(٣) سورة الأعراف آية (١٣٧) .

وقومه ، من المكر والكيد بموسى عليه السلام « وَمَا كانُوا يعرِشُونَ » يبنون من الصَّرح ، الذي أمر فرعون هامانَ ببنائه ، ليصعد بواسطته إلى السَّماء .

وقيل : هو على ظاهره من أنَّ معنى « دمَّرنا » أهلكنا ، لأن اللَّه تعالى أورث ذلك بني إسرائيل مدَّة ثمَّ دمَّره .

٣٦ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (٢) .

أي نعمةٌ عظيمةٌ، إن جعلتَ الإشارة راجعة إلى الإنجاء في قوله تعالى « وإذْ أنجيناكُمْ مِنْ آلِ فرعونَ » .

أو محنةٌ عظيمةٌ ، إن جعلتَ الإشارة راجعة إلى قتل الأبناء ، واستحياءِ النساء (٣) ، في قوله تعالى « يُقتِّلون أبناءكُمْ ويستحيون نسائكم » . إذِ البلاءُ بين « النِّعمة » و « المِحنة » قال تعالى :﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ وقال : **﴿ونبلوكُمْ بالشرِّ والخيرِ فتنةً وإلينَا تُرْجَعونَ﴾(٤)**

---

(١) سورة الأعراف آية (١٤١) .

(٢) القول الثاني أرجح أن فيها محنة عظيمة ، وابتلاءً كبيراً لهم لأمرين : **أولاً** أن المحنة بالبلاء أشدُّ وأعظم على النفس من المحنة بالنعماء ، وثانياً لأن الإشارة تعود إلى أقرب المذكورَيْن ، وهو هنا تقتيل الأبناء واستحياء النساء والله أعلم .

(٣) سورة الأعراف آية (١٦٨)

(٤) سورة الأنبياء آية (٣٥)

٣٧ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ . . ﴾[١] الآية .

فإن قلتَ : المواعدةُ كانتْ أمراً بالصَّوم ِ في هذا العدد ، فكيف ذكرَ الليالي مع أنها ليست محلاً للصوم ؟ !

قلتُ : العربُ في أغلب تواريخها، إنما تذكرُ الليالي ، وإن أرادت الأيام ، لأنَّ الليل هو الأصلُ في الزمان ، والنَّهار عارضٌ ، لأن الظُّلمة سابقةٌ في الوجود على النور ، مع أن الليل ظرف لبعض الصوم وهي النيَّة ، التي هي ركنٌ فيه .

٣٨ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً . . ﴾[٢] .

إن قلتَ : ما فائدتُه مع علمه ممَّا قبله ؟

قلتُ : فائدتُه التوكيد ،والعلمُ بأن العشر ليال ٍ ، لا ساعات ، ورفعُ توهُّم أن العشر داخلةٌ في الثلاثين ، بمعنى أنها كانت عشرين وأُتمَّت بعشر .

٣٩ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ

---

(١) سورة الأعراف آية (١٤٢).

(٢) سورة الاعراف آية (١٤٢) .

وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِين .. ﴾[1] أي أنا أول من آمن من بني إسرائيل في زمني .

أو بأنك لا تُرى في الدنيا بالحاسَّة الفانية .

٤٠ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾[2] « بأحسنها » أي التوراة .

إن قلتَ : كيف قال « بأحسنها » مع أنهم مأمورون بجميع ما فيها ؟

قلتُ : معنى « بأحسنها » بحسَنها وكلُّها حسنٌ . .أو أُمروا فيها بالخير ، ونُهوا عن الشرِّ ، وفعلُ الخير أحسنُ من ترك الشرِّ ، أو أن فيها حسناً وأحسن ، كالقَوَد والعفو ، والانتصار والصبر ، والمأمور به والمباح ، فأُمروا بما هو الأكثر ثواباً .

٤١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ .. ﴾[3] ليس المرادُ من بعد زمنِ موسى، لأن اتخاذ قومه ذلكَ إنما كان في زمنه ، بل المرادُ

---

(١) سورة الأعراف آية (١٤٣) .

(٢) سورة الأعراف آية (١٤٥) .

(٣) سورة الأعراف آية (١٤٨) .

من بعد ذهابه إلى الجبل ، أو من بعد عهده إليهم أن لا يعبدوا غير الله .

٤٢ - قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾(١) أي ندموا على عبادتهم العجل .

إن قلتَ : كيف عبَّر عن الندم بالسُّقوط في اليد ؟

قلتُ : لأن عادة من اشتدَّ ندمه على فائتٍ ، أن يعضَّ يده غمّاً ، كما في قوله تعالى ﴿ **ويومَ يَعَضُّ الظَّالمُ على يديْهِ** ﴾ فتصيرُ يده مسقوطاً فيها ، لأن فاه قد وقع فيها .

٤٣ - قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً . .﴾(٢) الآية .

إن قلتَ : يعني غضبانَ عن أسف ؟

قلتُ : لا ، لأنَّ « الأسِفَ » الحزينُ ، وقيل : الشديدُ الغضب .

٤٤ - قوله تعالى: ﴿ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾(٣). الجملة الثانية فيها حالٌ من الألواح ، والمعنى : أخذ الألواحَ ، والحالُ أن فيها نُسِخَ

---

(١) سورة الأعراف آية (١٤٩).

(٢) سورة الأعراف آية (١٥٠).

(٣) سورة الأعراف آية (١٥٤).

فيها أي كُتب - هُدىً ورحمة .

٤٥ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ **وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** [١] ﴾ أي اتبعوا القرآن الذي أُنزل معه - أي مع النبي - ﷺ .

فإن قلت : القرآنُ لم ينزل مع النبي ، بل عليه ، وإنما نزل مع جبريل ؟!

قلتُ : « معه » بمعنى مقارناً لزمنه ، أو بمعنى عليه ، أو هو متعلقٌ باتَّبعوا أي اتبعوا القرآن كما اتَّبعه هو ، مصاحبينَ له في اتباعه .

٤٦- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ **وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ** ﴾[٢] خصَّ الصلاة بالذكر ، مع دخولها فيما قبلَها ، إظهاراً لمرتبتها ، لكونها عمادَ الدين ، وناهيةً عن الفحشاء والمنكر .

٤٧ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ **فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ** . . ﴾[٣] الآية .

فإن قلتَ : هذا تمثيلٌ لحال « بلعام »[٤] فكيف قال

---

(١) سورة الأعراف آية (١٥٧) .

(٢) سورة الأعراف آية (١٧٠) .

(٣) سورة الأعراف آية (١٧٦) .

(٤) هو « بلعام بن باعوراء » وقيل : بلعم ، من علماء بني إسرائيل ، وهو مثلٌ لعلماء السوء الذي باع دينه طمعاً في حطام الدنيا ، فضرب الله له مثلاً بالكلب اللاهث في حالتيْ التعب والراحة .

بعده « سَاءَ مثلاً القومُ » ولم يُضرب إلَّا لواحد ؟

قلتُ : المَثَلُ في الصُّورة وإن ضُرب لواحد ، فالمرادُ به كفَّارُ مكة كُلُّهم ، لأنهم صنعوا مع النبي ﷺ ، بسبب ميلهم إلى الدنيا ، من الكيد والمكر ، ما يُشبه فعل « بلعام » مع موسى .

أو أنَّ « سَاءَ مثلاً القَوْمُ » راجعٌ إلى قوله تعالى « ذَلِكَ مَثَلُ القَوْمِ » لا إلى أول الآية .

٤٨ - قوله تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ . . ﴾[١] .

إن قلتَ : كيف جمع بين الأمرين ؟

قلتُ : المراد بالأول تشبيههم بالأنعام ، في أصل الضلال لا في مقداره ، وبالثاني في بيان مقداره . **وقيل** : المرادُ بالأول التشبيه في المقدار أيضاً ، لكنْ المرادُ به طائفة ، وبالثاني أخرى ، ووجهُ كونهم أضلَّ من الأنعام ، أنها تنقاد لأربابها ، وتعرف من يُحسنُ إليها ، وتجتنبُ ما يضرُّها . . وهؤلاء لاينقادون لربهم ، ولا يعرفون إحسانه إليهم ، من

---

(١) سورة الأعراف آية (١٧٩) .

إساءة الشيطان ، الذي هو عدوُّهم .

٤٩ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[١] .

إن قلتَ : كيف خصَّ المؤمنين بالذِّكرِ ، مع أنه نذيرٌ وبشيرٌ للنَّاس كافة ، كما قال تعالى ﴿ **وما أرسلناكَ إلَّا كافَّةً للنَّاسِ بشيراً ونذيراً** ﴾ ؟

قلتُ : خصَّهم بالذّكر ، لأنهم المنتفعون بالإنذار والبشارة .

٥٠ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا . . ﴾[٢] الآية .

إن قلتَ : كيف قال عن « آدم وحواء » ذلكَ ، مع أن الأنبياء معصومون عن مطلق الكبائر ، فضلاً عن الشِّرك الذي هو أكبرُ الكبائر ؟ !

قلتُ :فيه حذفُ مضافٍ، أي جعل أولادُهما[٣] شركاءَ له « فيما آتاهما » أي آتى أولادهما ، بقرينة قوله تعالى :

---

(١) سورة الأعراف آية (١٨٨).

(٢) سورة الأعراف آية (١٨٩) .

(٣) هذا هو الصحيح أن الضمير يعود على ذرية آدم بدليل قوله﴿فَتَعَالى اللَّهُ عمَّا يشركون﴾.

فتعالى اللهُ عما يُشركونَ ﴾ بالجمع . ومعنى إشراك أولادهما فيما آتاهُم اللهُ ، تسميتهم أولادهم بـ « عبد العُزَّى » و « عبد مناة » و « عبد شمس » ونحوها ، مكان « عبد الله » و « عبد الرحمن » و « عبد الرحيم » .

٥١ - قوله تعالى : ﴿ قُلْ لاَ أَمْلكُ لِنَفْسِي نَفْعاً ولاَ ضرًّا إلاَّ مَا شَاءَ اللهُ . . ﴾[١] .قدَّم النَّفع هنا على الضُرِّ ، وعكسَ في « يونس »[٢] لأن أكثر ما جاء في القرآن ، من لفظيْ : الضُرِّ ، والنفع معاً ، جاء بتقديم الضُرِّ على النفع ، ولو بغير لفظهما ، كالطَّوْع والكُره في الوعد ، لأن العابد يعبد معبوده ، خوفاً من عقابه أولاً ، ثمَّ طَمَعاً في ثوابه ثانياً ، كما قال تعالى « يدعون ربَّهم خوْفاً وطَمَعاً » ، وحيث تقدَّم النَّفع على الضُّرِّ ، تقدَّمه لفظ تضمَّن نفعاً ، وذلك في ثمانية مواضع : هنا وفي الرَّعدِ[٣] ، وسبأ[٤] ، والأنعامِ ،

---

(١) سورة الأعراف آية (١٨٨)

(٢) أشار إلى قوله تعالى ﴿وَيَعْبدونَ من دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهم وَلاَ يَنْفعُهمْ﴾ ، يونس آية (١٨) .

(٣) في قوله تعالى﴿قل أفاتخذتم من دونه أولياء لايملكونَ لأنفسهم نفعاًولا ضراً﴾ الرعد آية (١٦) .

(٤) في قوله تعالى ﴿ فاليوم لا يملكُ بعضكم لبعضٍ نفعاًولا ضَرّاً . . ﴾(سبأ ، آية (٤٢) .

(٥) في قوله تعالى ﴿قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا . . ﴾ الأنعام آية (٧١) .

وآخر يونس[1] ، وفي الأنبياء[2] ، والفرقـانِ[3] ، والشُّعراءِ » [4] [5]

فقدَّم هنا النفع لموافقة قوله قبله « من يهدِ اللّٰهُ فهو المهتدي » الآية. وقوله بعده ﴿ لاستكثرتُ من الخير وما مسَّني السُّوءُ ﴾ إذِ الهدايةُ والخير من جنس النفع ، وقدَّم الضُرَّ في آخر يونس على الأصـل ولموافقة قوله قبله « ما لا يضرُّهم ولا ينفعهم » .

« تمت سورة الأعراف »

***

---

(١) في قوله تعالى ﴿ ولا تَدْعُ منْ دونِ اللَّهِ مَا لا ينفعُكَ ولا يَضُرُّكَ فإنْ فعلتَ فإنَّكَ إذاً من الظَّالمينَ ﴾ يونس آية (١٠٦) .

(٢) في قوله تعالى﴿قال أفتعبدونَ من دون الله ما لا ينفعكم شيئاًولا يضرُّكم . . ﴾ الأنبياء آية (٦٦) .

(٣) في قوله تعالى ﴿ويعبدون من دون الله ما لا ينفعُهم ولا يضرُّهم وكان الكافرُ على ربِّه ظهيراً﴾(الفرقان آية (٥٥) .

(٤) في قوله تعالى ﴿ قال هل يسمعونكم إذ تدعون . أو ينفعونكم أو يضرُّون﴾ الشعراءآية (٧٣)

(٥) والثامنة في الأعراف ﴿ ولا تدعُ من دونِ اللَّهِ ما لَا يَنْفعكَ ولا يضُرُّكَ . . ﴾ الأعراف آية (١٠٦) .

سُورَة الأَنفَال

١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّما المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [١] الآية. أي خافت، والمرادُ بالمؤمنين هنا، وفي قوله بعدُ: ﴿أولئِك همُ المؤمنونَ حقاً﴾ الكاملون..

٢ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيماناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [٢]

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن حقيقة الإيمان - عند الأكثر - لا تزيد ولا تنقص، كالإِلٰهية والوحدانية؟

قلتُ: المرادُ بزيادته آثارُه من الطمأنينة، واليقين، والخشية ونحوها، وعليه يُحمل ما نُقل عن الشافعي من أنه يقبل الزيادة والنقص.

٣ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ

---

(١) سورة الأنفال آية (٢).

(٢) سورة الأنفال آية (٢).

بِالحَقِّ ﴾ [1] الآية ،الكاف للتشبيه أي امضِ على ما رأيته صواباً ، من تنفيل الغُزاة في قسمة الغنائم وإن كرهوا [2] ، كما مضيت في خروجك من بيتك بالحق وهم كارهون

٤ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ لِيُحِقَّ الحَقَّ وَيُبْطِلَ البَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ المُجْرِمُونَ ﴾ [3] .

إن قلتَ : فيه تحصيل الحاصل ؟

قلتُ : لا ، لأن المراد بالحقِّ الإيمان ، وبالباطل الشرك .

فإن قلتَ : ما فائدة تكرار « ليُحقَّ الحقَّ » هنا مع قوله قبلُ **﴿ويريدُ اللّهُ أنْ يُحقَّ الحقَّ بكلماتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الكَافِرينَ ﴾**

قلتُ : فائدتُه أنه أُريد بالأول ، ما وعدَ اللّهُ به في هذه الواقعة ، من النَّصر والظفر بالأعداء ، بقرينة قوله عَقِبه « ويقطع دابرَ الكافرين » .

وبالثاني تقوية الدّين ، ونصرةُ الشريعة ، بقرينة قوله

---

(١) سورة الأنفال آية (٥) .

(٢) قال الطبري المعنى : كما أخرجك ربك بالحقّ على كُرهٍ من فريقٍ من المؤمنين ، كذلك يجادلونك في الحقّ بعدما تبين . الطبري ١٣ / ٢٩٣ .

(٣) سورة الأنفال آية (٨) .

عقبه « ويُبطل الباطل »

٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ الآية (١)

إن قلتَ : كيف نفى عن المؤمنين قتلَ الكفَّار ، مع أنهم قتلوهم يوم بدر ، ونفى عن النبي ﷺ رميهم ، مع أنه رماهم يوم بدر بالحصباء في وجوههم ؟ !

قلتُ : نفيُ الفعل عنهم وعنه باعتبار الإيجاد ، إذ الموجد له حقيقةً هو اللّهُ تعالى ، وإثباته لهم وله باعتبار الكسب والصورة (٢) .

٦ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهَ ولا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ (٣). ثنَّى في الأمر ، وأفرَد في النهي ، تحرُّزاً بالإفراد عن الإخلال بالأدب من النبي ﷺ ، عن نهيه الكفار في قِرانه بين اسمه واسم الله تعالى ، في ذكرهما بلفظٍ واحدٍ ، كما رُوِيَ أن خطيباً خطبَ فقال : « من أطاعَ اللّهَ ورسوله فقد رشدَ ، ومن عصاهما

---

(١) سورة الأنفال آية (١٧)

(٢) معنى الآية : فلم تقتلوهم أيها المسلمون بقوتكم وقدرتكم ، ولكنَّ الله قتلهم بإلقاء الرعب في قلوبهم ، وما رميت يا محمد في الحقيقة أعين الكفار بقبضةٍ من تراب ، ولكنَّ الله أوصلها إليهم فالأمر في الحقيقة له سبحانه .

(٣) سورة الأنفال آية (٢٠) .

فقد غوى » فقال له النبي ﷺ : بئس خطيبُ القوم أنت ، هلَّا قلتَ : ومن عصى اللَّهَ ورسوله فقد غوى ! !

أو أُفرد باعتبار عوده إلى اللّهِ وحده ، لأنه الأصل ، مع أن طاعة الله ، وطاعة رسوله متلازمتان . أو أنَّ الاسم المفرد ، يأتي في لغة العرب ويُراد به الإثنان والجمع ، كقولهم: إنعامُ فلانٍ ومعروفُه يُغنيني، والإنعامُ والمعروف لا ينفعُ مع فلان ، وعلى ذلك قوله تعالى « وَاللَّهُ ورسولُهُ أحقُّ أن يُرْضُوهُ » [1] .

٧ـ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [2] معناه : ولو علم الله فيهم إيماناً في المستقبل ، لأسمعهم سماع فهمٍ وقبول ، أو لأنطق لهم الموتى ، يشهدون بصدق نبوَّتك كما طلبوا ، ولو أسمعهم أو أنطق لهم الموتى ، يشهدون بما ذُكر ، بعد أن علم أن لا خير فيهم ، لتولَّوْا وهم معرضون ، لعنادهم وجحودهم الحق بعد ظهوره [3] ، وتقدَّم في البقرة الكلام على الجمع بين التولّي والإعراض .

---

(١) سورة التوبة آية (٦٢) .

(٢) سورة الأنفال آية (٢٣) .

(٣) الغرضُ من الآية تسليةُ النبي ﷺ في عدم إيمان المشركين ، فإن الله تعالى لو علم فيهم الخير والإيمان لهداهم إليه ، ولكنهم لفرط كفرهم وعنادهم لو أسمعهم الله على سبيل الفرض ـ وقد علم أن لا خير فيهم ـ للجُّوا في كفرهم وعنادهم .

٨ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾[١] الآية .

إن قلتَ : قد عذَّبهم اللَّهُ يومَ بدرٍ والنبيُّ ﷺ فيهم ؟

قلتُ : المراد « وأنت فيهم » مقيمٌ بمكة ، وتعذيبهم ببدر إنما كان بعد خروجه من مكة .

أو المرادُ : ما كان الله ليعذبهم العذاب الذي طلبوه وهو إمطار الحجارة [٢] وأنت فيهم .

٩ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[٣] الآية.

إن قلتَ : هذا يُنافي قولَه أولاً ﴿وما كانَ اللَّهُ لِيُعذِّبهم وأنت فيهمْ﴾ ؟ !

قلتُ : لا منافاة ، لأن الأول مقيَّدٌ بكونه ﷺ فيهم ، والثاني بخروجه عنهم .

---

(١) سورة الأنفال آية (٣٣) .

(٢) المرادُ بالعذاب هنا عذاب الاستئصال الذي طلبوه في كلمتهم الشنيعة ﴿ وإذْ قالوا اللَّهُمَّ إن كان هذا هو الحقَّ من عندك فأمطرْ علينا حجارة من السماء أو آئتنا بعذاب أليم ﴾ فهم قد طلبوا الهلاك لأنفسهم لسفههم، فذكر تعالى أنه لا يعذبهم ذلك العذاب الشامل إكراماً لرسوله ﷺ ، فقد جرت سنة الله تعالى ألا يعذب أُمة ونبيُّها بين ظهرانيها كما قال ابن عباس : لم تُعذب أمة قط ونبيها فيها .

(٣) سورة الأنفال آية (٣٤) .

أو المرادُ بالأول عذاب الدنيا ، وبالثاني عذابُ الآخرة .

١٠ -قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾[1] الآية،أي إلَّا صفيراً وتصفيقاً .

١١ -قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَإذْ يُرِيكُمُوهُمْ إذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً ﴾[2] الآية .

إن قلتَ : فائدة تقليل الكفَّار في أعين المؤمنين ظاهرٌ ، وهو زوال الرعب من قلوب المؤمنين ، فما فائدةُ تقليل المؤمنين في أعين الكفار في قوله « ويُقلِّلكم في أعينهم » ؟

قلتُ : فائدته أَلَّا يبالغوا في الإستعداد لقتال المؤمنين ، لظنِّهم كمال قدرتهم فيقدموا عليهم ، ثُمَّ تفجؤهم كثرةُ المؤمنين ، فيُدهشوا ، ويتحيروا ، ويفشلوا .

١٢ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[3] الآية. أي لا تتنازعوا في أمر الحرب ، بأن

---

(١) سورة الأنفال آية (٣٥) .

(٢) سورة الأنفال آية (٤٤) .

(٣) سورة الأنفال آية (٤٦) .

تختلفوا فيه ، وإلاَّ فالمنازعةُ في إظهار الحقِّ مطلوبة ، كما قال تعالى ﴿**وجادلْهُم بالّتي هيَ أحسنُ**﴾ .

١٣ - قوله تعالى : ﴿إنّي أَخافُ اللّهَ واللّهُ شَـدِيدُ العِقَــابِ﴾ [١] .

إن قلتَ : كيف قال الشيطان ذلك ، مع أنه لا يخافه وإلاَّ لَمَا خالفه وأضلَّ عبيده ؟ !

قلتُ : قاله كذباً كما قاله قتادة[٢] ، أو صدقاً كما قاله عطاءٌ ، لكنَّه خالف عناداً .

أو الخوف بمعنى العلم ، كما في قوله تعالى ﴿**إلَّا أنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حدودَ اللّهِ**﴾ أي أعلمُ صدق وعد اللّهِ نبيَّه النصر .

١٤ - قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَتوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [٣] . جوابه محذوفٌ أي يَغْلِبْ ، دلَّ عليه قوله تعالى : « فإنَّ اللَّهَ عزيزٌ حكيمٌ » أي غالبٌ .

١٥ - قوله تعالى : ﴿كَدأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ

---

(١) سورة الأنفال آية (٤٨) .

(٢) قال قتادة : قال إبليس ﴿إني أرى ما لا ترون﴾ وصدق فقد رأى الملائكة يتقدمهم جبريل ، وقال ﴿إني أخافُ الله﴾ وكذب واللّهِ ، ما به مخافةُ الله ، ولكنه علم أنه لا قوة له ولا منعة . وانظر كتابنا صفوة التفاسير ١/٥٠٨ .

(٣) سورة الأنفال آية (٤٩) .

قَبْلِهِمْ ﴾[1] الآية. كرَّره[2] لأنَّ الأول إخبار عن عذابٍ ، لم يمكِّنِ اللهُ أحداً من فعله ، وهو ضربُ الملائكة وجوههم وأدبارهم ، عند نزعِ أرواحهم .

والثاني : إخبارٌ عن عذاب مكَّن اللهُ النَّاس من فعلِ مثله ، وهو الإهلاك والإغراق .

أو معنى الأول « كدأبِ آلِ فرعون » فيما فَعَلوا ، والثاني « كدأب آلِ فرعون » فيما فُعِلَ بهم .

أو المرادُ بالأول كفرهم بالله ، وبالثاني تكذيبهم الأنبياء .

١٦ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمنون﴾[3] .

إن قلتَ : ما فائدةُ « فهم لا يُؤْمنون » بعد ذكرِ ما قبله ؟ !

قلتُ : مرادُه أن يُبَيِّنَ أنَّ شرَّ الدوابِّ هم الذين

---

(١) سورة الأنفال آية (٥٤) .

(٢) جاءت الآية مكررة مرتين : الثانية ﴿ كدأبِ آلِ فرعونَ والذينَ من قبلهم كذَّبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعونَ وكلٌّ كانوا ظَالمين ﴾ والاولى هي التي ذكرها وتتمتها ﴿ كفروا بآياتِ اللهِ فأخذهم الله بذنوبهمْ إنَّ الله قويٌ شديدُ العقاب ﴾ .

(٣) سورة الأنفال آية (٥٥) .

كفروا ، واستمروا على كفرهم إلى وقتِ موتهم .

١٧ ـ **قَوْلُهُ تَعَالَىٰ** : ﴿ **فإنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ** . . ﴾[١] الآيتين . حاصلُه أنَّ البعض منا يقاوم عشرة أعشاره منهم قبل التخفيف ، ويقاوم ضعفه بعده . . وقد كرَّر كلاً من المعنييْن في الآيتين .

وفائدةُ **التكرارِ** الدَّلالة على أن الحال مع الكثرة والقلة لا يختلف ، فكما تَغلِبُ العشرون المـائتين ، تغلب المائةُ الألف ، وكما تغلبُ المائةُ المائتينِ ، يغلبُ الألفُ الألفين .

١٨ ـ **قَوْلُهُ تَعَالَىٰ** : ﴿ **تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا والـلَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حكِيمٌ** ﴾[٢]. « واللَّهُ يريدُ الآخرة » أي ثوابها ، وإلَّا فهو كما يريد الآخرة ، يريدُ الدنيا وإلَّا فما وُجدتْ .

١٩ ـ **قَوْلُهُ تَعَالَىٰ** : ﴿ **إنَّ الَّذينَ آمَنُوا وَهَاجَـرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبيلِ اللَّهِ** ﴾[٣].قدَّم هنا « بأموالهم وأنفسِهم » على قوله « في سبيـلِ اللّهِ » وَعَكَسَ في

---

(١) سورة الأنفال آية (٦٦) .

(٢) سورة الأنفال آية (٦٧) .

(٣) سورة الأنفال آية (٧٢) .

« براءة » [1] لأنَّ ما هنا تقدَّمه ذكر المال والأنفس ، في قوله تعالى « تُريدون عَرَضَ الدُّنيا » وقولِه « لَوْلَا كتابٌ من اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فيمَا أخذتُم » أي من الفداء ، وقوله « فكلوا ممَّا غنمتم » وما في براءة تقدَّمه ذكر « في سبيل الله » فناسب تقديم « بأموالهم وأنفسهم » وتقديم « في سبيلِ اللّهِ » ثَمَّ .

« تمت سورة الأنفال »

* * *

(١) أشار إلى قوله تعالى ﴿ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ﴾ ، التوبة آية (٢٠) .

سُورَة التَّوبَة

١ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1].

إن قلتَ : لِمَ ترك البسملة فيها دون غيرها ؟

قلتُ : لاختلاف الصحابة في أنَّ « براءة » و« الأنفال » سورتانِ ، أو سورةٌ واحدةٌ ، نظراً لأن كلاًّ منهما نزل في القتال ، فترك بينهما فُرْجة ، عملاً بالأول ، وتُركتْ البسملة عملاً بالثاني .

أو لأنَّ البسملة أمانٌ ، وبراءة فيها قتلُ المشركين ومحاربتُهم ، فلا مناسبة بينهما .

أو لأنَّ الأنفال ، لمَّا تضمَّنت طلبَ موالاة المؤمنين ، بعضهم بعضاً ، وأن ينقطعوا عن الكفَّار بالكلِّية ، وكان قولُه تعالى « براءةٌ منَ اللّهِ ورسولِهِ إلى الَّذينَ عاهدتُمْ منَ

---

(١) سورة التوبة آية (١) .

المشركين » تقريراً وتأكيداً، لذلك تُركتْ البسملة بينهما[1] .

٢ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّر الَّذين كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيم ﴾[2] . كرَّره لأنَّ الأول للمكانِ ، والثاني للزمانِ المذكور قبل ، في قوله تعالى : « فَسِيحوا في الأَرضِ أربعَةَ أشْهُرٍ » .

٣ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ . . ﴾[3]. كرَّره لاختلاف جزاء الشرطِ ، إذْ جزاء الشرط في الأول ، تخليةُ سبيلهم [4] في الدنيا ، وفي الثاني أخوَّتُهم لنا في الدِّين ، وهي ليست عينُ تخليتهم ، بل سببُها .

٤ - قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً . . ﴾[5] . « إلاًّ » أي قرابة « ولا ذمَّة » أي عهداً .

كرَّر ذلك بإبدال الضمير بـ « مؤمنٍ » في قوله تعالى

---

(١) الأظهر أن سبب ترك التسمية ، أن البسملة آية رحمةٍ ، وهذه آيات نزلت بالعذاب ، فلا تناسب بين ذكر آية الرحمة والعذاب والله أعلم .

(٢) سورة التوبة آية (٣) .

(٣) سورة التوبة آية (١١) .

(٤) أشار إلى قوله تعالى في الآية السابقة ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلُّوا سبيلهم إن الله غفور رحيم ﴾ ، آية رقم (٥)

(٥) سورة التوبة آية (٨) .

﴿لا يرقُبون في مؤمنٍ إلاًّ ولا ذِمَّةً﴾ لأن الأول وقع جواباً لقوله « وإنْ يَظْهَرُوا عليكُمْ » أي الكفار . والثاني وقع إخباراً عن تقبيح حالهم .

٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾.خصَّ فيه « أئمة الكفر » بالذِّكر ، وهم رؤساءُ الكفر وقادتُهم ، لأنهم الأصلُ في النكثِ ، والطَّعْنِ في الدِّين .

٦ ـ قوله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابنُ اللّهِ وقالتِ النّصارى المسيحُ ابنُ اللّهِ . .﴾[2] قائل ذلك في كلٍّ منهما بعضُهم ، لا كلُّهم ، فـ« أل » فيهما للعهد ، لا للاستغراق ، كما في قوله تعالى : ﴿إذْ قالت الملائكةُ يامريمُ إنَّ اللّهَ اصطفاكِ﴾ الآية . إذِ القائل لها ذلك إنما هو جبرائيل عليه السلام .

٧ ـ قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ . .﴾[3]. فائدة قوله« بأفواههم » مع أن القول لا يكون إلاَّ بالفم ، الإعلام بأن ذلك مجرَّد

---

(١) سورة التوبة آية (١٢) .

(٢) سورة التوبة آية (٣٠) .

(٣) سورة التوبة آية (٣٠) .

قول ، لا أصل له ، مبالغة في الرَّدِّ عليهم .

٨ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ** . ﴾[(١)] الآية . فائدة ذكر « دين الحقِّ » مع دخوله في الهُدَى قبله ، بيانُ شَـرَفِـهِ وتعظيمه ، كقـوله تعـالى « حَافِظُوا على الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الوُسْطَى » .

أو أنَّ المراد بالهدى القرآنُ ، وبالدِّينِ الإسلامُ .

٩ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ** . . ﴾[(٢)] . أفردَ الضميرَ ، مع تقدُّم اثنين « الذهب والفضة » نظراً إلى عوده إلى الفضة لقربها ، ولأنها أكثرُ من الذَّهب .

أو إلى عـوده إلى المعنى [(٣)] ، لأن المكنوز دراهمُ ودنانير ، ونظيرُه قوله « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا » .

١٠ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿**مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ** . . ﴾[(٤)] .

---

(١) سورة التوبة آية (٣٣) .

(٢) سورة التوبة آية (٣٤) .

(٣) هذا القول أرجح ، فإن الضمير يعود إلى ما كنزوا من أموال ، أي والذين يكنزون الأموال ثم لا ينفقونها في سبيل الله .

(٤) سورة التوبة آية (٣٦) .

إن قلتَ : لِمَ خصَّ الأربعة الحُرُم بذلك ، مع أن ظلم النفس منهيٌّ عنه في كل زمانٍ ؟

قلتُ : لم يَخُصَّها به ، إذِ الضمير عائدٌ إلى « اثنا عشر شهراً » كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما ، لا إلى الأربعة الحُرُم فقط .

أو خصَّها به لقربها ، أو لمزيد فضلها وحرمتها عندهم في الجاهلية .

١١ - قوله تعالى : ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا . .﴾[١] . أي لا يستأذنوك في التخلُّف عن الجهاد .

إن قلتَ : كيف قال ذلك ، مع أن كثيراً من المؤمنين ، استأذنوه في ذلك لعذرٍ ، أخذاً من قوله تعالى ﴿إنَّما المُؤْمِنُونَ الَّذينَ آمَنُوا باللّهِ وَرَسُولِهِ وَإذَا كانوا معه على أمرٍ جامعٍ لم يذهبوا حتى يستأذنوه ﴾[٢] .

قلتُ : لا منافاة ، لأن ذلك نفيٌ بمعنى النهي كقوله تعالى : ﴿فلا رَفَثَ وَلَا فسوقَ ولا جدال في الحجِّ ﴾ أو هو

(١) سورة التوبة آية (٤٤) .

(٢) سورة النور آية (٦٢) .

منسوخٌ كما قال ابن عباس بقوله « لم يذهبوا حتّى يستأذنوه » .

أو المراد أنهم لا يستأذنوه في ذلك لغير عذر .

١٢ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾[1].

إن قلتَ : كيف أمرهم بالقعود عن الجهاد ، مع أنه ذمَّهم عليه ؟

قلتُ : إنما أمرهم بذلك أمر توبيخ ، كقوله تعالى « اعملوا ما شِئْتُمْ » بقرينة قوله « مع القاعدينَ » أي من النّساء ، والصِّبيان ، والزّمنَى ، الذين شأنُهم القعودُ في البيوت .

أو الآمِر لهم إنما هو الشيطان بالوسوسة ، أو بعضُهم بعضاً .

١٣ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ .. ﴾[2].

فإن قلتَ : إذا علم اللّهُ أن المنافقين ، لوخرجوا مع

---

(١) سورة التوبة آية (٤٦) .

(٢) سورة التوبة آية(٤٧) .

المؤمنين للجهاد ، ما زادوهم إلاَّ خبالاً أي فساداً ، ولأوضعوا خلالهم أي لأسرعوا في السَّعي بينهم بالنميمة ، فكيف أمرهم بالخروج مع المؤمنين ؟

قلتُ : أمرهم بالخروج لإلزامهم الحجَّة ، ولإظهار نفاقهم .

١٤ - قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ﴾[1]. أي كافرين ولو بالنفاق ، بقرينة قوله **﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نفقاتهم إلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا باللَّهِ وَبِرَسُولِهِ﴾**[2] .

١٥ - قوله تعالى ﴿إلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ﴾[3] قاله هنا بالباء في المتعاطفين ، وقاله ثانياً ، وثالثاً بحذفها من المعطوف ، لأن ما في الأول غاية التوكيد بقوله **﴿وما مَنَعَهم أن تُقبل منهم نفقاتهم إلَّا أنهم كفروا﴾** فأكَّد المتعاطفين بالباء ، ليكون الكلام على نسق واحد ، بخلاف الثاني[4]

---

(١) سورة التوبة آية (٥٣)

(٢) سورة التوبة آية (٥٤)

(٣) سورة التوبة آية (٥٤)

(٤) في قوله تعالى ﴿ إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله . . ﴾ .

والثالث (٤) ، لم يتقدمها ذلك .

١٦ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ **فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ** . . ﴾(٢) الآية . قاله هنا بالفاء ،وقاله بعد بالواو(٣) .

لأن الفاء تتضمَّنُ معنى الجزاء ، والفعلُ قبلها في قوله « ولا يأتون الصَّلاة » وقوله « ولا يُنفقون » لكونه مستقبلاً ، يتضمَّن معنى الشَّرط ، فناسب فيه الفاء ، وما بعدُ ذكر قبله « كفروا باللّهِ ورسوله وماتوا وهم فاسقون » والفعلُ فيهما لكونه ماضياً ، لا يتضمَّن معنى الشرط ، فناسب فيه الواو ، وقولُه ﴿**وَلَا أَوْلَادُهُمْ**﴾ ذكره هنا بـ (لا) وفيما بعد بدونها ، لما في زيادتها هنا من التوكيد المناسب لغاية التوكيد ، بالحصر فيما قبلها ، وذلك مفقودٌ فيما بعد .

١٧ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالعَامِلِينَ عَلَيْهَا**. . ﴾(٤) الآية. أضاف فيها الصَّدقات ، إلى

---

(١) في قوله تعالى ﴿ ولا تُصلِّ على أحدٍ منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا باللهِ ورسولِهِ . . ﴾ .

(٢) سورة التوبة آية (٥٥) .

(٣) في قوله تعالى ﴿ ولا تُعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريدُ اللَّهُ أن يُعذّبهم بها في الدنيا وتزهقَ أنفسُهم وهم كافرون ﴾ ، التوبة آية (٨٥) .

(٤) سورة التوبة آية (٦٠) .

الأصناف الأربعة الأولى بلام المُلْك ، وإلى الأربعة الأخيرة بـ « في » الظرفية ، للإشعار بإطلاق المُلْك في الأربعة الأولى ، وتقييده في الأخيرة ، حتى إذا لم يحصل الصرف في مصارفها استرجع ، بخلافه في الأولى ، كما هو مقرَّرٌ في الفقه ، وكُرِّر في الأخيرة في قوله « وفي سبيل الله » حثًّا على الإعانة في الجهاد لشرفه .

١٨ ـ قوله تعالى : ﴿**قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ . .**﴾ الآية .عدَّى الإيمان إلى الله بالباء ، لتضمُّنه معنى التصديق ، ولموافقته ضدَّه وهو الكفر ، في قوله تعالى ﴿**مَنْ كَفَرَ بِاللّهِ**﴾ .

وعدَّاه إلى المؤمنين باللام ، لتضمُّنه معنى الإنقياد ، وموافقةً لكثير من الآيات ، كقوله تعالى ﴿**وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لنا**﴾[٢] وقوله ﴿**أفتطمعون أن يؤمنوا لكم**﴾[٣] وقوله ﴿**أنؤمن لك واتبعك الأرذلون**[٤]﴾ ؟

وأما قوله تعالى في موضع ﴿**قال آمنتم لَهُ قبلَ أن آذن لَكُمْ**﴾ وفي آخر﴿ آمنتم به ﴾فمشتركُ الدلالة ،بين الإيمان

(١)سورة التوبة آية (٦١)

(٢)سورة يوسف آية (١٧)

(٣)سورة البقرة آية (٧٥)

(٤)سورة الشعراء آية (١١١)

بموسى والإيمان بالله ، لأن من آمنَ بموسى حقيقةً آمن بالله كعكسه .

١٩ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فيها . .﴾[١] خبرٌ عن المنافقين الذين سبق ذكرُهم مخلَّدون في النَّار ، فلا يُشكل بأنَّ المؤمن العاصي ، لا يُخَلَّدُ في النَّار .

٢٠ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ . .﴾[٢] .

إن قلتَ : كيف قال ذلك ، مع أن إنزال السورة إنما هو على النبي لا عليهم ؟

قلتُ : « على » بمعنى « في » كما في قوله تعالى ﴿واتَّبعوا ما تتلُوا الشَّياطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمان ﴾[٣] أو أن الإنزال هنا بمعنى القراءة عليهم .

فإن قلتَ : الحذرُ واقع منهم على إنزال السورة ، فكيف قال ﴿إن الله مخرجٌ ما تَحْذَرونَ﴾ ؟

قلتُ : معناه إن الله مظهرٌ ما تحذرون ظهوره من نفاقكم ، بإنزال هذه السورة ، وهو المناسب لقوله

---

(١) سورة التوبة آية (٦٣)

(٢) سورة التوبة آية (٦٤)

(٣) سورة البقرة آية (١٠٢)

﴿تُنبِّئُهُمْ بما في قلوبهمْ﴾ أو مظهرٌ ماتحذرون من إنزال هذه السورة .

فإن قلتَ : « تُنَبئهم بما في قلوبهم » تحصيل الحاصل ، لأنهم عالمون به ؟

قلتُ : تنبِّئُهم بأسرارهم ،وما كتموه ،شائعةً ذائعة ، وتفضحهم بظهور ما اعتقدوا أنه لا يعرفه غيرهم .

٢١ ـ قوله تعالى: ﴿المُنَافِقُونَ وَالمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ . .﴾[1] الآية .

إن قلتَ : كيف قال ذلك هنا بـ« مِنْ » وقال في قوله **﴿والمؤمنونَ والمؤمناتُ بعضُهم أولياءُ بعضٍ﴾** بلفظ « أولياء » مع أنَّ « مِنْ » أدلُّ على المجانسة ، لاقتضائها البعضية ، فكانت بالمؤمنين أولى ، لأنهم أشدُّ تجانساً في الصفات ؟ !

قلتُ : المراد بقوله « بعضُهم من بعضٍ » على دين بعض ، لأن « مِنْ » تأتي بمعنى « على » كما في قوله تعالى **﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ القَوْمِ﴾** وقوله **﴿للَّذينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾** **أي يحلفون على عدم وطئهنَّ** ، والمرادُ بقوله

---

(١) سورة التوبة آية (٦٧)

﴿**بعضهُم أولياءُ بعضٍ**﴾ أنصارهم وأعوانهم في الدِّينِ ، وعلى ذلك فكلٌّ من اللفظيْن يصلح مكان الآخر ، لكن للولاية شرفٌ ، فكانت أولى بالمؤمنين والمؤمنات .

٢٢- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ في الدُّنيا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾[1] أي المنافقون والمنافقاتُ حبطت أعمالهم في الدنياوالآخرة، أما حبطها في الدنيا ، فمن حيثُ كيدهم ومكرُهم وخداعُهم ، التي كانوا يقصدون بها إطفاء نور الله ، ويأبى الله إلا أن يُتم نوره . وأما حبطُها في الآخرة ، فمن حيثُ إن عباداتِهم وطاعاتِهم، أتوا بها رياءً وسمعةً ونفاقاً ، فحبطت أعمالهم من الخبيثات المذكورات ، حيث لم يحصُل بها غرضهم في الدنيا ولا في الآخرة .

وأمَّا عباداتُهم التي تجري بها أحكامُ المسلمين عليهم ، كحقن دمائهم وأموالهم ، فينفقون بها في الدنيا خالصةً ولا عبرة به .

٢٣- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِنْ وَليٍّ وَلاَ نَصيرٍ﴾[2] .

---

(١) سورة التوبة آية (٦٩) .

(٢) سورة التوبة آية (٧٤) .

إن قلتَ : لَمَ خصَّص الأرض بالذكر ، مع أنهم لا وليَّ لهم في الأرض ولا في السماء ، ولا في الدنيا ولا في الآخرة ؟ !

قلتُ :لمَّا كانوا لا يعتقدون الوحدانية ، ولا يصدِّقون بالآخرة ، كان اعتقادهم وجود الوليّ والنَّصير ، مقصوراً على الدنيا ، فعبَّر عنها في الأرض .

أو أراد بالأرض أرض الدنيا والآخرة .

٢٤ ـ قوله تعالى: ﴿ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾[1] الآية.

إن قلتَ : لم خصَّ السَّبعين ، مع أنهم لا يُغفر لهم أصلاً ، لقوله تعالى ﴿ **سَوَاءٌ عَلَيْهِم أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ** ﴾ ولأنهم مشركون، واللهُ لا يَغفر أن يُشرك به ؟

قلتُ : لأن عادة العرب جرتْ بضرب المثل في الآحاد بالسبعة ، وفي العشرات بالسبعين ، استكثاراً ولا يريدون الحصر .

فإن قلتَ : لو كان المراد ذلك ، لما خفيَ على

---

(١) سورة التوبة آية (٨٠) .

أفصح العرب ، وأعلمهم بأساليب الكلام ، حتى قال لما أُنزلت هذه الآية : لأزيدنَّ على السبعين ، لعلَّ اللهَ أن يغفر لهم .

قلتُ : لم يَخْفَ عليه ذلك ، وإنما أراد بما قال إظهار كمال رأفته ، ورحمته بمن بُعث إليهم ، وفيه لطفٌ بأمته وحثٌّ لهم على المراحم ، وشفقة بعضهم على بعض ، وهذا دأبُ الأنبياء عليهم السلام ، كما قال إبراهيم عليه السلام ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غفورٌ رحيم﴾[1] .

٢٥ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾[2]. قاله هنا بالبناء للمفعول ، وقال بعده ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ على قلوبهم فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بالبناء للفاعل ، لأن الأول تقدَّمه مبنيٌّ للمفعول وهو قوله « وَإِذا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ » والثاني تقدَّمه ذكر الله مرَّاتٍ ، فناسب بناء الأول للمفعول ، والثاني للفاعل ، ليناسب الفاعل ما قبله ، ثم ختم كلاً منهما بما يناسبُه ، فقال في الأول « لا يفقهون » وفي الثاني « لا يعلمون » لأنَّ العلم فوق الفقه أي الفهم .

٢٦ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ

---

(١) سورة إبراهيم آية (٣٦) .

(٢) سورة التوبة آية (٨٧) .

﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إلى عَالِمِ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ﴾[1] قاله هنا بـ « ثُمَّ » بحذف « والمؤمنون » . وقاله بعدها بـالواو ، وبذكر « والمؤمنون »[2] .

لأنَّ الأول في المنافقين ، ولا يطَّلع على ضمائرهم إلاَّ الله ، ثم رسولُه بإطلاع اللّهِ إياه عليها . والثـاني في المؤمنين ، وطاعـاتُهم وعباداتُهم ظـاهرةٌ لله ولـرسولـه وللمؤمنين ، وختم الأول بقوله « ثُمَّ تُرَدُّونَ » ليفيد قطعه عمَّا قبله ، لأنه وعيدٌ .. وختم الثاني بقوله « وستردُّون » ليفيد وصله بما قبله لأنه وعدٌ ، فناسب في الأول « ثُمَّ » وحـذفَ « والمؤمنـون » وفي الثـاني « الـواو » وذكـر « والمؤمنون » .

فإن قلتَ : السِّينُ في « سَيَرَى اللّهُ » للاستقبال ، والرؤيةُ بمعنى العلم ، والله تعالى عالمٌ بعملهم حـالاً ومآلاً ، فكيف جمع بينهما ؟ !

قلتُ : معناه في حقِّ الله ، أنه سيعلمه واقعاً مآلاً ، كما علمه غيرَ واقعٍ حالاً ، لأن الله تعالى يعلم الأشياء على

---

(١) سورة التوبة آية (٩٤) .

(٢) أشار إلى الآية بعدها وهي قوله تعالى ﴿ وقلِ اعملوا فسيَرى اللَّهُ عملَكُمْ ورسولُه والمؤمنون وستردُّون إلى عَالمِ الغيبِ والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ التوبة آية (١٠٥) .

ما هي عليه ، فيعلم الواقع واقعاً ، وغير الواقع غيرَ واقع ، أمَّا في حقِّ الرسولِ فهو على ظاهره .

٢٧ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ . .﴾[(١)]

فإن قلتَ : وصفَ العربِ بأنهم جاهلون بذلك ، يُنافي صحَّة الاحتجاج بألفاظهم وأشعارهم ، على كتاب اللَّهِ وسنَّة نبيه ؟ !

قلتُ : لا منافاة ، إذْ وصفُهم بالجهل إنما هو في أحكام القرآن ، لا في ألفاظه ، ونحن لا نحتجُّ بلغتهم في بيان الأحكام ، بل في بيان معاني الألفاظ ، لأن القرآن والسُّنَّة جاءا بلغتهم .

٢٨ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَمِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ . .﴾[(٢)] الآية ، الخطاب لمحمد ﷺ .

فإن قلتَ : كيف نفى عنه علمه بحال المنافقين هنا ، وأثبته له في قوله : ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ في لَحْنِ القَوْلِ﴾[(٣)] ؟

---

(١) سورة التوبة آية (٩٧).
(٢) سورة التوبة آية (١٠١) .
(٣) سورة محمد آية (٣٠).

قلتُ : آيةُ النَّفي نزلت قبل آية الإثبات فلا تنافي .

٢٩ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وآخَرُونَ اعْتَـرَفُوا بِـذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وآخرَ سَيِّئاً ﴾ الآية[١].أي خلطوا كلاً منهما بالآخر .

٣٠ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالنَّاهُون عَنِ الْمُنْكَرِ وَالحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٢].

إن قلتَ : لِمَ عَطَفَه دون ما قبله من الصِّفاتِ ؟

قلتُ : لأنه وقع بعد سبع صفاتٍ ، وعادةُ العربِ أن تُدخلَ الواو بعد السَّبعة .

٣١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إلاَّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ . ﴾[٣]الآية .قال ذلك هنا ،وقال بعد : ﴿إلاَّ كُتِبَ لَهُمْ ﴾ بدون « عمل صالح » ! ! لأنَّ ما هنا مشتمل على ما هو من عملهم وهو قوله : ﴿ولا يَطَئُونَ مَوْطِئاً يَغيظُ الكُفَّارَ ﴾ إلى آخره ، وعلى ما ليس من عملهم وهو قوله ﴿ذَلِكَ بأَنَّهُمْ لا يُصيبهُمْ ظَمَأٌ ﴾ إلى آخره ، فتفضَّل اللّهُ بإجرائه مجرى عملهم في الثواب ، فناسبَ

---

(١) سورة التوبة آية (١٠٢) .

(٢) سورة التوبة آية (١١٢) .

(٣) سورة التوبة آية (١٢٠)

ذلك زيادةُ قوله « به عملٌ صالحٌ » ولهذا عمَّ عقِبَه في قوله ﴿إنَّ اللَّهَ لا يُضيعُ أجرَ المحسنينَ﴾ .

وما ذُكِرَ في الآية الثانية ، مختصٌّ بما هو من عملهم وهو قوله ﴿ولا يُنْفِقُونَ نفقةً صغيرةً﴾ إلى آخره ، ليُكتب لهم ذلك بعينه ، ولهذا خصَّهم عقِبه في قوله : ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أحسنَ ما كانوا يعملونَ﴾ .

وقولُه « أحسن » أي بأحسن ، والمراد بحَسَن عملهم ، إذ لا يختصُّ جزاؤهم بأحسن عملهم . . أو المرادُ ليجزيهم أحسن من الذي كانوا يعملون .

« تمت سورة التوبة »

* * *

سُورَة يُونُس

١ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللهِ حَقّاً . . ﴾[1]

قال ذلك هنا ، وقال في هود : « إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ » لأن ما هنا خطابٌ للمؤمنين والكفار ، بقرينة ذكرهما بعدُ ، وما في « هود » خطابٌ للكفار فقط ، بقرينةِ قوله قبله : « وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ » .

٢ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[2] .

خصَّ التفصيل بالعلماء ، مع أنه تعالى فصَّل الآيات للجهلاء أيضاً ، لأنَّ انتفاعهم بالتفصيل أكثر[3] .

٣ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي القَومَ المُجْرِمِينَ ﴾[4] .

---

(١) سورة يونس آية (٤).

(٢) سورة يونس آية (٥) .

(٣) في المخطوطة المحمودية سقطت كلمة بالتفصيل، وما أثبتناه من مخطوطة جامعة أم القرى.

(٤) سورة يونس آية (١٣) .

قاله هنا بالواو تَبَعاً لها في قوله « وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ » وقاله في مواضع أخر ، بالفاء للتعقيب ، على أصلها .

٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ . . ﴾[١] الآية .

إن قلتَ : كيف قال النبيُّ ذلك ، مع أن الله تعالى أنكر على الكفّار احتجاجهم بمشيئته في قولهم : « لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا » ، ولهذا لا ينبغي لمن فعل معصيةً ، أن يحتجَّ[٢] بقوله : لو شاء الله ما فعلتُها ؟ !

قلتُ : إنَّما قال النبيُّ ذلك،بأمر الله تعالى له فيه[٣] ، بقوله : « قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ . . » وللعاصي أن يَحتجَّ بذلك إذا أمرَ اللَّهُ به .

٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ . . ﴾[٤] الآية .

---

(١) سورة يونس آية (١٦) .

(٢) من المخطوطة المحمودية سقطت كلمة « أن يحتجَّ » وهي موجودة في مخطوطة الجامعة .

(٣) احتجاجه ﷺ بمشيئة الله ، لإقامة الحجة على المشركين، في أن هذا القرآن من عند الله ، أوحاه إلى نبيه ليتلوه عليهم بأمر الله ، فإن الكفار يعلمون أن محمداً ﷺ ما طالع كتاباً، ولا تتلْمَذَ على أستاذ ، ولا تعلَّم من أحد ثم بعد مضيّ أربعين سنة، جاءهم بهذا الكتاب المعجز ، المشتمل على نفائس العلوم والأحكام، ولطائف الأخبار والأسرار، وعجز عنه الفصحاء والبلغاء، أفليس هذا دليلًا قاطعاً، وبرهاناً ساطعاً على أنه تنزيل الحكيم العليم!!

(٤) سورة يونس آية (١٨) .

إنْ قلتَ : كيف نفى عن الأصنامِ الضُرَّ والنفع هنا ، وأثبتهما لها في قوله في الحجّ : « يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ[1] » .

قلتُ : نفيُهما عنها باعتبار الذَّات ، وإثباتُهما لها باعتبار السبب .

٦ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ**[2] . . ﴾ الآية.

إن قلتَ : ما فائدةُ قوله « بغيرِ الحقِّ » بعد قوله « يبغون » مع أن البغيَ ـ وهو الفسادُ من قولهم : بَغَى الجرْحُ[3] أي فسد ـ لا يكونُ إلَّا بغير حقٍّ ؟

قلتُ : قد يكون الفسادُ بحقٍّ ، كاستيلاء المسلمين على أرض الكفار ، وهدم دورهم ، وإحراقِ زرعهم ، وقطعِ أشجارهم ، كما فعل النبي ﷺ ببني قريظة .

٧ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **إِنَّمَا مَثَلُ الحَيَاة الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِن السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْض** . .[4] ﴾ الآية .

إن قلتَ : لَمَ شبَّه الحياة الدنيا بماء السَّماءِ ، دون ماءِ الأرض ؟

قلتُ : لأنَّ ماء السَّماءِ ـ وهو المطرُ ـ لا تأثير لكسبِ

---

(١) سورة الحج آية (١٣) .
(٢) سورة يونس آية (٢٣) .
(٣) في المخطوط « الحرج » وهو خطأ واضح .
(٤) سورة يونس (٢٤) .

العبد فيه ، بزيادةٍ أو نقصٍ ، أو لأنَّه يستوي فيه جميعُ الخلائق ، بخلافِ ماء الأرض فيهما ، فكان[1] تشبيهُ الحياةِ به أنسبَ .

٨ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ . . إلى قوله : فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾[2] .

إن قلتَ : هذا يدلُّ على أنهم معترفون بأنَّ الله هو الخالقُ ، الرازقُ ، المدبِّرُ ، فكيفَ عبدوا الأصنام ؟ !

قلتُ : كلُّهُم كانوا يعتقدون بعبادتهم الأصنامَ ، عبادةَ اللَّهِ تعالى ، والتقرُّبَ إليه ، لكنْ بطرقٍ مختلفةٍ .

ففرقةٌ **قالت** : ليستْ لنا أهليَّةٌ لعبادةِ اللَّهِ تعالى ، بلا واسطة لعظمتِهِ ، فعبدْنَاها لتقرِّبنا إليه تعالى ، كما قال حكايةً عنهم « ما نعبدهم إلَّا لِيُقَرِّبونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى »[3] .

وفرقةٌ **قالت** : الملائكة ذَوُو جاهٍ ومنزلةٍ عند الله ، فاتَّخذنا أصناماً على هيئة الملائكة ، ليقرِّبونا إلى اللَّهِ .

وفرقةٌ **قالت** : جعلنا الأصنام قبلةً لنا في عبادة الله تعالى ، كما أنَّ الكعبة قبلةٌ في عبادته .

وفرقةٌ **اعتقدتْ** أنَّ على كل صنمٍ شيطاناً ، موكَّلاً بأمر الله ، فمن عَبَدَ الصَّنم حقَّ عبادته ، قضى الشيطانُ

---

(١) في مخطوطة الجامعة « ولأنَّ » وفي المحمودية « فكان » وهو الأصوب .

(٢) سورة يونس (٣١) .

(٣) سورة الزمر (٣) .

حوائجَه بأمر الله ، وإلاَّ أصابه الشيطانُ بنكبةٍ بأمرِ الله .

٩ ـ قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ . . ﴾[١] الآية.

إن قلتَ : كيفَ قال ذلك ، مع أنهم غيرُ معترفين ، بوجود الإعادة أصلاً ؟!

قلتُ : لمَّا كانت الإعادةُ ، ظاهرةَ الوجود لظهور برهانها ، وهو القدرةُ على إعدام الخَلْقِ ، والإعادةُ أهونُ بالنسبةِ إلينا ، لزمهم الاعترافُ بها ، فكأنهم مسلَّمون وجودها ، من حيثُ ظهورُ الحجَّةِ ووضوحُها .

١٠ ـ قوله تعالى ﴿ فَإلَيْنا مَرْجِعُهمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى ما يفعَلُونَ ﴾[٢] .

رتَّب شهادته على فعلهم ، على رجوعهم إليـهِ في القيامة ، مع أنه شهيدٌ[٣] عليهم في الدنيا أيضاً ، لأنَّ المراد بما ذُكِرَ نتيجتُه ، وهو العذابُ والجزاءُ ، كأنه قال : ثمَّ اللَّهُ معاقبٌ ، أو مجازٍ على ما يفعلون .

١١ ـ قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذابُهُ بَيَاتاً أَوْ نَهَاراً . . ﴾[٤] الآية .

---

(١) سورة يونس آية (٣٤) . (٢) سورة يونس آية (٤٦) .

(٣) في مخطوطة جامعة أم القرى « شهد » وفي المحمودية « شهيدٌ » وهو الأصوبُ ، لأنه الموافق للنصِّ القرآني .

(٤) سورة يونس آية (٥٠) .

إن قلت : لمَ قال « بياتاً » ولم يقل : ليلاً ، مع أنه أكثرُ استعمالاً ، وأظهرُ مطابقةً مع النَّهار ؟

قلتُ : لأنَّ المعهود في الاستعمال ، عند ذكر الإهلاكِ والتهديد ، ذكرُ البَيَاتِ ، وإن قُرِنَ به النَّهار .

١٢ - قوله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ . . ﴾[1] الآية .

قاله هنا بلفظ « ما » ولم يكرِّرْه ، وقاله بعدُ بلفظ « مَنْ » وكرَّره[2] ، لأنَّ « ما » لغير العقلاء ، وهو في الأَوَّل المالُ ، المأخوذُ من قوله تعالى : « لافْتَدَتْ بِهِ » ، ولم يكرِّر « ما » اكتفاءً بقوله قبله : « وَلَوْ أَنَّ لكلِّ نفسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ »[3] .

و « مَنْ » للعقلاء ، وهم في الثاني قومٌ آذَوْا النبيَّ ﷺ ، فنزل فيهم « ولا يَحْزُنْكَ قولُهُمْ » وكرَّر « مَنْ » لأن المرادَ مَنْ في الأرض ، وهم القومُ المذكورون ، وإنما قدَّم عليهم « مَنْ في السَّماء » لعُلوِّها ، ولموافقة سائرِ الآيات ،

---

(١) سورة يونس آية (٥٥) .

(٢) أشار إلى قوله تعالى ﴿ أَلَا إِنَّ للَّهِ مَنْ فِي السَّمواتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وما يَتَّبِعُ الَّذينَ يدعونَ منْ دونِ اللَّهِ شُركاءَ إنْ يَتَّبعونَ إلاَّ الظَّنَّ وإنْ هُمْ إلاَّ يَخرصُونَ ﴾ .

(٣) سورة يونس آية (٥٤) .

(٤) في المحمودية « ولموافقته » وكلٌّ صحيح .

سوى ما قدَّمتُه في « آل عمران » ، وذكر[1] قوله بعد : « لَهُ مَا في السَّمَواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ » بلفظ « ما » وكرَّر لأن بعض الكفار قالوا « اتَّخذَ اللَّهُ ولداً » فقال تعالى « لهُ ما في السمواتِ وما في الأرض » (أي اتخاذ الولد إنما يكونُ لدفع أذى ، أو جلب منفعة ، واللَّهُ مالكُ ما في السموات والأرض)[2] فكان المحلُّ محلّ « ما » ومحلّ التكرار ، للتعميم والتوكيد .

فإن قلتَ : لمَ خصَّ « ما في السموات وما في الأرضِ » بالذِّكر ، مع أنه تعالى مالكُ أيضاً للسَّموات والأرض وما وراءهما ؟

قلتُ : لأنَّ في السمواتِ والأرض الأنبياءَ ، والملائكةَ ، والعلماءَ ، والأولياء ، ومن يعقلُ فيهم أحقُّ بالذِّكر ، مع أن غيرهم مفهومٌ بالأوْلى .

١٣ - قوله تعالى : ﴿ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ يَوْمَ القِيَامة . . ﴾[3] الآية .

إن قلتَ : هذا تهديدٌ ، فكيف ناسبَه قولُه بعدُ « إنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ على النَّاسِ »[4] ؟

---

(١) في المحمودية « وأكَّد » وهو خطأ .
(٢) ما بين القوسين ساقطٌ من النسخة المحمودية .
(٣) سورة يونس آية (٦٠).
(٤) سورة يونس آية (٦٠) أيضاً .

قلتُ : هو مناسبٌ لأنَّ معناه : إنَّ اللَّهَ لذو فَضْلٍ على النَّاس ، حيثُ أنعم عليهم بالعقـلِ ، وإرسالِ الرُّسلِ ، وتأخيرِ العذابِ ، وفتح باب التوبة ، أي كيف تفترون على اللَّهِ الكذبَ مع تضافر نِعَمِه عليكم ؟!

١٤ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ .. ﴾[١] الآية .

إن قلتَ : كيف جَمعَ الضميرَ ، مع أنه أفرَدَ قبلُ في قوله : « وما تكونُ في شأنٍ وما تتلو منه من قرآن » والخطابُ للنبي ﷺ ؟!

قلتُ : جَمعَ ليدُلَّ على أنَّ الأمَّة ، داخلون مع النبي ﷺ فيما خُوطب به قبلُ ، أو جمعَ تعظيماً للنبي ﷺ كما في قولِهِ تعالى « يَا أَيُّها الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً »[٢] .

١٥ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ .. ﴾[٣]

أي لكَ لستَ مرسلاً ، فالمقولُ محذوفٌ كنظيره في «يسٓ» [٤] ، والوقفُ على « قولُهُمْ » فيهما[٥] لازمٌ ،

---

(١) سورة يونس آية (٦١).

(٢) سورة المؤمنون آية (٥١).

(٣) سورة يونس آية (٦٥).

(٤) وهي قولُه ﴿ فلا يحزنك قولُهم إنا نعلم ما يسرُّون وما يعلنون ﴾ آية (٧٦).

(٥) أي في آية يونس وآية يسٓ ، وإنما كان الوقفُ فيهما لازماً ، لأن المعنى يفسد =

ويمتنع الوصلُ ، لأنه ﷺ منزَّهٌ عن أن يُخاطبَ بذلك .

١٦ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ العِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾[1] .

قال ذلك هنا ، وقال في سورة المنافقين « وَلِلَّهِ العِزَّةُ ولرسُولِهِ وللمؤمنينَ » لأن المراد هنا ، العزَّةُ الخاصَّة باللَّهِ وهي : عزَّةُ الإلّهيّة ، والخلقِ ، والإماتةِ ، والإحياءِ ، والبقاءِ الدائم ، وشِبْهِهَا .

وهناكَ العزَّةُ المشتركةُ ، وهي في حقِّ اللَّه تعالى : القدرةُ ، والغلبةُ .

وفي حقِّ رسوله ﷺ : عُلُوُّ كلمتِه ، وَإظهارُ دينه .

وفي حقِّ المؤمنين : نصرُهم على الأعداء .

١٧ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا . . ﴾[2] الآية .

إن قلتَ : كيف قال موسى إنهم قالوا : أسحرٌ هذا ؟ بطريق الاستفهام ، مع أنهم إنما قالوه بطريق الإخبار المؤكَّدِ ، في قوله تعالى : « فَلَمَّا جاءهُمُ الحقُّ من عندِنَا

=بالوصل ، حيث يصبح المعنى : ولا يحزنك قولهم العزةُ لله جميعاً ، فتصبح الجملة مقولةً للقول .

(١) في المحمودية : الخالصةُ بالله ، وهو خطأ .

(٢) سورة يونس آية (٧٧) .

قالُوا إنَّ هَذَا لسِحْرٌ مُبِينٌ » ؟!

قلتُ : فيهِ إضمارٌ تقديرُه : أتقولونَ للحقِّ لمَّا جاءكم ، إنَّ هذا لسحرٌ مبينٌ ؟ ثم قال لهم : أسحرٌ هذا ؟ إنكاراً لما قالوه ، فالاستفهامُ للإنكار ، من قول « موسى » لا من قولهم .

١٨ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ . . ﴾[1] قاله هنا بضمير الجمع ، لعودِه إلى الذُّرِّيَّة ، أو القوم ، لتقدّمهماعليه ، بخلافِ بقيـة الآيات ، فـإنه بضميـر المفرد[2] ، لعودِه إلى فرعونَ .

١٩ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾[3] .

ثَنَّى ضميرَ المأمور فيها ، لعوده إلى موسى وأخيه ، للتصريح بهما .

وَجَمعه ثانياً ، لعوده إليهما مع قومهما[4] ، لأن كلاًّ

---

(١) سورة يونس آية (٨٣).

(٢) أشار إلى قوله تعالى بعد ذلك ﴿وإنَّ فرعونَ لَعَالٍ في الْأَرْضِ ، وإنَّهُ لمنَ المُسْرِفينَ﴾ فإنها قد جاءت بضمير المفرد لا الجمع .

(٣) سورة يونس آية (٨٧).

(٤) يشير إلى قوله تعالى ﴿واجْعَلُوا بيوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ .

منهم مأمورٌ بجعل بيته قبلةً يصلِّي إليها[1] ، خوفاً من ظهورها لفرعون .

وأفرده ثالثاً لعوده إلى موسى[2] ، لأنه الأصلُ المناسبُ تخصيصُه بالبشارة لشرفها .

٢٠ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا . . ﴾[3] الآية .

إنْ قلتَ : لمَ أضافَ الدعوةَ إليها ، مع أنها إنما صدرت من موسى عليه السلام ، لآية « وقال موسى ربَّنَا إنكَ آتيتَ فرعونَ وَمَلأَهُ زينةً . . » الآية ؟

قلتُ : أضافهما إليهما لأن « هارون » كان يؤمِنُّ على دعاء موسى ، والتأمينُ دعاءٌ في المعنى ، أو لأنَّ هارون دعا أيضاً مع موسى ، إلَّا أنه تعالى خصَّ موسى بالذِّكر ، لأنه كان أسبقَ بالدعوة ، أو أحرص عليها .

٢١ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ . . ﴾[4]

---

(١) في المخطوطة المحمودية « يُصلِّيها » وهو خطأٌ ، والصواب ما أثبتناه وهو في مخطوطة جامعة أم القرى .

(٢) يشير إلى قوله تعالى ﴿ وبشِّرِ المؤمِنِينَ ﴾ فقد جاءت بصيغة الإفراد .

(٣) سورة يونس آية (٨٩).

(٤) سورة يونس آية (٩٤).

إن قلتَ : « إنْ » للشكِّ ، والشكُّ في القرآن منتفٍ عنه ﷺ قطعاً ، فكيف قال اللَّهُ ذلك له ؟!

قلتُ : لم يقل له ، بل لمنْ كان شاكّاً في القرآن ، وفي نبوَّة محمدٍ ﷺ ، ولا ينافيه قولُه « ممَّا أنزلنا إليكَ » لوروده في قوله « وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً »[1] وقوله « يَحْذَرُ المنَافِقونَ أَنْ تُنَزَّلَ عليهِمْ سُورَةٌ »[2] .

وقيلَ : الخطابُ للنبي ﷺ والمرادُ غيرُه ، كما في قوله تعالى « يا أيها النبيُّ اتَّقِ اللَّهَ ولا تُطِعِ الكافِرِينَ والمنافقين »[3] .

أو المرادُ إلزامُ الحجَّةِ على الشاكِّينِ الكافرين ، كما يقول لعيسى عليه السلام « أ أنتَ قلتَ للنَّاسِ اتَّخِذُونِي وأمِّيَ إلَهَيْنِ منْ دُونِ اللَّهِ »[4] ؟ وهو عالمٌ بانتفاء هذا القول منه ، لإلزام الحجَّة على النصارى .

٢٢ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً . . ﴾[5] الآية .

(١) سورة النساء آية (١٧٤).
(٢) سورة التوبة آية (٦٤) .
(٣) سورة الأحزاب آية (١).
(٤) سورة المائدة آية (١١٦).
(٥) سورة يونس آية (٩٩).

فائدةُ ذكرِ « جميعاً » بعد « كُلُّهُمْ » ، مع أنَّ كلاًّ منهما يفيد الإِحاطةَ والشمولَ ، الدِّلالةُ على وجود الإِيمان منهم ، بصفة الاجتماع الذي لا يدلُّ عليه[1] « كلُّهم » كقولك : جاء القوم جميعاً أي مجتمعين ، ونظيرُه قوله تعالى : « فسَجَدَ الملاَئِكَةُ كلُّهُمْ أَجْمَعُونَ » .

٢٣ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَأُمِـرْتُ أَنْ أَكُـونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] .

قال ذلك هنا ، موافقةً لقوله قبلُ : « وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنينَ » .

وقال في النَّمل : « وأُمِرْتُ أَنْ أكونَ منَ المُسْلِمينَ » موافقةً لقوله قبلُ : « فهم مُسْلِمُونَ »[3] .

٢٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فلا رادَّ لفَضْلِهِ . . ﴾[4] الآية .

---

(١) في مخطوطة الجامعة : « يدلُّ عليهم » وهو خطأٌ ، والصواب : لا يدلُّ عليه ، كما في المخطوطة المحمودية .

(٢) سورة يونس آية (١٠٤).

(٣) أشار إلى الآية الكريمة ﴿ إِنْ تُسْمِعُ إِلاَّ مَنْ يُؤمِنُ بآياتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ النمل آية (٨١).

(٤) سورة يونس آية (١٠٧).

إن قلتَ : لَمَ ذكرَ المسَّ في الضُّرِ ، والإرادةَ في الخير ؟!

قلتُ : لاستعمال كلٍّ من المسِّ ، والإرادة ، في كلٍّ من الضُرِّ والخير ، وأنه لا مُزيل لما يصيب به منهما ، ولا رادَّ لما يريده فيهما ، فأوجزَ الكلامَ بأن ذكَرَ المسَّ في أحدهما ، والإرادةَ في الآخرِ ، ليَدُلَّ بما ذَكَرَ على ما لم يُذْكَرَ ، مع أنه قد ذَكَرَ المسَّ فيهما في سورة الأنعام[١] .

« تمت سورة يونس »

* * *

(١) أشار إلى قوله تعالى ﴿ وإنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إلَّا هوَ وإنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فهوَ عَلَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ ﴾ الأنعام آية (١٧).

سُورَة هـود

١ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى . . ﴾[1] .

« ثُمَّ » للترتيب « الإخباري » لا « الوجودي » إذِ التوبةُ سابقةٌ على الاستغفار .

أو المعنى : استغفروا ربكم من الشِّرك ، « ثُمَّ تُوبُوا » أي ارجعوا إليه بالطاعة .

إن قلتَ : نجدُ من لم يستغفرِ اللَّهَ ولم يَتُبْ ، يمتِّعُه اللَّهُ متاعاً حسناً إلى أجلِهِ ، أي يرزُقُه ويوسِّعُ عليهِ كما قال ابنُ عباس ، أو يُعمِّره[2] كما قال ابن قتيبة ، فما فائدةُ التقييدِ بالاستغفار والتوبة ؟!

قلتُ : قال غيرهما : المتاعُ الحسنُ - المقيَّدُ بالاستغفارِ والتوبةِ - هو الحياةُ في الطَّاعةِ والقناعة ، ولا

(١) سورة هود آية (٣) .

(٢) في نسخة الجامعة « يعموه » وهو خطأ ، والصواب ما أثبتُّه كما في المحمودية .

يكونانِ إلَّا للمستغفِرِ التَّائب[1] .

٢ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا . . ﴾[2] الآية .

لم يقل « على الأرض » مع أنه أنسبُ بتفسير الدابة لغةً ، لأنها ما يدبُّ على الأرض ، لأنَّ « في » أعمُّ مِنْ « عَلَى » لأنها تتناول من الدوابِّ ما على ظهرِ[3] الأرض ، وما في بطنها .

وقيل : « في » بمعنى « على » كما في قوله تعالى **﴿ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ في جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾**[4] وقولِهِ **﴿ أمْ لهمْ سُلَّمٌ يَسْتمعُونَ فِيهِ ﴾**[5] وظاهرٌ أنَّ تفسير الدابة بما يَدبُّ على الأرض ، يتناول الطير ، فلا يَرِدُ أنَّ الآية ، لا تتناول الطير في ضمان رزقه .

فإن قلتَ : « عَلَى » للوجوب ، واللَّهُ تعالى لا يجبُ عليه شيءُ ؟

---

(١) أقولُ : المتاعُ الحسنُ للتائب المستغفر ، إنما هو للتفضل والإنعام دون حسابٍ ولا عقاب ، وللعاصي الفاجر إنما هو للاستدراج مع الحساب والعذاب كما قال تعالى ﴿ أَيَحْسُبونَ أَنَّما نُمِدُّهُمْ بهِ منْ مَالٍ وَبَنِينَ . نُسَارِعُ لهمْ في الخَيْرَاتِ بَلْ لا يَشْعُرُون ﴾ .

(٢) سورة هود آية (٦) .

(٣) سقطت من نسخة المحمودية كلمة ظهر ، وهي مثبتة في نسخة الجامعة .

(٤) سورة طه آية (٧١) .

(٥) سورة الطور آية (٣٨) .

قلتُ : المرادُ بالوجوب هنا « وجوبُ اختيار » لا « وجوبُ إلزامٍ » كقوله ﷺ : « غُسْلُ يومِ الجمعةِ واجبٌ علَى كلِّ محتلم »(١) وكقولِ الإنسان لصاحبه : حقُّك واجبٌ عليَّ .

أو « عَلى » بمعنى « مِنْ » كما في قوله تعالى : « الَّذِينَ إذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ »(٢) .

٣ - قوله تعالى : ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي . .﴾(٣) قاله هنا ، وقال في « فصِّلت » : ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾(٤) بزيادة « منَّا » و « مِنْ » ، لأنه ثَمَّ بَيَّن جهة الرحمة ، بقوله : « لا يَسْأَمُ الإنْسَانُ منْ دُعَاءِ الخَيْرِ » فناسبَ ذكرُ « منَّا » وحذَفَه هنا اكتفاءً بقوله قبلُ : « وَلَئِنْ أذقْنَا الإنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً » .

وزاد « من » ثَمَّ ، لأنه لمَّا حدَّ الرحمة وجهَتها ، حدَّ الظَّرْف(٥) بعدها لتَتَشَاكلا في التحديد ، وهنا لمَّا أهمل

---

(١) الحديث أخرجه البخاري ومسلم ، ومعنى « محتلم » أي مكلَّف بالغ ، ولا يُراد به الجُنُب .

(٢) سورة المطففين آية (٢) .

(٣) سورة هود آية (١٠) .

(٤) سورة فصّلت آية (٥٠) .

(٥) في المحمودية حدَّ الطَّرف ، وهو خطأ وصوابه ما أثبتناه .

الأول ، أهمل الثاني ليَتشاكلا .

٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ **فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ** . . ﴾ [١] الآيـة .

إنما قال « ضَائِقٌ » ولم يقل : ضيِّقٌ ، لموافقة قوله قبلَه : « تاركٌ » ، وليدلَّ على أنه ضِيقٌ عارضٌ لا ثابت ، لأنه ﷺ كان أوسعَ النَّاسِ صدراً .

ونظيرُه قولُك : زيد سائدٌ وجائد ، تريد حَدَثَ فيه السيادةُ والجودُ ، فإنْ أردتَ وصفه بثبوتهما ، قلتَ : زيد سيِّدٌ وجواد .

٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ **قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ** . . ﴾ [٢] .

أي مثله في الفصاحة والبلاغة ، وإلاَّ فما يأتون به مُفْترى ، والقرآنُ ليس بمفترى .

أو معناه : مفترياتٍ كما أنَّ القرآنَ ـ في زعمكم ـ مُفْتَرى ! !

فإن قلتَ : كيف أفردَ في قوله « قُلْ » ثمَّ جَمَعَ في

---

(١) سورة هود آية (١١) .

(٢) سورة هود آية (١٣) .

قوله « فإن لم يستجيبوا لكم »[1] ؟

قلتُ : الخطابُ للنبي ﷺ فيهما ، لكنَّه جَمَعَ في «لكم» تعظيماً ، وتفخيماً له ، ويعضُده قولُه في سورة القصص : ﴿ **فإنْ لمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ** ﴾ .

أو الخطابُ في الثاني للمشركين ، وفي« يَسْتَجِيبُوا » لِـ « مَنِ اسْتَطَعْتُمْ » والمعنى : فأْتُوا أيها المشركون بعشر سورٍ مثلِهِ ، إلى آخره ، فإن لم يستجبْ لكم من تدعونه ، إلى المظَاهرةِ على معارضَتِهِ لعجزهم « فاعلموا أنما أُنزل بعلم الله » وبالنظر إلى هذا الجواب ، جُمِعَ الضميرُ في « لم يستجيبوا لكم » هنا ، وأُفردَ في القَصَص .

فإن قلتَ : قال في سورة يونس « فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ » وقد عجزوا عنه ، فكيفَ قال هنا : « فَأْتُوا بعشر سُوَرٍ مِثْلِهِ » ؟ !

قلتُ : قيـل : نزلتْ سـورةُ هـودٍ أولاً ، لكنْ أنكره المبرّد وقال : بل سورةُ يونس أولاً ، قال : ومعنى قوله في سورة يونس « فأتوا بسورةٍ مثلِهِ » أي في الإخبار عن الغيب، والأحكامِ ، والوعدِ والوعيد، فعجزوا، فقال لهم في

(١) تتمة الآية﴿ فإنْ لمْ يَسْتَجِيبُوا لكُمْ فَاعْلَمُوا أنَّما أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ . . ﴾ هود آية (١٤) .

سورة هود : إنْ عجزتم عن ذلك ، فأتوا بعشر سورٍ مثلهِ في البلاغة ، لا في غيره مما ذُكرَ ، وما قاله هو المتَّجِه .

هذا وتحريرُ الأول ، مع زيادة أن يُقال : إنَّ الإعجاز وقع أولاً بالتحدِّي بكل القرآن في آية « قُلْ لَئِن اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ » فلمَّا عجزوا تحدَّاهم - بعشر سورٍ ، فلما عجزوا تحدَّاهم بسورة ،فلما عجزوا تحدَّاهم[1] - بدونها بقوله : « فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مثلِهِ » .

٦ - قوله تعالى : ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ ﴾[2]. قال ذلكَ هنا ، وقال في النَّحل : « هُمُ الخاسرون » لأنَّ ما هنا نزل في قومٍ صدُّوا عن سبيل الله ، وصدُّوا غيرهم ، فضلُّوا وأضلُّوا . .

وما هناكَ نزل في قومٍ صدُّوا عن سبيل الله ، فناسب في الأول « الأخسرون » وفي الثاني « الخاسرون » .

٧- قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ . . ﴾[3].

قال هنا بتقديم « رحمةً » على الجارّ والمجرور ،

---

(١) ما بين المعترضتين سقط من النسخة المحمودية .

(٢) سورة هود آية (٢٢) .

(٣) سورة هود آية (٢٨)

وعكس بعدُ في قوله « وآتاني منه رحمةً »[1] وفي قوله « ورزقني منه رزقاً حسناً »[2] ليوافق كلٌّ منهما ما قبله ، إذِ الأفعال المتقدمة هنا وهي : « ترى ، ونرى ، ونظنٌّ » لم يفصل بينها وبين مفاعيلها جارٌّ ومجرور ، والفعلُ المتقدِّم بعدُ ،وهو «كان » في الثاني و « نَفْعَلَ » في الثالث ، فَصَل بينه وبين مفعوله جارٌّ ومجرور ، إذ خبرُ « كان » كالمفعول .

فإن قلتَ : لمَ قال في الأوَّلَيْن « وآتاني » وفي الثالث « ورزقني » ؟!

قلتُ : لأنَّ الثالث تقدَّمه ذكرُ الأموال ، وتأخَّر عنه قولُه « رزقاً حسناً » وهما خاصَّان ، فناسبهما قولُه [« ورزقني » بخلاف الأوَّلَيْن فإنه تقدَّمهما أمورٌ عامة ، فناسبها قوله][3] « وآتاني » .

٨ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ . . ﴾[4].

---

(١) أشار إلى قوله تعالى في قصة صالح ﴿ قَالَ يا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إنْ كنْتُ عَلَى بيِّنةٍ مِنْ رَبِّي وأَتاني منهُ رَحْمَةً فمنْ ينصرني من اللَّهِ إنْ عصَيْتُهُ فما تَزيدونني غيرَ تخسير ﴾. (٦٣)

(٢) أشار الى قوله تعالى في قصة شعيب ﴿ قال يا قوم أرأيتم إن كنتُ عَلَى بَيِّنةٍ منْ رَبِّي ورزقني منه رزقاً حَسَناً وما أريدُ أنْ أخالِفكُمْ إلى ما أنهاكم عنه ﴾ . آية (٨٨)

(٣) ما بين القوسين سقط من نسخة الجامعة، وهو مثبت في النسخة المحمودية والمصوَّرة .

(٤) سورة هود آية (٢٩) .

إن قلتَ : لمَ قال هنا حكايةً عن نوحٍ بلفظ « مالاً » وقاله بعدُ حكايةً عن هودٍ بلفظِ « أجراً »[1] ؟!

قلتُ : توسعةً في التعبير عن المراد بمتساوييْن ، ولأن قصَّةَ نوحٍ وقع بعدها « خزائنُ » والمالُ بها أنسَبُ .

فإن قلتَ : لم قال في الأولى « ويا قوم » بالواو ، وفي الثانية « يا قوم » بدونها ؟

قلتُ : لطول الكلام ، الواقع بين النداءين في قصة نوح ، وقصر ما بينهما في قصة هود ، فناسب ذكرُ الواو في الأول لتوصيل ما بعدها بما قَبْلَها .

٩ـ قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ . . ﴾[2] الآية. الاستثناءُ فيه منقطعٌ ، لأن من رحمه اللَّهُ معصومٌ لا عاصم .

أو متَّصلٌ لأن معنى من رحمَ الراحمُ ـ وهو اللَّهُ ـ فكأنه قيل : لا عاصم إلا اللَّه .

أو لأنَّ عاصماً بمعنى معصوم ، كـ « مَاءٍ دَافِقٍ »[3] ،

---

(١) أشار إلى قوله تعالى عن هود ﴿ يا قوم لا أسألُكُمْ عليهِ أجراً إن أجْرِيَ إلاَّ على الذي فَطَرَني أَفَلا تَعْقِلون ﴾ .

(٢) سورة هود آية (٤٣) .

(٣) مراده بدافق قوله تعالى : ﴿خُلقَ من مَاءٍ دَافِقٍ﴾ أي مدفوق و﴿عيشةٍ راضيةٍ﴾ أي مرضيَّة .

و « عيشةٍ راضية » .

١٠ - قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي . . ﴾ [1] الآية.

إن قلتَ : هما لا يعقلان فكيف أُمِرا ؟

قلتُ : الأمرُ هنا أمرُ « إيجادٍ » لا أمرُ « إيجاب » ، فلا يُشترط فيه فهمٌ ولا عقل ، لأنَّ الأشياء كلَّها منقادةٌ للَّهِ تعالى ، ومنه قوله تعالى : « إِنَّما أمرُنا لِشَيْءٍ إذَا أَرَدْنَاهُ أنْ نقولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ » [2] وقوله : « فَقَالَ لها وللأَرْضِ ائتِيَا طَوْعاً أو كَرْهاً قَالَتا أَتَيْنَا طَائِعِينَ » [3].

١١ - قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحُ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي . . ﴾ [4] الآية. قاله هنا بالفاء ، وقال في مريم في قصة زكريا « إِذْ نَادَى ربَّهُ نِدَاءً خفياً قال ربِّ » بلا فاء . . لأنه أُريد بالنداء هنا إرادتُه ، فهي سببٌ له ، فناسبت الفاء الدالة على السببيَّة ، وهناك لم يُرِدْ ذلكَ ، فناسب تركُ الفاء .

١٢ - قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ . . ﴾ [5] الآية.

---

(١) سورة هود آية (٤٤) .
(٢) سورة النحل آية (٤٠) .
(٣) سورة فصلت آية (١١) .
(٤) سورة هود آية (٤٥) .
(٥) سورة هود آية (٥٣) .

إن قلتَ : هودُ كان رسولاً ، فكيف لم يُظْهِرْ معجزةً ؟!

قلتُ : قد أظهرها وهي « الريحُ الصَّرْصَرُ » ولا يُقبل قولُ الكفَّار في حقه .

قال بعضهم : أو إنَّ الرسول إنما يَحْتاج إلى معجزة ، إذا كان صاحب شَريعة ، لتنقادَ أمتُه إليها ، إذْ في كل شريعةٍ أحكامٌ غير معقولة[1] ، فيحتاج الرسولُ الآتي بها إلى معجزةٍ ، تشهد بصحة صدقه ، وهودٌ لم يكن له شريعةٌ ، وإنَّما كان يأمر بالعقل ، فلا يَحْتاج إلى معجزة ، لأنَّ الناسَ ينقادون إلى ما يأمرهم به ، لموافقته للعقل .

والمعتمدُ الجوابُ الأول ، ولا يلزم من عدم إظهاره معجزةً ، عدمُها في نفس الأمر ، فقد قال ﷺ : « مَا مِنْ نَبِيٍّ إلَّا وقد أُوتيَ منَ الآياتِ ، ما مثلُه آمَن عليهِ البشرُ . . »[2] .

وقولُهم « ما جئتنا ببيِّنةٍ » كقول غيرهم « إنْ هُوَ إلَّا رجلٌ بهِ جِنَّةٌ »[3] « إنَّ هذا لساحرٌ عليمٌ »[4] .

---

(١) أي لا يدركون حكمتها ، وإلَّا فكلُّ شرائع الأنبياء موافقةٌ للعقل السليم .
(٢) أخرجه البخاري ومسلم .
(٣) سورة المؤمنون آية (٢٥) .
(٤) سورة الأعراف آية (١٠٩)

١٣ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾[١] .

قاله في قصة « هود » و « شعيب » بالواو [٢]، وفي قصة « صالح » و « لوط » بالفاء[٣] ، لأن العذاب في قصة الأوَّلَيْن تأخَّر عن وقت الوعيد ، فناسبَ الإتيانُ بالواو ، وفي قصَّة الأخيرين وقع العذابُ عقب الوعيد ، فناسبَ الإتيانُ بالفاء ، الدَّالةِ على التعقيب .

١٤ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ . . ﴾ الآية [٤]جوابُ الشرط محذوفٌ ، إذِ الإبلاغُ ليس هو الجواب ، لتقدّمِه على تولِّيهم ، وإنما هو متعلَّقُ الجوابِ ، والتقديرُ : فقل لهم : قد أبلغتكم .

١٥- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ

---

(١) سورة هود آية (٥٨) .

(٢) في قصة شعيب قال تعالى ﴿ ولمَّا جاء أمرُنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه ﴾ سورة هود آية (٩٤) .

(٣) قال تعالى في قصة صالح ﴿فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا . . ﴾ هود آية (٦٦) وقال في قصة لوط ﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلَها . . ﴾هود آية (٨٢) .

(٤) سورة هود آية (٥٧) .

غَلِيظٍ ﴾[1] . كرَّر التنجية، لأنَّ المراد بالأولى: تنجيتُهم من عذاب الدنيا ، الذي نَزَلَ بقوم هود ، وهي « سَمُومٌ » أرسلها اللَّهُ عليهم ، فقطَّعتهم عُضْواً عُضْواً .

وبالثانية : تنجيتُهم من عذاب الآخرة [2]،الذي استحقَّه قوم هودٍ بالكفر .

١٦ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ القِيَامَةِ . . ﴾[3] الآية. قاله هنا بذكر « الدنيا » وقال في قصة موسى بعد « وَأُتْبِعُوا في هذِهِ لَعْنَةً » بحذفها ، اختصاراً واكتفاءً بِما هنا .

١٧ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾[4]. قاله هنا في قصة صالح ، بلا « تاء » وقاله بها بعدُ في قصة شعيب[5] ، وكلٌّ صحيح ، لكنْ اختصَّ الثاني بها ، لأنَّ قوم شعيب وقع الإخبار عن عذابهم ، بثلاثة ألفاظٍ مؤنثة - في

---

(١) سورة هود آية (٥٨)

(٢) ما قاله الشيخ فيه نظرٌ ، فإن الراجح أن المراد بالعذاب الغليظ، هي «الريح المدمِّرة» التي كانت تُخرِّب المنازل والمساكن، كما قال تعالى : ﴿ما تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أتتْ عليه إلَّا جَعَلَتْهُ كالرَّميم﴾ فهي تأكيدٌ للعذاب السابق، الذي حلَّ بعادٍ قوم هود، وليس عذاب الآخرة.

(٣) سورة هود آية (٦٠)

(٤) سورة هود آية (٦٧) .

(٥) قال تعالى ﴿ وَأَخَذَتِ الذينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فأصبَحُوا في دِيَارِهِمْ جاثمين ﴾ هود آية (٩٤) .

الأعراف[1] ، والعنكبوت[2] « فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ » وهنا « الصيحةُ » وفي الشعراء[3] «الظُّلَّة» ـ وقعت لهم الثلاثة في ثلاثةِ أوقات .

١٨ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحدٌ إلَّا امرأتَكَ . . ﴾[4]. استثنى فيها « إلَّا امْرَأَتَكَ » ولم يستثنها منها في الحِجْر[5] اكتفاءً باستثنائها ثَمَّ قبله في قوله : « إِنَّا لَمنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ إلَّا امْرَأَتَهُ » .

١٩ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَنْقُصُوا المِكْيَالَ والمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ . . ﴾[6] الآية. هذا النَّهيُ يتضمَّن الأمر بالإيفاء ، وصرَّح به بعدُ في قوله ﴿ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا المِكْيَالَ والمِيزَانَ بِالقِسْطِ ﴾وهو يتضمَّنُ النهي عن النقص ، ففي ذلك تأكيدٌ على الحثِّ على عدم البَخْس ، وعلى الحثِّ على العدل ، وقدَّمَ النَّهيَ على الأمر ، لأنَّ دفع المفاسد آكدُ

---

(١) في الأعراف ﴿ فَأَخذتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا في دَارِهِم جاثِمينَ ﴾ آية (٧٨) .

(٢) وفي العنكبوت ﴿ فكذَّبُوهُ فأخذتْهُمُ الرَّجْفهُ فأصبَحُوا في دارهِمْ جاثِمينَ ﴾ آية (٣٧) .

(٣) وفي الشعراء ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إنَّه كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ آية (١٨٩) .

(٤) سورة هود آية (٨١) .

(٥) في الحجر ﴿ فَأَسْرِ بأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ واتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ منكم أَحَدٌ وامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾ آية (٦٥) .

(٦) سورة هود آية (٨٤)

من جلبِ المصالح .

٢٠ - قوله تعالى : ﴿ **يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ** . . ﴾[١] الآية . مُقَيَّدٌ لقوله تعالى : ﴿ **يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا** ﴾[٢] أي بإذن الله ، ولا يُنافي ذلك قوله تعالى ﴿ **هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ** ﴾[٣] . لأنَّ في يوم القيامة مواقفَ ، ففي بعضها لا يُؤذن لهم في الكلام ، فيُكفُّون عنه ، وفي بعضها يُؤذنُ لهم فيه ، فيتكلَّمون .

٢١ - قوله تعالى : ﴿ **فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ** ﴾[٤] .

إن قلتَ : « مِنْ » للتبعيض ، ومعلومٌ أن الناس كلَّهم ، إمَّا شقيٌّ أو سعيدٌ ، فما معنى التبعيض ؟!

قلتُ : التبعيضُ صحيحٌ لأنَّ أهلَ القيامة ثلاثةُ أقسام :

أ - قسمٌ شقيٌّ ، وهم أهلُ النَّار .

ب - وقسمٌ سعيدٌ ، وهم أهلُ الجنَّة .

جـ - وقسمٌ لا شقيٌّ ولا سعيدٌ ، وهم أهل

---

(١) سورة هود آية (١٠٥) .

(٢) سورة النحل آية (١١١) .

(٣) سورة المرسلات آية (٣٦) .

(٤) سورة هود آية (١٠٥) .

الأعراف ، وإن كان مصيرُهم إلى الجنة ، كما قاله قتادة وغيره .

٢٢ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمٰوَاتُ وَالأَرْضُ** . . ﴾[1] الآية.

إن قلتَ : كيف قال ذلك ، مع أنَّ السمواتِ والأرضَ يَفْنيان ، وذلكَ يُنافي الخلودَ الدائم ؟!

قلتُ : هذا خرج مَخْرج الألفاظ ، التي يُعَبِّر العرب فيها عن إرادة الدَّوام ، دون التأقيت ، كقولهم : لا أفعل هذا ما اختلفَ الليلُ والنَّهارُ ، وما دامتِ السمواتُ والأرضُ ، يريدُ لا يفعلُه أبداً .

أو أنهم خوطبوا على معتقدهم أنَّ السمواتِ والأرضَ لا يفنيان .

أو أن المراد سمواتُ الآخرة وأرضُها ، قال تعالى : « يوم تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأرضِ والسَّمواتُ »[2] وتلك دائمة لا تفنى .

إن قلتَ : إذا كان المرادُ بما ذُكر الخلودُ الدائم ، فما معنى الاستثناء في قوله « إلَّا ما شاء ربُّك » ؟

قلت : هو استثناءٌ من الخلود في عذاب أهل النار[3] ،

---

(١) سورة هود آية (١٠٨) (٢) سورة إبراهيم آية ٤٨ .

(٣) الاستثناءُ في أهل التوحيد، فإن لفظة «شَقُوا» تعمُّ الكفار والعُصَاة من المؤمنين، فاسْتَثْنى الله من خلود أهل الشقاوة والكفر، أهـل العصيان ، فإنهم يطهَّرون في جهنم ثم يخرجون منها بشفاعة سيد المرسلين ﷺ ويدخلون الجنة.

ومن الخلود في نعيم أهل الجنة ، لأن أهل النَّار لا يُخلَّدون في عذابها وحده ، بل يُعذَّبون بالزمهرير ، وبأنواع أُخَرَ من العذابِ ، وبما هو أشدُّ من ذلك ، وهو سَخَطُ اللَّهِ عليهم .

وأهلُ الجنة لا يُخلَّدون في نعيمها وحده ، بل يُنعَّمون بالرضوان ، والنظرِ إلى وجهِهِ الكريم ، وغير ذلك ، كما دلَّ عليه قوله تعالى ﴿ **عَطَاءً غَيرَ مَجْذُوذٍ** ﴾[1] .

أو « **إلَّا** » بمعنى غير ، أي خالدين فيها ما دامت السَّمواتُ والأرضُ ، غير ما شاء اللَّهُ من الزيادة عليهما ، إلى ما لا نهاية له .

أو « **إلَّا** » بمعنى الواو ، كقوله تعالى ﴿ **إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ** ﴾[2] .

٢٣ - قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾[3]. قاله هنا بصيغة « **لِيُهْلِكَ** » لأنه لمَّا ذكر قولَه « **بِظُلْمٍ** » نفى الظُّلم عن نفسه ، بأبلغ لفظٍ يُستعمل في النفي ، لأنَّ اللام فيه لام الجحود ، والمضارعُ يُفيد الاستمرار ، فمعناه : ما فعلتُ الظُّلمَ فيما مضى ، ولا

---

(١) أي غير مقطوع بل هو دائمٌ مستمرٌ .
(٢) سورة النمل آية (١٠) .
(٣) سورة هود آية (١١٧) .

أفعله في الحال ، ولا في المستقبل ، فكان غايةً في النفي .

وقاله في القصص[1] ، بدون ذكر « بظلمٍ » ، فاكتفى بذكر اسم الفاعل ، المفيد للحال فقط ، وإن كان يُستعمل في الماضي ، والمستقبل مجازاً .

٢٤ ـ قوله تعالى : ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ . . ﴾[2] الآية .

إن قلتَ : ما الجمعُ بينه وبين قوله تعالى « وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ »[3] ؟

قلتُ : معناه كلُّ نبأٍ نقصُّه عليك من أنباء الرسل ، هو ما نثبت به فؤادك ، فـ« ما » في موضع رفعٍ خبر مبتدإٍ محذوف ، فلا يقتضى اللفظُ قصَّ أنباء جميع الرسل .

٢٥ ـ قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الحَقُّ . . ﴾[4] .

أي في هذه الأنباءِ ، أو الآيات ، أو السورة .

---

(١) في القصص ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلكَ القُرَى حتَّى يبعثَ في أُمِّهَا رَسُولاً . . ﴾ آية (٥٩) .

(٢) سورة هود آية (١٢٠) .

(٣) سورة النساء آية (١٦٤)

(٤) سورة هود آية (١٢٠) .

خَصَّها بالذِّكر ، تشريفاً لها ، وإن كان قد جاءه الحقُّ في جميع السُّوَر ، كقوله تعالى : ﴿ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الوُسْطَى** . . ﴾[1].

والتعريف بـ « في هذه الحقُّ » إما للجنس ، أو للعهد ، والمرادُ به : البراهينُ الـدالة على التـوحيد ، والعدل ، والنُبُوَّة .

« تمت سورة هود »

* * *

---

(١) سورة البقرة آية (٢٣٨).

سُورَة يوُسُف

١ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾[1] .

ذِكرُ الرؤيـةِ ثانيـاً ، جوابـاً لسؤالٍ مقدَّر من « يعقوب » عليه السلام ، كأنه قال ليوسف بعد قولـه : « إِنِّي رأيتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ والقمَرَ » كيفَ رأيتها ؟ سائلاً عن حال رؤيتها ، فقال مجيباً له : رأيتُهم لي ساجدين .

وقيل : ذكره توكيداً ، وجمع الكواكب في قوله « رأيتُهُمْ لي سَاجِدِينَ » جمع العقلاء ، لوصفه لها بما هو من صفات العقلاء وهو السجود ، كقوله تعالى : ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يا أيُّها النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَجُنُودُهُ . . ﴾[2] .

٢ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْـرَحُوهُ

(١) سورة يوسف آية (٤) .
(٢) سورة النمل آية (١٨) .

أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ . . ﴾[1] الآية. هذا قولُ إخوة يوسف .

إن قلتَ : كيف قالوا ذلك وهم أنبياءُ ؟!

قلتُ : لم يكونوا أنبياءَ على الصحيح[2] ، وبتقدير أنهم كانوا أنبياءَ ، إنما قالوا ذلك قبل نبوَّتهم .

والجوابُ بأن ذلك من الصغائر ، أو بأنهم قالوه في صغرهم ضعيفٌ .

٣ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً نرتَعْ وَنَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[3] .

إن قلتَ : كيف قالوا ذلك ، مع أنهم كانوا بالغينَ عاقلين ، وأنبياء أيضاً على قولٍ ؟ وكيف رضي يعقوب بذلك منهم على قراءة النون ؟!

قلتُ : كان لعبُهم المسايفة[4] والمناضلة ، يؤيده

---

(١) سورة يوسف آية(٩) وهذه على قراءة النون ، وقراءة حفص«يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ» .

(٢) كيف يكونون أنبياء ، وقد أقدموا على أعمالٍ شنيعة ، تُنافي النبوَّة والرسالة !! فإن الأنبياء معصومون عن الذنوب ، وهؤلاء حسدوا أخاهم يوسف ، وعزموا على قتله ، وكذبوا على أبيهم حين قالوا ﴿أكله الذئبُ﴾ إلى غير ما هنالك من أفعالٍ هي من الكبائر وعظائم الأمور ، فالقول بأنهم أنبياء لا يقبله عقل حصيف ، وانظر ما قاله العلامة الحافظ ابن كثير في تفسيره الكبير ، فقد ردَّ بالحجة والبرهان القول بأنهم أنبياء وذكر القول الحقَّ فتدبره فإنه نفيس .

(٣) سورة يوسف آية (١٢) .

(٤) معنى المسايفة : الضربُ بالسيف ، وأما المناضلة فهي الرماية .

« إنَّا ذهبنا نستبقُ » ، وسمَّوه لعباً لأنه في صورة اللَّعب .

قال الفخر الرازي : ويُرَدُّ على أصل السؤال أن يُقال : كيف يتورَّعون عن اللَّعب ، وهم قد فعلوا ما هو أعظم حرمةً من اللَّعب وأشدُّ ، وهو إلقاءُ أخيهم في الجُبِّ على قصد القتل ! !

قلتُ : لم يكن وقتَ إلقاء أخيهم يوسف في الجبِّ ، وقتُ طلب تورُّعهم عن اللَّعب ولا قتله ، وأصلُ السؤال إنما وقع على طلب التورُّع المتقدِّم على الإلقاء ، لكنْ يُطلب الجوابُ عن إلقائهم له في الجب من أن ذلك من المعاصي !؟ ويُجابُ بما مرَّ في الجواب عن قولهم « اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً » ! !

٤ ـ قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[١] .

« وأوحينا إليه » أي وحيَ إلهامٍ لا وحيَ رسالة ، لأنه يومئذٍ لم يكن بالغاً ، ووحيُ الرسالةِ إنما يكونُ بعد الأربعين .

٥ ـ قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾[٢] . قاله هنا بدون

(١) سورة يوسف آية (١٥) .
(٢) سورة يوسف آية (٢٢) .

« واستوى » وقال في القصص[1] به ، لأن يوسف أُوحيَ إليه في الصِّغر ، و « موسى » أُوحي بعد أربعين سنة ، فقولُه « واستَوَىٰ » إشارة إلى تلك الزِّيادة .

٦ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَاسْتَبَقَا البَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ . . ﴾[2] الآية .وحَّد الباب هنا ، وجمعه قبلُ في قوله « وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ » لأن إغلاقَ الباب للاحتياط لا يتمُّ إلَّا بإغلاق الجميع ، وأمَّا هروبه منها فلا يكونُ إلَّا إلى بابٍ واحد ، حتَّى لو تعدَّدت أمامه لم يقصد منها أوَّلاً إلاّ الأول ، فلهذا وحَّد البابَ هنا وجَمَعه ثَمَّ .

٧ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُون ﴾[3] .

كرَّر « لعلَّ » رعايةً للفواصل ، إذْ لو قال : لعلِّي أرجع إلى الناس فيعلموا بحذف النـون ، جوابـاً لـ « لعلَّ » لفاتت الرعاية[4] .

---

(١) في القصص ﴿ ولمَّا بَلَغَ أشدَّه واسْتَوَى آتيناهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ ﴾ آية (١٤) .

(٢) سورة يوسف آية (٢٥) .

(٣) سورة يوسف آية (٤٦) .

(٤) المراد بالرعاية « رعاية الفواصل » وهي أواخر الآيات الكريمة مثـل: « يرجعون ، يعلمون ، يتقون » ومثل:« المؤمنين ، المحسنين ، المرسلين » فهذه الفواصل كالقافية في الشعر .

٨ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾[١] .

إن قلتَ : كيف قال ذلكَ ، مع أن الأنبياء عليهم السَّلام أعظمُ النَّاسِ زُهْداً في الدُّنيا ، ورغبةً في الآخرة ؟!

قلتُ : إنما طلبَ ذلكَ ليتوصَّل به ، إلى إمضاءِ أحكام الله تعالى ، وإقامة الحقِّ ، وبسط العدل ونحوِه ، ولعلْمِه أنَّ أحداً غيره لا يقوم مقامه في ذلك[٢] .

٩ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ . . ﴾[٣] .

قاله هنا بالواو ، وقاله بعدُ بالفاء[٤] ، لأنه ذكر هنا أول مجيئهم إلى يوسف ، فناسبته الواو ، الدَّالةُ على الاستئناف .

وذُكر بعدُ عند انصرافهم عنه ، عطفاً على « لمَّا دخلوا » فناسبته الفاء الدَّالةُ على الترتيب والتعقيب .

---

(١) سورة يوسف آية (٥٥) .

(٢) لم يقل يوسف عليه السلام ﴿ إني حفيظٌ عليمٌ ﴾ تزكيةً لنفسه ، ولا مدحاً لها ، وإنما قاله تحدثاً بنعمة الله ، وإشعاراً بدرايته ودربته على تدبير شئون الدولة .

(٣) سورة يوسف آية (٥٩) .

(٤) في قوله ﴿ فَلَمَّا جَهَّزهم بجهازِهِمْ جَعَل السِّقايةَ في رَحْلِ أخيه ﴾ آية (٧٠)

١٠ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾[١] .

إن قلتَ : كيف جاز ليوسف أن يأمر المؤذن بأن يقول ذلك ، مع أنَّ فيه بهتاناً ، واتِّهامَ من لم يسرقْ بأنه سَرَق ؟!

قلتُ : إنما قاله « توريةً » عما جرى منهم مجرى السرقة[٢] ، من فعلهم بيوسف ما فعلوا أولاً .

أو كان ذلك القولُ من المؤذِّن ، بغير أمر يوسف عليه السلام .

أو أنَّ حكم ذلك حكم « الحِيَل الشَّرعيةِ » التي يُتوصل بها إلى مصالح دينيَّة ، كقوله تعالى لأيوب : ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ ﴾[٣] ، وقول إبراهيم في حقِّ زوجته : « هي أختي » لِتَسْلَم من يد الكافر[٤] .

---

(١) سورة يوسف آية (٧٠) .

(٢) إنما استحلَّ أن يرميهم بالسرقة ، لما في ذلك من المصلحة بإمساك أخيه «بنيامين»، فهي طريقة للتوصل إلى ما فيه مصلحة جليلة .

(٣) سورة صٓ آية (٤٤) .

(٤) لما هاجر إبراهيم عليه السلام إلى مصر ، كانت معه زوجته « سارة » وكانت ذات جمالٍ باهر ، وأراد حاكم مصر الطاغية الجبار أن يغتصبها ، لأنه كان لا يسمع بأن أحداً عنده زوجة جميلة إلاَّ وقهره عليها وأخذها اغتصاباً ، فلذلك أمرها إبراهيم عليه السلام أن تقول له : أنا أخته لتسلم من كيد الفاجر ، وقال لها إبراهيم : إنكِ أختي في الإسلام ، والقصةُ في البخاري .

١١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ . « مِنْ رَوْحِ اللَّهِ » أي من رحمته « إِلَّا القَومُ الكَافِرُونَ » .

إن قلتَ : منَ المؤمنينَ منْ ييأسُ من روْحِ اللَّهِ ، لشدَّةِ مصيبته ، أو كثرةِ ذنوبه ، كما في قصة الذي أمر أهله إذا مات أن يحرقوه . .[1] الحديث ثم إنَّ اللَّهَ تعالى غفرَ له ؟!

قلتُ : إنما ييأس من رَوْحِ اللَّه الكـافرُ ، لا المؤمنُ عملاً بظاهر الآية ، فكلُّ من أَيِسَ من روْح اللَّهِ فهو كافـرٌ ، حتَّى يعود إلى الإيمـان ، ولا نُسلِّم أن صاحبَ القصَّةِ مات آيساً ، ولم يسمـح له الرجوع عن وصيَّته .

١٢ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً . . ﴾[2] الآية. قال هنا وفي العنكبوت

---

(١) خلاصة القصة أن رجلاً أسرف على نفسه في العصيان ، فلما دنت وفاته جمع أولاده وقال لهم : إني لم أفعل خيراً قط ، وإنَّ ربِّي إذا قدر عليَّ ليعذبني عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين ، فإذا أنا متُّ فخذوا جثَّتي فاحرقوهـا ، ثم اسحقوها سحقاً دقيقاً ، ثم انتظروا يوماً عاصفاً شديد الرياح ، فانثروا نصفها في البرّ ، ونصفها في البحر . . الخ وانظر تمام القصة في صحيح البخاري .

(٢) سورة يوسف آية (٩٦) .

آخراً في قوله تعالى « ولمَّا أن جاءت رسلنا لوطاً » بذكر « أن » .

وقال في هود : « ولمّا جاءتْ رسلُنا لُوطاً » وفي العنكبوت أولاً « ولمَّا جاءت رسلُنَا إبراهيمَ بِالبُشْرَى » بحذفها بنيَّتها على جواز الأمرين .

والقولُ بأنَّ ذكرَ « أَنْ » يدلُّ على وقوع جواب « لمَّا » حالاً ، بخلاف ما إذا حُذفت ، يُرَدُّ بـأنَّ آية هود ، وآية العنكبوت ، التي ذُكرَ فيها « أَنْ » متَّحدتان شرطاً وجواباً ، مع أنَّ « أنْ » ذُكرت في إحداهما ، وحُذفت من الأخرى . إلَّا أن يُقال إنها إذا لم تُذكر ، لم يلزم وقوعُ جواب « لمَّا » حالاً .

١٣ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً . . ﴾[١] الآية .

إن قلتَ : كيف جاز لهم أن يسجدوا ليوسف ، والسجودُ لغير الله حرامٌ ؟!

قلتُ : المرادُ أنهم جعلوه كالقِبْلَةِ ، ثم سجدوا للَّهِ تعالى ، شكراً لنعمة وُجْدَان يوسف ، كما تقول : سجدتُ وصلَّيتُ للقِبْلة .

---

(١) سورة يوسف آية (١٠٠) .

واللاَّمُ للتعليل [1] أي لأجله سجدوا للَّهِ ،ومنه قوله تعالى « رأيتُهم لي سَاجِدينَ » أي إنما سجدتْ للَّهِ ، لأجل مصلحتي ، والسعي في إعلاء منصبي .

١٤ ـقَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ البَدْوِ ﴾ [2] .

إن قلتَ : لمَ ذكر « يوسف » عليه السلام ، نعمةَ الله عليه في إخراجه من السجن ، دون إخراجه من الجبِّ ، مع أنه أعظم نعمةً ، لأن وقوعَه في الجبِّ كان أعظمَ خَطَراً ؟!

قلتُ : لأن مصيبة السجن كانت عنده أعظم ، لطول مدَّتها ، ولمصاحبته الأوباش وأعداءَ الدينِ فيه ، بخلاف مصيبة الجبِّ ، لقِصَر مدَّتها ، ولكون المؤنس له فيه جبريل عليه السلام ، وغيره من الملائكة .

أو لأنَّ في ذكر الجُبِّ « توبيخاً وتقريعاً » لإخوته ، بعد قوله : « لا تَثْرِيبَ عليكُمُ اليَوْمَ » .

١٥ ـقَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بالصَّالِحِينَ ﴾ [3].

---

(١) هذا القولُ ضعيف، والسجود ليوسف كان سجود تحيةٍ وتكريم ، لا سجود تحيةٍ وخضوع وعبادة، وكان هذا جائزاً في شريعتهم، وقد نُسخ في شريعتنا الإسلامية.

(٢) سورة يوسف آية (١٠٠) . (٣) سورة يوسف آية (١٠١) .

إن قلتَ : كيف قال يوسف ذلك ، مع علمه بأنَّ كل نبيٍّ لا يموت إلَّا مسلماً ؟

قلتُ : قاله إظهاراً للعبودية والافتقار ، وشدَّة الرغبة في طلب سعادة الخاتمة ، وتعليماً للأمة ، وطلباً للثواب .

١٦ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾[١] .

إن قلتَ : كيف قال ذلك ، مع أن الإيمان والشرك لا يجتمعان ؟

قلتُ : معناه : وما يؤمنُ أكثرُهم بأن اللَّهَ خالقُه ورازقُه ، وخالقُ كل شيءٍ قولاً ، إلا وهو مشرك بعبادة الأصنام فعلاً .

أو أن المراد به المنافقون ، يؤمنون بألسنتهم قولاً ، ويشركون بقلوبهم اعتقاداً .

١٧ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ . . ﴾[٢] . قاله هنا ، وفي الحج[٣] ، وفي آخر غافر[٤] بالفاء ، وقاله

---

(١) سورة يوسف آية (١٠٦) .

(٢) سورة يوسف آية (١٠٩) .

(٣) في الحج ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوبٌ يعقلون بها . . ﴾ آية (٤٦) .

(٤) في غافر ﴿ أفلم يسيروا في الأرضِ فينظروا كيف كان عاقبةُ الذين من قبلهم . . ﴾ آية (٨٢) .

في الروم[1] ، وفاطر[2] ، وأول غافر[3] بالواو .

لأن ما في الثلاثة الأول ، تقدّمه التعبيرُ في الإنكار بالفاء في قوله هنا « أفأمنوا أن تأتيهم غاشية » وفي الحج « فهي خاوية على عروشها » وفي آخر غافر « فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ » ؟

وما في الثلاثة الأخيرة ، تقدَّمه التعبيرُ بالواو في قوله في الروم : « أو لم يَتَفَكَّروا في أنْفسِهِمْ » وفي فاطر « أو لَمْ نُعَمِّركُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فيهِ مَنْ تَذَكَّرَ » وفي أول غافر « وأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ » « وما تُخْفي الصُّدُورُ » «واللَّهُ يَقْضِي بِالحقِّ والَّذِينَ يَدْعُونَ منْ دُونهِ لاَ يَقْضُونَ بِشيءٍ ».

« تمت سورة يوسف »

* * *

(١) في الروم ﴿ أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم . . ﴾ آية (٩)

(٢) في فاطر ﴿ أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم . . ﴾ آية (٤٤)

(٣) في أول غافر ﴿ أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا هم أشدَّ منهم قوَّة . . ﴾ آية (٢١) .

سُورَة الرَّعْد

١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿إِنَّ في ذَلِكَ لآيَـاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١]. ختم الآية هنا بـ «يَتَفَكَّرُونَ» وختمها بعد بـ «يَعْقِلُونَ»[٢]، لأن التفكُّـر في الشيء سببٌ لتعقُّله ، والسبب مقدَّم على المسبَّب، فناسَب تقدم التفكر على التعقُّل .

٢ -قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ في السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً . .﴾[٣] الآية .

إن قلتَ: كيف قال ذلكَ هنا ، وقال في الحج ﴿ أَلَمْ تَـرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُـدُ لَـهُ مَنْ في السَّمٰـواتِ وَمَنْ في الأَرْضِ . .﴾[٤].وفي النَّحل ﴿و للَّهِ يَسْجُدُ مَا في السَّمٰوَاتِ

---

(١) الآية الأولى ﴿يُغْشي اللَّيْلَ النَّهارَ إنَّ في ذلكَ لآياتٍ لقوم يتفكرون﴾ الرعد آية (٣) .

(٢) الآية الثانية ﴿ونُفَضِّلُ بعضها على بعضٍ في الأُكُلِ إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يعْقِلُونَ﴾ الرعد آية (٤) .

(٣) سورة الرعد آية (١٥) .

(٤) سورة الحج آية (١٨) .

وَمَا فِي الأَرْضِ . .﴾[1]؟!

قلتُ : لأنه هنا ذكر العلويَّات ، من الرَّعد، والبرق ، والسَّحاب، ثم الملائكة بتسبيحهم ، ثم الأصنام والكفار ، فبدأ بذكر «مَنْ في السَّموات» ليقدّم ذكرهم ، وأتبعهم من في الأرض، ولم يذكر «مَنْ» استخفافاً بالأصنام والكفار.

وفي الحج تقدَّم ذكر المؤمنين وسائر الأديان ، فقد ذكر «مَنْ في السَّمواتِ» لشرفهم ، ثم قال «وَمَنْ في الأَرْضِ» ليقدّم ذكر المؤمنين .

وفي النَّحل : تقدَّم ذكرُ ما خلقه الله عامًّا ، ولم يكن فيه ذكرُ الملائكةِ والرعد ، ولا الإِنس بالتصريح ، فاقتضت الآيةُ «ما في السَّمواتِ وما في الأرضِ»[2] فقال في كلِّ آيةٍ ما يناسبها .

٣ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ . .﴾[3] قاله هنا ، وفي القَصَص[4]،

---

(١) سورة النحل آية (٤٩) .

(٢) في قوله تعالى ﴿أو لَمْ يَرَوْ إلى مَا خَلَقَ اللَّهُ من شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عنِ اليمين وَالشمائلِ سُجَّداً للَّهِ . .﴾ وهم دَاخِرُونَ . ولِلَّهِ يَسْجُدُ ما في السَّمواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ . .﴾

(٣) سورة الرعد آية (٢٦) .

(٤) في القصص ﴿وأصبحَ الذينَ تمنَّوْا مكانَهُ بالأمس يقولُونَ ويكَأنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرزقَ لمن يشاء من عبادِهِ ويقدر﴾ آية (٨٢) .

والعنكبوتِ[1]، والرُّومِ [2]، بلفظ «اللَّهُ» وفي الإِسراء[3]، وفي سبأ في موضعين بلفظ الرب[4]، وفي الشُّورى[5] باضمار لفظ «الله» وبزيادة «له» في العنكبوت[6]، وفي ثاني موضعيْ سبأ، موافقةً لتقدم تكرر لفظ «الله» في السور الأربع، ولتقدّم تكرر لفظ الربّ في المواضع الثلاثة، ولتقدم تكرّر الإِضمار في الشورى.

وزاد في العنكبوت[7] «من عباده» و «له» موافقةً لبسْطِ الكلام على الرزق المذكور فيها صريحاً.

وزاد في القَصَص «مِنْ عِبَادِهِ»[8] موافقةً لذلك، وإن كان لفظ الرزق فيه تضمناً.

---

(١) في العنكبوت ﴿اللَّهُ يبسطُ الرزقَ لمن يشاءُ من عباده وَيَقْدِرُ له إن الله بكل شيء عليم﴾ آية (٦٢).

(٢) في الروم ﴿أو لم يَرَوْا أنَّ اللَّهَ يبسط الرزقَ لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقومٍ يؤمنون﴾ آية (٣٧).

(٣) في الإسراء ﴿إن رَبَّكَ يَبْسُطُ الرزقَ لِمَنْ يَشَاءُ ويقدِرُ إِنَّهُ كانَ بعبادِهِ خبيراً بصيراً﴾ آية (٣٠).

(٤) في سبأ الموضع الأول ﴿قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ آية (٣٦) والثاني ﴿قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له . . .﴾ آية (٣٩).

(٥) في الشورى ﴿له مقاليدُ السمواتِ والأرضِ يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليمٌ﴾ آية (١٢).

(٦) في العنكبوت ﴿ويقدرُ له إن الله بكل شيءٍ عليمٌ﴾ وقد تقدم في رقم (١).

(٧) في العنكبوت ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرزقَ لمنَ يشاء من عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ. .﴾ آية (٦٢).

(٨) في القصص ﴿ويكأَنَّ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر﴾ آية (٨٢).

وزَادَ «له» في ثاني موضعَيْ سبأ [1]، لأنه نزل في المؤمنين ، وما قبله في الكافرين .

وحذف لفظ «له» في غير العنكبوت ، وفي أول موضعَيْ سبأ[2] اختصاراً .

٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾[3].

إن قلتَ : كيف طابقَ هذا الجوابُ قولهم «لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ » ؟

قلتُ : المعنى قل لهم : إنَّ اللَّهَ أنزل عليَّ آياتٍ ظاهرة ، ومعجزاتٍ قاهرة ، لكنَّ الإِضلال والهداية من اللَّهِ، فأضلَّكم عن تلك الآيات ، وهَدَى إليها آخرين ، فلا فائدةَ في تكثيرِ الآياتِ والمعجزاتِ . أو هو كلامٌ جرى مجرى التعجب من قولهم ، لأن الآيات الباهرة المتكاثرة ، التي ظهرت على يد النبي ﷺ،كانت أكثَر من أن تشتبه على العاقل ، فلمَّا طلبوا بعدها آياتٍ أُخَر ، كان محلَّ التعجب والإِنكار ، فكأنَّه قيل لهم : ما أعظم عنادكم !! إنَّ الله يُضلّ من يشاء ،كمن كان على صنيعكم ، من التَّصْميم

---

(١) في سبأ ﴿قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له . .﴾آية (٩) .
(٢) في سورة سبأ آية (٣٦).
(٣) سورة الرعد آية (٢٧) .

على الكفر، فلا سبيل إلى هدايتكم ، وإنْ أُنزلت كلُّ آية !! ويهدي من كان على خلاف صنيعكم .

٥ ـ **قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ . .﴾**[1] الآية .

إن قلتَ: كيف طابَق قوله عقبه «وجعلوا للَّهِ شركاء قل سَمُّوهم» ؟

قلتُ : فيه محذوفٌ تقديره : أفمن هو رقيبٌ على كل نفسٍ ، صالحةٍ وطالحةٍ ، يعلمُ ما كسبتْ من خيرٍ وشرٍّ،كمن ليس كذلك ؟ من شركائهم التي لا تضرُّ ولا تنفع ؟ ويدلُّ له قوله تعالى : «وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ» ونحوُه قولُه تعالى : ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ﴾[2] تقديره : كمنْ قَسَا قلبُه ؟ يدلُّ له قوله : ﴿فويلٌ للقاسية قلوبُهم من ذكرِ اللَّهِ﴾ .

٦ ـ **قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ . .﴾**[3] .

إن قلتَ : كيف اتصل هذا بقوله قبله : «وَمِن الأَحْزَابِ مَنْ يُنكِرُ بَعْضَهُ»؟

---

(١) سورة الرعد آية (٣٣) . (٢) سورة الزمر آية (٢٢).
(٣) سورة الرعد آية (٣٦) .

قلتُ : هو جوابٌ للمنكرين معناه : قل إنما أُمرت فيما أُنزل إليَّ ، بأن أعبد الله ولا أُشرك به ، فإنكاركُم لبعضه إنكارٌ لعبادة الله وتوحيده .

٧ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿**وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ المَكرُ جميعاً . .**﴾[1] .

إن قلتَ : كيف أثبتَ لهم مكراً ثم نفاه عنهم بقوله «فللَّهِ المكُر جميعاً » ؟.

قلتُ : معناه إن مكر الماكرين مخلوقٌ له ، ولا يضرُّ إلا بإرادته ، فإثباتُه لهم باعتبار الكسب ، ونفيُه عنهم باعتبار الخلق.

«تمت سورة الرعد »

* * *

---

(١) سورة الرعد آية (٤٢).

(٢) نبَّه تعالى على أن كيد المشركين ومكرهم، لإطفاء نور الله لا أثر له، فإن الأمر كلَّه بيد الله ، يردُّ كيدهم في نحورهم ، ويبطل ما عزموا عليه ، لأنه تعالى هو القويُّ الغالب.

سُورَة إبراهِيم

١ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ . .﴾[1].

إن قلتَ: هذا يقتضي أن النبي ﷺ إنما بُعث إلى العرب خاصة ، فكيف الجمعُ بينه وبين قوله: ﴿قُلْ يا أَيُّها النَّاسُ إِنِّي رسولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾[2]؟ وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾[3] ؟.

قلتُ: أُرسل الى النَّاس كافةً بلسان قومه وهم العرب، ونزولُه بلسانهم مع الترجمة لباقي الألسُنِ كافٍ ، لحصول الغرض بذلك ، ولأنه أبعدُ عن التحريف والتبديل ، وأسلمُ من التنازع والاختلاف . .

٢ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ

---

(١) سورة إبراهيم آية (٤) .
(٢) سورة الأعراف آية (١٥٨) .
(٣) سورة سبأ آية (٢٨) .

وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى . . ﴾[1] «مِنْ» زائدة، إذِ الإسلامُ يُغفر به ما قبله ، أو تبعيضيَّة لإخراج حقّ العباد .

٣ - قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[2] .

قال ذلك هنا ، وقال بعده ﴿وَعَلَى اللَّهِ فليتوكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ . لأن الإيمان سابق على التوكل .

٤ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ . . ﴾[3] . قدَّم «مِمَّا كسبوا» على ما بعده، لأن الكسب هو المقصودُ بالذِّكر ، بقرينة ما قبله، وإن كان القياسُ عكسُ ذلك كما في البقرة[4]، لأن «على شيءٍ»[5] صِلةٌ «لِيَقْدِرُونَ» و «مِمَّا كَسَبُوا» صفَةٌ لشيءٍ .

٥ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ . . ﴾[6] . قاله هنا بدون «لكم» وقاله في النمل بذكر «لكم» اكتفاءً هنا بذكره بعد، لا سيما وقد ذُكر مكرَّراً .

---

(١) سورة إبراهيم آية (١٠) .

(٢) سورة إبراهيم آية (١١) .

(٣) سورة إبراهيم آية (١٨) .

(٤) في البقرة ﴿لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ آية (٢٦٤) .

(٥) في المحمودية : « قبله » وهو خطأ ، وما أثبتناه هو الصواب كما في مخطوطة الجامعة .

(٦) سورة إبراهيم آية رقم (٣٢) .

٦ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ . .﴾[١].

إن قلتَ : كيف جعل الأصنام مضلَّةَ ، والمضِلُّ ضارٌّ ، وقد نفى عنهم الضرر بقوله : «وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ»؟!

قلتُ : نسبةُ الإضلال إليها مجازٌ ، من باب نسبة الشيء إلى سببه، كما يُقال : فتنتهم الدنيا ، ودواءٌ مُسْهِل ، فهي سببٌ للإضلال ، وفاعلُه حقيقةً هو اللَّهُ تعالى .

٧ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾[٢].

إن قلتَ : كيف استغفرَ إبراهيم عليه السلام لِوَالديْهِ وهما كافرانِ ، والاستغفارُ للكافر حرامٌ ؟!

قلتُ : المعنى : واغفرْ لوالديَّ إن أسلما[٣]، أو أراد

---

(١) سورة إبراهيم آيـة رقم (٣٦) .

(٢) سورة إبراهيم آية رقم (٤١) .

(٣) أقول : لا حاجة إلى هذا التقرير ، وإنما استغفر إبراهيم لأبيه ، لأنه كان قد وعده بالإيمان به كما قال تعالى ﴿ وما كان استغفارُ إبراهيم لأبيه إلَّا عنْ مَوْعدةٍ وعدَهَا إيَّاهُ فلمَّا تبَيَّنَ له أنهعدوٌّ للَّهِتبَـرَّأَ منهُ إنَّ إبراهيم لأَوَّاهٌ حليمٌ ﴾ فقد كان استغفارهُ له قبل أن يتحقق من كفره .

بهما آدم وحواء . .

٨ ـ قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ . .** ﴾[1] الآية.

إن قلتَ : كيف يحسبه النبي ﷺ غافلاً ، وهو أعلمُ الخلْقِ باللَّهِ ؟ !

قلتُ : المرادُ دوام نهيه عن ذلك ، كقولِهِ تعالى : ﴿**ولَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ وقولِهِ : ﴿**وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهاً آخَرَ**﴾ .

ونظيرُه في الأمر قولُه تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا آمِنُوا باللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾[2] .

أو هو نهيٌ لغير[3] النبي ﷺ ممَّن يحسبه غافلاً ، لجهلِهِ بصفاته تعالى .

« تمت سورة إبراهيم »

* * *

---

(١) سورة إبراهيم آية (٤٢) .

(٢) سورة النساء آية (١٣٦) .

(٣) هذا أسلوب التنبيه والتحذير، يُخاطب به القائدُ والرئيسُ والمرادُ به الأتباعُ والأعوان.

سُورَة الحِجْر

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾(١).

إن قلتَ: كيف وصفوه بالجنون، مع قولهم: «نُزِّلَ عليهِ الذِّكْرُ» أي القرآن، المستلزمُ ذلكَ لاعترافهم بنبوَّته ؟!

قلتُ: إنما قالوا ذلكَ استهزاءً وسُخرية، لا اعترافاً، كما قال فرعون لقومه: ﴿إنَّ رسولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إليكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾(٢).

أو فيه حذفٌ: أي يا أيها الذي تدَّعي أنَّكَ نزل عليك الذِّكرُ.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الوَارِثُونَ﴾(٣).

---

(١) سورة الحجر آية (٦).
(٢) سورة الشعراء آية (٢٧).
(٣) سورة الشعراء آية (٢٣).

إن قلتَ: كيف قال ذلك، والوارثُ من يتجدَّدُ له المُلْكُ، بعد فناءِ المورِّث، واللَّهُ تعالى لم يتجدَّدْ له مُلْكٌ، لأنه لم يزل مالكاً للعَالَم؟!

قلتُ: الوارثُ لغةً هو الباقي بعد فناءِ غيره، وإن لم يتجدَّدْ له مُلْك، فمعنى الآية: ونحن الباقون بعد فناء الخلائق، أو إنَّ الخلائق لمَّا كانوايعتقدون أنهم مالكون، ويسمون بذلك أيضاً مجازاً ثم ماتوا، خلُصت الأملاكُ كلُّها للَّهِ تعالى عن ذلك التعلق، فبهذا الاعتبار سُمِّي وارثاً.

ونظيرُ ذلك قولُه تعالى ﴿لِمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ لِلَّهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ﴾[1]، والمُلْكُ له أزليٌّ وأبديٌّ.

٣ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾[2].

قال ذلك هنا بتعريف الجنس، ليناسب ما قبلَه من التعبير بالجنس، في قوله تعالى «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ» «والجَانَّ خَلَقْنَاهُ» «فَسَجَدَ المَلاَئِكَةُ».

وقال في صٓ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتي إلى يَوْمِ الدِّين﴾. بالإضافة، ليناسب ما قبله من قوله «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِيَّ»؟.

---

(١) سورة غافر آية (١٦). (٢) سورة الحِجْر آية (٣٥).

٤ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾[١] .

قاله هنا بزيادة « إِخْوَاناً » لأنه نزل في أصحاب رسول الله ﷺ .

وقاله في غير هذه السورة[٢] بدونهم ، لأنه نزل في عامَّة المؤمنين .

٥ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾[٣]. حذف منه قبل قال اختصاراً ، قوله في هود «قالَ سلامٌ» وفي هود[٤]﴿ قالوا سَلَاماً قال سَلَامٌ فما لبث أن جَاءَ بعجلٍ حنيذٍ . فلمَّا رأى أيديَهُمْ لا تَصِلُ إليهِ نكرَهُمْ وأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ فحُذف للدلالة عليه .

٦ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَـلِيـمٍ﴾[٥] .

«لا تَوْجَلْ» أي لا تخفْ ، وبه عبَّر في هود[٦]

---

(١) سورة الحجر اية (٤٧) .

(٢) كما في قوله في الأعراف ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلٍ تجري من تحتهم الأنهارُ﴾ آية (٤٣) .

(٣) سورة الحجر آية (٥٢) .

(٤) في مخطوطة الجامعة وكذلك في المصوَّرة بعض غموض في العبا رة ، وما أثبتناه أوضح ، وهي عبارة الكرماني ويقتضيها السياقُ .

(٥) سورة الحجر آية (٥٣) .

(٦) في هود ﴿فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أُرسلنا إلى قوم لوط﴾ (آية (٧٠) .

توسعةً في التعبير عن الشيءِ الواحدِ بمتساويَيْن ، وخصَّ ما هنا بالأول لموافقته قولَه : « إنا منكُمْ وَجِلُونَ » وما في هود بالثاني لموافقتِهِ قولَه : « خِيفَةً » .

٧ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ إلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إنَّهَا لَمِنَ الغَابِرِينَ ﴾[٢] .

إسنادُ التقديرِ إلى الملائكةِ مجازٌ ، إذِ المقدِّر حقيقةً هو اللّٰهُ تعالى ، وهذا كما يقول خواصُّ المَلِكِ : دبَّرنا كذا ، وأمرنا بكذا ، والمدَبِّر ، والآمرُ هو الملِكُ ، وفي ذلكَ إظهارٌ لمزيد قربهم بالملك .

٨ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ إنَّ في ذلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوسِّمِينَ . وإنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ . إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣] .

إن قلتَ : كيف جمع الآية أولاً ، ووحَّدها ثانياً ، والقصَّةُ واحدةٌ ؟ !

قلت : جمع أولاً باعتبار تعدُّد ما قصَّ من حديث لوطٍ ، وضيف إبراهيم ، وتعرُّض أهلِ لوطٍ لهم ، وما كان من إهلاكهم ، وقلب المدينة على من فيها ، وإمطار الحجارة على من غاب عنها .

ووحَّد[٣] ثانياً : باعتبار وحْدَةِ قرية قوم لوط ، المُشار

---

(١) سورة الحجر آية (٦٠) . (٢) سورة الحجر آية (٧٦) .

(٣) في المصوَّرة ووجدها ثانياً ، وهو خطأ ، والصوابُ ما أثبتناه كما في مخطوطة الجامعة .

إليها بقوله : « وَإِنَّهَا لَبِسبِيلٍ مُقِيمٍ » .

٩ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الحِجْرِ المُرسَلِينَ ﴾ [٢].

« الحِجْر » اسمُ واديهم أو مدينتهم .

فإن قلتَ : أصحابهُ وهم قومُ صالحٍ ، إنما كذَّبوا صالحاً ، لأنه المُرْسلُ إليهم ، لا المُـرْسَلينَ كلَّهُمْ ؟ !

قلتُ : من كذَّب رسولاً واحـداً ، كذَّب جميـع الرُّسل ، لاتفاقـهم في دعوة النَّاس إلى توحيد اللَّهِ تعالى .

١٠ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

إن قلتَ : كيف قـال ذلـك هنـا ، وقـال في الرحمن ﴿ **فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ** ﴾ ؟

قلتُ : لأن في يوم القيامة مواقف ، ففي بعضها يُسألون ، وفي بعضها لا يُسألون ، وتقدَّم نظيرُه في هود .

أو لأن المراد هنا أنهم يُسألون سؤال توبيخٍ ، وهو لم فعلتم أو نحوه ، وثَمَّ لا يُسألون سؤال استعلامٍ واستخبار .

«تمت سورة الحِجْر »

* * *

---

(١) سورة الحجر آية (٨٠) . (٢) سورة الحجر آية (٩٣) .

سُورَة النّحْل

١ ـ قولُهُ تعالى: ﴿وَلَكُمْ فيها جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾[١] .

قدَّم الإراحة على السَّرح ، مع أنها مؤخرة عنها في الواقع ، لأن الأنعام وقت الإراحة ـ وهي ردُّها عشاءً إلى مَرَاحها ـ أجملُ وأحسنُ من سَرْحها ، لأنها تُقبِل مالئةَ البطون ، حافلةَ الضُّروع ، متهاديةً في مشيها ، بخلاف وقت سرْحِها ، وهو إخراجُها إلى المرعى .

٢ـ قولُهُ تعالى ﴿إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتفكَّرُونَ﴾[٢]

وحَّدَ الآية في هذه السورة في خمسة[٣] مواضعَ ،

---

(١) سورة النحل آية (٦) .

(٢) سورة النحل آية (١١) .

(٣) المواضعُ الخمس هي هذه الآية، والثانيةُ قولهُ ﴿إنَّ في ذلكَ لآيةً لقومٍ يَذَّكَّرون﴾ والثالثة ﴿إنَّ في ذلكَ لآيةً لقومٍ يَسْمعون﴾ والرابعةُ ﴿إنَّ في ذلك لآيةً لقومٍ يَعْقلُونَ﴾ والخامسةُ ﴿إنَّ في ذَلِكَ لآيةً لقومٍ يَتَفَكَّرونَ﴾ آيات (١٣ ، ٦٥ ، ٦٩).

نظراً لمدلولها .

وَجَمَعَها في موضعين [1] لمناسبة قوله قبلها « والنُّجومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمرِهِ » .

٣ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [2]. قاله هنا بتأخير « فيه » عن « مواخرَ » وبالواو في « ولتبتغوا » ، وقاله في « فاطر » بتقديم « فيه » وحذف الواو [3] ، جرياً هنا على القياس ، إذِ « الفُلْكُ » مفعول أول لترى ، و « مواخرَ » مفعولٌ ثانٍ له ، و « فيه » ظرفٌ وحقُّه التأخيرُ ، والواوُ للعطفِ على لامِ العلة ، في قوله : « لتأكلوا منه لحماً طرياً » وحَذَفَ الواوَ ، لعدم المعطوف عليه هنا .

٤ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [4]. هذا من عكس التشبيه ، إذْ مقتضَى الظاهر العكسُ ، لأن الخطابَ لعُبَّادِ الأوثان حيثُ سمَّوها آلهةً ، تشبيهاً به تعالى ، فجعلوا غيرَ الخالقِ كالخالق ، فَخُولف

---

(١) الأول قوله تعالى ﴿ إن في ذلكَ لآياتٍ لقومٍ يعقلون﴾ الثاني قوله ﴿إِنَّ في ذَلِكَ لآياتٍ لقومٍ يؤمنونَ﴾ آية (١٢ و ٧٩) .

(٢) سورة النحل آية (١٤) .

(٣) في فاطر ﴿ وَتَرَى الفُلْكَ فيهِ مواخرَ لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ آية (١٢).

(٤) سورة النحل آية (١٧) .

في خطابهم ، لأنهم بالغوا في عبادتها ، حتَّى صارت عندهم أصلاً في العبادة ، والخالقُ فرعاً ، فجاء الإنكار على وَفْقِ ذلك ، ليفهموا المراد على معتقدهم .

إن قلتَ : المرادُ بـ « مَنْ لَا يَخْلُقُ » الأصنام ، فكيف جيء بـ « مَنْ » المختصَّة بأولي العلمِ ؟ !

قلتُ : خاطبهم على معتقدهم ، لأنهم سمَّوها آلهةً وعبدوها ، فأجروها مجرى أولي العلم ، ونظيرهُ قولُه تعالى ﴿ **أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا** ﴾ الآية .

٥ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [(١)] .

إن قلتَ : ما فائدةُ قوله في وصف الأصنام « غيرُ أحياءٍ » بعد قوله « أمواتٌ » ؟

قلتُ : فائدتُه أنها أمواتٌ لا يَعْقبُ موتَها حياةٌ ، احترازاً عن أمواتٍ يعقبُ موتَها حياةٌ ، كالنُّطَفِ ، والبيض ، والأجسادِ الميتة ، وذلك أبلغُ في موتها ، كأنه قال : أمواتٌ في الحالِ ، غيرُ أحياءٍ في المآل .

٦ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [(٢)] .

---

(١) سورة النحل آية (٢١) .

(٢) سورة النحل آية (٢١) .

إن قلتَ : كيف عابَ الأصنام بأنهم لا يعلمون ، مع أنَّ المؤمنين كذلك ؟

قلتُ : معناه وما تشعر الأصنام متى تبعث عُبَّادها ؟ فكيف تكونُ آلهةً مع الجهل ؟ بخلاف المؤمنين فإنهم يعلمون أنه يوم القيامة .

٧ ـ قوله تعالى : ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ .﴾ [١] أي ليحملوا أوزار كفرهم مباشرةً ، ومِثلَ أو بعضَ أوزارِ كفرِ مَنْ أضلُّوهم ، بتسبُّبهم في كفرهم .. فـ « مِنْ » زائدة ، أو تبعيضيَّة .

وأمَّا قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ فمعناه وزراً لا مَدْخل لها فيه ، ولا تعلُّق له بها بتسبُّبٍ ولا غيرِه .

ونظيرُ هاتين الآيتين ، سؤالاً وجواباً ، قولُه تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خطاياكم وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [٢] .

٨ ـ قوله تعالى : ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ

---

(١) سورة النحل آية (٢٥) .

(٢) سورة العنكبوت آية (١٣) .

بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [1] قال فيه وفي الجاثية [2] «مَا عَمِلُوا » وفي الزُّمر [3] « مَا كَسَبُوا » موافقةً لِمَا قبلَ كلٍّ منها ، أو بعده ، أو قبله وبعده ، إذْ ما هنا قبله « ما كُنَّا نَعْمَلُ منْ سُوءٍ » و « تعملون » مرَّتين .

وقبْلَ ما في الجاثية « ما كنتم تعملون » و « عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ » وبعده « سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا » .

وقبلَ ما في الزمر « وذُوقُوا ما كنتُمْ تَكْسِبونَ » وبعده « فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » .

٩ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [4] .

إن قلتَ : هذا يدلُّ على أنَّ المعدوم شيءٌ ، وعلى أنَّ خطابَ المعدومِ جائزٌ ، مع أنَّ الأول منتفٍ عند أكثرِ العلماء ، والثاني بالإجماع .

قلتُ : أمَّا تسميتُه « شيئاً » فمجازٌ بالأول ، وأمَّا الثاني

---

(١) سورة النحل آية (٣٤) .

(٢) في الجاثية ﴿ وَبَدا لهمْ سيِّئَاتُ ما عَمِلُوا وَحَاقَ بهم مَا كَانوا بِهِ يَسْتَهْزِئونَ ﴾ آية (٣٣) .

(٣) في الزمر ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالذينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلاءِ سيصيبهُمْ سَيِّئَاتُ ما كَسَبُوا ومَا هُمْ بِمعجِزِينَ ﴾ آية (٥١) .

(٤) سورة النحل آية (٤٠) .

فلأنَّ ذلِكَ خطابُ تكوين ، لا خطابُ إيجاد [1] ، فيمتنع أن يكون المخاطب به موجوداً قبل الخطاب ، لأنه إنما يكون بالخطاب .

١٠ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّموَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ . . ﴾ [2]، تجوَّزَ بالسجود عن الانقياد ، فيما لا يعقل ، والسُّجودِ على الجبهة فيمن يعقل ، ففيه جمعٌ بين الحقيقة والمجاز ، وإنَّما لم يُغَلِّب العقلاء من الدَّواب على غيرهم ، كما في آية **﴿ واللّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾**لأنه أراد هنا عموم كلِّ دابة،ولم يقترنْ بتغليبٍ ، فجاء بـ « ما » التي تعمُّ النوعين ، وفي تلك ـ وإن أراد العموم ـ لكنَّه اقترن بتغليبٍ ، وهو ذكرُ ضميرِ العقلاء ، في قوله « فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي » فجاء بـ « مِنْ » تغليباً للعقلاء .

١١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمونَ ﴾[3] . قاله هنا ، وفي الروم [4] بالتَّاء ،

---

(١) في مخطوطة الجامعة : لا خطاب إيجار ، وهو خطأ ظاهر والصواب كما في المصوَّرة .

(٢) سورة النحل آية (٤٩) .

(٣) سورة النحل آية (٥٥) .

(٤) في الروم ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ بنفس الصيغة آية (٣٤).

بإضمار القول ، أي قل لهم : تَمتَّعوا ، كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾ [1] وقوله ﴿ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً ﴾ [2] .

وقال في العنكبوت [3] : ﴿ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ باللام والياء ، على القياس ، إذْ هو معطوفُ على اللاّم ومدخولها في قوله « لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ » ومدخولُها غائبٌ .

١٢- قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللّٰهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ . . ﴾ [4] « ما ترك عليها » أي على الأرض ، قال ذلك هنا ، وقال في فاطر : ﴿ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ .

تركَ لفظ « ظهر » هنا ، احترازاً عن الجمع بين الظائين : في ظهرها ، وظلمهم ، بخلافه في فاطر [5] ، إذْ لم يُذكر فيها « بظلمهم » .

فإن قلتَ : الآية تقتضي مؤاخذةَ البريءِ ، بظلمِ

---

(١) سورة إبراهيم آية (٣٠) .

(٢) سورة الزمر آية (٨) .

(٣) في العنكبوت ﴿لِيَكْفُروا بِمَا آتَيْناهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ آية (٦٦) .

(٤) سورة النحل آية (٦١) .

(٥) في فاطر ﴿ولو يؤاخذ اللَّه النَّاسَ بما كَسَبُوا ما تَرَكَ عَلى ظَهْرِهَا مِنْ دابةٍ ولكن يؤَخِّرهُمْ إلى أَجَلٍ مُسَمًّى. . .﴾ آية (٤٥) .

الظَّالم ، وذلكَ لا يحسُنُ من الحكيم ؟ !

قلتُ : المرادُ بالظُّلمِ هنا : الكفرُ ، وبالدَّابةِ : الدابَّةُ الظالمةُ وهي الكافرُ ، كما نُقِل عن ابن عباس رضي الله عنهما .

١٣ - قولُهُ تعالى : ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا . .﴾ [١] قاله هنا بحذف « مِنْ » لعدمِ ذكرها قبله ، وليوافق حذفُها بعده من قوله « لِكَيْلَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً » .

وقاله في العنكبوت [٢] بإثباتها ، ليوافق التعبيرُ بها في قوله قبلُ : **﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ من نَزَّل مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾** .

وأثبتها في قولِهِ في الحج [٣] **﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾** ليوافقَ التعبيرُ بها قبلُ في قوله **﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ من نُطْفَةٍ﴾** الآية .

١٤ - قولُهُ تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ . . ﴾ [٤] الآية. قاله هنا بإفراد

---

(١) سورة النحل آية (٦٥) .

(٢) في العنكبوت ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ من السَّماءِ ماءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها لَيَقُولُنَّ اللّهُ ﴾ (آية ٦٣) .

(٣) في الحج ﴿ومنكم من يُرَدُّ إلى أَرْذَلِ العُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ علمٍ شَيْئاً ﴾ آية (٥) .

(٤) في المؤمنين ﴿ وإنَّ لكم في الأنعام لَعِبْرةً نَسْقيكم مِمَّا بُطُونها ولَكُمْ فيها مَنافعُ كثيرةٌ ومنها تَأْكُلُونَ﴾ آية (٢١) .

الضمير مذكَّراً ، وفي المؤمنين « بطونها » بجمعه مؤنثاً ، نظراً هنا إلى أن الأنعام « مفـردٌ » كما نقله الزمخشري عن سيبويه ، وثَمَّ إلى أنه « جمعٌ » كما هو الشائع .

١٥ـ قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً . . ﴾[١] الآية. أي من جنسكم ، كما قال تعالى ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ . . ﴾[٢] الآية .

١٦ـ قوله تعالى: ﴿ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾[٣]. قاله هنا بزيادة « هُمْ » وفي العنكبوت[٤] بدونها .

لأَنَّ ما هنا اتَّصل بقوله : **﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً ﴾** إلى آخره ، وهو بالخطاب ، ثم انتقل إلى الغَيْبَة فقال : ﴿ أفبالباطلِ يُؤْمنون وبنعمةِ اللَّهِ هم يكفرونَ ﴾ فلو ترك « هم »[٥] لالْتَبستِ الغَيْبةُ بالخطاب ، بأن تُبْدل الياءُ تاءً .

---

(١) سورة النحل آية (٧٢).
(٢) سورة التوبة آية (١٢٨).
(٣) سورة النحل آية (٧٢) أيضاً .
(٤) في العنكبوت ﴿ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرونَ ﴾ آية (٦٧).
(٥) في المصوَّرة : فلو ترهم ، وهو خطأٌ .

١٧ ـ قوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِنَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئاً وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾[1].

غَلَّبَ فيهِ مَنْ يَعْقِلُ، على مَنْ لا يَعْقل، فعبَّر بالواو والنُّون، إذْ في مَنْ يُعْبَدُ، مَنْ يعقِلُ كالعُزَيْر، والمسيح، ومن لا يَعْقِلُ كالأصنام، وأفردَ « يملكُ » نظراً إلى لفظ « مَا » وجمع نظراً إلى معناها[3]، كما قال تعالى ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الفُلْكِ وَالأَنْعامِ مَا تَرْكَبُونَ * لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ﴾.

فإن قلتَ: ما فائدة نفي استطاعة الرزق، بعد نفي ملكه ؟!

قلتُ: ليس في « يستطيعون » ضميرُ مفعولٍ هو الرِّزقُ، بل الاستطاعةُ منفيَّةٌ عنهم مطلقاً، في الرِّزق وغيره، وبتقدير أنَّ فيه ضميراً، لا يلزم من نفي المُلْكِ نفيَ استطاعته، لجواز بقاء الاستطاعة على اكتساب المُلْك، بخلافِ هؤلاء فإنهم لا يملكون، ولا يستطيعون أن يملكوا !!

(١) سورة النحل آية (٧٣).

(٢) سورة الزخرف آية (١٣).

(٣) الإفراد « يملكُ » باعتبار اللفظ، لأن لفظ « ما » مفرد، والجمع « يستطيعون » باعتبار المعنى، لأن معناها الجمع.

١٨ ـ قوله تعالى: ﴿ **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ . .** ﴾[(١)] الآية .

فائدة ذكره « مَمْلوكاً » بعد قوله « عَبْداً » الاحترازُ عن الحُرّ ، فإنه عبدُ اللَّهِ تعالى ، وليس مملوكاً لغيره ، وفائدةُ « لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ » بعد قوله « مملوكاً » الاحترازُ عن المأذون له ، والمكاتَبِ ، لقدرتهما على التّصرف استقلالاً .

١٩ ـ قوله تعالى : ﴿ **هَلْ يَسْتَوُونَ الحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[(٢)] .

إن قلتَ : لِمَ جَمَع ولم يُثَنِّ ، مع أنَّ المضروبَ به المثلُ اثنان : مملوكٌ ، ومَنْ رَزَقه اللَّهُ رزقاً حَسَناً ؟!

قلتُ جُمع باعتبار جِنْسَيْ المماليك ، والمالِكين .

أو نظراً إلى أن أقلَّ الجمع اثنان [(٣)].

٢٠ ـ قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ البَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ . .** ﴾[(٤)] .

---

(١) سورة النحل آية (٧٥).

(٢) سورة النحل آية (٧٥) أيضاً .

(٣) هذا الجمعُ ﴿لا يَسْتَوُونَ﴾ لأنه قصد العبيد والأحرار، فجاء بصيغة الجمع .

(٤) سورة النحل آية (٧٧).

إن قلتَ : « أَوْ » للشَّكِّ ، وهو على اللَّهِ مُحَالٌ ، فَما معنى ذلك ؟

قلتُ : « أو » هنا بمعنى الواو ، أو للشكِّ بالنسبة إلينا ، أو بمعنى « بَلْ » ونظيرُ ذلكَ قولُه تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إلى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ ، وقولُه : « فَهِيَ كَالحِجَارةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً » . . وأُورِد على الأخير أنَّ « بل » للإضراب[1] ، وهو رجوعٌ عن الإخبار ، وهو على الله محال . . ويُجاب بمنع أنه مُحَال ، بناءً على جواز وقوع النسخ في الأخبار ، وهو جائزٌ عند الأشاعرة مطلقاً ، خلافاً للمعتزلة فيما لا يتغيَّر .

٢١ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَجَعَلَ لكم سَرَابيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ ﴾[2] « سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحرَّ » أي والبرد ، وإنما حَذَفه لدلالة ضدِّه عليه ، كما في قوله تعالى ﴿ بِيَدِكَ الخَيْرُ ﴾ أي والشرُّ .

وخصَّ الحرَّ ، والخيْرَ بالذِّكر[3] ، لأن الخطابَ بالقرآن

---

(١) هذا على القول بأن « أو » بمعنى بل ، و « بل » للإضراب وهو الانتقال من كلام إلى آخر .

(٢) سورة النحل آية (٨١) .

(٣) إنما خصَّ الخير بالذكر في الآية ﴿ بيدكَ الخيرُ ﴾ أدباً مع الله تعالى ، لأن الشرَّ لا يُنسب إليه تعالى من باب الأدب ، وإن كان خلقاً منه وإيجاداً كما في قوله تعالى ﴿ الذي خلقني فهو يهدين . والذي هو يُطْعِمُني ويسقينِ . وإذا مرضتُ فهو يشفينِ ﴾ .

أول ما وقع بالحجاز ، والوقايةُ من الحَرِّ ، أهمُّ عند أهله ، لأن الحرَّ عندهم أشدُّ من البرد ، **والخيرُ** مطلوبُ العبادِ من ربهم دون الشَرِّ .

٢٢ـ قوله تعالى: ﴿ يعرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَها وأَكْثَرُهُمُ الكَافِرُونَ ﴾[١] .

إن قلتَ : بل كلُّهم كافرون ؟!

قلتُ : المرادُ بالأكثرِ هنا الجمعُ .

٢٣ ـ قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِك ﴾[٢] .

إن قلتَ : ما فائدةُ قولهم ذلك ، مع أنه تعالى عالمٌ بهم ؟!

قلتُ : لما أنكروا الشِّركَ بقولهم **﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾** عاقبهم اللَّه بإصماتِ ألسنتهم ، وأنطقَ جوارِحهم[٣] ، فقالوا عند معاينة آلهتهم : « رَبَّنا هَؤُلَاءِ

(١) سورة النحل آية (٨٣).

(٢) سورة النحل آية (٨٦).

(٣) أشار إلى قوله تعالى ﴿ اليومَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْواهِهِمْ وتُكَلِّمنا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أرجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ وقد ثبت في الصحاح أن الكافر ، حين يُنكِرُ ما فعل في الدنيا ، يُختم على فمه وتنطق جوارحه بما صنع .

شُرَكَاؤُنَا » .

فأقرُّوا بعد إنكارهم طلباً للرحمة ، وفـراراً من الغضب ، فكان هذا القولُ على وجه الاعتراف منهم بالذنب ، لا على وجهه إعلام من لا يعلم ، أو أنهـم لما عاينوا عظيم غضب الله ، قالوا ذلك رجاء أن يُلزِم اللَّهُ الأصنامَ ذنوبهم فيخفَّ عنهم العذاب .

٢٤ ـ قوله تعالى : ﴿ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾(١) .

« فَأَلْقَوْا » أي الشركاء كالأصنام « إليهِمُ القَوْلَ » فُسِّر القولُ بقوله : « إِنَّكُمْ لَكَاذِبونَ » أي في قولكم : إنكم عبدتمونا . !

فإن قلتَ : لِمَ قالت الأصنامُ للمشركين ذلك ، مع أنهم كانوا صادقين فيه ؟! .

قلتُ : قالوه لهم لتظهر فضيحتُهم ، حيثُ عبدوا من لا يعلمُ بعبادتهم .

فإن قلتَ : كيف أثبت للأصنام نُطقاً هنا ، ونفاه عنها في قوله في الكهف : « فدَعَوْهُمْ فلمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ »؟!

---

(١) سورة النحل آية (٨٦).

قلتُ : المثبتُ لهم هنا ، النُّطقُ بتكذيب المشركين ، في دعوى عبادتهم لها ، والمنْفِيُّ عنها في الكهفِ النُّطقُ بالإجابةِ إلى الشفاعة لهم ، ودفع العذاب عنهم ، فلا تَنَافي .

٢٥ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَنزَّلْنا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدَىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[1] .

إن قلتَ : إذا كان كذلكَ ، فكيف اختلفتِ الأئمةُ في كثيرٍ من الأحكام ؟!

قلتُ :لأن أكثر الأحكام ليس منصوصاً[2] عليه فيه ، وبعضُها مستنبطٌ منه ، وطُرُق الاستنباطِ مختلفة ، فبعضُها بالإحالة إمَّا على السُنَّة، بقولهِ تعالى « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْه فَانْتَهُوا » وقولِه : « وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى » أو على الإجماع بقوله تعالى « فاعتبرُوا يَا أُوْلِي الأَبْصَارِ » والاعتبارُ : النَّظَرُ والاستدلالُ اللَّذان يحصل بهما القياسُ .

٢٦ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[3] .

---

(١) سورة النحل آية (٨٩). (٢) في المصوَّرة :ليس منصوباً عليه وهو خطأ ظاهر.
(٣) سورة النحل آية (٩٦).

قاله هنا بلفظ « ما » وفي الزُّمر بلفظ « الذي » موافقةً في كلٍّ منهما لما قَبْلَه ، إذْ قبل ما هنا ﴿إنَّما عِندَ اللَّهِ هو خيرٌ لكم ﴾ وقوله﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنـدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ وقبل ما هناك ﴿أَسوَأَ الَّذي كَانُوا يَعْمَلون﴾ وقوله ﴿وَالَّذي جَاءَ بِالصِّدْقِ ﴾ .

٢٧ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا . . ﴾[١] الآية . كرَّر فيها وفي قوله بعدُ : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذينَ عَمِلُوا السُّوءَ بجهالة ﴾ الآيـة . « إنَّ رَبَّكَ »[٢] لطول الكلام بين اللفظين ، قيل : ومثلُه : ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ ﴾ .

٢٨ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَفْسِها . . ﴾[٣] الآية .

إن قلتَ : ما معنى إضافةِ النَّفس إلى النفسِ ، مع أن النَّفسَ لا نَفْسَ لها ؟

قلتُ : النفس تُقال للروح ، وللجوهر القائم بذاته ،

---

(١) سورة النحل آية (١١٠) .

(٢) تكرر اللفظ في قوله تعالى ﴿ثُمَّ إنَّ ربَّكَ للَّذينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُواثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إنَّ ربَّك من بعدها لغفورٌ رحيمٌ ﴾ فقد تكرر لفظ ﴿إن ربّك﴾ فيها مرتين .

(٣) سورة النحل آية (١١١) .

المتعلق بالجسم ، تعلُّق التدبير ، ولجملةِ الإنسان ، ولعينِ الشيءِ وذاتِهِ ، كما يُقال : نفسُ الذهب والفضَّة محبوبةٌ أي ذاتُهما .

فالمرادُ بالنفس الأولى الإنسانُ ، وبالثانيةِ ذاتُه ، فكأنه قال : يوم يأتي كلُّ إنسان يُجادل عن ذاتِه ، لا يهمُّه شيءٌ آخر غيره ، كلٌّ يقولُ : نفسي ، نفسي .

٢٩ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾[١] .

قاله هنا بحذف النون ، وفي النَّمل[٢] بإثباتها ، تشبيهاً لها بحروف العِلَّة ، وخصَّ ما هنا بحذفها موافقةً لقوله قبلُ ﴿**قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ ولسبب نزول هذه الآية ، لأنها نزلت تسليةً للنبي ﷺ حين قُتل عمُّه « حمزة » ومُثِّل به ، فقال ﷺ : لأفعلنَّ بهم ولأصنعنَّ ، فأنزل الله تعالى ﴿ **وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ** ﴾ الآية ، فبالغ في الحذف ليكون ذلك مبالغةً في التسلية ، وإثباتُها في النمل ، جاء على القياس ، ولأن الحُزْن ثَمَّ ، دون الحزْنِ هنا .

« تمت سورة النحل »

* * *

---

(١) سورة النحل آية (١٢٧) .

(٢) في النمل ﴿ ولا تحزنْ عليهم ولا تكنْ في ضَيْقٍ ممَّا يمكرُونَ ﴾ آية (٧٠) .

سُورَة الإسْــرَاء

١ ـ قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى . . ﴾[١].

قال « بعبده » دون نبيِّه أو حبيبه ، لئلا تضِلَّ به أمَّتُه ، كما ضلَّت أمَّةُ المسيح ، حيث دعته إلَهاً .

أو لأن وصفه بالعبودية ، المضافةِ إلى الله تعالى أشرف المقامات ، وقال « ليلاً » مُنَكَّراً ، ليدلَّ على قِصَر زمن الإسراء ، مع أنَّ بين مكة وبيت المقدس ، مسيرة أربعين ليلةً ، لأن التنكيرَ يدلُّ على البعضيَّة .

والحكمةُ في إسرائه ﷺ من بيت المقدس ، دون مكة ، لأنه محشرُ الخلائق ، فيطؤه بقدمه ليسهل على أمته يوم القيامة ، وقوفهم ببركة أثر قدمه .

أو لأنه مجمعُ أرواح الأنبياء ، فأراد الله أن يُشرِّفهم بزيارته ﷺ .

---

(١) لم يقل تعالى بمحمد، وإنما قال «بعبده» تَشريفاً وتعظيماً له صلوات الله عليه ، فإنَّ إضافته إليه إضافة تشريفٍ وتكريم ، فافهم سرَّ التعبير رعاك الله .

أو أُسريَ به منه ، ليشاهد من أحواله وصفاته ، ما يُخبر به كفار مكة ، صبيحة تلك الليلة ، فيكون إخباره بذلك مطابقاً لما رأوْا ، وشاهداً ودليلاً على صدقه في الإسراء .

٢ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ . . ﴾[١] .

هو أعمُّ من أن يُقال : باركنا عليه ، أو فيه ، لإفادته شمول البركة ، لما أحاط بالمسجد من أرض الشام بالمنطوق ، وللمسجد بمفهوم الأولى .

٣ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا . . ﴾[٢] الآية .

« فَلَها » اللاَّمُ للاختصاص ، أو بمعنى « عَلَى » ، كما في قوله تعالى : « ويَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً » .

٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ﴾[٣] .

قال ذلك هنا بلفظ « كبيراً » ، وقاله في الكهف بلفظ « حَسَناً » ، موافقةً للفواصل قبلهما وبعدهما .

---

(١) سورة الإسراء رقم (١) أيضاً .
(٢) سورة الإسراء آية (٧).
(٣) سورة الإسراء آية (٩).

٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ . . ﴾[١].

إن قلتَ : لَمَ ثَنَّى الآية هنا ، وأفردها في قوله ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَها آيَةً ﴾[٢]؟

قلتُ : لتباين اللَّيلِ والنَّهارِ من كل وجه ، ولتكررهما ، فناسبهما التثنيةُ ، بخلاف « عيسى » مع أمِّه ، فإنَّه جزءُ منها ، ولا تكرر فيهما ، فناسبهما الإفرادُ .

٦ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً . . ﴾[٣].

أي مضيئة لأن النَّهار لا يُبصِر[٤].

٧ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ إِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴾[٥].

لا يُنافي قوله تعالى :﴿وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ لأن في يوم القيامة مواقف مختلفة ، ففي موقفٍ يَكِلُ اللَّهُ حسابهم

---

(١) سورة الإسراء آية (١٢).
(٢) سورة الأنبياء آية (٩١).
(٣) سورة الإسراء آية (١٢).
(٤) هذا يسمى في علم البلاغة « المجاز العقلي » لأنه يُدرك بالعقل ذلك .
(٥) سورة الإسراء آية (١٤).

إلى أنفسهم ، وعلمُه محيطٌ به ، وفي موقفٍ يحاسبُهم هو تعالى .

وقيل : هو الذي يحاسبُهم لا غيرُ ، وقولُه ﴿ كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴾ أي يكفيك أنك شاهدٌ على نفسك بذنوبها ، فهو توبيخٌ وتقريعٌ ، لا تفويضُ حسابِ العبدِ إلى نفسه[1] .

وقيل : من يريدُ مناقشته[2] في الحساب ، يُحاسبه بنفسه ، ومن يريد مسامحته يَكِلُ حسابَه إليه .

٨ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا . . ﴾[3] الآية .

« أمرنا مترفيها » أي أردنا منهم الفسق ، أو أمرناهم بالطاعة[4] ، أو كثَّرناهم ففسقوا ، يُقال : أَمَرتُه ، وآمَرتُه ، بالقصر والمَدِّ بمعنى كثَّرته . وقيَّد بالمترفين وإن كان الأمرُ لا يختصُّ بهم ، لأن صلاحهم أو فسادهم ، مستلزمٌ لصلاح غيرهم أو فساده .

---

(١) هذا هو الصحيح أن الآية وردت مورد التقريع والتوبيخ أي كفى بنفسك شاهداً عليها بما اقترفت من جرائم وآثام .

(٢) في مخطوطة الجامعة « مناقشةً » وما أثبتناه من المصوَّرة وهو الصحيح .

(٣) سورة الإسراء آية (١٦).

(٤) هذا هو الصحيح في معنى الآية أي أمرناهم بطاعتنا ففسقوا وعصوا وخالفوا ، ففي الآية حذفٌ لأن الله لا يأمر بالفحشاء .

٩ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ . . .** ﴾[١] الآية .

إن قلتَ : قضيَّتُه أنَّ من لم يتركِ الدنيا يكونُ من أهل النار ، وليس كذلك ؟!

قلتُ : المراد من لم يُرِدْ بإسلامه وعبادته إلَّا الدنيا ، وهذا لا يكون إلَّا كافراً ، أو منافقاً .

١٠ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً** ﴾[٢] أي ممنوعاً .

إن قلتَ : كيف قال ذلك ، مع أنَّا نشاهد الواحدَ ، لا يقدر على دانقٍ ، وآخرُ معه الألوف ؟ !

قلتُ : المراد بالعطاء هنا الرِّزقُ ، واللّٰهُ سوَّى في ضمانه بين المطيع والعاصي [٣] من العباد ، فلا تفاوت بينهم في أصل الرزق ، وإنما التفاوتُ بينهم في مقادير الأملاكِ ، وإنما لم يمنع الكفَّارَ الرِّزقَ ، كما منعهم الهدايةَ ، لأنَّ في منعهِ له هلاكَهم ، وقيامَ الحجة لهم ، بأن يقولوا : لو أمهلتنا ورزقتنا ، لبقينا أحياءَ فآمنَّا .

---

(١) سورة الإسراء آية (١٨).

(٢) سورة الإسراء آية (٢٠) .

(٣) ضمن لهم الرزق في قوله ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ والدابة كل ما يدبُّ ويمشي على وجه الأرض من إنسان وحيوان .

ولأنه لو منعهم الرزق لكان قد عاجَلهم بالعقوبة ، ولكان ذلك من صفاتِ البخلاء ، واللَّهُ منزَّه عن ذلك ، لأنه حليمٌ كريمٌ .

ولأن إعطاء الرزق لجميع العبادِ عدلٌ ، وعدلُ اللهِ عامٌّ ، وهِبةُ الهدايةِ فضلٌ ، والفضلُ بيدِ اللَّهِ يؤتيه من يشاء .

١١ ـ **قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً﴾** [١] . قال ذلك هنا ، ثم قال : **﴿ولا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ ولا تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُورًا﴾** ثم قال : **﴿ولا تجعلْ مَعَ اللّهِ إلهاً آخَرَ فَتُلْقَى في جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً﴾** .

ولا تكرار فيها ، لأنَّ الأولى في الدنيا ، والثالثة في الآخرة . والخطابُ فيهما للنبي ﷺ على الراجح والمرادُ به غيرهُ ، كما في آية « إمَّا يبلغنَّ عندك الكِبَر أحدُهُما أو كلاهما » .

وأما الثانية فخطابٌ للنبي ﷺ أيضاً ، وهوالمرادُ به ، وذلك أن امرأة ، بعثتْ صبيّاً إليه مرَّة بعد أُخرى ، سألته قميصاً ، ولم يكن عليه ولا له قميصٌ غيره ، فنزعه

---

(١) سورة الإسراء (٢٢) .

ودفعه إليه ، فدخل وقتُ الصلاة فلم يخرج في الحين ، فدخل عليه أصحابه فرأوه على تلك الصِّفة ، فلاموه على ذلك ، فأنزل الله « فتقعد مَلُوماً » أي يلومك النَّـاس « محْسُوراً » أي مكشوفاً ، وقيل : مقطوعاً عن الخروج إلى الجماعة .

١٢ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا﴾ [١] الآية .

فائدة ذكر « عِنْدَكَ » أنهما يكبران في بيته وكنفه ، ويكونان كَلًّا عليه ، لا كافل لهما غيره ، وربَّما ناله منهما من المشاقِّ ، ما كان ينالهما منه في حال الصِّغَر .

١٣ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ولاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَساَء سَبِيلاً﴾ [٢]، هو أعمُّ من أن يُقال : « ولا تَزْنُوا » ليفيدالنَّهيَ عن مقدِّمات الزِّنا ، كاللَّمس والقُبلة بالمنطوق ، وعن الزِّنا بمفهوم الأَوْلى .

١٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا القُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إلَّا نُفوراً﴾ [٣].

---

(١) هذا القول ضعيفٌ، فلم تردْ روايةٌ في الصحيح عن هذه القصَّة، وإنما هي مذكورة في بعض كتب التفسير ، والصحيح أن الآيـة تنهي المؤمن عن الإسراف والتقتير.

(٢) سورة الإسراء آية (٣٢) .

(٣) سورة الإسراء آية (٤١) .

قال ذلك هنا بحذف « للنَّاسِ » اكتفاءً بذكره قبلُ ، بلفظ « وكلَّ إنسانٍ أَلْزمناه طائرهُ في عُنُقِهِ » .

وقاله بعدُ بذكره [1] ، ليتميَّز عن الجنِّ ، لجريان ذكرهما معاً قبل .

وقُدِّمَ على « في هذا القرآن » هنا في الآية الثانية ، اهتماماً بالتمييز المذكور ، وبالنَّاس لأنهم الأصلُ في التكليف ، ولهذا اقتصر عليهم في غالب الآيات كقوله « يا أيها النَّاسُ » وقوله « من بعدما بيَّناه للنَّاس » وقوله « الذي أُنزل فيه القرآنُ هدىً للنَّاس » [2] .

وعَكَسَ [3] في الكهف لمناسبة قولِه قبلُ « مَا لِهَذا الكِتَابِ لا يُغادِرُ صَغيرةً وَلَا كبيرةً » ؟

١٥ ـ قوله تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَـهُ السَّمٰوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ [4] الآية . ضميرُ « فيهنَّ » عائد إلى السمواتِ والأرض ، والتسبيحُ ـ وهو التنزيهُ ـ شاملٌ للتسبيح بلسان المقال ، كما في المؤمنين ، وبلسان الحال

---

(١) في قوله تعالى ﴿لقد صرَّفنا للناس في هذا القرآن من كلِّ مثل فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾ آية (٨٩) فقد سبقها قوله تعالى ﴿قل لئنِ اجتمعتِ الإنسُ والجنُّ﴾ الآية .

(٢) سورة البقرة آية (١٨٥) .

(٣) سورة الكهف آية (٤٩) ﴿ولَقَدْ صَرَّفْنَافي هَذَا القُرْآنِ للنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾

(٤) سورة الإسراء آية (٤٥) .

كما في سائر الموجودات ، إذْ كلّ موجود يدلُّ على قدرته تعالى ، وفي ذلك جمعٌ بين الحقيقة والمجاز ، وهو جائزٌ عند الشافعي رضي الله عنه .

فإن قلتَ : يمنع من شموله للثاني قوله ﴿**ولكنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾ لأنه مفقوهُ لنا ؟

قلتُ : الخطاب فيه للكفّار ، وهم لم يفقهوا تسبيحَ الموجودات ، لأنهم أثبتوا لله شركاً ، وزوجاً ، وولداً ، بل هم غافلون عن أكثر دلائل التوحيد ، والنبوّة ، والمعاد .

١٦ ـ قوله تعالى ﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً﴾ [١]

أعادها بعينها آخر السورة ، وليس تكراراً، لأن الأولى من كلامهم في الدنيا ، حين أنكروا البعث ، والثانية من كلام الله تعالى ، حين جازاهم على كفرهم وإنكارهم البعث فقال : ﴿**مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً**﴾ [٢] الآية .

وقال هنا : ﴿**ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا**﴾ وفي الكهف ﴿**ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا**﴾ بزيادة

---

(١) سورة الإسراء آية (٤٩) .

(٢) سورة الإسراء آية (٩٧) .

«جهنم» اكتفى هنا بالاشارة ، ولِتقدم ذكر جهنم وهي - وإن تقدَّمت في الكهف - لم يكتف بالإشارة ، بل جمع بينها وبين العبارة ، لاقتران الوعيد بالوعد بالجنات في قوله ﴿إِنَّ الَّذين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾ ليكون الوعد والوعيد [1] ظاهـريْنِ للمستمعين .

١٧ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [2] .

إن قلتَ : لمَ خصَّ « داود » بالذّكر ؟

قلتُ : لأنه اجتمع له ما لم يجتمع لغيره من الأنبياء ، وهو الرسالةُ ، والكتابةُ ، والخطابةُ ، والخلافةُ ، والمُلْكُ ، والقضاءُ ، في زمن واحد ، قال تعالى ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطَابِ﴾ [3] وقال ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً في الأَرْضِ فَاحكُمْ بين النَّاسِ بِالحقِّ . .﴾ [4] .

فإن قلتَ : لمَ نكَّر الزَّبور هنا ، وعرَّفه في قوله :

---

(١) المراد بالوعد والوعيد « الترغيبُ والترهيبُ » الذي وردت في هذه الآيات الكريمة .

(٢) سورة الإسراء آية (٥٥) .

(٣) سورة صٓ آية (٢٠) .

(٤) سورة صٓ آية (٢٦) .

« ولقد كتبنا في الزبور » ؟

قلتُ : يجوز أن يكون الـزبور من الأعـلام التي يستعمل بـ « أل » وبدونها ، كالعباس ، والفضل .

أو نكّرهُ هنا بمعنى آتيناه بعض الزُّبر وهي الكتب ، أو أراد به ما فيه ذكرُ النبي ﷺ من الزبور ، فسمَّى بعض الزَّبور زبوراً ، كما سمَّى بعض القرآن قرآناً في قولـه تعـالى : ﴿**وَقُرْآنـاً فَـرَقْنَـاهُ لِتَقْـرَأَهُ عَلَى النَّـاسِ عَلَى مُكْثٍ**﴾[1] .

١٨ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾[2] .

قاله هنا بالضمير لقرب مرجعه ، وهو الرَّبُّ في قوله « وربُّك أعلمُ » .

وقال في سبأ ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ﴾ بالإسم الظاهر ، لبعد مـرجع الضمـير لو أُتي بـه ، والمـرادُ فيهما : قـل ادعوا الـذين زعمتمـوهم آلهـةً من دون الله أي غيـره لينفعوكم بزعمكم .

فإن قلتَ : كيف قال « من دونه » مع أن المشركين

---

(١) سورة الإسراء آية (١٠٦) .

(٢) سورة الإسراء آية (٥٦) .

ما زعموا غير الله إلَهاً دون الله ، بل مع الله على وجه الشركة ؟

قلتُ : في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ ، تقديره : قل ادعوا الذين من دون الله زعمتم أنهم شركاء .

١٩ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذَّب بها الأولون . .**﴾[١]، أي وما منعنا أن نرسل رسولاً ، بالآيات التي اقترحها أهل مكة على النبي ﷺ ، كجعل الصفا ذهباً ، وإزالةِ جبالِ مكة [٢] ليزرعوا ، إلا تكذيب الأولين بها أي بآياتٍ اقترحوها على رسلهم لمَّا أرسلناها فأهلكناهم ، ولو أرسلناها إلى هؤلاء لكذَّبوا بها واستحقوا الإِهلاك ، وقد حكمنا بإمهالهم ليتم أمرُ النبي ﷺ ، ولأنَّا لا نعجل بالعقوبة .

فإن قلتَ : كيف قال « وَمَا مَنَعَنَا » الخ مع أنه تعالى لا يمنعه عن إرادته مانعٌ ؟

قلتُ : المنعُ هنا مجازٌ عن الترك ، كأنه قال : وما كان سببُ تركِ الإِرسال بالآيات ، إلَّا تكذيب الأولين .

٢٠ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**وآتينا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً . .**﴾[٣]

---

(١) سورة الإسراء آية (٥٩) .

(٢) في المصوَّرة : وإزالة مكة وقد سقط منها لفظة « جبال » وما أثبتناه في مخطوطة الجامعة .

(٣) سورة الإسراء آية(٥٩) .

أي دالَّة كما يُقال : الدليل مرشدٌ وهادٍ .

فإن قلتَ : ما وجهُ ارتباط هذا بما قبله ؟

قلتُ : لمَّا أخبر [1] بأن الأولين كـذَّبوا بـالآيات المقترحة ، عيَّن منها « ناقةَ صـالح » لأن آثـار ديارهم الهالكة باقيةٌ في بلاد العرب ، قريبةٌ من حـدودهم ، يُبصـرها صادرُهم وواردُهم .

٢١ ـ قوله تعالى : ﴿ فَظَلَمُوا بِهَا . . ﴾ أي بالناقة .

الباءُ ليست للتعدية ، لأن الظلم يتعدَّى بنفسه ، فالمعنى : فظلموا أنفسهم بقتلها أي بسببه .

٢٢ ـ قوله تعالى : ﴿وَمَا نُـرْسِلُ بِالآياتِ إلاَّ تَخْوِيفاً﴾ [2] .

إن قلتَ : هذا يدل على الإرسال بالآيات ، وقوله قبلُ « وما منعنا أن نرسل بالآيات » يدلُّ على عدمه ؟ !

قلتُ : المرادُ بالآياتِ هنا : العِبَرُ ، والدَّلالاتُ ، وفيما قبلُ : الآياتُ المقترحة .

٢٣ ـ قوله تعالى : ﴿والشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ في القُرْآنِ﴾ [3]

---

(١) في الأصل : لما أخبرنا الأولين ، وما أثبتناه من المصوَّرة وهو الصواب .
(٢) سورة الإسراء آية (٥٩) .
(٣) سورة الإسراء آية (٦٠) .

إن قلتَ : ليس في القرآن لعنُ شجرةٍ ؟

قلتُ : فيه إضمارٌ تقديره : والشجرة الملعونة المذكورة في القرآن .

أو معناه : الملعونُ آكلوها وهم الكَفَرةُ ، أو الملعونةُ بمعنى المذمومة ، وهي مذمومة في القرآن بقوله تعالى : ﴿**إنَّ شجرةَ الزَّقومِ طعامُ الأَثيمِ**﴾ [1] وبقوله تعالى : ﴿**طَلْعُهَا كأنَّهُ رءوسُ الشَّياطِينِ**﴾ .

أو الملعونة بمعنى المبعدة ، لأن اللَّعنَ لغةً : الطَّرْدُ والإبعادُ . وهذه الشجرةُ مبعدةٌ عن مكانِ رحمة الله تعالى وهو الجنة ، لأنها في قعر جهنم ، وهذا الإبعادُ مذكورٌ في القرآن بقوله تعالى « إنها شجرةٌ تخرجُ في أصلِ الجحيم » .

٢٤ - قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ . . ﴾ [2] .

قاله هنا بتكرير الخطاب ، كنظيره في « أرأيتكم » [3] في الأنعام ، لدلالته على أن المخاطَب به أمرٌ عظيم ،

---

(١) سورة الدخان آية (٤٤).

(٢) سورة الإسراء آية (٦٢).

(٣) في قوله تعالى ﴿ قل أرأيتكم إن أتاكم عذابُ الله أو أتتكم الساعة ﴾ آية (٤٠).

وهو هنا كذلك، لأنه ـ لعنهُ اللَّهُ ـ ضمِنَ بقوله « لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيتَهُ إِلَّا قَلِيلاً » إغواءَ أكثرهم .

٢٥ ـ قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَءُونَ كتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمونَ فَتِيلاً ﴾[1] .

جَاءَهُمُ الهُدَىٰ . . ﴾[1] الآية .

قال ذلك هنا ، وقاله في الكهف[2] بزيادة « ويستغفروا ربَّهم » لأن المعنى هنا : ما منعهم عن الإيمان بمحمد ، إلَّا قولُهم : « أبعثَ الله بشراً رسولاً »؟ هلاَّ بعث مَلَكاً !! وجهلوا أن التَّجانس يورثُ التَّوانس ، والتغايرَ يورثُ التنافر .

والمعنى في الكهف : ما منعهم عن الإيمان والاستغفار ، إلا إتيانُ سنَّة الأوَّلين ، فزاد فيها « وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ » لاتصاله بقوله « سُنَّةَ الأَوَّلِينَ » وهم قومُ نوحٍ ، وهود ، وصالح ، وشعيب ، حيث أُمروا بالاستغفار .

فنوحٌ قال : « اسْتَغْفِرُوا ربَّكُمْ إنَّهُ كَانَ غَفَّاراً »[3] . **وهود قال** : « ويَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ »[4] . **وشعيب قال** : « وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ »[5] .

---

(١) سورة الإسراء آية (٩٤).

(٢) في الكهف ﴿ وما مَنَعَ النَّاسَ أن يُؤْمنُوا إذ جاءهُمُ الهُدَى ويستغفِرُوا رَبَّهُمْ إلَّا أن تأتيهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ أو يأتيهُمُ العَذَابُ قُبُلًا ﴾ آية (٥٥).

(٣) سورة نوح آية (١٠).

(٤) سورة هود آية (٦١) .

(٥) سورة هود آية (٩٠) .

٢٧ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً ﴾[١].

قال ذلك هنا بتقديم « شَهِيداً » على « بيني وبينكم » وقاله في العنكبوت[٢] بالعكس . . لأن ما هنا جاء على الأصل من تقديم المفعول ، وما في العنكبوت جاء على خلاف الأصل ، ليتّصل وصف الشهيد به ، وهو قوله تعالى ﴿يعلمُ ما في السمواتِ والأرض ﴾ .

٢٨ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ . . ﴾[٣].

قال ذلك هنا بلفظ « قادرٌ » وفي الأحقاف[٤] بلفظ « بقادرٍ » وفي يسٓ « أوليس الذي خلق السمواتِ والأرضَ بقادرٍ » . . لأن ما هنا خبر « إن »، وما في يسٓ خبر « ليسَ » وخبرها تدخلُه الباء ، وما في الأحقاف خبرُ « إنَّ » وكانَ القياسُ عدمُ دخول الباء فيه ، لكنَّها دخلته تشبيهاً لـ «لَمْ » بـ« ليس » في النفي .

٢٩ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ

---

(١) سورة الإسراء آية (٩٦).

(٢) في العنكبوت ﴿ قل كفى باللَّهِ بيني وبينكم شهيداً ﴾ آية (٥٢).

(٣) سورة الإسراء آية (٩٩).

(٤) في الأحقاف ﴿ أولمْ يروا أنَّ اللهَ الذي خَلَق السمواتِ والأرضَ ولم يَعْيَ بخلقهنَّ بقادرٍ على أن يُحيِيَ الموتى بلى إنه على كل شيء قديرٌ ﴾ آية (٣٣).

﴿إِلَّا رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ . . ﴾[1].

إن قلتَ : كيف قال موسى عليه السلام لفرعون ذلك ، مع أن فرعون لم يعلم ذلك ، لأنه لو علم ذلك لم يقل لموسى عليه السلام « مسحوراً » بل كان يؤمن به ؟!

قلتُ : معناه لقد علمتَ لو نظرتَ نظراً صحيحاً ، ولكنك معاندٌ مكابرٌ ، تخشى فواتَ دعوى الألوهية لو صدَّقتني . !

٣٠ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً ﴾[2].

أي هالكاً ، أو ملعوناً ، أو خاسراً .

فإن قلتَ : كيف قال له « لَأَظُنُّكَ » مع أنه يعلم أنه مثبورٌ ؟!

قلتُ : الظنُّ هنا بمعنى العلم ، كما في قوله تعالى « الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم »[3].

---

(١) سورة الإسراء آية (١٠٢).
(٢) سورة الإسراء آية (١٠٢).
(٣) سورة البقرة آية (٤٦).

وإنما عبَّر بالظنِّ ، ليُقَابل[1] قـولَ فرعـونَ له : « لأظنُّكَ مسحوراً » كأنه قال : إذا ظننتني مسحوراً ، فأنا أظنُّك مثبوراً .

٣١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ يَخِـرُّونَ لِـلأَذْقَـانِ سُجَّداً . . ﴾[2] الآية .

كرَّره[3] لأن الأول واقعٌ في حال السجود ، والثاني في حال البكاء ، أو الأول واقعٌ في قراءة القرآن ، أو سماعه ، والثاني في غير ذلك .

« تمت سـورة الإِسـراء »

* * *

---

(١) فرعون قال لموسى : ﴿ إني لأظنُّكَ يا موسى مسحوراً ﴾ فكان جواب موسى مقابلاً لجوابه حين قال له : ﴿ وإني لأظنُّك يا فرعون مثبوراً ﴾ وهذا من لطيف علم البديع .

(٢) سورة الإسراء آية (١٠٢).

(٣) التكرار جاء في قوله تعالى بعدُ ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً ﴾ آية (١٠٩).

سُورَة الكَهْف

١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً . قَيِّماً . . ﴾[1] .

إن قلتَ : ما فائدة ذكره « قيّماً » بعد قوله « ولم يجعلْ له عِوَجاً » لأنَّ نفي العِوَج يستلزم الإقامة ؟!

قلتُ : فائدتُه التأكيد في وصف كتاب الله العظيم ، أو معنى « قَيِّماً » أنه قائمٌ على الكتب السماوية كلِّها ، مصدِّقاً لها ، ناسخاً لبعض شرائعها .

ونُصب « قيِّماً » بمقدَّرٍ تقديره : لكنْ جعَلَه قيِّماً .

٢ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أيُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً ﴾[2] .

أي لنعلمه علم ظهورٍ ومشاهدة[3] .

---

(١) سورة الكهف آية (٢) .

(٢) سورة الكهف آية (١٢) .

(٣) إنما فسَّره بذلك لأن الله تعالى عالمٌ بما كان وما يكون ، قد أحاط بكل شيءٍ علماً ، فعلمُه تعالى أزليٌّ ، لا يحتاج إلى امتحانه للعبدِ ليعرف ما يصدر منه ، =

٣ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ . . ﴾[١] « وثامنُهم » الواوُ فيه زائدة ، وقيل : مستأنفةٌ ، وقيل : واوُ الثمانيةِ كما في قوله تعالى ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾[٢] وقال الزمخشري وغيرُه : هي الواوُ التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنَّكرة ، كما تدخل على الصفة الواقعة حالاً في المعرفة ، تقول : جاءني رجلٌ ومعه آخر ، ومررتُ بزيد وبيده سيفٌ ، ومنه قوله تعالى :﴿وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتابٌ معلوم ﴾[٣].

وفائدتُها توكيدُ اتّصال الصفة بالموصوف ، والدلالة على أن اتّصالها أمرٌ ثابتٌ مستقرٌّ .

٤ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ واتلُ ما أوحيَ إليك من كتاب ربك لا مبدِّل لكلماته . . ﴾[٤].

أي من البشر ، وإلاَّ فاللَّهُ يبدّلها ، قال تعالى : « ما ننسخ من آيةٍ أو نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا »[٥]

=ولهذا يقول المفسرون : « علم ظهور وكشف ، لا علم بَدَاءٍ ومعرفة » وهذا يجري في كل ما جاء في القرآن الكريم حول الآيات المشابهة .

(١) سورة الكهف آية (٢٢).

(٢) سورة الزمر آية (٧٣).

(٣) سورة الحجر آية (٤).

(٤) سورة الكهف آية (٣٧).

(٥) سورة البقرة آية(١٠٦).

وقال : « وإذا بدَّلنا آيةً مكان آيةٍ »[1] الآية .

٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ . .﴾[2].

إن قلتَ : في هذا إباحةُ الكفر ؟!

قلتُ : لا ، لأن هذا إنما ذُكر تهديداً لهم ، بناءً على أن الضمير في « شَاءَ » لِـ « مَنْ » وعليه الجمهور .

أو المعنى : فمن شاء الله إيمانه آمنَ ، ومن شاء كفره كَفَر ، بناءً على أن الضمير فيه « للَّهِ » كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما .

٦ ـ قوله تعالى : ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ . .﴾[3] الآية .

إن قلتَ : لبسُها في الدنيا حرامٌ على الرجال ، فكيف وعد اللهُ بها المؤمنين في الجنة ؟

قلتُ : عادةُ ملوكِ الفرسِ والروم ، لبسُ الأساورِ والتيجان ، دون مَنْ عداهم ، فلذلك وعد اللهُ المؤمنين

---

(١) سورة النحل آية(١٠١).
(٢) سورة الكهف آية (٢٩).
(٣) سورة الكهف آية (٣١).

بها لأنهم ملوكُ الآخرة[1].

٧ - قوله تعالى : ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ . . ﴾[2] الآية .

أفردها بعد تثنيتها ليدلَّ على الحصر ، أي لا جنة له غيرها ، ولا نصيب له في جنة غيره ، ولم يقصد جنَّةً معيَّنةً من الجنَّتين ، بل جنس ما كان له في الدنيا .

٨ - قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً ﴾[3] .

إن قلتَ : كيف قال الكافر ذلك وهو يُنكر البعث ؟

قلتُ : معناه : ولئن رُددتُ إلى ربي على زعمك ، ليعطيَنِّي هناكَ خيراً منها ، ونظيره قولُه تعالى في فصِّلت ﴿وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى ﴾ وعبَّر هنا بـ « رُدِدْتُ » وثَمَّ بـ « رُجِعْتُ » توسعةً في التعبير عن الشيء بمتساويين .

---

(١) ما ذكره الشيخ رحمه الله من التعليل ، قد يكون له وجهٌ من الحكمة ، والأظهر أن يقال : إن الدنيا دار تكليف ، والآخرة دار تشريفٍ ، فما كان حراماً هنا كالخمر ولبس الذهب والحرير ، إنما هو للابتلاء والامتحان ، وأما في الآخرة فكل شيءٍ تشتهيه نفس المؤمن مباح لأنها دار الفضل والتشريف ، والله أعلم .

(٢) سورة الكهف آية (٣٥).

(٣) سورة الكهف آية (٣٦).

٩ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَداً ﴾[١] .

فائدةُ ذكرِ « أَنَا » في مثل ذلك ، حصرُ الخبر في المبتدأ ، كما في قوله تعالى : « إنّي أَنَا ربُّك » وقوله : « إنِّي أَنَا اللَّهُ » .

١٠ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ هُنَالِكَ الوَلاَيَةُ لِلَّهِ الحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً ﴾[٢] .

« خَيْرٌ »[٣] هنا ليست على بابها ، إذْ غيرُ الله لا يُثيب ، ولا تُحمد طاعته في العاقبة ، ليكون اللهُ خيراً منه ثواباً وعقباً، أو ذلك على سبيل الفرضِ والتقدير .

١١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً ﴾[٤] .

أتى به ماضياً ، مع أن ما قبله مضارعين وهما : « ويوم نُسيِّر الجبالَ وتَرَى الأرضَ بارزةً » ليدلَّ على أنَّ حشرهم ، كان قبل السّير والبروز ، لِيُعاينوا تلك الأهوال والعظائم ، كأنه قال : وحشرناهم قبل ذلك .

---

(١) سورة الكهف آية (٣٩).

(٢) سورة الكهف آية (٤٤).

(٣) في المخطوطة « خبر » بالباء ، وهو خطأٌ ظاهر .

(٤) سورة الكهف آية (٤٧).

١٢ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ **وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا** ﴾[1] .

إن قلتَ : كيف قال ذلك ، مع أن الصغائر تُكفَّر باجتناب الكبائر ، لقوله تعالى : « إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عنه نُكَفِّرْ عنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ »[2]؟!

قلتُ : الآيةُ الأولى في حقِّ الكافرين ، بدليل قوله « فترى المجرمين » والثـانيةُ في حقِّ المؤمنين ، لأن اجتناب الكبائر لا يتحقَّق مع الكفر .

أو يُقال : الأولى في حقِّ الـمؤمـنيـن أيضاً ، لكن يجوز أن يُكتب الصغائر ، ليشاهدها العبد يوم القيامة ، ثم يُكفَّر عنه فيعلم قَدْر نعمةِ العفوِ عليه .

١٣ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ . .** ﴾[3] .

إن قلتَ : هذا يدلُّ على أن « إبليس » من الجنِّ ، وهو منافٍ لقوله تعالى في البقرة : « وإذْ قُلْنَا للملَائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلَّا إبليسَ » فإنه يدلُّ على أنه من الملائكة ؟

---

(١) سورة الكهف آية (٤٩).

(٢) سورة النساء آية (٣١).

(٣) سورة الكهف آية (٥٠).

قلتُ : في ذلك قولان :

أحدهما : أنه من الجنّ لظاهر هذه الآية ، ولأنَّ له ذريةً كفرة ، بل أكفر الكفرة . بخلاف الملائكة لا ذرية لهم ، ولا يعصون الله ما أمرهم ، لأنهم عقولٌ مجردة لا شهوةَ لهم ، ولا معصيةَ إلَّا عن شهوة ، فالاستثناءُ في تلك الآية منقطعٌ .

وثانيهما وهو المختارُ[1] أنه من الملائكة ، قبل أن يعصي الله تعالى ، فلمَّا عصاه مسخه شيطاناً ، ورُوي ذلك عن ابن عباس ، كما رُوي عنه أيضاً أنه كان من خُزَّانِ الجنة ، وهم جماعةٌ من الملائكةِ يسمَّون الجنَّ ، فـ« كان » بمعنى صار .

أو المعنى كان في سابق علمه تعالى ، أو من الجنّ الذين هم من الملائكة ، فالاستثناءُ متَّصلٌ ، ولا منافاة بين الآيتين .

---

(١) ما ذكره أنه هو المختار قولٌ مرجوح بل ضعيفٌ ، فإن « إبليس » من الجنِّ لا من الملائكة ، للأمور الآتية : أ ـ لأن الملائكة لا يعصون أمر الله ، وإبليس قد عصى أمر ربه . ب ـ ولأن الملائكة خُلقت من نور ، وإبليس يقول « خلقتني من نارٍ » وهو طبيعة الجن لا الملائكة . جـ ـ الملائكة لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة ، وليس لهم ذرية ، وإبليس له ذرية وبينهم تزاوجٌ وتناكح كالبشر . د ـ النصّ الصريح ﴿ كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ يدل على أنه من الجن ، وقد قال الحسن البصري : ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين ، وهذا هو اختيار المحققين من العلماء .

١٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ . . ﴾(١) الآية .

إن قلتَ : كيف قال ذلك ، مع أن الشيطان وذريته ، ليسوا أولياء بل أعداء ، لأن الأولياء هم الأصدقاء ؟!

قلتُ : المرادُ بالولاية هنا ، اتِّباعُ النَّاسِ لهم فيما يأمرونهم به من المعاصي ، فالموالاةُ مجازٌ عن هذا ، لأنه من لوازمها .

١٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا . . ﴾(٢) .

قاله هنا بالفاء ، الدالة على التعقيب ، لأن ما هنا في الأحياء من الكفَّار ، فإنهم ذُكِّروا فأعرضوا عَقِب ما ذكِّروا ، وقاله في السجدة(٣) بـ « ثمَّ » الدالة على التراخي ، لأن ما هناك في الأموات من الكفار ، فإنهم ذُكّروا مرَّة بعد أخرى ، ثم أعرضوا بالموتِ فلم يؤمنوا .

١٦ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا

---

(١) سورة الكهف آية (٥٠).

(٢) سورة الكهف آية (٥٧).

(٣) في السجدة ﴿ ومن أظلم ممن ذُكِّر بآياتِ ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون ﴾ آية (٢٢).

حُوتَهُمَا . . ﴾[١] الآية .

إن قلتَ : كيف قال ذلك ، مع أن النَّاسي « يوشع » وحده ؟

قلتُ : نسبةُ النسيانِ إليهما مجازٌ ، أو المرادُ أحدهما ، كنظيره في قوله تعالى ﴿ يَخْرجُ منهما اللُّؤْلُؤُ والمَرْجَانُ ﴾ .

وقيل : نسيَ « موسى » بفقده الحوتِ ، و« يوشع » أن يُخبره بخبره .

١٧ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا** . . ﴾[٢] الآية .

قاله بغير فاءٍ ، وقال بعد : « حتَّى إذَا لَقِيَا غُلَاماً فَقَتَلَهُ » بالفاء ، لأنه جعل خَرْقها جزاءَ الشرط ، فلم يحتج للفاء ، وجعل قتل الغلام من جملة الشرط ، فعطفه عليه بالفاء ، وجزاء الشرط قوله « قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بغيرِ نفسٍ » .

١٨ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً** ﴾[٣] .

---

(١) سورة الكهف آية (٦١).

(٢) سورة الكهف آية (٧١).

(٣) سورة الكهف آية (٧١) أيضاً .

قاله بلفظ « الإِمْرِ » لأنه للعجب ، والعجب كما يكون في الخير ، يكون في الشرِّ ، وقاله بعد في قتل الغلام بلفظ « نُكْراً » لأنه لا يكون إلا في الشرّ ، وقتلُ النفسِ أعظمُ من مجرَّد خرق السفينة ، فناسب كلٌّ ما هو فيه ، ولذلك قال في خرق السفينة « أَلَمْ أَقُلْ إنَّكَ » بحذف « لك » وفي قتل الغلام « ألَمْ أَقُلْ لكَ إنَّكَ » بذكره ، ولأن في ذكره ، قصدَ زيادة المواجهة ، بالعتاب على تركِ الوصيَّةِ مرَّة ثانية .

١٩ - قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً ﴾[١].

جاء بالأول بالتاء « تَسْتَطِعْ » على الأصل ، وفي الثاني « تَسْطِعْ » بحذفها تخفيفاً لأنه الفرعُ ، وعَكَس ذلك في قوله « فَمَا اسْطَاعُوا أن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً » لأن مفعول الأول اشتمل على حرفٍ ، وفعل وفاعل ، ومفعول ، فناسبه الحذف تخفيفاً ، بخلاف مفعول الثاني فإنه اسم واحد ، وهو قوله « نقباً » فناسبه البقاءُ على الأصل .

٢٠ - قوله تعالى : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ

---

(١) سورة الكهف آية (٧٨).

يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا . . ﴾[1] .

قاله **الخَضِرُ** في خرقِ السفينةِ ، وقال في قتلِ الغلام « فَأردْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا ربُّهُما خَيْراً منْهُ » وفي إقامةِ جدارِ اليتيمينِ « فَأَرَادَ ربُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا » .

لأنَّ الأول في الظاهر إفسادٌ محضٌ ، فأسنده إلى نفسه .

وفي الثالث إنعامٌ محضٌ ، فأسنده إلى ربه تعالى .

وفي الثاني إفسادٌ من حيثُ القتلُ ، وإنعامٌ من حيثُ التبديلُ ، فأسنده إلى ربِّه ونفسه ، كذا قيل في الأخيرة .

والأوجهُ فيه ما قيل : إنه عبَّر عن نفسه فيه بلفظ الجمع[2] ، تنبيهاً على أنه من العِظَام[3] في علوم الحكمة ، فلم يُقْدِم على القتل إلَّا لحكمة عالية .

٢١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ . . ﴾[4] .

---

(١) سورة الكهف آية (٧٩).
(٢) أراد قوله ﴿فأردنا أن يبدلهما﴾ .
(٣) أي العظماء جمعُ عظيم يقال : عظام وعظماء .
(٤) سورة الكهف آية (٨٦).

إن قلتَ : الشمسُ في السَّماءِ الرابعة[1]، وهي بقـدر كـرة الأرض مـائـةً وستين ، أو وخمسين ، أو وعشرين مرَّة ، فكيف تَسَعها عينٌ في الأرضِ تغربُ فيها ؟

قلتُ المرادُ وجدها في ظنّه ، كمـا يرى راكبُ البحر ، الشمسَ طالعةً وغاربةً فيه ، « فذو القرنين » انتهى إلى آخر البُنيانِ في جهة الغَرْب ، فوجد عيناً واسعة ، فظنَّ أن الشمس تغربُ فيها .

فـإن قلتَ : « ذو القرنين » كـان نبياً ، أو تقيـاً حكيماً ، فكيف خفي عليه هذا حتى وقع في ظنٍّ ما يستحيلُ وقوعُه .

قلتُ : الأنبياء والحكماءُ لا يبعد أن يقع منهم مثلُ ذلـك ، ألا ترى إلى ظنِّ مـوسى فيمـا أنكـره على الخضِر ، وأيضاً فاللَّه قادرٌ على تصغير جُرْم الشمس ، وتوسيعِ العينِ وكرة الأرضِ[2]، بحيث تسع عينُ الماء

---

(١) ليس هناك دليل ثابتٌ على أن الشمس في السماء الثالثة أو الرابعة ، وإنما النصوص تدلُّ على أن جميع الشموس والأقمار والكواكب دون السماء الأولى لقوله تعالى ﴿ ولقد زينا السَّمَاءَ الدنيا بمصابيح ﴾ وأعظم هذه المصابيح المضيئة بالنسبة لكوكبنا الأرضي هو الشمس .

(٢) لا حاجة إلى هذه التأويلات البعيدة ، فإنما أخبر عن رؤية ذي القرنين للشمس ، وهي تغـرب فى ذلك المكـان ، حسب رؤيته وبصـره ، لا حسب=

عينَ الشمس ، فلمَ لا يجوز ذلك ، ولم يُعلم به لقصور عقولنا عن الإحاطة بذلك !!

٢٢ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً ﴾[١] .

أي قَدْراً لحقارتهم ، وليس المرادُ فلا ننصبُ لهم ميزاناً ، لأن الميزانَ إنما يُنصبُ ليوزن به الحسناتُ ، في مقابلته السيئات ، والكافر لا حسنةَ له ، وأما قوله تعالى ﴿وأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ فهو فيمن غلبتْ سيئاتُه على حسناته من المؤمنين ، فإنه يدخل النار لكنْ لا يُخلَّد فيها .

« **تمت سورة الكهف** »

* * *

= الحقيقة ، فإن الشمس أوسع وأكبر من أن تسعها الكرة الأرضية ، كما يرى الراكب في السيارة أن الأرض كأنها هي التي تسيرُ ، وذلك من سرعة المركبة .

(١) سورة الكهف آية (١٠٥).

سُورَة مَرْيَم

١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿يَـرِثُنِي وَيَـرِثُ مِنْ آلِ يَعْقوبَ . .﴾[1] .أي يرث العلم والنبوة لا المال ، لخبر « نحن معاشرَ الأنبياء لا نورثُ ما تركناه صدقة »[2] . .
وورث يتعدَّى بنفسه وبـ « مِنْ » وقد جُمع بينهما في الآية ، وقيل : « مِنْ »للتبعيض لا للتعدية ، لأن آل يعقوب لم يكونوا كلهم أنبياء ولا علماء ، وعلى الأول المرادُ من « آل يعقوب » الأنبياء ، لأنهم الذين لا يورِّثون إلَّا العلم والنبوَّة .

٢ -قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً . . ﴾[3] الآية .

إن قلتَ : كيف استبعدزكريا ذلك وأنكره ؟

قلتُ : لم يفعله إنكاراً ، بل ليُجاب بما أجيب به عن

(١) سورة مريم آية (٦) .
(٢) الحديث أخرجه البخاري .
(٣) سورة مريم آية (٨) .

طلبه الولد ، وهو قولُه تعالى : «يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسمُه يَحْيَى » فيزدادُ الموقنون إيقاناً ، ويرتدع المبطلون .

أو قاله : تعجُّبَ فرحٍ وسرور ، لا تعجُّب إنكارٍ واستبعاد ، ويعقوب المذكور هو أبو « يوسف » وقيل : هو أخو زكريا ، وقيل : هو أخو عمران أبي مريم عليه السلام .

٣ ـ قوله تعالى : ﴿**قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً** . . ﴾[١] أي علامة .

فإن قلتَ : كيف طلب العلامة على وجود الولد ، بعدما بشَّره اللَّهُ تعالى ؟

قلتُ : ليبادر إلى الشكر ، ويتعجل السرور ، إذِ الحملُ لا يظهر في أول العلوق ، فأراد معرفته أول وجوده ، فجعل الله آية وجوده عجزَه عن كلام الناس .

٤ ـ قوله تعالى : ﴿**وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيّاً**﴾[٢] .

قال ذلك هنا ، وقال بعده « ولم يجعلني جباراً شقياً » لأن الأول في حق « يحيى » والثاني في حقّ

---

(١) سورة مريم آية (١٠) .

(٢) سورة مريم آية (١٤) .

« عيسى » عليهما السلام .

٥ - قوله تعالى: ﴿وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً﴾[١]

قاله هنا : في قصَّة « يحيى » منكَّراً ، وقال بعدُ في قصة « عيسى » : ﴿والسَّلاَمُ عليَّ يومَ وُلدتُ﴾ معرَّفاً ، لأن الأول من الله ، والقليلُ منه كثيرٌ ،والثاني من عيسى و « أل » للاستغراق ، أو للعهد كما في قوله تعالى : ﴿كما أرسَلْنَا إلى فرعَوْنَ رسُولاً . فَعَصى فرعونُ الرَّسولَ﴾ أي ذلك السلامُ الموجَّه إلى يحيى موجَّه إليَّ .

٦ - قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا . .﴾[٢] أي جبريل .

فإن قلتَ : كيف قال ذلكَ ، مع اتفاق العلماء على أن الوحي لم ينزل على امرأة ، ولهذا قالوا في قوله « وأوحينا إلى أُمّ موسى » أنه وحيُ إلهام ، وقيل : وحي منام .

قلتُ : لا نُسلِّم أن الوحي لم يُنزَّل على امرأة ، فقد قال مقاتل في قوله تعالى « وأوحينا إلى أمِّ موسى » أنه كان وحياً بواسطة جبريل ، والمتَّفقُ عليه[٣] إنما هو وحي

(١) سورة مريم آية (١٥) .
(٢) سورة مريم آية (١٧) .
(٣) أي المتفق على منعه إنما هو وحي الرسالة والنبوة ، لا مجرد الوحي .

الرسالة ، لا مطلق الوحي ، والوحيُ هنا إنما هو ببشارة الولد لا بالرسالة .

٧ ـ قوله تعالى : ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً﴾[1] .

إن قلتَ : كيف قالت مريم ذلك ، مع أنه إنما يُتعوَّذ من الفاسق لا من التقيِّ ؟

قلتُ : معناه إن كنتَ ممن يتَّقي اللَّهَ ، فأنتَ تنتهي عني بتعوذي باللَّهِ منك .

وقيل : ظنَّته رجلاً اسمُه « تقيٌّ » ـ وكان فاجراً ـ فتعوَّذتْ منه[2] .

٨ ـ قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً﴾[3] بتقدير إنما أنا رسولُ ربِّكِ، يقول لكِ : أرسلتُ رسولاً إليكِ لأهب لكِ ، فيكون حكاية عن الله ، لا من قول جبريل ،وقُرِىء «لِيَهَبَ لَكِ » أي ليهب ربُّكِ لكِ غلاماً ، أو بإسناد الهبة إلى جبريل مجازاً ،أي لأكون سبباً في هبة الولد ، بواسطة نفخي في درعها ، فهو من قول جبريل .

---

(١) سورة مريم آية (١٨) .

(٢) الصحيح أن المعنى إن كنت تقياً فاتركني ولا تؤذني ، فهو شرطٌ حُذف جوابه .

(٣) سورة مريم آية (١٩) .

٩ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً﴾[١] . لم تقل : بغيَّة ، لما قاله ابن الأنباري من أنَّ « بغيّاً » غالبٌ في النساء ، وقلَّ ما يقول العرب : رجلٌ بغيٌّ ، فتركوا التاء فيه إجراءً له مجرى حائض ، وعاقر .

أوهو : «فعيل» بمعنى فاعل ، فتركوا التاء فيه كما في قوله تعالى : « إنَّ رحمةَ اللَّهِ قريبٌ من المحسنينَ » . . أو لموافقة الفواصل .

١٠ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً﴾[٢] مرتَّبٌ على مقدَّرٍ بينه وبين الشرط تقديره : فإما ترينَّ من البشر أحداً ، فيسألك الكلام ، فقولي إني نذرتُ الآية ، وبهذا سقط ما قيل من أن قولها « فلن أُكَلِّم اليومَ إنسيّاً » كلامٌ بعد النذر ، إذ هو بهذا التقدير من تمام النذر لا بعده .

١١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً﴾[٣] .

إن قلتَ : كيف أُمر بذلك مع أنه كان طفلاً ، وخطابُ التكليفِ إنما يكون بعد البلوغ والتمييز ؟

---

(١) سورة مريم آية (٢٠) .
(٢) سورة مريم آية (٢٦) .
(٣) سورة مريم آية (٣١) .

قلت : ذلك لا يدلُّ على أنه أوصاه بأداء ذلك في الحال ، بل أوصاه في الحال بالأداء بعد البلوغ والتمييز ، أو أن الله صيَّره عقب ولادته بالغاً مميِّزاً ، بدليل قوله تعالى « إن مَثَلَ عيسى عند الله كمثلِ آدمَ » فكما أنه تعالى خلق آدم تاماً كاملاً دفعةً ، فكذا القول في « عيسى » عليهما السلام ، وهو أقرب إلى ظاهر قوله ﴿مـادمتُ حياً﴾ ، فما أوصاه بذلك إلا بعد بلوغه وتمييزه .

فإن قلتَ : الزكاة إنما تجب على الأغنياء ، وعيسى لم يزل فقيراً ، لابساً كساءً مدة مكثه في الأرض ، مع علمه تعالى بحاله ، فكيف أوصاه بها ؟!

قلتُ : المراد بالزكاة هنا تزكيةُ النفس وتطهيرها من المعاصي ، لا زكاة المال .

١٢ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وإنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[١] .

قال ذلك هنا ، وقال في الزخرف « وإنَّ اللَّهَ هوَ ربِّي وربُّكُمْ » بزيادة « هو » لأنه تعالى ذكر قصة عيسى عليه السلام هنا مستوفاة ، فأغنى ذلك عن التأكيد ، بخلافه ثَمَّ ، ولذلك قال هنا : « فـويلٌ للذينَ كفـروا » وفي

(١) سورة مريم آية (٣٦) .

الزخرف « فويلٌ للذين ظلموا » إذِ الكفرُ أشدُّ قبحاً من الظلم ، فكان وصفُ من ذُكر بالكفر ، في المحلِّ الذي استوفى فيه قصة عيسى ، أنسبَ بالمحلّ الذي أجمل فيه قصَّته .

وقال هنا : « أَسْمِعْ بهمْ وأَبْصِرْ » وعكَسَ في الكهف[1] ، لأن معناه هنا أنه تعالى ذكر قصص الأنبياء ، فاسمعْها وتدبَّرْها ، واستعملْ النظر فيها ببصيرتك ، ومعناه في الكهف أنه تعالى له غيبُ السمواتِ والأرض ، فاجعلْ بصيرتك في الفكر في مخلوقاته ، وتدبَّرها بحيثُ تصلُ إلى معرفته ، واسمع لصفاته ووحِّدْهُ ، فناسب تقديم السمع هنا ، والبصرِ ثَمَّ .

١٣ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلاَمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً﴾[2].

إن قلتَ : الاستغفارُ للكافر حرامٌ ، فكيف وعد إبراهيم عليه السلام أباه ، بالاستغفار له مع أنه كافرٌ ؟

قلتُ : معناه سأسأل اللَّهَ لك توبةً ، تنال بها مغفرته يعني الإسلامَ ، والاستغفارُ للكافر بهذا الوجه جائزٌ ، كأن يقول : اللهم وفِّقْه للإسلام ، أو تبْ عليه واهده . أو أنه

(١) في الكهف ﴿أَبْصِرْ بِهِ وأَسْمِعْ ما لهمْ من دُونِهِ مِنْ وَليٍّ﴾ آية (٢٦) .
(٢) سورة مريم آية (٤٧) .

وعده ذلك قبل تحريم الاستغفار للكافر .

١٤ ـ قوله تعالى : ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ . . ﴾[1] .

أي الذي يلي يمين موسى ، حين أقبل من مَدْين .

١٥ـ قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيّاً﴾[2] .

إن قلتَ : هارون كان أكبر من موسى ، فما معنى هبته له ؟

قلتُ : معناه أن الله تعالى أنعم على موسى عليه السلام ، بإجابتهِ دعوتَه فيه ، حيثُ قال : « واجعلْ لي وَزِيراً منْ أهلي . هارونَ أخي » الآية،فمعنى هبته له ، جعلَه عضداً له وناصراً ومعيناً .

١٦ـ قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئاً﴾[3] .

قاله هنا : وقال في الفرقان « وعمل عملاً صالحاً » لأنه تعالى أوجز هنا في ذكر المعاصي ، فأوجز في التوبة ،

---

(١) سورة مريم آية (٥٢) .
(٢) سورة مريم آية (٥٣) .
(٣) سورة مريم آية (٦٠) .

وأطال ثَمَّ فأطال .

١٧ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً ﴾[1] .

إن قلت : ما فائدة ذكر العدِّ بعد الإحصاء ، مع أن الاحصاء هو العدُّ أو الحصرُ ، والحصرُ لا يكون إلا بعد معرفة العدد ؟

قلت : له معنى ثالثٌ ، وهو العلمُ كقوله تعالى « وأحصى كل شيءٍ عدداً » أي علم عدد كل شيء ، فالمعنى هنا : لقد علمهم ، وعدَّهم عدّاً .

« انتهت سورة مريم »

* * *

---

(١) سورة مريم آية (٩٤) .

سُورَة طه

١ - قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَىٰ نَاراً فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا . .﴾[1] الآية.

إن قلتَ: كيف حكى الله تعالى قول موسى عليه السلام لأهله، عند رؤية النَّار هنا، وفي النمل[2]، والقَصَص[3] بعباراتٍ مختلفة، وهذه القصة لم تقع إلاَّ مرَّة واحدة، فكيف اختلفت عبارة موسى فيها؟!

قلتُ: قد مرَّ في الأعراف في قصة موسى عليه السلام، مثلَ هذا السؤال، مع جوابه، وجوابُه ثَمَّ يأتي هنا[4].

٢ - قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يا مُوسَى إِنِّي أَنَا

---

(١) سورة طه آية (٩).

(٢) في النمل ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ في النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ آية (٨)

(٣) في القصص ﴿فَلَمَّا آتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِىء الوَادِ الأَيْمنِ في البُقْعَةِ المباركة من الشجرة﴾ آية (٣٠)

(٤) هذا من باب التفنُّن في الكلام، كما هي طريقة العرب، في ذكر القصة بأساليب متعددة في معنى واحدٍ، تسليةً للسَّامع لئلا يملَّ من التكرار، وإظهاراً لروعة البيان والجمال.

رَبُّكَ . . ﴾[1] الآية .

قاله هنا وفي القَصَص بلفظ «أتى» وفي النمل بلفظ «جاء» لأنهما وإنْ كانا بمعنى واحد ، غاير بينهما لفظاً ، توسعةً في التعبير[2] عن الشيء بمتساويين .

وخُصَّ «أتى» بهذه السورة لكثرة التعبير بالإتيان فيها ، و «جاء» بالنمل لكثرة التعبير بالمجيء فيها، وأُلحق ما في القصص بما في «طه» لفور ما بينهما، أي من حيثُ قوله هنا «يا موسى إني أنا ربُّك» وقوله في القصص «يا موسى إني أنا اللَّهُ» وإن اختلف محلهما ، بخلاف ذلك في النمل . .

٣ - قوله تعالى : ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾[3].

قاله هنا : وفي «الحج»[4] بحذف لام التأكيد ، وقاله في «غافر»[5] بإثباتها ، لأنها إنما تُزاد لتأكيد

---

(١) سورة طه آية (١٨).

(٢) أراد أن هذا من باب التفنُّن وذلك التعبير بألفاظ مختلفة في معنى واحد ، هو من أساليب البلاغة.

(٣) سورة طه آية (١٥).

(٤) في الحج ﴿وأنَّ الساعة آتيةٌ لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور﴾ آية (١٧).

(٥) في غافر ﴿إن الساعة لآتيةٌ لا ريبَ فيها ولَكنَّ أكثرَ النَّاسِ لا يؤمنونَ﴾ آية (٥٩).

الخبر ، وتأكيدُه إنما يُحتاجُ إليه ، إذا كان المخبَرُ بهِ شاكّاً في الخبر ، والمخاطبون في «غافر» هم الكفّار ، فأكّد فيها باللّام بخلاف تَيْنكَ .

٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴾(١) .

ضميرُ « عنها » و « بها » للساعة ، والمنهيُّ ظاهراً من لا يؤمن بها ، وحقيقةً موسى عليه السلام ، إذ المقصودُ نهيُ موسى عن التكذيب بالسّاعة .

٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى﴾(٢)؟

إن قلتَ : ما فائدةُ سؤالِهِ تعالى لموسى، مع أنه أعلمُ بما في يده ؟ !

قلتُ : فائدتُه تأنيسُه ، وتخفيفُ ما حصل عنده من دهشةِ الخطاب ، وهيبة الإجلال ، وقت التكلم معه ، أو اعترافه بكونها عَصَا ، وازدياد علمه بذلك ، فلا يعترضه شكٌّ إذا قلبها الله ثعباناً، أنها كانت عصى ثم انقلبت ثعباناً بقدرة الله تعالى .

٦ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ :﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا

---

(١) سورة طه آية (١٦).
(٢) سورة طه آية (١٧).

وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي . . ﴾الآية .هو جواب موسى ـ عليه السلام ـ

فإن قلتَ : لِمَ زاد عليه « أتوكأ عليها وأهشُّ بها على غنمي ولي فيها مآربُ أخرى » ؟ .

قلتُ : قال ابن عباس رضي الله عنهما : إنه سُئل سؤالاً ثانياً : ما تصنعُ بها ؟ فأجاب بذلك[1] .

أو ذكَرَ ذلك خوفاً من أنْ يُؤمرَ بإلقائها ، كما أُمِرَ بإلقاءِ النَّعلين ، أو لئلا يُنسبَ إلى التَّعب في حملها ، مع المقام مقـامُ البسطِ ، للتلذُّذِ بالكـلام مع الـربِّ تعالى ، ولهذا بَسَط في نفس الجواب ،إذ كان يكفي فيه أن يقول: عصا .

٧ -قوله تعالى : ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾[2] .

جعل هنا الجناح مضموماً إليه ، وفي القصص مضموماً في قوله :﴿ **واضمُمْ إليك جناحَك** ﴾لأن المراد به هنا ، ما بين العضد إلى الإبط من اليد اليُسرى ، وبه

---

(١) سورة طه آية (١٨).

(٢) الصواب أنه أراد الإستئناس بكلام الرب جلَّ وعلا ، والتلذذ بمناجاته ، فأطنب في الكلام وتوسَّع فيه .

(٣) سورة طه آية (٢٢) .

ثَمَّ ذلك من اليد اليمنى ، فلا تنافي .

٨ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ إِذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾[١] .

قال ذلك هنا ، وقال في الشعراء ﴿ وإِذْ نَادَى ربُّكَ مُوسَى أَنِ ائتِ القَوْمَ الظَّالمين . قومَ فِرْعَوْنَ ﴾ وفي القصص ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إلى فِرْعَوْنَ وَمَلإِهِ ﴾ .

اقتصر في «طه» على فرعون ، لأنَّه الأصلُ بالنسبة إلى قومه ، مع سبقِ طه .

واكتفى في «الشعراء» بذكره في الإضافة[٢] ، عن ذكره مفرداً .

وجمع بينهما : في «القصص» ليوافق قولَه : «فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ» في التَّعدد .

٩ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي. يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾[٣] .

قال ذلك هنا ، وقال في «الشعراء» : ﴿ وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَاني ﴾ . وفي «القَصَص» : ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ

---

(١) سورة طه آية (٢٤) .

(٢) أشار إلى قوله تعالى في الشعراء «قوم فرعون» فقد جاء بالإضافة .

(٣) سورة طه آية (٢٨) .

مِنِّي لِسَاناً﴾ .

صرَّح : بعقدة اللسان في «طه» لسَبْقها ، وَكنَّى عنها في الشعراء بما يقربُ من الصَّريح ، وفي القصص بكنايةٍ مبهمة ، لدلالة تلك الكناية عليها .

١٠ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى﴾[1] .

إن قلتَ : هذا مجملٌ فما فائدتُه ؟

قلتُ : فائدتُه الإشارةُ إلى أنه ليس كلُّ الأمور ، مما يُوحى إلى النساء ، كالنبوَّةِ ونحوها ، أو التعظيمُ والتفخيمُ أولاً ، كما في قوله تعالى «فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى» والبيانُ ثانياً بقوله **﴿أنِ اقْذفيهِ فِي التَّابُوتِ فاقذفيه في اليمِّ﴾** .

١١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ولا تَحْزَنَ . .﴾[2] الآية .

قاله هنا بلفظ الرَّجع ، وقال في «القصص» : «فَرَدَدْنَاهُ» بلفظ الردِّ ، لأنهما وإن اتَّحدا معنى ، لكنْ خُصَّ الرجعُ بما هنا ، ليقاوم ثِقَل الرجع ، خفَّةَ فتح الكاف ، والردُّ بالقصص لتقاومَ خِفَّةُ الردِّ ثِقَلَ ضَمَّةِ الهاء ،

---

(١) سورة طه آية (٣٨) .

(٢) سورة طه آية (٤٠) .

وليَوافقَ قوله «إنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ».

١٢ -قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً..﴾[١]

قاله هنا بلفظ «سَلَكَ» وقاله في الزخـرف بلفظ «جَعَلَ» لأن لفظ السُّلوك مع السُّبُل أكثرُ استعمالاً من «جَعَل» فخصَّ به «طه» لتقدمها، وبـ «جَعَل» الزخرف، ليوافق[٢] التعبيرُ به قبله مرَّة، وبعده مراراً.

١٣ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ قَالُـوا آمَنَّا بِـرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾[٣]. أخَّر مـوسى عن هارون، مع أنَّ هارون كان وزيراً له، لموافقة الفواصل.

١٤ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا﴾[٤]. أي لا يموتُ فيها موتاً متصلاً، ولا يحيا حياةً متصلة، بل كل ما مات في مدة العذاب[٥]، أُعيد حياً ليدوم العذاب، وإنما قدرنا ذلك، لأن الموت والحياة لا يرتفعان عن الشخص.

---

(١) سورة طه آية (٥٣).

(٢) في مخطوطة الجامعة : ليوافي وهو تحريف وخطأ.

(٣) سورة طه آية (٧٠).

(٤) سورة طه آية (٧٤).

(٥) لا موت في جهنم بل خلودٌ دائم ومعنى الآية : لا يموت فينقضي عذابه ويستريح، ولا يعيش، ويحيا الحياة الطيبة الهنيئة.

١٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لَا تَخَافُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَىٰ﴾[١]. أي لا تخاف إدراك فرعون ، ولا تخشى غَرَقاً في البحر ، وإلَّا فالخوفُ والخشيةُ مترادفان ، وغَايَر بينهما لفظاً، رعايةً للبلاغة .

١٦ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾[٢].

إن قلتَ : صدرُهُ يُغني عن عَجُزه ، فكيف ذكر العَجُز ؟

قلتُ : المعنى وما هداهم بعد ما أضلَّهم، فإن المضلَّ قد يهدي بعد إضلاله ، أو ما هدى نفسه ، أو أضلهم عن الدِّينِ ، وما هداهم طريقاً في البحر.

١٧ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ . .﴾[٣].

إن قلتَ : المواعدهُ كانت لموسى عليه السلام لا لهم ، فكيف أُضيفت إليهم ؟ .

قلتُ :
لمَّا كانت لإنـزالِ كتابٍ لهم ،فيه صلاحُ دنياهم وأُخراهم ،

---

(١) سورة طه آية (٧٧).
(٢) سورة طه آية (٧٩).
(٣) سورة طه آية (٨٠).

أضيفت إليهم لهذه الملابسة .

١٨ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ﴾[١]؟

إن قلتَ : هـذا سؤال عن سبب العجلة ، فإن موسى لما واعده اللّهُ تعالى ، حضورَ جانبِ الطور لأخذ التوراة ، اختار من قومه سبعين رجلاً يصحبونـه إلى ذلـك، ثم سَبَقهم شوقـاً إلى ربه تعـالى ، وأمـرهـم بلَحاقه ، فعوتب على ذلك ، فكيف طابقَ الجوابُ في الآية السؤال ؟

قلتُ : السؤال تضمَّن شيئين : إنكـارَ العَجَلة ، والسؤالَ عن سببها ، فبدأ موسى بالاعتذار عمَّا أنكره تعالى عليه ، بأنه لم يوجد منه إلا تقدّمٌ يسيرٌ، لا يُعتدُّ به عادةً ، ثمَّ عقَّب العذر بجواب السؤال عن السبب بقوله «وعجلتُ إليك ربِّ لترضى» .

١٩ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾[٢]: «فنسي» أي ترك ، ولهذا قـال بعد ذلـك«وعصى آدم ربَّه فغوى» .

---

(١) سورة طه آية (٨٣).

(٢) سورة طه آية (١١٥).

٢٠ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴾[١] .

إن قلتَ : الخطابُ لآدم وحواء ، فكيف قال : «فَتَشْقَى» دون فَتَشقيـا ؟

قلتُ : قال ذلك لأن الرجل قيِّمُ امرأته ، فشقاؤه يتضمَّن شقاءها ، كما أن سعادته تتضمن سعادتها .

أو قاله رعايةً للفواصل ، أو لأنه أراد بالشَّقاءِ : الشَّقاءَ في طلب القوت ، وإصلاح المعاش ، وذلك وظيفـةُ الرجل دون المرأة .

٢١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾[٢] .

إن قلتَ : هل يجوز أن يُقال : كان آدمُ عاصياً ، غاوياً ، أخذاً من ذلك ؟

قلتُ : لا ، إذ لا يلزم من جواز إطلاق الفعل ، جواز إطلاق اسم الفاعل ، ألا ترى أنه يجوز أن يُقال : تباركَ اللَّهُ ، دون متبارك ، ويجوز أن يُقال : تابَ اللهُ على آدم دون تائب !!

---

(١) سورة طه آية (١١٧).

(٢) سورة طه آية (١٢١).

٢٢- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً . .﴾[١] الآية . أي حياةً في ضيقٍ وشدَّة.

فإن قلتَ : نحنُ نرى المعرضين عن الإيمان ، في أخصب عيشة ؟!

قلتُ : قال ابن عباس المراد بالعيشة الضَّنْكِ : الحياة في المعصية، وإن كان في رخاءٍ ونعمة . . ورُوي أنها عذابُ القبر ، أو المرادُ بها عيشة في جهنم[٢] .

٢٣ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾[٣] . الكلمةُ: قولُـه تعالى «سبقتْ رحمتي غضبي»[٤] .

أو قوله تعالى : ﴿وما كـان اللَّهُ ليُعذِّبهمْ وأنتَ فيهِمْ . .﴾

أو قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَمَـا أَرْسَلْنَـاكَ إلَّا رحمـةً

---

(١) سورة طه آية (١٢٤).

(٢) الصحيح أن المراد بالعيشة الضنك ، أنها العيشة الشاقة الشديدة في الدنيا كما قال ابن كثير وغيره من المفسرين ، فلا طمأنينة لقلبه، ولا انشراح لصدره ، وإن تنعَّم ظاهره، فهو في حيرة وقلق وشكٍّ، وهمٍّ واضطراب ولذلك نسمع كثيراً عن حوادث الانتحار ، ومما يدل على أنه في الدنيا قوله بعده ﴿ونحشره يوم القيامة أعمى﴾.

(٣) سورة طه آية (١٢٩).

(٤) هذا حديث قدسيٌّ وليس بآيةٍ قرآنية .

للعالمين﴾. يعني لعالمي أمته، بتأخير العذاب عنهم، وفي الآية تقديمٌ وتأخير أي ولولا كلمةٌ سبقت من ربك وأجلٌ مسمًّى لكان العذاب لزاماً أي لازماً لهم كما لزم الأمم التي قبلهم.

٢٤ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾[١].

إن قلتَ: كيف جمع بين هذين، مع أن أحدهما يُغني عن الآخر؟

قلتُ: المرادُ بالأول السالكون، وبالثاني الواصلون.

أو بالأول الذين ما زالوا على الصراط المستقيم، وبالثاني الذين لم يكونوا على الصراط المستقيم ثم صاروا عليه.

أو بالأول أهل دين الحقِّ في الدنيا، وبالثاني المهتدون إلى طريق الجنة في العقبى[٢]، فكأنه قيل: ستعلمون من الناجي في الدنيا، والفائز في الآخرة.

«تمت سورة طه»

* * *

---

(١) سورة طه آية (١٣٥).

(٢) لا حاجة إلى هذه التأويلات العديدة، فإنَّ المعنى ستعلمون أيها المشركون من هم أصحاب الطريق المستقيم نحن أم أنتم؟ ومن اهتدى إلى الحقِّ وسبيل الهدى والرشاد، ومن بقي على الضلال!؟ وهو ضربٌ من الوعيد والتهديد.

سُورَة الأَنْبِيَاء

١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾(١) .

إن قلتَ : كيف وصف الحسابَ بالقرب ، وقد مضى من وقت هذا الإِخبار ، أكثرُ من تسعمائة عام ولم يوجد ؟

قلتُ : معناه إنه قريبٌ عند الله ، وإن كان بعيداً عندنا كقوله تعالى : « إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً »(٢) وقوله : « وإنَّ يَوْماً عند رَبِّكَ كأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ »(٣) .

أو إنه : قريبٌ بالنسبة إلى ما مضى من الزمان .

أو إن المراد : قربه لكل واحدٍ في قبره ، ويؤيده خبرُ « من ماتَ قامتْ قيامتُه » .

٢ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ

---

(١) سورة الأنبياء آية (١) .

(٢) سورة المعارج آية (٦) .

(٣) سورة الحج آية (٤٧) .

﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾[1] .

قاله هنا : بلفظ « من ربِّهم » وفي الشعراء بلفظ « منَ الـرحمنِ » . لأن « الرَّبَّ » يـأتي مضـافـاً ، بخـلاف « الرحمنِ » لم يأتِ مضافاً غالباً .

ولموافقة ما هنا قوله بعد : « قالَ ربِّي يعلَمُ القَوْلَ » وموافقة ما في الشعراء قوله بعد : « وإنَّ ربَّكَ لهوَ العزيزُ الرحيمُ » إذِ الرحمنُ والرحيم أخوان[2] .

فإن قلتَ : كيف وصف الذِّكرَ بالحدوث ، مع أن الذِّكرَ الآتي هو القرآنُ ، وهو قديمٌ ؟

قلتُ : المرادُ أنه مُحدَثٌ إنزالُه ، أو أنه ذكرٌ غيرُ القرآن ، وأُضيف إلى الربِّ ، لأنه آمرٌ به وهادٍ له .

٣ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا . .﴾[3] .

إن قلتَ : كيف قال ذلك ، مع أن النجوى المسَّارةُ ؟!

قلتُ : معناه بالغوا في إخفاءِ المسَّارة ، بحيثُ لم يفهم أحدٌ تناجيهم ومسارَّتهم ، تفصيلاً ولا إجمالاً .

---

(١) سورة الأنبياء آية (٢) .

(٢) الرحمن والرحيم من مصدرٍ واحد ، وهو أولى من قوله : أخوان .

(٣) سورة الأنبياء آية (٣) .

٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ . .﴾[1] .

قاله هنا : بحذف « مِنْ » تَبَعاً لحذفها من قوله قبلُ « ما آمنتْ قبلَهم منْ قريةٍ » وقاله بعدُ بذكرها[2] ، جرياً على الأصل .

٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[3] . أمرَ مشركي مكة بأن يسألوا « أهل الذِّكر » أي أهل الكتاب ، عمَّن مضى من الرسل ، هل كانوا بشراً أم ملائكة .

فإن قلتَ : كيف أمرهم بذلك ، مع أنهم قالوا « لن نُؤْمِنَ بهذَا القرآنِ ولا بالذي بينَ يديْهِ » ؟

قلتُ : لا مانع من ذلك ، إذِ الإخبار بعدم الإتيان بشيءٍ ، لا يمنع أمره بالإتيان به ، ولو سُلِّم فهم وإن لم يؤمنوا بكتاب أهل الكتاب ، لكنِ النَّقلُ المتواترُ من أهل الكتابِ في أمرٍ ، يُفيد العلم لمن يؤمن بكتابهم ، ولمن لا يؤمنُ به .

---

(١) سورة الأنبياء آية (٧) .
(٢) في قوله ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ إلَّا نوحي إليه . .﴾ آية (٢٥) .
(٣) سورة الأنبياء آية (٧) .

٦ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ولا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ أي لا يَعْيون .

٧ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ . .﴾[1] .

إن قلتَ : كيف قال ذلك، الشَّاملَ لقوله في النور « واللَّهُ خَلَقَ كلَّ دابَّةٍ مِنْ مَاءٍ » مع أنَّ لنا أشياء أحياء ، لم تُخلق من الماء ، وهم : الملائكةُ ، والجنُّ ، وآدمُ ، وناقةُ صالح !؟ إذِ الملائكةُ خُلقت من نورٍ ، والجنُّ من نار ، وآدمُ من تراب ، وناقة صالح من حجرٍ لا من ماء ؟!

قلتُ : المرادُ به البعضُ كما في قولـه تعالى : ﴿وأُوتيتْ من كلِّ شَيْءٍ﴾ وقوله : ﴿وَجَاءَهُمُ المَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾[2] .

أو الكلُّ مخلوقون من الماء ، لأن الله خلقَ قبل خلقِ الإنسانِ جوهره ، ونظر إليها نظر هيبةٍ فاستحالت ماءً ، فخلق من ذلك الماء جميع المخلوقات .

أو خلقهم من الماء ، إمَّا بواسطةٍ أو بغيرها ، ولهذا قيل : إنه تعالى خلق الملائكةَ من ريحٍ خلقها من الماءِ ، والجنَّ من نارٍ خلقها من الماء ، وآدَم من ترابٍ خلقه من الماء .

---

(١) سورة الأنبياء آية (٣٠) .
(٢) سورة يونس آية (٢٢) .

٨ ـ قوله تعالى: ﴿كلُّ نفسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بالشَرِّ وَالخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[١] .

أي إلى الجنة أو النَّار .

قال ذلك هنا بالواو ، موافقةً للتعيين بها ، فيما زاده هنا بقوله « ونبلوكم بالشَّرِّ والخَيْرِ فتنةً »

وقال في العنكبوت[٢] بـ « ثُمَّ » لدلالتها على تراخي الرجوع ، المذكور عن بلوى الدنيا ـ ولم يقع بينهما تعبيرٌ بواو ـ ثم ما زاده هنا ـ اختصاراً .

٩ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾[٣] .

قاله استهزاءً وتهكُّماً بمن سفهوه ، وإلَّا ففاعلُه هو نفسُه .

أو أنه لما كان الحامل له على الفعل ، تعظيمُهم للأصنام ، وكان كبيرها أبعث له على الفعل ، لمزيد تعظيمهم له ، أُسند الفعلُ إليه لأنه السبب فيه .

١٠ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى

---

(١) سورة الأنبياء آية (٣٥) .
(٢) في العنكبوت ﴿كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموتِ ثُمَّ إلينا تُرجعون﴾ آية (٥٧) .
(٣) سورة الأنبياء آية (٦٣) .

إِبْرَاهِيمَ﴾[1] .

إن قلتَ : كيف خاطب النَّارَ مع أنها لا تعقلُ ؟!

قلتُ : خطابُ التَّحويل والتَّكوين ، لا يختصُّ بمن يعقل كما مرَّ ، قال تعالى ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيرَ﴾ وقال : « فقَالَ لَهَا وللأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أو كَرْهاً » وقال : « وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ » .

١١ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ﴾[2] .

قاله هنا : بلفظ « الأخسرين » وفي الصَّافات[3] بلفظ « الأسفلين » . لأنَّ ما هنا تقدَّمه أنَّ إبراهيم كادَهم ، وأنهم كادوه ، وأنه غلبهم في الكيْدِ ، فخسرتْ تجارتُهم حيثُ كسر أصنامهم ، ولم يبلغوا من إحراقه مرادهم ، فناسب ذكر « الأخسرين » .

وما في الصافات : تقدَّمه « قالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْياناً فَأَلْقُوهُ فِي الجَحِيمِ » فأجَّجوا ناراً عظيمةً ، وبنوْا بنياناً عظيماً ، ورفعوا إبراهيم إليه ورموه منه إلى أسفل ، فرفعه الله إليه ،

---

(١) سورة الأنبياء آية (٦٩) .

(٢) سورة الأنبياء آية (٧٠) .

(٣) في قوله تعالى ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ﴾ آية (٩٨) .

وجعلهم في الدنيا من الأسفلين ، وردّهم في العقبى أسفل سافلين ، فناسبَ ذكرُ الأسفلين .

١٢ ـ قوله تعالى : ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[١] ختم القصَّة هنا بقوله «رحمةً من عندنا» وختمها في صٓ بقوله «رحمةً منَّا» لأنَّ أيوب بالَغ هنا في التضرُّعِ بقوله «وأنتَ أرحمُ الراحمين» فبالغ تعالى في الإجابة ، فناسب ذكر «من عندنا» لأنَّ عندنا يدلُّ على أنه تعالى ، تولَّى ذلك بنفسه ، ولا مبالغة في صٓ فناسب ذكرُ «منَّا» لعدم دلالته على ما دلَّ عليه «عندنا» .

١٣ ـ قوله تعالى : ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا . .﴾[٢]. أي في جَيْبِ درعها ، بحذف مضافين ، ولهذا ذكَّر الضمير في «التحريم»[٣] فقال : «فنفخنا فيه»[٤] .

١٤ ـ قوله تعالى : ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ . وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كلٌّ إلينا رَاجِعُونَ﴾[٥] .

---

(١) سورة الأنبياء آية (٨٣) .

(٢) سورة الأنبياء آية (٩١) .

(٣) في التحريم ﴿ومريمَ ابنةَ عمرانَ التَّي أَحْصَنتْ فرجَهَا فنفخْنَا فيهِ منْ رُوحِنَا﴾ آية (١٢) .

(٤) المقصود في هذه السورة ، ذكر مريم وما آل إليه أمرها ، فلذلك أَنَّث الضمير هنا ، بخلاف سورة التحريم ، فإن الغرض ذكر عفتها وإحصانها فلذلك ذكَّر الضمير .

(٥) سورة الأنبياء آية (٩٣) .

قال ذلك هنا ، وقال في المؤمنين ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فاتَّقُونِ . فَتَقَطَّعُوا﴾ لأن الخطاب هنا للكفار ، فأمرهم بالعبادة التي هي التوحيدُ ، ثم قال « وتقطَّعُوا » بالواو لا بالفاء ، لأن مدخولها ليس مرتباً على ما قبلها ، بل هو واقع قبله ، ومن قال : الخطابُ مع المؤمنين ، فمعناه : دوموا على العبادة .

والخطابُ ثَمَّ للنبيِّ وأمته ، بدليل قوله قبل﴿ يا أيها الرسلُ كلوا من الطيبات . . ﴾ الآيـة .والأنبياءُ وأمَّتُهم مأمورون بالتقوى . . ثم قال « فتقطَّعوا أمرهم » بالفاء ، أي ظهر منهم التقطُّع بعد هذا القول ، والمرادُ أمتُهم .

١٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[١] . أي ممتنعٌ عليهم الرجوع .

فإن قلتَ : كيف قال ذلك ، مع أنه لا بدَّ من رجوعهم إلى اللَّهِ ؟!

قلتُ : معناه لا يرجعون عن الكفر إلى الإيمان ، أو لا يرجعون بعد إهلاكهم إلى الدنيا .

وقيل : معنى « حرامٌ » واجبٌ ، فـ « لا » حينئذٍ زائدة ، أي واجبٌ رجوعهم[٢] .

---

(١) سورة الأنبياء آية (٩٥) .

(٢) هذا القول بعيدٌ وغريب ، والأظهر أن المعنى هو الأول أي ممتنعٌ على أهل قرية =

١٦ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[١] أي عن جهنم .

فإن قلتَ : كيف يكونون مبعدين عنها ، وقد قال تعالى « وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا » وورودُها يقتضي القرب منها ؟!

قلت : معناه : مبعدون عن ألمها ، وعَنَاها ، مع ورودهم لها .

أومعناه : مبعدون عنها بعد ورودها ، بالإِنجاءِ[٢] المذكور بعد الورود .

١٧ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[٣] .

إن قلتَ : كيف قال ذلك ، مع أن النبيَّ ﷺ لم يكنْ رحمةً للكافرين بل نقمةً ، إذْ لولا إرساله إليهم ما عُذِّبوا بكفرهم لقولـه تعالى « وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً » ؟ !

= أهلكناهم بسبب تكذيبهم وكفرهم ـ أن يرجعوا الى الدنيا مرة ثانية ، وانظر كتابنا صفوة التفاسير ٢ / ٢٧٥

(١) سورة الأنبياء آية (١٠١) .

(٢) المراد به قوله تعالى بعد ذكر آية الورود ﴿ثمَّ نُنَجِّي الذينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظالمينَ فيها جِثيًّا﴾ مريم آية (٧٢) .

(٣) سورة الأنبياء آية (١٠٧) .

قلتُ : بل كان رحمةً للكافرين أيضاً ، من حيثُ إنَّ عذاب الاستئصال أُخِّر عنهم بسببه .

أو كان رحمةً عامة ، من حيثُ إنه جاء بما يُسعدهم إن اتَّبعوه ، ومن لم يتَّبعه فهو المقصِّرُ . أو المراد بـ « الرحمة » الرحيم ، وهو ﷺ كان رحيماً للكفَّار أيضاً ، ألا ترى أنهم لمَّا شجُّوه ، وكسروا رباعيته ، حتى خرَّ مغشيّاً عليه ، قال بعد إفاقته :« اللَّهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون » .

١٨ - قوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾(١) .

فإن قلتَ : ما فائدةُ قوله « **بالحقِّ** » ؟

قلتُ : ليس المرادُ « بالحقِّ » هنا نقيضَ الباطل ، بل المرادُ ما وعده اللَّهُ تعالى إيَّاه ، من نصرِ المؤمنين ، وخذلانِ الكافرين ، ووعدُه لا يكونُ إلَّا حقاً ، ونظيرُه قولُه تعالى : ﴿ **رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وبيْنَ قَوْمِنَا بالحَقِّ** ﴾ .

أو أنَّ : قوله « بالحقِّ » تأكيدٌ لما في التصريح بالصِّفة من المبالغة وإن كانت لازمةً للفعل ، ونظيرُه في عكسه من صفة الذمِّ قولُه تعالى ﴿ويقتلونَ الأنبياءَ بغيرِ حقٍّ ﴾ .

« تمت سورة الأنبياء »

* * *

---

(١) سورة الأنبياء آية (١١٢) .

سُورَة الحَجّ

١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾[1].

إن قلتَ : كيف جمع هنا ، وأفردَ بعدُ في قوله «وَتَرَىٰ النَّاسَ سُكَارَىٰ» ؟

قلتُ : لأن الرؤية الأولى متعلِّقةٌ بالزلزلة ، وكلُّ الناسِ يرونها .

والثانية متعلِّقَةٌ بكون النَّاسِ سُكارى ، فلا بدَّ من جعل كل واحد رآياً باقيهم .

٢ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا . .﴾[2] الآية .

قال ذلك : هنا بذكر «مِنْ غَمٍّ» وفي السَّجدة[3]

---

(١) سورة الحج آية (٢).

(٢) سورة الحج آية (٢٢).

(٣) في السجدة ﴿كُلَّمَا أرادُوا أَنْ يَخْرجُوا منها أُعِيدُوا فيها وقيل لَهمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الذي كنْتُم بِهِ تُكذِّبُون﴾ آية (٢٠).

بدونه ، موافقةً لما قبلهما . إذْ ما هنا تقدَّمه قوله تعالى «قُطِّعَتْ لهمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ»[1] الآية . وما هناك لم يتقدَّمه إلا قوله «فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ» .

٣ ـ قوله تعالى : ﴿وَذُوقُوا عَـذَابَ الحَرِيقِ﴾ .

تقديره : وقيل لهم ذوقوا، كما في السجدة ، وخصَّ ما هنا بالحذف لطول الكلام ، وما في السجدة بالذِّكر لقصره ، وموافقةً لذكر القول قبله كقوله «أم يقـولونَ افتراه» وقوله «وقالُوا أئِذَا ضَلَلْنَا» و «قُلْ يَتوَفَّاكُمْ» .

٤ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُـوا وَعَمِلُوا الصَّـالِحَـاتِ جَنَّـاتٍ تَجْـرِي مِنْ تَحْـتِهَـا الأنهارُ . .﴾[2] الآية .

كرَّره لأنه لما ذكَـرَ حكم أحدَ الخصمين ، وهو «فالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لهمْ ثيابٌ من نَارٍ» لم يكن بُدٌّ من ذكر حكم الخصم الآخر ، لمقارنته له ، وإن تقدَّم ذكرُه .

٥ ـ قوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا البَائِسَ الفَقِيرَ﴾[3] .

---

(١) إنما ذكر في الحج﴿من غمٍ﴾لأنَّ سياق الآيات يقتضيه ، فالغمُّ هو الكرب العظيم، الذي يأخذ بالأنفاس، فمن كانت ثيابُه من نار، والحميمُ يُصبُّ من فوق رأسه، وله مقامعُ من حديد ، كيف لا يكون في كرب وشدَّة بخلاف آيات السجدة.

(٢) سورة الحج آية (٢٣).

(٣) سورة الحج آية (٢٨).

كرَّره لأن الأول مرتَّب على ذبح بهيمة الأنعام، الشاملة للبُدْنِ ، والبقر ، والغنم ، والثاني مرتَّبٌ على ذبح البُدْنِ خاصَّة ، وإن وافقه في حكم ذبح الآخرين .

٦- قوله تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا..﴾[١].

أي أُذِنَ للذينَ يريدون أن يُقاتِلوا في القتال .

٧ - قوله تعالى: ﴿الَّذِين أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ..﴾[٢]. الاستثناءُ فيه منقطعٌ بمعنى لكنْ أُخرجوا بقولهم ربُّنا اللَّهُ، أو هو من باب تعقيب المدح بما يشبه الذَّم ، كقول الشاعر :

ولا عيبَ فيهم غيرَ أَنَّ سيوفهم بِهِنَّ فلولٌ منَ قِرَاعِ الكتائبِ

أي إن كان فيهم عيبٌ فهو هذا ،وهذا ليس بعيبٍ، فلا عيب فيهم .

٨ - قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وبِيَعٌ﴾[٣] الآية.

فإن قلتَ : أيُّ مِنَّةٍ على المؤمنين ، في حفظ «الصَّوامعِ » و «البِيَعِ » و «الصَّلَوَاتِ» أي الكنائس عن الهدم ، حتَّى امتنَّ عليهم بذلك؟ !

---

(١) سورة الحج آية (٣٩).
(٢) سورة الحج آية (٤٠).
(٣) سورة الحج آية (٤٠)

قلتُ : المِنَّةُ عليهم فيها أن الصَّوامع ، والبِيَع ، في حرسهِم وحفظهم ، لأن أهلهما محترمون . **أو المرادُ** لهدِّمت صوامع وبِيعٌ في زمن عيسى عليه السلام ، وكنائس في زمن موسى عليه السلام ، ومساجدُ في زمن النبي ﷺ ، فالامتنانُ على أهل الأديانِ الثلاثة ، لا على المؤمنين خاصَّة[1] .

٩ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾[2] .

إنما لم يقل : «وبنو إسرائيل»في قوم موسى ، عطفاً على «قوم نوح» ؟! لأن قوم موسى لم يكذِّبوه ، بل غيرهم وهم القِبْطُ ، أو الإبهامُ في بناءِ الفعل للمفعول ، للتفخيم والتعظيم ، أي وكُذِّبَ موسىٰ أيضاً مع وضوح آياته ، وعظَم معجزاته ، فما ظنُّك بغيره ؟

١٠ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ

---

(١) معنى الآية : أنه لولا ما شرعه الله من الجهاد ، وقتال أعداء الله ، لاستولى أهل الشرك على أهل الأديان، وتعطَّلت الشعائر الدينية ، فهَدَّمت معابدُ الرهبانِ، وكنائسُ النصارى ، ومعابدُ اليهود، ومساجدُ المسلمينَ، ولاستولى المشركون على أهل المِلَل المختلفة ، فهدموا مواضع عبادتهم . . ولكنَّ الله حكيمٌ ولذلك شرع الجهاد ، لدفع شرِّ هؤلاء الكفار الفجَّار، وإنما وصف المساجد بقوله﴿ومساجدُ يُذكر فيها اسمُ اللَّهِ كثيراً﴾ . تعظيماً وتشريفاً ، لأنها أماكن العبادة الحقة . ا هـ وانظر كتابنا صفوة التفاسير ٢ / ٢٩٢

(٢) سورة الحج آية (٤٤).

ظَالِمَةٌ . . ﴾[1] .

قال ذلك هنا ، وقال بعدُ : «وَكأَيِّنْ مِنْ قريةٍ أَمْلَيتُ لَهَا وهِيَ ظَالِمَةٌ» موافقةً لما قبلهما ، إذْ ما هنا تقدَّمه معنى الإِهلاك بقوله «فأمليتُ للَّذينَ كفرُوا ثُمَّ أخذتُهم» أي أهلكتُهم .

وما بعدُ تقدَّمه «ويَسْتَعْجِلُونَكَ بالعذابِ» وهو يدلُّ على أن العذاب لم يأتهم في الـوقت، فحسُن ذكرُ الإِهلاك في الأول، والإِملاء - أي التأخير - في الثاني .

١١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَىٰ الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَىٰ القُلُوبُ الَّتي في الصُّدُورِ﴾[2] .

إن قلتَ : ما فائدة ذلك ، مع أن القلوب لا تكون إلَّا في الصدور ؟ !

قلتُ : فائدتُه المبالغةُ في التأكيد ، كما في قوله تعالى : «يَقُولونَ بِأَفْوَاهِهِمْ» .

أو القلبُ هنا بمعنى العقل ، كما قيل به في قوله تعالى «إنَّ في ذَلِكَ لَذِكْرَى لمنْ كانَ لهُ قلبٌ» أي عقلٌ ، فــفــائدة التقييد الاحترازُ عن القول الضعيف ، بأن

---

(١) سورة الحج آية (٤٥).
(٢) سورة الحج آية (٤٦).

العقل في الدماغ[1].

١٢ - **قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ..﴾[2] الآية.**

الرسولُ: إنسانٌ أُوحي إليه بشرعٍ وأُمرَ بتبليغه.

والنبيُّ: إنسانٌ أوحي إليه بشرعٍ وإن لم يؤمر بتبليغه، فهو أعمُّ من الرسول[3].

١٣ - **قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ..﴾[4] الآية.**

قاله هنا بتأكيده بـ «هو» وقاله في لقمان[5] بدونه، لموافقةِ كلٍّ منهما ما قبله وما بعده، لأن ما هنا تقدَّمه تأكيداتٌ، بعضُها بـ «أَنَّ» وبعضها باللَّام، وبعضُها بهما، بخلافه ثَمَّ، ولهذا قال هنا: «وَإِنَّ اللَّهَ

---

(١) القول الأول هو الأظهر، أنه للتأكيد ونفي توهّم المجاز، فكأنه يقول: ليس العمى على الحقيقة عمى البصر، وإنما العمى عمى البصيرة، من كان أعمى القلب فإنه لا يعتبر، ولا يتذكّر، ولا يتدبر.

(٢) سورة الحج آية (٥٢).

(٣) كلُّ رسول نبيٌّ ولا عكس، فالنبيُّ أعمُّ من الرسول.

(٤) سورة الحج آية (٦٢).

(٥) في لقمان ﴿ذلك بأَنَّ اللَّهَ هو الحقُّ وأنَّ ما يدعون منْ دونِهِ الباطِلُ وأنَّ اللَّهُ هوَ العَليُّ الكبير﴾ آية (٣٠) فقد وردت بدون «هو» في لقمان، بخلاف آية الحج، فإنها وقعت بين عشر آياتٍ، كلُّ آيةٍ مؤكدة مَرّة أو مرتين فناسبها التأكيد بقوله ﴿هو الباطل﴾.

لَهُوَ الغَنِيُّ الحميدُ »وقال ثَمَّ :«إِنَّ اللَّهَ هو الغنيُّ الحميد» .

١٤ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ . . ﴾[١] .

إن قلتَ : كيف لا حرج فيه مع أَنَّ في قطع يدٍ بسرقة ربع دينار ، ورجم محصنٍ بزنى مرَّة ، ووجوب صـوم شهرين متتـابعين ، بإفسـاد يومٍ من رمضـان بِوَطْءٍ ، ونحو ذلك حَرَجاً ؟!

قلتُ : المرادُ بالدين : التوحيدُ، ولا حرج فيه بل فيه تخفيفٌ ، فإنه يُكفِّر ما قبله من الشرك وإن امتدَّ ، ولا يتوقف الإتيانُ به على زمانٍ أو مكان معيَّنٍ.

أو أن كلَّ ما يقع الإنسانُ فيه من المعاصي ،يجد له مخرجاً في الشرع ، بتوبةٍ ، أو كفارةٍ ، أو رخصة، أو المرادُ نفيُ الحرج الذي كان في بني إسرائيل [٢] .

«تمت سورة الحج»

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الحج آية (٧٨).

(٢) لا حاجة إلى هذه التأويلات ، فإن المراد بالآية الكريمة نفي المشقة والكلفة عن شرائع الإسلام ، فالإسلام دين اليسر ، والمعنى : ما جعل عليكم في هذا الدين من ضيق ولا مشقة ، ولا كلفكم ما لا تطيقون ، بل هي الحنيفية السمحة ، ولهذا قال ﷺ : إن هذا الدين يسرٌ ولن يشادّ الدين أحد إلا غلبه.

سُورَة المؤمِنُون

١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾[1] .

إن قلتَ : لم أكَّده باللاَّم ، دون قوله بعده « ثُمَّ إنّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ تُبْعَثونَ » مع أن المذكورين ينكرون البعث دون الموت ؟

قلتُ : لما كان العطفُ بـ « ثُمَّ » ، المحتاج إليه هنا يقتضي الاشتراك في الحكم ، اغتنى به عن التأكيد باللاَّم .

٢ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[2].قاله هنا بالجمع وبالواو ، وقال في الزخرف « لكم فيها فاكهةٌ كثيرةٌ منها تأكلون » بالإِفراد وحذفِ الواو ، موافقةً لما قبلهما ، إذ ما هنا تقدمت « جنَّاتٌ »

---

(١) سورة المؤمنون آية (١٥) وإنما أكَّده هنا باللام و « إنَّ » لناحيةٍ بلاغية ، وهي « تنزيلُ غيرُ الْمُنكِر منزلةَ المنْكِر » لأنَّ غفلة الناس عن الموت ، وانهماكهم في شهوات الدنيا ،وعدم استعدادهم لـه بالعمل الصالح، يُعدُّ من علامات الإنكار ، ولذلك نُزِّلوا منزلة المنكرين ، وأُلقي الخبرُ مؤكداً بـ « إنَّ » و « اللاَّم » فافهم سرَّ القرآن !!

(٢) سورة المؤمنون آية (٢١) .

بالجمع ، وما بعد الواو ومعطوفٌ على مقدَّر تقديرُه : منها تدَّخرون ، ومنها تأكلون ، وما في الزخرف تقدَّمت جنَّة بالتوحيد في قوله « وتلك الجنة » وليس في فاكهة الجنة الأكلُ، فناسبَ الجمعُ والواوُ هنا ، والإفرادُ وحذفُ الواو « ثَمَّ » .

٣ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ . .﴾[١] . المرادُ بها : شجرة الزيتون .

فإن قلتَ : لَمَ خصَّها بطور سيناء ، مع أنها تخرج من غيره أيضاً ؟ !

قلت : أصلُها منه ثمَّ نُقِلتْ إلى غيرهِ .

٤ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ فَقَالَ المَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ . .﴾[٢] الآية .

قال ذلك هنا بتقديم الصِّلةِ على قومه ، وقال بعدُ بالعكس[٣] . لأنه اقتصر هنا في صلة الموصول على الفعل والفاعل ، وفيما بعدُ طالت فيه الصِّلة ، بزيادة العطف على الصِّلةِ مرَّةً بعد أخرى ، فقدَّم عليها « مِنْ قَوْمِهِ » لأن تأخيرَه عن المفعولِ ملبِّسٌ ، وتوسيطه بينه وبين ما قبله رَكِيكٌ .

---

(١) سورة المؤمنون آية (٢٠) .

(٢) سورة المؤمنون آية (٢٤) .

(٣) في قوله تعالى ﴿وقالَ الملأُ من قومِهِ الذينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بِلِقاءِ الآخِرةِ﴾ آية (٣٣) ، ومراده بالصِّلةِ لفظ « الَّذينَ » اسم الموصول .

٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً . .﴾[1] الآية . قاله هنا بلفظ « الله » وفي فصِّلت[2] بلفظ ربُّنا ، موافقةً لما قبلهما ، إذْ ما هنا تقدَّمه لفظ « الله » دون « ربنا » وما في فصِّلت تقدَّمه لفظ الربّ في « ربِّ العالمين » سابقاً على لفظ « الله » فناسبَ ذكر « الله » هنا ، وذكرُ الرَّبِّ ثَمَّ .

٦ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[3] . قاله هنا بالتعريف ، وقال بعدُ : « فبُعْداً لقومٍ لا يؤمنون » بالتنكير ، لأن الأول لقوم « صالح » بقرينة قوله : « فأخذتْهُمُ الصَّيحةُ » فعرَّفهم تعريف عهدٍ ، ونكَّر الثاني لخلوِّه عن نرينة تقتضي تعريفه ، وموافقةً لتنكير ما قبلَه ، وهو « قروناً آخرين » .

٧ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[4] .

قاله هنا بلفظ « عَليمٌ » وفي سبأ[5] بلفظ « بَصِيرٌ » مناسبةً لما قبلَهما ، إذْ ما هنا تقدَّمه آيتا الكتاب ، وجعل

---

(١) سورة المؤمنون آية (٢٤) .

(٢) في فصلت ﴿قالوا لو شاءَ ربُّنا لأنْزَلَ ملائكةً فإنَّا بما أُرسلتُمْ بِهِ كافِرُونَ﴾ آية (١٤) .

(٣) سورة المؤمنون آية (٤١) .

(٤) سورة المؤمنون آية (٥١) .

(٥) في سبأ ﴿واعملوا صالحاً إني بما تعملون بصيرٌ﴾ آية (١١) .

« مريم » وابنها آية ، والعلمُ بهما أنسبُ من بصرهما ، وما هناكَ تقدَّمه قولُه « وألنَّا له الحديدَ » والبصرُ بإلانة الحديد أنسبُ من العلم بها .

٨ ـ **قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾**(١) . نزل في كفار مكـة ، والمرادُ بـالحقِّ التوحيدُ .

فإن قلتَ : كيف قال ذلك ، مع أنهم كلَّهم كانوا كارهينَ للتوحيد ؟

قلتُ : كان منهم من ترك الإيمان به ، أَنَفَةً وتكبُّراً من توبيخ قومهم ، لئلا يقولوا : ترك دين آبائه ، لا كراهةً للحقِّ ، كما يُحكى عن أبي طالبٍ وغيره .

٩ ـ **قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾**(٢)، أي من قبل البعث ، قاله هنا بتأخير « هَذَا » عمَّا قبله .

وقاله في النمل(٣) بالعكس ، جرياً على القياس هنا ، من تقويم المرفوع على المنصوب ، وعَكَسَ ثمَّ بياناً لجواز تقديم المنصوب على المرفوع ، وخصَّ ما هنا

---

(١) سورة المؤمنون آية (٧٠) .
(٢) سورة المؤمنون آية (٨٣) .
(٣) في النمل ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَذا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ . .﴾ .

بتأخير « هذا » جرياً على الأصل بلا مقتضٍ لخلافه ، وما هناك بتقديمه اهتماماً به من منكري البعث ، ولهذا قالوا بعدُ ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ أَساطِيرُ الأَولِينَ﴾ .

١٠ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿سَيَقُولُونَ لله . .﴾[1] .

قاله هنا بلفظ « لله » ، وبعدُ بلفظ « الله »[2] مرتين ، لأنه في الأول وقع في جواب مجرورٍ باللام في قوله « قلْ لِمَنِ الأرضُ » فطابَقَه بجرِّه باللام ، بخلاف ذلك في الأخيرين ، فإنهما إنما وقعا في جوابٍ مجردٍ عن اللام .

١١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾[3]،ذكره بعد قوله ﴿قد كانت آياتي تُتْلى عليكم﴾ لأن ذاك في الدنيا عند نزول العذاب ، وهو «الجدْبُ» عند بعضهم،ويوم بدرٍ عند بعضهم .

وهذا في الآخرة وهم في الجحيم ، بدليل قوله ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ .

« تمت سورة المؤمنون »

* * *

---

(١) سورة المؤمنون آية (٨٥) .

(٢) هذا على قراءة غير حفص ، أما قراءة حفص فهي « لله » في المواطن الثلاثة .

(٣) سورة المؤمنون آية (١٠٥) .

سُورَة النُّور

١ ـ **قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مائَةَ جَلْدَةٍ . . ﴾**[1] الآية .

إن قلتَ : لِمَ قدَّم المرأةَ في آيةِ « حدِّ الزنى » وأُخّرتْ في آيةِ « حدِّ السـرقة»؟

قلتُ : لأن الزِّنى إنما يتولد من شهوةِ الوقاع ، وهي في المرأة أقوى وأكثر ، **والسَّرقةُ** إنما تتولَّد من الجسارة ، والقوَّة ، والجرأة ، وهي من الرجل أقوى وأكثر .

فإن قلتَ : فلمَ قدَّم الرجل في قوله تعالى **﴿الزَّاني لاَ يَنْكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أوْ مُشركة﴾** ؟

قلتُ : لأن تلك الآية في الحدِّ ، والمرأةُ هي الأصلُ فيه لما مرَّ ، وهذه الآيةُ في حُكم النكاح ، والرجلُ هو الأصل فيه ، لأنه الراغبُ والبادرُ في الطلب ، بخلاف

---

(١) سورة النور آية (٢) وإنما بدأ في المـزني بالمرأة ، وفي السرقةِ بالرجل ، لأن الزنى من المرأة أقبحُ ، وجُرمُه أشنعُ ، فبدأ بها ﴿الزانيةُ والزَّاني ﴾وأمَّا السَّرقةُ فالرجلُ عليها أجرأ وهو عليها أقدرُ ، ولذلك بدأ به ﴿والسَّارقُ والسَّارقةُ فاقطَعُوا أَيْدِيَهُما ﴾ .

الزّنى فإن الأمر فيه بالعكس غالباً .

٢ ـ قوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾(١)، **كرَّره لاختلاف الأجوبة فيه .**

إذْ جوابُ الأوّل محذوفٌ تقديره : لفضحكم .

وجوابُ الثاني قوله « لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ »(٢) .

وجـواب الثالثِ محـذوفٌ تقديـره : لعجَّل لكم العذابَ .

وجوابُ الرابعِ « ما زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أحدٍ أَبداً »(٣) .

٣ ـ قوله تعالى : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ . .﴾(٤) الآية .

إن قلتَ : ما فائدةُ ذكرِ « مِنْ » في غضِّ البصرِ ، دون حفظِ الفرج ؟

قلتُ : فائدتُهُ الدلالةُ على أن حكم النظر أخفُّ من حكم الفرج ، إذْ يحلُّ النظرُ إلى بعضِ أعضاء المحارمِ ، ولا يحلُّ شيءٌ من فروجهنَّ .

---

(١) سورة النور آية (١٠) .

(٢) سورة النور آية (١٤) .

(٣) سورة النور آية (٢٠) .

(٤) سورة النور آية (٣٠) .

٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ . .﴾[١] الآية .

إن قلتَ : لَمَ تركَ ذكر الأعمامِ والأخوالِ ، مع أنَّ حكمَهما حكم من استُثْني ؟

قلتُ : تركهما كما ترك محرَّم الرضاع ، أو لفهمهما من بني الإِخوان وبني الأخوات ، بالأَوْلى أو بالمساواة .

والجوابُ ـ أنه لم يُذكر من المستثنى ، إلَّا منْ اشترك هو وابنُه في المحرميَّةِ ، لأنَّ من لم يشاركه ابنُه فيها ، كالعمِّ والخال ، قد يَصِفُ محرمَه عند ابنه ، وهو ليس بمحْرَمٍ لها ، فيُفْضي إلى الفتنةِ ـ نُقِضَ[٢] بأن إفضاءَ الفتنةِ ، يأتي في « آباء بعولتهنَّ » فقد يذكرُ أبو البعلِ ، محْرمَه عند ابنه الآخر ، وليس بمحرم لها .

٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً . .﴾[٣] الآية .

إن قلتَ : كيف قال ذلكَ ، مع أن إكراههنَّ على الزنى حرامٌ ، وإنْ لم يُرِدْنَ التحصُّنَ ؟

قلتُ : الشرط هنا لا مفهوم له ، لخروجه مخرج

---

(١) سورة النور آية (٣١) .

(٢) هذا هو الخبرُ للمبتدأ وهو قولُه « والجوابُ » .

(٣) سورة النور آية (٣٣) .

الغالب منْ أنَّ إكراههنَّ إنما يكون مع إرادتهنّ التحصُّنَ ، ولوروده على سبب ، وهو أن الجاهلية كانوا يُكرهون إماءَهم على الزنى ،مع إرادتهنَّ التحصن ، أو أنَّ « إنْ » بمعنى « إذْ » كما في قوله تعالى : « وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » وقَوْلِهِ : « وأنتمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » .

٦ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثلاً مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ . . ﴾[١] .

قاله هنا بذكرِ الواوِ ، و« إليكمْ » وقاله بعدُ بحذفهما[٢] ، لأن اتصال ما هنا بما قبله أشدُّ ؛ إذ قولُه بعدُ « ومَوْعِظَةً للمتَّقِينَ » مصروفٌ الى الجُمَل السابقة من قوله : « وَلْيَسْتَعْفِف الّذينَ لا يجدونَ نكاحاً » إلى آخره ، وفيه معطوفان بالواو ، فناسبَ ذكرُها العطف ، وذكرَ « إليكم » ليُفيد أنّ الآياتِ المبيِّناتِ ، نزلتْ في المخاطبينَ في الجُمَل السَّابقة ، وما ذُكِرَ بعدُ خالٍ عن ذلك ، فناسبَهُ الاستئنافُ والحذفُ .

٧ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿اللهُ نُورُ السَّموَاتِ والأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ . . ﴾[٣]الآية ،أي مثل صفةِ نورِه

---

(١) سورة النور آية (٣٤) .

(٢) في قوله تعالى ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ واللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ النور آية (٤٦) .

(٣) سورة النور آية (٣٥) .

تعالى ، كصفةِ نور مِشْكاةٍ فيها مصباحٌ ، المصباحُ في «زُجَاجَةٍ» هي القنديل ، والمصباحُ : الفتيلةُ الموقودةُ ، والمشكاةُ : الأنبوبةُ في القنديل ، فصار المعنى : كمثل نور مصباحٍ ، في مشكاةٍ ، في زجاجة .

فإن قلتَ: لمَ مثَّل الله نورَه ـ أي معرفته ـ في قلب المؤمنِ ، بنور المصباح دون نور الشمس ، مع أن نورها أتمُّ ؟

قلتُ : لأن المقصود تمثيلُ النور في القلب ، والقلبُ في الصَّدْرِ ، والصَّدرُ في البدن ، كالمصباحِ ، والمصباحُ في الزجاجةِ ، والزجاجةُ في القنديل .

وهذا التمثيلُ لا يستقيم إلَّا فيما ذُكر ، ولأن نور المعرفة له آلاتٌ يتوقَّفُ هو على اجتماعها ، كالذّهنِ ، والفهم ، والعقل ، واليقظة ، وغيرها من الصفات الحميدة ، كما أنَّ نور القنديل ، يتوقف على اجتماع القنديل ، والزيتِ ، والفتيلة وغيرها ، أو لأن نور الشمس يُشرقُ متوجهاً إلى العالم السُّفلي ، ونور المعرفةِ يُشرقُ متوجهاً إلى العالم العُلْويِّ ، كنور المصباح .

ولكثرةِ نفع الزيتِ وخلوصهِ عمَّا يخالطه غالباً ، وقعَ التشبيهُ في نوره دون نور الشمس ، مع أنه أتمُّ من نور المصباح .

٨ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ . .﴾[1] .

إن قلتَ : لِمَ عطفَ البيعَ على التجارة مع شمولها له ؟

قلتُ : لأن التجارة هي التصرُّف في المال لقصد الربح ، والبيعُ أعمُّ من ذلك ، فَعَطَفه عليها لئلا يُتوهم القصورُ على بيع التجارة .

أو أُريد بالتجارة : الشراءُ لقصد الربح ، وبالبيع : البيعُ مطلقاً .

٩ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ . .﴾[2]

إن قلتَ : لِمَ خصَّ الدابة بالذِّكْرِ ، مع أن غيرها مثلها ، كما شمله قوله في الأنبياء : « وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ » .

قلتُ : لأن القدرة فيها أظهرُ وأعجَبُ منها في غيرها .

١٠ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى

---

(١) سورة النور آية (٣٧) .
(٢) سورة النور آية (٤٥) .

أَرْبعٍ . . ﴾[1].

فيه مجازُ التغليبِ ، حيثُ استعمل « مَنْ » وهي لمن يعقلُ في غيره ، لوقوعه تفصيلاً لما يعمُّهما وهو « كلّ دابة » .

وفيه أيضاً : مجازُ التشبيه ، إذْ إسنادُ ما ذُكر إلى الحيَّة ، زحفٌ لا مَشْيٌ ، لكنَّه يشبهه في السَّيْر .

١١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّـذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـانُكُمْ وَالّـذِينَ لَمْ يَبْلُغُـوا الحُلُمَ مِنْكُمْ . . ﴾[2] .

إن قلتَ : كيف أمرَ الله تعالى بالاستئذانِ لهم ، مع أنهم غير مكلَّفين ؟

قلتُ : الأمرُ في الحقيقة لأوليائهم ليؤدِّبوهم .

١٢ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنْكُمُ الحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا . . ﴾[3] الآية.

ختمها بقوله « كذلك يُبيِّنُ الله لكمُ آياتِهِ » بالإِضافة إليه .

وختم ما قبلها وما بعدها بقوله « كذلِكَ يُبيِّن الله لكم الآياتِ » بالتعريف بـ « أل » لأنهما يشتملان على علاماتٍ

---

(١) سورة النور آية (٤٥) .

(٢) سورة النور آية (٥٨) .

(٣) سورة النور آية (٥٩) .

يمكننا الوقوف عليها ، وهي في الأول « مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الفَجْرِ وحينَ تَضَعونَ ثِيابَكُمْ مِنَ الظَّهيرَةِ ومِنْ بَعْدِ صَلاةِ العِشَاءِ » .

وفي الأخيرة « مِنْ بُيُوتِكُمْ أو بُيُوتِ آبائِكُمْ أو بُيُوتِ أُمَّهَاتكُمْ » الآية .

فختم الآيتين بقوله «كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لكُمُ الآيات» وأمَّا بلوغُ الأطفالِ ، فلم يُذكر له علاماتٌ يمكننا الوقوف عليها ، بل تفرَّد تعالى بعلمه بذلك ، فخصَّها بقوله « كَذَلِكَ يُبيِّنُ الله لكُمْ آياتِهِ » بالإضافة إليه .

١٣ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَالقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لاَ يَرْجُونَ نِكَاحاً . .﴾[1] الآية .

إن قلتَ : كيف أباح تعالى بذلك للقواعد من النساء ـ وهنَّ العجائزُ ـ التجرُّدَ من الثياب بحضرة الرجال؟!

قلتُ : المرادُ بالثيابِ الزائدةُ على ما يسترهنَّ ، وسُمِّيتِ العجوزُ قاعداً لكثرة قعودها[2] قاله ابن قتيبة .

١٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلاَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ

---

(١) سورة النور آية (٦٠) .

(٢) الصحيحُ أنها سُمِّيت قاعداً لأنها قعدت عن طلب الزواج لكبر سنِّها ، وقيل : قاعد بغير تاء لأنه خاصٌّ بالنساء كطامث وحائض .

بُيُوتِكُمْ . . ﴾[1] الآية، أي من بيوتِ أولادكم وعيالكم ، وإلَّا فانتفاء الحَرَج عن أكلِ الإنسانِ من بيته معلومٌ .

١٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿**فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ . .**﴾[2] الآية، أي قولوا : السلامُ ـ أي من الله ـ علينا وعلى عبادِ الله الصالحين ، فإنَّ الملائكة تردُّ عليكم ، هذا إن لم يكن بها أحدٌ ، وإلا فقولوا: السلامُ عليكم .

١٦ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ . .**﴾[3] الآية .

إن قلتَ : كيف عدَّى خالف بـ « عَنْ » مع أنه يتعدَّى بنفسه ؟!

قلتُ : ضَمّن بـ « خَالَفَ » معنى « يُعرِضُ » أو « يعدلُ » فعدَّاه تعديتَه ؛ أو عن متعلِّقٍ بمحذوفٍ تقديره : أو ويعدلون عن أمره ، أو هي زائدة على قول الأخفش .

« تمت سورة النور »

* * *

---

(١) سورة النور آية (٦١) .
(٢) سورة النور آية (٦١) أيضاً .
(٣) سورة النور آية (٦٣) .

سُورَة الفُرْقان

١ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾[١]. « تبارك » هذه كلمةٌ لا تُستعمل إلَّا لله بلفظ الماضي ، وذُكرت في هذه السورة في ثلاثة[٢] مواضع تعظيماً لله تعالى .

وخُصَّتْ مواضُعها بذكرها ، لِعظَم ما بعدها .

الأول : ذكرُ الفرقان وهو القرآنُ ، المشتملُ على معاني جميع كتبِ الله .

والثاني : ذكرُ النبي ﷺ ومخاطبةِ الله لـه فيه ، وروي[٣] : « لولاك يا محمدُ ما خَلقتُ الكائناتِ » .

والثالث : ذكرُ البروج ، والشمس ، والقمر ، والليل

---

(١) سورة الفرقان آية (١) .

(٢) المواضع الثلاثة في هذه السورة وهي : الأول عند ذكر الفرقان ﴿تبارك الذي نزَّل الفرقان على عبده﴾ . والثاني عند ذكر النبي ﷺ ﴿تبارك الذي إنْ شاءَ جعل لك خيراً من ذلك﴾ والثالث عند ذكر البروج ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً﴾ ومثل هذه الآيات قوله تعالى ﴿فتبارك الله أحسنُ الخالقين﴾ ﴿تبارك الله رب العالمين﴾ ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ .

(٣) أي في الأثر ، وقد ذكره في « كشف الخفاء » بلفظ « لولاكَ لولاكَ ما خلقتُ الأفلاك » قال الصَّغاني : موضوعٌ ، وكذلك قال الشوكاني . قال العجلوني بعد ذكره الأثر : وأقول : لكنْ معناه صحيحٌ وإن لم يكن حديثاً .

والنهار ، ولولاها لما وُجد في الأرض حيوان ولا نباتٌ .

٢ ـ **قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّره تَقْدِيراً﴾**[١]

إن قلت : الخلقُ هو التقديرُ ، ومنه قوله تعالى « وإِذْ تخلُقُ من الطِّينِ » فكيف جمع بينهما ؟

قلتُ : الخلقُ من الله هو الإِيجادُ ، فصحَّ الجمعُ بينه وبين التقدير ، ولو سُلِّم أنه التقديرُ ، فساغ الجمعُ بينهما لاختلافهما لفظاً ، كما في قوله تعالى : « أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ » .

٣ ـ **قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ . .﴾**[٢] الآية .

قاله هنا بالضمير « مِنْ دونه » وقاله في مريم[٣] ، ويسٓ[٤] بلفظ « الله » موافقةً لما قبله في المواضيع الثلاثة .

٤ ـ **قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً . .﴾**[٥] . قدَّم الضرَّ على النفع لمناسبة ما بعده ، من تقديم الموت على الحياة .

---

(١) سورة الفرقان آية (٢) .
(٢) سورة الفرقان آية (٣) .
(٣) في مريم ﴿واتَّخَذُوا مِنْ دُونِ الله آلهةً لِيكُونُوا لهُمْ عِزّاً﴾ آية (٨١) .
(٤) في يسٓ ﴿واتَّخَذُوا مِنْ دُونِ الله آلهةً لعلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾ آية (٧٤) .
(٥) سورة الفرقان آية (٣) .

٥ ـ **قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيراً﴾**[١] .

إن قلتَ : كيف قال في وصف الجنة ذلك ، مع أنها لم تكن حينئذٍ جزاءً ومصيراً ؟

قلتُ : إنما قال ذلك ، لأن ما وعد الله به ، فهو في تحقّقه كأنه قد كان . أو أنه كان في اللوح المحفوظ ، أنَّ الجنة جزاؤُهم ومصيرُهم .

٦ـ **قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾**[٢] .

إن قلتَ : لمَ أخَّر « هَوَاهُ » مع أنه المفعولُ الأول ؟

قلتُ : للعناية بتقديم الأول[٣] ، كقوله : علمتُ فاضلاً زيداً .

٧ ـ **قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً﴾**[٤].ذكَّر الصفة مع أن الموصوف

---

(١) سورة الفرقان آية (١٥) .

(٢) سورة الفرقان آية (٤٣) .

(٣) قال ابن عباس : كان الرجل من المشركين يعبدُ حجراً ، فإذا رأى حجراً أحسن منه ، رماه وأخذ الثاني فعبده .

(٤) سورة الأنعام آية (٤٩) .

مؤنَّثٌ ، نظراً إلى معنى البلدة وهو المكان ، لا إلى لفظها ، والسرُّ فيه تخفيف اللفظ .

وقدَّم في الآية إحياءَ الأرضِ ، وسقيَ الأنعامِ ، على سقي الأناسيّ[1] ، لأن حياة الأناسيّ بحياة أرضهم وأنعامهم ، فقدَّم ما هو سببُ حياتهم ومعاشهم ، ولأن سقْيَ الأرضِ بماءِ المطرِ ، سابقٌ في الوجود على سقي الأناسيّ .

٨ - **قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ منْ دُونِ الله مَا لاَ يَنْفَعُهُمْ وَلاَ يَضُرُّهُمْ . .﴾**[2] الآية ، قدَّم النفع على الضُّرِّ ، موافقةً لقوله قبل « هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أجاج » .

٩ - **قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إلاَّ مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾**[3] ، أي ما أسألكم على إبلاغ ما أُنزل عليَّ من أجرٍ **﴿إلاَّ مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلى رَبِّهِ﴾** أي إلى ثوابه **﴿سَبِيلاً﴾** أي فأنا أدلُّه على ذلك ، فهو استثناءٌ منقطع .

وأمَّا الاستثناءُ في قوله تعالى: ﴿قُلْ لاأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلاَّ المَوَدَّةَ في القُرْبى﴾ فمنسوخٌ بقوله تعالى : **﴿قل ما سألتكُمْ مِنْ أجْرٍ فهُوَ لكُمْ إنْ أَجْريَ إلاَّ عَلَى الله﴾** على ما

---

(١) معنى الأناسيّ : الناس ، جمع إنسيٍّ مثل كراسي وكرسي ، قال الفراء : الإنسي والأناسي اسمٌ للبشر ، وأصله إنسان .

(٢) سورة الفرقان آية (٥٥) .

(٣) سورة الفرقان آية (٥٦) .

روى ابن عباس رضي الله عنهما .

أو هو استثناءٌ منقطعٌ كما عليه المحققون تقديره : لكِنِّي أذكّركم المودَّة في القربى .

١٠ـ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾(١)، لم يقل « أئمة » رعايةً للفواصل ، أو تقديرُه : واجعل كلَّ واحدٍ منا إماماً .

١١ـ قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً﴾(٢)، جمع بين التحية والسلام ، مع أنهما بمعنى لقوله تعالى « تحيتُهُمْ يوم يلقونه سلامٌ » ولخبرِ « تحيةُ أهلِ الجنة في الجنة السلام » لأن المراد هنا بالتحية : سلامُ بعضِهم على بعض ، أو سلامُ الملائكة عليهم ، وبالسَّلامِ سلامُ الله عليهم لقوله تعالى **﴿سَلَامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾** .

أو المرادُ بالتحية إكرامُ الله لهم بالهدايا والتُّحف ، وبالسلام سلامه عليهم بالقول، ولو سُلِّم أنهما بمعنى ، فساغ الجمَعُ بينهما، لاختلافهما لفظاً كما مرَّ نظيره .

« تمت سورة الفرقان »

* * *

---

(١) سورة الفرقان آية (٧٤) .

(٢) سورة الفرقان آية (٧٥) .

سُورَة الشُّعَراء

١ - قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1] .

كرَّره في ثمانية مواضع ، أولها في قصة موسى ، ثم إبراهيم ، ثم نوح ، ثم هود ، ثم صالح ، ثم لوط ، ثم شعيب ، ثم في ذكر نبينا محمد ﷺ وإن لم يذكر صريحاً.

٢ - قولُهُ تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ﴾[2] .

إن قلتَ : كيف أفرد « رسولُ » مع أنه خبر متعدِّد ، والقياسُ رَسُولا كما في طه[3] ؟

قلتُ : الرسول بمعنى الرسالة ، وهي مصدر يُطلق على المتعدد وغيره .

---

(١) سورة الشعراء آية (٨) .

(٢) سورة الشعراء آية (١٦) .

(٣) في طه ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ فأرسِلْ مَعَنا بَني إسرائيلَ ولا تُعَذِّبْهُمْ . .﴾ آية (٤٧) .

أو تقديره : كلُّ واحدٍ منَّا رسولُ ربِّ العالمين .

أو أفرده نظراً إلى موسى لأنه الأصلُ ، وهارونُ تَبَعٌ له .

٣ - قوله تعالى : ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنا مِنَ الضَّالِّينَ﴾[١] .

إن قلتَ : كيف قال موسى « وأنا من الضَّالين » والنبيُّ لا يكونُ ضالاًّ ؟

قلتُ : أراد به وأنا من الجاهلين ، أو من الناسين كقوله تعالى : **﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إحداهُمَا الأُخْرَىٰ﴾** .

أو من المخطئين[٢] لا من المتعمدين ، كما يُقال : ضلَّ عن الطريق إذا عدل عن الصواب إلى الخطأ .

٤ - قوله تعالى : ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ العَالَمِينَ﴾[٣] .

---

(١) سورة الشعراء آية (٢٠) .

(٢) هذا هو الأظهرُ - والله أعلم - أي قال موسى : فعلتُ تلك الفعلة ، وأنا من المخطئين لأنني لم أتعمد قتله ، وإنما أردتُ تأديبه ، ولم يقصد موسى الضلال عن الهدى لأنه نبيٌّ معصوم ، وانظر كتابنا صفوة التفاسير ٢/٣٧٦ .

(٣) سورة الشعراء آية (٢٣) .

لم يقل فرعون : « ومنْ ربُّ العالمينَ » لأنه كان منكراً لوجود الربِّ ، فلا يُنْكَر عليهِ التعبيرُ بـ « مَا » .

٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾[1] .

إن قلتَ : كيف علَّق كونه ربُّ السموات والأرضِ ، بكونِ فرعون وقومِه كانوا موقنين ، مع أن هذا الشرط منتفٍ ، والرُّبوبيةُ ثابتةٌ ؟!

قلتُ : معناه إن كنتم موقنين أن السمواتِ والأرضَ موجوداتٍ ، وهذا الشرطُ موجوداً ، و« إن » نـافية لا شرطيَّة [2] .

فإن قلتَ : ذكرُ السمواتِ والأرض مستوعبُ جميعَ المخلوقاتِ ، فما فائدة قولِهِ : « ربُّكُمْ وربُّ آبـائكمُ الأوَّلين » ؟ وقولِهِ « ربُّ المشرقِ والمغرب » ؟!

قلتُ : فائدتهما تمييزُهما في الاستدلال على وجود الصَّانع .

أما الأول : فإن أقربَ ما للإنسان نفسُه ، وما يشاهده

---

(١) سورة الشعراء آية (٢٤) .

(٢) لا حاجة إلى مثل هذا التأويل البعيد ، ومعنى الآية قال له موسى : هو خالق السموات والأرض ، والمتصرّف فيهما بالإحياء والإماتة ، إن كانت لكم قلوبٌ تعقل وأبصارٌ تدرك ، فهذا أمر ظاهر جلي .

من تغييراته ، وانتقاله من ابتداء ولادته .

وأمَّا الثاني : فلِمَا تضمَّنه ذكرُ المشرقِ والمغربِ وما بينهما ، من بديع الحكمة في تصريف الليل والنهار ، وتغيير الفصولِ بطلوع الشمس من المشرق ، وغروبها في المغرب ، على تقديرٍ مستقيم في فصول السنة .

فإن قلتَ : لمَ قال أوَّلاً ﴿ **إن كنتُمْ مُوقِنينَ** ﴾ وثانياً ﴿ **إنْ كنتُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ ؟

قلتُ : لاطَفَهم أولاً بقوله « إنْ كنتُمْ مُوقِنينَ » فلما رأى عنادهم خاشَنَهم بقوله « إنْ كنتُمْ تَعْقِلُونَ » وعَارَضَ بِهِ قولَ فرعون ﴿ **إنَّ رسُولَكُمُ الّذي أُرْسِلَ إلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ** ﴾ .

٦ ـ **قَوْلُهُ تَعَالَىٰ** : ﴿**قالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إلَهاً غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ المَسْجُونِينَ**﴾[١] .

إن قلتَ : لمَ عَدَلَ إليه عن « لأسجُنَنَّك » مع أنه أخصرُ منه ؟

قلتُ : لإرادةِ تعريف العهد ، أي لأجعلنك ممَّنْ عُرفتْ حالُهم في سجني ـ وكان إذا سجن إنساناً طرَحه[٢]

(١) سورة الشعراء آية (٢٩) .

(٢) في مخطوطة الجامعة : طوَّحه في هويةٍ عميقة والصواب ما ذكرناه : طرحه في هوَّةٍ عميقة ، وإنما قال « المسجونين » لإرادته الدوام والاستمرار أي الكائنين والمخلَّدين في السجن إلى الأبد ، ولو قال لأسجننَّك لما أفاد هذا المعنى .

في هوَّةٍ عميقة مظلمة ، لا يُبصر فيها ولا يسمع - .

٧ - قوله تعالى : ﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴾[١] .

قاله هنا بحذف لام التأكيد ، وفي الزخرف[٢] بإثباتها ، لأنَّ ما هنا كلامُ السَّحرة حين آمنوا ، ولا عمومَ فيه فناسب عدم التأكيد ، وما في الزخرف عامٌّ لمن ركب سفينةً أو دابةً ، فناسبَه التأكيدُ .

٨ - قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾[٣] .

إن قلتَ : قضيَّتُه أنَّ كُلَّ جمعٍ منهما رأى الآخرِ ، لأن التَّراءي تفاعلٌ ، مع أَنَّ كلاً منها لم يرَ الآخر[٤] ، لأن الله تعالى أرسل غيماً أبيضَ ، فحال بينهما حتى منع الرؤ ية ؟

قلتُ : التراءي يُستعمل بمعنى التقابل ، كما في خبرِ « المؤمنُ والكافر لا يتراءيان » أي لا يُدانيان ولا يتقابلان .

---

(١) سورة الشعراء آية (٥٠) .

(٢) في الزخرف ﴿وَإِنَّا إِلى رَبِّنَا لمُنْقَلِبُون﴾ آية (١٤) .

(٣) سورة الشعراء آية (٦١) .

(٤) هذا القولُ غير مسلَّم ، وليس هنالك نصٌّ صريح واضح أنه حال بين الرؤ ية الغيمُ ، والراجح أن المعنى فلما تقارب الجمعان ، جمعُ موسى وجمعُ فرعون ، ورأى كلٌّ منها الآخر ، قال أصحابُ موسى : لقد أحيط بنا وسيدركنا فرعونُ وجنوده فيقتلوننا ا. هـ وانظر كتابنا صفوة التفاسير ٢/٣٨٢ .

٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ما تَعْبُدُونَ﴾[1]. قاله في قصة إبراهيم هنا بدون ذكر « ذا » وفي « والصافات »[2] بذكره ، لأن « ما » لمجرد الاستفهام ، فأجابوا بقولهم « قالوا نعبد أصناماً » و « ماذا » فيه مبالغةٌ ، لتضمنه معنى التوبيخ ، فلما وبَّخهم ولم يجيبوه ، زاد على التوبيخ فقال : ﴿أَئِفْكاً آلِهَةً دُونَ الله تُرِيدُونَ . فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ العَالَمِينَ﴾ فذكر في كل سورةٍ ما يناسب ما ذُكر فيها .

١٠ ـ قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ . وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ . وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾[3] .

زاد « هو » عقِبَ الذي في الإطعام والسقي ، لأنهما ممَّا يصدران من الإنسان عادةً ، فيُقال : زيدٌ يُطعِم ويسقي ، فذكر «هو» تأكيداً إعلاماً بأن ذلك منه تعالى ، لا من غيره ، بخلاف الخلْقِ ، والموت ، والحياة ، لا تصدر من غير الله . . ويجوز في « الذي خلقني » النصبُ ، نعتاً لربِّ العالمين ، أو بدلاً ، أو عطف بيانٍ ، أو بإضمار أعني . . والرفعُ خبراً لضمير « الذي » أو مبتدأ خبرُه الجملةُ بعده ،

(١) سورة الشعراء آية (٧٠) .
(٢) في الصَّافات ﴿إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ آية (٨٥) .
(٣) سورة الشعراء آية (٧٨) .

ودخلتْ عليه الفاء على مذهب الأخفش ، من جواز دخولها على خبر المبتدأ نحو : زيدٌ فاضربه ، وقيل : دخلت عليه لما تضمَّنه المبتدأ من معنى الشرط لكونه موصولاً ، ورُدَّ بأن الموصول هنا معيَّنٌ لا عامٌّ .

وقوله ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾ لم يقل : أمرضني ، كما قال قبله : «خلقني ، ويهدين» لأنه كان في معرِض الثناء على الله تعالى ، وتعدادِ نعمه ، فأضاف ذَيْنِكَ إليه تعالى ، ثم أضاف المرض إلى نفسه تأدباً مع الله تعالى ، كما في قول الخضر « فأردتُ أن أعيبها » وإنما أضاف الموت إلى الله تعالى في قوله « والَّذي يميتُني » لكونه سبباً لِلقائِه الذي هو من أعظم النِّعم .

١١ - قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[١]،فينفعه مالُه الذي أنفقه في الخير ، وولدُه الصالح بدعائه ، كما جاء في خبر « إذا ماتَ ابن آدمَ انقطع عمله إلا من ثلاثٍ : صدقةٍ جارية ، أو علمٍ يُنتفعُ به ، أو ولدٍ صالح يدعو له »[٢] .

١٢ - قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٣] أي قُرِّبتْ .

---

(١) سورة الشعراء آية (٨٨) .
(٢) أخرجه البخاري ومسلم .
(٣) سورة الشعراء آية (٩٠) .

فإن قلتَ : كيف قُرِّبت مع أنها لم تنتقل من مكانها ؟

قلتُ : فيه قلبٌ أي وأُزلف المتقون إلى الجنة ، كما يقول الحاج إذا دنوا إلى مكة : قربت مكة منا .

١٣ - قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ . وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[١]،جَمَع الشَّافعَ ، وأفردَ الصَّديقِ ، لكثرة الشفعاء عادةً وقلة الصديق ، ولهذا قال الشافعي رضي الله عنه :

ما في زمانِكَ من تَرْجُو مودَّتَه
ولا صَديقٍ إذا جارَ الزَّمانُ وَفى
فعِشْ فَريداً ولا تَرْكَنْ إلى أحَدٍ
هَا قَدْ نصحْتُكَ فيما قلْتُهُ وَكَفى

١٤ - قوله تعالى: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ ؟ . إلى قوله : وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ العَالَمِينَ﴾[٢]

ذُكر في خمسة مواضع : في قصة نوحٍ ، وهودٍ ، وصالحٍ ، ولوطٍ ، وشعيب .

١٥ - قوله تعالى : ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾[٣] .

---

(١) سورة الشعراء آية (١٠٠) .

(٢) إنما كررت هذه الآية الكريمة في خمسة مواضع ، للتنبيه على أن دعوة الرسل الكرام واحدة ، وهدفهم واحدٌ ، وطريقتهم واحدة ، فهم لا يطلبون من أحدٍ أجراً ولا مالاً ولا شيئاً من حُطام الدنيا على تبليغهم الرسالة ، إنما يطلبون الأجر من الله وحده .

(٣) سورة الشعراء آية (١١٠) .

ذُكر مكرَّراً في ثلاثة مواضع : في قصة نوح ، وهود ، وصالح تأكيداً .

فإن قلتَ : لمَ خُصَّتِ الثلاثةُ بالتأكيد ، دون قصة لوطٍ ، وشعيبٍ ؟!

قلتُ : اكتفاءً عنه في قصة لوط بقوله : ﴿**قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ القَالِينَ**﴾ وفي قصة شعيب بقوله : ﴿**واتَّقُوا الَّذي خَلَقَكُمْ والجِبِلَّةَ الأَوَّلِينَ**﴾ لاستلزامهما له .

١٦ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ في قصة صالح : ﴿**مَا أَنْتَ إِلَّا بشَرٌ مِثْلُنَا . .**﴾[١] .

قاله فيها بلا « واوٍ » وقاله في قصة شعيب[٢] بواوٍ .

لأنه هنا بدلٌ مما قبله ، وثَمَّ معطوف على ما قبله ، وخُصَّتِ الأولى بالبدل ، لأن صالحاً قلَّل في الخطاب ، فقلَّلوا في الجواب .

وأكثرَ شعيبٌ في الخطاب ، فأكثروا في الجواب .

١٧ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿**فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ . فَأَخَذَهُمُ العَذَابُ . .**﴾[٣] الآية .

---

(١) سورة الشعراء آية (١٥٤) .

(٢) في قوله تعالى ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الكَاذِبِينَ﴾ فقد وردت بالواو هنا .

(٣) سورة الشعراء آية (١٥٧) .

إن **قلتَ** : كيف أخذهُم العذابُ بعدما ندموا على جنايتهم ، وقد قال ﷺ : « النَّدَمُ توبةٌ » ؟!

قلتُ : ندمهم كان عند معاينة العذاب، وهي ليست وقت التوبة كما قال تعالى :﴿**وليست التوبةُ للذين يعملون السيئات** . .﴾ الآية .

وقيل : كان ندمُهم ندم خوفٍ من العقاب العاجل ، لا ندم توبة فلم تنفعهم .

١٨ - **قَوْلُهُ تَعَالَىٰ** : ﴿**يُلْقُونَ السَّمْعَ وأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ**﴾(١) .

الضميرُ للأَفَّاكين وهم الكذَّابون .

فإن قلتَ : كيف قال « أَكْثَرُهُمْ » بعدما حكَمَ بأنَّ كل أفَّاكٍ أثيمٌ أي فاجرٌ ؟!

قلتُ : الضمير في « أكثرُهُم » للشياطين ، لا للأفاكين ، ولو سُلِّم فالأفَّاكون هم الذين يكثرون الكذبَ ، لا أَنهم الذين لا ينطقون إلَّا بالكذب .

« تمت سورة الشعراء »

* * *

(١) سورة الشعراء آية (٢٢٣) .

سُورَة النَّمْل

١ ـ قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾[1].

إن قلتَ : الكتابُ المبينُ هو القرآنُ ، فكيف عطَفَه عليه ، مع أن العطف يقتضي المغايرة ؟!

قلتُ : المغايرةُ تصدق بالمغايرة لفظاً ومعنى ، وباللفظ فقط ، وهو هنا من الثاني ، كما في قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهم صَلَواتٌ من رَبِّهِمْ ورحمةٌ ﴾ .

أو المرادُ بالكتاب المبين : هو اللوحُ المحفوظ ، فهو هنا من الأول .

فإن قلتَ : لَمَ قدَّم القرآنَ هنا على الكتاب ، وعَكَسَ في الحِجْر[2] ؟

قلتُ : جرياً على قاعدة العرب في تفنُّنهم في الكلام .

---

(١) سورة النمل آية (١) .

(٢) في الحجر ﴿تلك آياتُ الكتابِ وقرآنٍ مبينٍ﴾ على عكس ما في سورة النمل ، وهذا كله من باب التفنُّن في الكلام كما هو عادة العرب .

٢ ـ قوله تعالى: ﴿سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشهابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلونَ﴾[١].

فإن قلتَ : كيف قال هنا ذلك ، وفي طه « لعلّي آتيكُم » وأحدها قَطْعٌ ، والآخرُ ترجٍّ ، والقضيَّةُ واحدة ؟!

قلتُ : قد يقول الراجي إذا قويَ رجاؤه : سأفعلُ كذا ، وسيكونُ كذا ، مع تجويزه عدم الجزم .

٣ ـ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا . .﴾[٢]. المرادُ بالنَّارِ عند الأكثرِ « النُّورُ » وبمن فيها « موسى » ومن حولها « الملائكة » أو العكسُ ، بأن باركَ الله من في مكان النور ، ومنْ حوله ومكانه هو البقعة المباركة في قوله تعالى : ﴿نُودي من شاطىءِ الوادِ الأيمنِ في البقعة المباركة﴾ وبارك يتعدَّى بنفسه كما هنا ، وبـ « على » و « في » كما في قوله تعالى ﴿وباركنا عليهِ وعَلَى إسْحَاقَ﴾ وقوله ﴿وبارَكَ فيها﴾ .

٤ ـ قوله تعالى : ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً﴾[١].

قاله هنا بدون ذكر « أن» وفي القصص[٢] بذكرها .

لأن ما هنا تقدَّمه فعل بعد « أنْ » وهو « **بورك** » فحسُنَ

(١) سورة النمل آية (٧) .
(٢) سورة النمل آية (١٨) .
(١) سورة النمل آية (١٠) .
(٢) في القصص ﴿وَأَنْ ألقِ عَصَاك . .﴾ الآية .

عطفُ الفعل عليه ، وما هناكَ لم يتقدمه فعلٌ بعد « أنْ » فذكرتْ « أنْ » لتكون جملة « أن ألقِ عصاكَ » معطوفةً على جملة « أن يا موسى إنني أنا اللهُ » .

٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾[٣].

قال ذلك هنا ، وقال في القصص « يا مُوسَى أَقْبِلْ ولا تخفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنينَ » بزيادة « أَقْبِلْ » ، لأنَّ ما هنا بُني عليه كلامٌ يناسبه وهو « إني لا يخافُ لديَّ المرسلونَ » فناسبه الحذفُ ، وما هناك لم يُبنَ عليه شيءٌ ، فناسبه زيادة « أَقبِلْ » جبراً له ، وليكون في مقابلة « مدبراً » أي أقبلْ آمناً غير مدبرٍ ، ولا تخفْ .

٦ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ المرسلون . إِلَّا مَنْ ظَلَمَ . .﴾[٤] الآية .

إن قلتَ : كيف وجهُ صحة الاستثناءِ فيه ، مع أن الأنبياءَ معصومون من المعاصي ؟!

قلتُ : الاستثناءُ منقطعٌ ، أي لكنْ من ظلم من غير الأنبياء فإنه يخاف ، فإن تاب وبدَّل حُسْناً بعد سوء فإني غفورٌ رحيم ، أو متصلٌ بحمل الظلم على ما يصدر من الأنبياء من تركِ الأفضل ، أو « إِلَّا » بمعنى « ولا » كما في

(٣) سورة النمل آية (١٠) أيضاً .　　(٤) سورة النمل آية (١١) .

قوله تعالى ﴿لِئَلَّا يكُونَ للنَّاسِ عليكُمْ حُجَّةٌ إلَّا الذينَ ظلموا﴾ .

وإنما خصَّ المرسلين بالذِّكر ، لأن الكلام في قصة موسى ـ وكان من المرسلين ـ وإلّا فسائر الأنبياء كذلك ، وإن لم يكن بعضهم رسلاً .

٧ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَأَدْخِلْ يدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ . .﴾[١] .

قاله هنا بلفظ « أَدْخِلْ » وفي القَصَص بلفظ « أُسْلُكْ » لأن الإدخال أبلغُ من السلوك ، لأن ماضيه أكثر حروفاً من ماضي السلوك ، فناسبَ « أَدْخِل » كثرة الآيات ، في قوله « تخرجْ بيضاءَ من غيرِ سوءٍ في تسعِ آياتٍ » أي معها مرسلاً إلى فرعون ، وناسب أسلك قلَّتها ، وهي سلوك اليد ، وضمُّ الجناح ، المعبَّر عنهما بقوله ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إلى فِرْعَوْنَ ومَلَئِهِ﴾ .

٨ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿فِي تِسْعِ آياتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ﴾[٢] .

قاله هنا بلفظ « وقومه » وفي القصص[٣] بلفظ « وملائهِ » لأن الملأَ أشرافُ القوم ، ولم يوصفوا ثَمَّ بما

---

(١) سورة النمل آية (١٢) .　　(٢) سورة النمل آية (١٢) أيضاً .

(٣) في القصص ﴿فذانِكَ برهانانِ من ربِّكَ إلى فرعون ومَلَائِهِ إنهم كانوا قَوْماً فاسِقِينَ﴾ آية (٣٢) .

وُصِف به القومُ هنا من قوله « فلما جاءَتْهُمْ آياتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ وَجَحَدُوا بها . . » الآية فناسبَ ذكرُ القوم هنا ، وذكر الملأَ ثَمَّ .

٩ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . .﴾[١] .

النُّونُ نونُ الجمع ، عنى « سليمانُ » نفسَه وأباه ، أو نونُ العظمة ، مراعاةً لسياسة المُلْك ، لأنه كان ملكاً مع كونه نبياً .

فإن قلتَ : كيف سوَّى بينه في قوله « من كل شيء » وبين بلقيس في قول الهُدْهد : « وأُوتيتْ مِنْ كُلِّ شيءٍ » ؟!

قلتُ : الفرقُ بينهما أنها أوتيتْ من كلِّ شيء من أسباب الدنيا فقط ، لعطف ذلك على « تمْلِكُهم » وسليمان أُوتي من كل شيءٍ من أسباب الدين والدنيا ، لعطف ذلك على المعجزة وهي « منطقُ الطير » .

١٠ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾[٢]. توعَّد « سليمانُ » الهدهد بذلك ، مع أنه غيرُ مكلَّفٍ ، بياناً لكونه خُصَّ بذلك ، كما خُصَّ بتعلّم منطقه .

١١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ

---

(١) سورة النمل آية (١٦) .   (٢) سورة النمل آية (٢١) .

تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾[٢].

إن قلتَ : إذا تولَّى عنهم كيف يعلم جوابهم ؟!

قلتُ : معناه ثمَّ تولَّ عنهم يسيراً حيث لا يرونك ، فانظر ماذا يرجعون ؟

١٢ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[٣].

قدَّم « سليمانُ » اسمه على اسم الله تعالى ، مع أنَّ المناسبَ عكسُه ، لأنه عرف أن « بلقيس » تعرف اسمه ، دون اسم الله تعالى ، فخاف أن تستخفَّ باسم الله تعالى ، أوَّلَ ما يقعُ نظرها عليه ، أو كان اسمُه على عنوانِ الكتاب ، واسمُ اللهِ في باطنه .

١٣ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ . .﴾[١].

القائلُ كاتبُ سليمانَ ، واسمُه « آصف » .

فإن قلتَ : كيف قَدَر مع أنه غيرُ نبيٍّ ، على ما لم يقدر عليه سليمان مع أنه نبيٌّ ، من إحضار عرش بلقيس في طرفة عين ؟!

قلتُ : يجوز أن يُخصَّ غيرُ النبيّ بكرامةٍ ، لا يشاركه

---

(١) سورة النمل آية (٢٨) . (٢) سورة النمل آية (٣٠) .
(٣) سورة النمل آية (٤٠) .

فيها النبيُّ ، كما خُصَّت « مريمُ » بأنها كانت تُرزق من فاكهة الجنة ، و « زكريا » لم يُرزق منها ، ولم يلزم من ذلكَ فضلُها على « زكريا » ، وقد نُقل أن « سليمان » عليه السلام ، كان إذا أراد الخروج إلى الغَزَاةِ ، قال لفقراء المهاجرين والأنصار ، أُدعوا لنا بالنُّصْرة ، فإن الله ينصرنا بدعائكم ، ولم يكونوا أفضل منه ، مع أن كرامة التَّبع من جملة كرامة المتبوع .

ويُحكى أن العلمَ الذي كان عند « آصف » هو اسمُ الله الأعظم ، فدعا به فأُجيب به في الحال .

وهو عند أكثر العلماء كما قال البندنيجي : اسمُ الله ، **وقيل** : يا حيُّ ، يا قيُّوم .

وقيل : يا ذا الجلالِ والإكرام ، **وقيل** : يا أللهُ ، يا رحمنُ ، **وقيل** : يا إلَهنا وإلَهَ كل شيء ، إلَهاً واحداً ، لا إلَهَ إلاَّ أنتَ .

١٤ - قوله تعالى : ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لله رَبِّ العَالِمِين﴾[1]. حقيقةُ المعيَّة : الاتفاقُ في الزمانِ ، وسليمانُ كان مُسلماً قبلها وإن يُقل بدل « مع سليمان » على يد سليمان ؛ لأنها كانت ملكة ،

---

(١) سورة النمل آية (٤٤) .

فلم تذكر عبارةً تدلُّ على أنها صارت مولاةً له بإسلامها ، وإن كان الواقعُ ذلك .

١٥ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾[1] .

قاله هنا بلفظ « أنجينا » وفي حمّ السجدة بلفظ « ونجينا » موافقةً لما بعده هنا ، ولما قبله وبعده ثَمَّ ، فيما وزنُه « أفعل » و « فعل » ثَمَّ ، حيث قال هنا بعد **﴿فأنجيناه وأهلَه . . وأمطرنا﴾** وقال ثَمَّ قبله « وزيَّنّا » وبعده « وقَيَّضْنَا » .

١٦ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ﴾[2] ؟

ذُكر **هنا** في خمسة مواضع متوالية :

وختم الأولى بقوله : **﴿بَلْ همْ قومٌ يَعْدِلُونَ﴾**

والثانية بقوله : **﴿بلْ أكثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾**

والثالثة بقوله : **﴿قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾** .

والرابعة بقوله : **﴿تَعَالى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** .

والخامسة بقوله : **﴿قل هاتُوا برهانَكُمْ إن كُنْتُمْ صادقينَ﴾** .

---

(١) سورة النمل آية (٥٣) . (٢) سورة النمل آية (٦٠) .

أي عدلوا ، وأوَّلُ الذنوبِ العدولُ عن الحقِّ ، ثُمَّ لم يعلموا ولو علموا ما عدلوا ، ثم لم يتذكَّروا فيعلموا بالنظر والاستدلال ، فأشركوا من غير حجةٍ وبرهانٍ ، قل لهم يا محمد : هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين .

١٧ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ العَزِيزُ العَلِيمُ﴾[١].

تجوَّز « بحكمه » عما يحكم به ، وهو العدلُ ، وإلا فالقضاءُ والحكم واحد .

١٨ - قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَـاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٢]. خصَّ المؤمنين بالذِّكر ، مـع أن غيرهم مثلَهم ، لأنهم المنتفعون بالآيات .

١٩ -قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ . .﴾[٣] الآية .

قاله هنا بلفظ « فزع » وفي الزمر بلفظ « صَعِقَ » موافقةً **هنا** لما بعده ، وهو « وهم من فَزَعٍ يومئذٍ آمنون » وفي الزمر لما قبله ، وهو « إنَّكَ ميِّتٌ » إذْ معنى الصعقِ : الموتُ ، وعبَّر فيهما بالماضي دون المضارع مع أنه أنسبُ ، للإشعارِ

---

(١) سورة النمل آية (٧٨) وأراد « بحكمه » أي يقضي بينهم بالعدل .
(٢) سورة النمل آية (٨٦) . (٣) سورة النمل آية (٨٧) .

بتحقق الفزع والصعق ووقوعهما ، إذِ الماضي أدلُّ على ذلِكَ من المضارع .

٢٠ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾[١] .

إن قلتَ : كيف قال « داخرين » أي صاغرين أذلَّاء بعد البعث ، مع أنَّ « النبيِّين ، والصدِّيقين ، والشهداء ، والصالحين » يأتون عزيزين[٢] مكرَّمين ؟!

قلتُ : المرادُ صغارُ العبودية والرِّق وذلُّهما ، لا ذلُّ المعاصي والذنوب ، وذلك يعمُّ الخلق كلَّهم ، كما في قوله تعالى : ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾ .

٢١ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ البَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا . .﴾[٣] أي حرَّم محرَّماتِها ، من تنفير صيدِها وغيره .

« تمت سورة النمل »

* * *

---

(١) سورة النمل آية (٨٧) أيضاً .

(٢) في المخطوطة هكذا وردت « عزيزين » والظاهر أنها « مُعزَّزين » لأنها قوبلت بقوله « مكرَّمين » والله أعلم .

(٣) سورة النمل آية (٩١) .

سُورَة القَصَص

١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إلى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ في اليَمِّ . .﴾[1] الآية، هي من معجزات الإيجاز، لاشتمالها على أمريْنِ، ونهييْنِ، وخبريْنِ متضمنيْنِ بشارتيْنِ، في أسهل نظم، وأسلس لفظٍ، وأوجز عبارة .

فإن قلتَ : ما فائدةُ وحي الله تعالى إلى أم موسى بإرضاعه، مع أنها ترضعه طبعاً وإن لم تُؤمر بذلك ؟

قلتُ : أمرها بإرضاعه ليألف لبنها، فلا يقبل ثدي غيرها بعد وقوعه في يد فرعون، فلو لم يأمرها به، ربَّما[2] كانت تسترضع له مرضعة، فيفوت المقصود .

٢ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي اليَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي . .﴾ .

---

(١) سورة القصص آية (٧) .

(٢) في مخطوطة الجامعة « ما كانت تسترضع له »وهو خطأ وصوابه «ربَّما كانت» كما هو في مخطوطة مكتبة الحرم الشريف .

إن قلتَ : جواب الشرط يجامعه ، وجوابه هنا الإلقاءُ وعدمُ الخوف ، فكلٌّ منهما يجامعه ، فيصدق بقوله : فإذا خفتِ عليه فلا تخافي عليه ، وذلك تناقضٌ ؟

قلتُ : معناه فإذا خفتِ عليه القتلَ ، فألقيه في اليمِّ ولا تخافي عليه الغَرَق ، فلا تناقض .

المندوب ، أو من حيث إنه قال ذلك على سبيل الانقطاع إلى الله ، والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه ، وإن لم يكن ثَمَّةَ ذنبٌ ، وأما استغفاره من ذلك فمعناه اغفرْ لي ترك ذلك المندوب .

٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى المَدِينَةِ يَسْعَىٰ . .﴾[(١)] الآية .

قاله هنا بتقديم « رجل » على « من أقصى المدينة » وعكَس في يسٓ[(٢)] .

قيل : موافقةً هنا لقوله قبل « فوجد فيها رجلين يقتتلان » واهتماماً ثَمَّ بتقديم « من أقصى المدينة » لما رُوي أن الرجل « حزقيل » وقيل « حبيب » كان يعبد الله في جبل ، فلما سمع خبر الرُّسُل سعى مستعجلاً .

٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾[(٣)] .

إن قلتَ : موسى لم يَسْقِ لابنَتَيْ شعيبٍ طلباً للأجر ، فكيف أجاب دعوةَ شعيب في قول ابنته له « إِنَّ أبي يَدْعوكَ

= القاضية ، فلذلك ندم على فعله واستغفر ربه ، لأن في قتل القبطي فتنةً ، والشيطان تفرحه الفتنة فلذلك نسبه إلى الشيطان .

(١) سورة القصص آية (٢٠) .

(٢) في يسٓ ﴿وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين﴾ .

(٣) سورة القصص آية (٢٥) .

ليجْزِيَكَ أجرَ ما سَقَيْتَ لَنا »؟!

قلتُ : يجوز أن يكون أجاب دعوته لوجه الله تعالى ، على وجه البِرّ والمعروف ، لا طلباً للأجر وإنْ سُمِّي في الدعوة أجراً .

٦ - قوله تعالى : ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ .

قاله هنا بلفظ « الصَّالحينَ » وفي الصَّافات[2] بلفظ « الصَّابرين » لأنَّ ما هنا من كلام « شعيب » وهو المناسب للمعنى هنا ، إذِ المعنى ستجدني من الصالحين في حُسْن العُشْرة ، والوفاءِ بالعهد .

وما هناك من كلام « إسماعيل » وهو المناسب للمعنى ثَمَّ ، إذِ المعنى ستجدني من الصابرين على الذبح .

٧ - قوله تعالى : ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾[3] أيْ يوضّحْ حججي ، ويؤيدها بما رزقه الله من فصاحة اللِّسانِ .

٨ - قوله تعالى : ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ . .﴾[4] الآية .

---

(١) سورة القصص آية (٢٧) .

(٢) في الصافات ﴿قال يا أبتِ افعلْ ما تُؤْمرُ ستجدني إنْ شَاءَ الله من الصَّابرينَ﴾ آية (١٠٢) .

(٣) سورة القصص آية (٣٤) .

(٤) سورة القصص آية (٢٧) .

قاله هنا بزيادة الباء ، وبعدُ بدونها ، تقويةً للعامل هنا بحسب الظاهر ، لضعفه عن العمل ، وحذَفه[1] بعدُ اكتفاءً بدلالة الأول عليه .

٩ ـ قوله تعالى: ﴿فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَٰهِ مُوسَىٰ . .﴾[2] الآية .

قاله هنا بحذف « أبلغُ الأسبابَ . أسبابَ السَّمواتِ » وقال في غافر[3] بذكره ، لأن ما هنا تقدَّمه « ما علمتُ لكمْ من إلَهٍ غيري » من غير ذكر أرضٍ وغيرها ، فناسبَه الحذفُ ، وما هناك تقدَّمه « إنّي أخافُ أن يُبَدِّل دينكم أو أن يُظهر في الأرض الفساد » فناسبه مقابلته بالسماء في قوله « لعلي أبلغُ الأسبابَ . أسبابَ السمواتِ » .

١٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الكَاذِبِينَ﴾[4] .

قال ذلك هنا ، وقال في غافر « وَإِنّي لَأظُنُّهُ كَاذِباً » موافقةً للرويِّ هنا ، وعلى الأصل بلا معارضٍ ثَمَّ .

١١ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا

---

(١) أشار المصنف إلى قوله تعالى في آخر السورة ﴿قل ربي أعلمُ من جاء بالهدى ومن هو في ضلالٍ مبين﴾ .

(٢) سورة القصص آية (٣٨) .

(٣) في غافر ﴿وقال فرعونُ يا هامانُ ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسبابَ . أسباب السمواتِ فأطَّلعَ إلى إلَهِ موسى وإني لأظُنُّهُ كاذباً﴾ آية (٣٧) .

(٤) سورة القصص آية (٣٨) .

﴿إِلَى مُوسَى الأَمْرَ . .﴾[1] الآية .

إن قلتَ : أوّلُها يُغني عن قوله « وَمَا كنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ » ؟

قلتُ : لا ، إذْ معنى أولها : ما كنتَ يا محمدُ حاضراً حين أحكمنا إلى موسى الوحي ، ومعنى « وما كنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ » أي الحاضرين قصته مع شعيب عليهم السلام فاختلفت القصتان .

١٢ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا . .﴾[2] .

قاله هنا بالواو ، وفي الشورى[3] بالفاء ، لأنَّ ما هنا لم يتعلَّقْ بما قبله كبير تعلق ، فناسب الإتيان به بالواو ، المقتضية لمطلق الجمع ، وما هناك متعلِّقٌ بما قبله أشدَّ تعلُّقٍ ، لأنه عقب ما لهم من المخافة ، بما لهم من الأَمنَةِ ، فناسبَ الإتيانُ به بالفاء ، المقتضية للتعقيب .

١٣ـ قوله تعالى: ﴿فَمَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا . .﴾

قال هنا بزيادة « وزينتها » وفي الشورى بحذفه ، لأنَّ ما هنا لسبقه ، قُصد فيه ذكرُ جميع ما بُسِط من رزق

---

(١) سورة القصص آية (٤٤) . (٢) سورة القصص آية (٦٠) .

(٣) في الشورى ﴿فما أوتيتم من شيءٍ فمتاعُ الحياة الدنيا وما عند الله خيرٌ وأبقى﴾ آية (٣٦) .

أعراضِ الدنيا ، فذكر « وزينتها » مع المتاع ، ليستوعبَ جميعَ ذلك ، إذِ المتاعُ ما لا بُدَّ منه في الحياة ، من مأكولٍ ، ومشروبٍ ، وملبوسٍ ، ومسكنٍ ، ومنكوحٍ ، والزينةُ ما يتجمل به الإنسانُ ، وحذفه في الشـورى اختصاراً .

١٤ - قوله تعالى : ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾[1]،جوابُه محذوفٌ تقديره : لما رأوا العذاب[2] ، ولا يصح أن يكون جوابُها ما قبلها ، لأنَّ من يرى العذابَ يكون ضالًّا لا مهتدياً .

١٥ - قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . .﴾[3] الآيتين .

ختم آية الليلِ بقوله « أفلا تسمعون » ؟ وآية النهارِ بقوله « أفلا تُبصرون » ؟ لمناسبة الليل المظلم الساكن للسَّماع ، ومناسبة النهار النيِّر للإبصار .

وإنَّما قدَّم الليلَ على النهار ، ليستريح الإنسانُ فيه ، فيقومَ إلى تحصيل ما هو مضطرٌّ إليه ، من عبادةٍ وغيرها بنشاطٍ وخفَّةٍ ، ألاَ ترى أن الجنة نهارُها دائمٌ ، إذْ لا تعب

---

(١) سورة القصص آية (٦٤) .

(٢) قال الطبري معناه : ودُّوا حين رأوا العذاب لو أنهم كانوا في الدنيا مهتدين للحق .

(٣) سورة القصص آية (٧٢) .

فيها يحتاج إلى ليلٍ يستريح أهلُها فيه ؟

١٦ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ . . وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الكَافِرُونَ﴾[١]. « ويكأنَّ » أعاده بعدُ لاتصال كلٍّ منهما ، بما لم يتَّصل به الآخر ، و« وَيْ »[٢] قال سيبويه كغيره : إنها صلَةٌ ، وهي كلمة تدلُّ على النَّدم ، وقال الأخفش : أصلُها « وَيْكَ » و « أَنَّ » بعده منصوبٌ بإِضمار إِعْلَمْ أي إِعلَمْ أنَّ اللهَ ، فعلى الأول يُوقف على « وَيْ » وبه قرأ الكسائي ، وعلى الثاني يوقف على « ويْكَ » وبه قرأ أبو عمروٍ ، والجمهورُ يقفون على « ويكأنَّ » تبعاً للرَّسم ، ويجوِّزون الوقف عليه بهاء السكت .

« تمت سورة القصص »

* * *

---

(١) سورة القصص آية (٨٢) .

(٢) قال الجوهري : « وَيْ » كلمةُ تعجب ، وقد تدخل على « كأنَّ » فتقول : ويكأنَّ وقيل : إنها كلمة تُستعمل عند التنبه للخطأ وإظهار الندم وهو قول الخليل ، والله أعلم .

سُورَة العَنْكَبُوت

١ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً . . ﴾[١]. أي بِرّاً ذا حُسْنٍ .

ذَكَرَه هنا ، وفي الأحقاف « إحساناً »[٢] وحَذَفَه في لقمان[٣] ، مع أنَّ الثلاثة نزلت في « سعد بن مالك » وهو « سعدُ بن أبي وقَّاص » على خلافٍ فيه ، لأن الوصية هنا وفي الأحقاف جاءت في سياق الإِجمال ، وفي لقمان جاءت مفصَّلة لما تقدَّمها من تفصيل كلام لقمان لابنه ، ولأن قوله بعدها « أَنِ اشكُرْ لي ولوالِدَيْكَ » قائم مقامه ، فحسُن حذفُه .

٢ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا . . ﴾[٤] .

قال ذلك هنا ، وقال في لقمان « عَلَى أَنْ تُشْرِكَ »

---

(١) سورة العنكبوت آية (٨) .

(٢) في الأحقاف ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً﴾ آية (١٥) .

(٣) في لقمان ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ﴾ آية (١٤) .

(٤) سورة العنكبوت آية (٨) .

موافقةً هنا لفظاً ، للفظِ اللام في قوله « ومنْ جاهَدَ فإنَّما يُجَاهِدُ لنفسِهِ » وحملاً للمعنى بطريق التضمين في لقمان ، إذِ التقديرُ : وإن حملاك على أن تُشرك بي .

٣ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً . .﴾[١] .

إن قلتَ : ما فائدةُ العدولِ إلى ما قاله ، عن تسعمائة وخمسين ، مع أنه عادةُ الحساب ؟

قلتُ : فائدتُه تسليةُ النبي ﷺ ، إذِ القصة مسوقةٌ لتسليته بما ابتلي به نوح عليه الصلاة والسلام ، من مكابدة أمته في أطول المُدَد ، فكان ذلك أقصى العقود ، التي لا عقد أكثر منه في مراتب العدد ، أفخر وأفضى إلى المقصود ، وهو استطالة التَّسامعِ مدّةَ صبره ، وفيه فائدةٌ أخرى ، وهي نفيُ توهُّم إرادة المجاز ، بإطلاقِ لفظ تسع المائة والخمسين على أكثرها ، فإن هذا التوهم مع ذكر الألف والاستثناء منتفٍ أو أبعد .

وجاء المميَّز الأول بلفظ « السنةِ » والثاني بلفظ « العَام » لكراهة التكرار .

٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَا

(١) سورة العنكبوت آية (١٤) .

يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ . .﴾[1] الآية .

نكَّر الرزق أولاً ، ثمَّ عرَّفه ثانياً ، لأنه أراد بذلك أن الذين تعبدون من دون الله ، لا يستطيعون أن يرزقوكم شيئاً من الرزق ، فابتغوا عند الله الرزقَ كله ،فإنه هو الرزَّاقُ لا غيرُه .

٥ ـ قوله تعالى: **﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ ثُمَّ اللهُ يُنْشِىءُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ . .﴾**[2] الآية .

إن قلتَ : كيف أضمر لفظ « الله » أولاً ، ثم أظهره ثانياً مع أن القياس العكسُ ؟

قلتُ : تنبيهاً على عِظم إنشائهم أي إعادتهم ، لأنها التي ينكرها الكافر ، فناسب ذكر الظاهر للإيضاح .

٦ ـ قوله تعالى: **﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ . .﴾**[3] الآية .

قال ذلك هنا ، واقتصر في الشورى[4] على « في

---

(١) سورة العنكبوت آية (١٧) .

(٢) سورة العنكبوت آية (٢٠) .

(٣) سورة العنكبوت آية (٢٢) .

(٤) في الشورى ﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض وما لكم من دُونِ الله من وليّ ولا نصيرٍ﴾ آية (٣١) .

الأرضِ » لأنَّ ما هنا خطابٌ لقومٍ فيهم « النمرود » الذي حاول الصعود إلى السماء ، فأخبرهم بعجزهم وأنهم لا يفوتون الله ، لا في الأرضِ ، ولا في السماء ، وما في الشورى خطابٌ لمن لم يحاول الصعود إلى السماء ، وقيل : خطابٌ للمؤمنين بقرينة قوله « وما أصابكم من مصيبةٍ فبما كسبتْ أيديكُمْ ويعفو عن كثيرٍ » ، وقد حُذفا معاً للاختصار ، في قوله في الزمر « وما هم بمعجزين » .

٧ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿فَأَنْجَاهُ اللهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(١) .

قاله هنا بالجمع ، وقاله بعدُ في قوله « خَلَقَ الله السَّمواتِ والأَرْضَ بالحقِّ إنَّ في ذَلِكَ لآيَةً للمُؤْمنينَ » بالتوحيد ، لأنَّ ما هنا إشارةٌ إلى إثبات النبوَّة القائمة بالنبيِّين ، وهم كثيرون فناسب الجمع ، وما بعدُ إشارةٌ إلى التوحيد القائم بواحدٍ ، وهو الله لا شريك له .

٨ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾(٢) .

إن قلتَ : قال ذلك في معرض المدح لإبراهيم عليه السلام ، أو الامتنان عليه ، وأجرُ الدنيا فانٍ منقطعٌ بخلاف

---

(١) سورة العنكبوت آية (٢٤) .

(٢) سورة العنكبوت آية (٢٧) .

أجرِ الآخرة ، فكيف ذكره دون أجر الآخرة ؟!

قلتُ : بل ذَكَره أيضاً في قوله « وإنه في الآخرة لَمِنَ الصَّالحينَ » إذِ المعنى إن له في الآخرة أجر الصالحين وافياً كاملًا ، لكنْ أخّره موافقةً للفواصل ، وأجرُه في الدنيا قيل : هو الثناءُ الحسنُ ، والمحبَّةُ من الناس ، وقيل : هو البركةُ التي باركها الله تعالى فيه وفي ذريته .

٩ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾[١] .

إن قلتَ : كيف قال « إِلَّا الذينَ ظلموا » مع أن جميع أهل الكتاب ظالمون ، لأنهم كافرون قال تعالى « والكافرونَ هُمُ الظَّالمونَ » ؟!

قلتُ : المرادُ بالظلمِ هنا : الامتناعُ عن قبولِ عقد الذمَّةِ ، أو نقضِ العهد بعد قبوله .

١٠ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا . .﴾[٢] الآية .

قاله هنا بذكر « مِنْ » وفي البقرة[٣] ، والجاثية[٤] بحذفها ،

(١) سورة العنكبوت آية (٤٦) .

(٢) سورة العنكبوت آية (٦٣) .

(٣) في البقرة ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ آية (١٦٤) .

(٤) في الجاثية ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ آية (٥) .

موافقةً لما قبله هنا في قوله « مِنْ عباده » و « مِنَ السَّماءِ » بخلاف ذلك في البقرة والجاثية .

١١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا . .﴾[١] الآية .

إن قلتَ : المجاهدةُ في دِينِ الله إنما تكونُ بعد الهداية ، فكيف جعل الهداية من ثمرتها ؟

قلتُ : معناه جاهدوا في طلب العلم[٢] ، لنهدينهم سبلنا بمعرفة الأحكام وحقائقها ، أو جاهدوا في نيْل درجةٍ ، لنهدينهم إلى أعلى منها ، قال تعالى « والذينَ اهتدوا زادهم هُدَىً » وقال تعالى « ويزيدُ الله الذين اهتَدوا هُدَىً » .

« تمت سورة العنكبوت »

* * *

---

(١) سورة العنكبوت آية (٦٩) .

(٢) معنى الآية : جاهدوا أعداء الدين ، والنفس ، والهوى ، ابتغاء مرضاة الله تعالى ، لنهدينهم طريق معرفتنا وعبادتنا ، وطريقَ السير إلينا .

سُورَة الرُّوم

١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ . .﴾[١] .

قاله هنا ، وفي فاطر ، وأول المؤمن بالواو ، وفي آخرها بالفاء[٢] ، لأنَّ ما هنا موافقٌ لما قبله وهو « أولم يتفكَّرُوا » ولما بعده وهو « وأثاروا الأرضَ » وما في فاطر موافقٌ أيضاً لما قبلَه وهو « ولنْ تَجِدَ لسُنَّةِ الله تحويلاً » ولما بعده وهو « وما كانَ الله ليعجزه » وما في أول المؤمن موافقٌ لما قبلَه وهو « والّذينَ تَدْعُونَ من دُونِهِ » وما في آخرها موافقٌ لما قبله وهو « فأيَّ آياتِ الله تُنْكِرونَ » وما بعده وهو « فما أَغْنَى عنهمْ ما كَانُوا يَكْسِبُونَ » فناسبَ فيه الفاء ، وفي الثلاثةِ قبلَه الواوُ .

٢ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ

(١) سورة الروم آية (٩) .

(٢) في آخر سورة المؤمن ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيفَ كانَ عاقبةُ الذينَ من قبلِهِمْ﴾ آية (٨٢) .

قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً . . ﴾ .

قاله هنا بحذف « كانوا » قبل قولِه « مِنْ قبلِهِمْ » وحذفِ الواوِ بعده ، وقاله في فاطر[1] بحذف « كانوا » أيضاً وبذكر الواو .

وفي أوائل غافر[2] بذكرِ « كانوا » دون الواو ، وزيادة « هم » وفي أواخرها بحذف الجميع ، لأن ما في أوائلها ، وقع فيه قصةُ نوح وهي مبسوطة فيه ، فناسب فيه البسطُ ، وحذفَ الجميع في أواخرها اختصاراً ، لدلالة ذلكَ عليه ، وما هنا وفي فاطر موافقةً لذكرها قبلُ وبعدُ .

٣ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا . . ﴾[3] الآية .

ختمها بقوله : « لقومٍ يتفكَّرون » لأن الفكر يؤدّي إلى الوقوف على المعاني المطلوبة ، من التَّوانسِ والتّجانسِ بين الأشياء كالزوجين .

ثم قال : « ومن آياتِه خلقُ السمواتِ والأرضِ » الآية وختمها بقوله « لآياتٍ للعالِمينَ » لأن الكل يُظلّهم

---

(١) في فاطر ﴿أولم يسيروا في الأرضِ فينظروا كيفَ كانَ عاقبةُ الذينَ من قبلهم وكانوا أشدَّ منهم قوة﴾ آية (٤٤) .

(٢) في غافر ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبةُ الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشدَّ منهم قوَّة﴾ آية (٢١) .

(٣) سورة الروم آية (٢١) .

السماء ، ويُقلِّهم الأرضُ ، وكُلٌّ منهم متميِّزٌ بلطيفة يمتاز بها عن غيره ، وهذا يشترك في معرفته جميع العالمين .

ثم قال : « ومِنْ آياتِهِ منامُكُمْ بِاللَّيْلِ والنَّهارِ » وختمها بقوله « لآياتٍ لقومٍ يَسْمَعُونَ » لأن من يسمع سماع تدبّرٍ ، أن النوم من صنع الله الحكيم ، لا يقدر على اجتلابه إذا امتنع ، ولا على رفعه إذا ورد ، يعلم أنَّ له صانعاً مدبّراً .

ثم قال : « ومِنْ آياتِهِ يريكُمُ البَرْقَ خَوْفاً وطَمَعاً » وختمها بقوله « لآياتٍ لقوم يعقلون » لأن العقل مِلاكُ الأمر ، وهو المؤدي إلى العلم - فيما ذُكر - وغيره .

٤ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ . .﴾(١) الآية ، الضميرُ فيه مع أنه راجعٌ إلى الإعادة ، المأخوذة من لفظ « يُعيدُه » في قوله **﴿وهو الذي يَبْدأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعيدُه﴾** نظراً إلى المعنى دون اللفظ ، وهو رجعُه أو ردُّه ، كما نُظر إلى المعنى في قوله « لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً » أي مكاناً ميتاً .

٥ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ الله يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ . .﴾(٢) الآية .

قاله هنا بلفظ « أَوَلم يَرَوْا » وفي الزمر بلفظ « أولمْ

---

(١) سورة الروم آية (٢٧) . (٢) سورة الروم آية (٣٧) .

يعلَمُوا » لأنَّ بسط الرزق ممَّا يُرى ، فناسب ذكرُ الرؤ ية ، وما في الزمر تقدَّمه « أوتيتُهُ على علمٍ » فناسب ذكر العلم .

٦ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَلِتَجْرِيَ الفُلْكُ بِأَمْرِهِ . .﴾[1]

قال ذلك هنا ، وقال في الجاثية بزيادة « فيه » ، لأنَّ ما هنا لم يتقدّمه مرجعُ الضميرِ ، وثَمَّ تقدَّم له مرجعٌ وهو البحر ، حيث قال ﴿الله الذي سخَّر لكم البحْرَ﴾ .

٧ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾[2] .

فائدة ذكرِ « منْ قَبْلِهِ » بعد قوله « من قبل » التأكيدُ ، وقيل : الضميرُ لإرسال الرياح أو للسحاب فلا تكرار .

٨ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿الله الَّــذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ . .﴾ الآية .

إن قلتَ : كيف قال ذلك ، مع أن الضَّعْفَ صفةٌ ، والمخاطبون لم يخلقوا من صفةٍ بل من عينٍ ، وهي الماءُ أو الترابُ ؟

قلتُ : المرادُ بالضعفِ « الضعيفُ » ، من إطلاقِ المصدر على اسم الفاعل ، كقولهم : رجلٌ عدْلٌ أي

---

(١) سورة الروم آية (٤٦) .

(٢) سورة الروم آية (٤٩) .

عادل ، فمعناه من ضعيف وهو النطفة .

٩ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ الله . .﴾[٢] ، أي لبثتم في قبوركم في علم كتاب الله ، أو في خبره ، أو في قضاء الله .

١٠ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾[٣] ،أي لا يُطلب منهم الإعتاب[٤] أي الرجوع إلى الله تعالى .

إن قلتَ : كيف قال ذلك ، مع قوله في فصّلت : **﴿وإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَما هُمْ مِنَ المُعْتَبِينَ﴾** حيث جعلهم مطلوباً منهم الإعتابُ ، وثَمَّ طالبينَ له ؟!

قلت : معنى قوله **﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتبونَ﴾** أي ولا هم يُقالون عثَراتِهم ، بالردِّ إلى الدنيا ، ومعنى قوله « وإِن يَسْتعتِبُوا فَمَا هم من المُعْتَبينَ » أي إن يستقيلوا فما هم من المُقَالين ، فلا تنافي .

« تمت سورة الروم »

* * *

---

(١) سورة الروم آية (٥٤) . (٢) سورة الروم آية (٥٦) .

(٣) سورة الروم الروم آية (٥٧)

(٤) الإعتابُ : أن يسترضيَ خصمَه ليصفح عنه ، تقول : استعْتَبتُه فأعْتَبني أي استرضيتُه فأرضاني .

سُورَة لُقْمَان

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً . . ﴾[١] .

قال هنا بزيادة « كأنَّ في أُذُنَيْهِ وَقْراً » وفي الجاثية[٢] بحذفه ، مع أنهما نزلا في « النضرِ بن الحارث » حيث كان يعدل عن سماع القرآن ، إلى اللهو وسماعِ الغناء ، لأنه تعالى بالغ في ذمِّه هنا ، فناسبَ زيادةُ ذلك ، بخلاف ما في الجاثية .

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ . . ﴾[٣] الآيتين .

إن قلتَ : كيف وقعت الآيتان في أثناء وصية لقمان لابنه ؟

---

(١) سورة لقمان آية (٧) .

(٢) في الجاثية ﴿يسمع آيات الله تُتلى عليه ثم يُصِرُّ مُسْتكبِراً كأنْ لمْ يَسْمَعْها فبشِّرْهُ بعذَابٍ أليمٍ﴾ آية (٨) .

(٣) سورة لقمان آية (١٤) .

قلتُ : هما من الجُمَل الاعتراضية ، التي لا محل لها من الإِعراب ، اعتُرِض بها بين كلامين متَّصلَيْنِ معنًى ، تأكيداً لما في وصية لقمان لابنه من النهي عن الشرك .

فإن قلتَ : لمَ فَصَل بين الوصية ومفعولها بقوله « حملتْهُ أُمُّهُ وهناً على وَهْنٍ وفِصَالُهُ في عامينِ »[1] ؟

قلتُ : تخصيصاً للأم بزيادة التأكيد في الوصية ، لما تكابده من المشاقِّ .

٣ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾[2] .

إن قلتَ : المطابقُ لأولها أن يُقال : وما في الأبحر من ماءٍ مدادٌ ، فلمَ عَدَل عنه إلى قوله « والبحرُ يمدُّه منْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ » ؟

قلتُ : استغنى عن المداد بقوله « يَمدُّه » من مدَّ الدواة وأمدَّها أي زادها مداداً ، فجعل البحر المحيط بمنزلة الدَّواة ، والأبحر السبعة مملوءة مداداً أبداً لا تنقطع ، فصار نظيرَ ما قلتم ، ونظيرَ قوله تعالى : « قُلْ لَوْ

---

(١) هذه الجملة ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ . . ﴾ الخ وردت اعتراضية ، ضمن الآية المعترضة ، لبيان حق الأم العظيم على ولدها .

(٢) سورة لقمان آية (٢٧) .

كَانَ البحرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي » الآية ، وأشار بـ « لو » إلى أن البحارَ غير موجودة ، أي لو مُدَّت البحارُ الموجودة سبعة أبحرٍ أُخرى ، وذكرُ السبعة ليس للحصر بل للمبالغة ، وإنما خُصَّت بالذّكر لكثرة ما يُعدُّ بها ، كالكواكب السيارة ، والسموات والأرضينَ وغيرها ، ولأنها عددٌ تنحصر فيه المعدودات الكثيرة ، إذْ كُلُّ أحدٍ يحتاج في حاجته إلى زمانٍ ومكان ، والزمانُ منحصرٌ في سبعة أيامٍ ، والمكانُ في سبعة أقاليم .

فإن قلتَ : المقصودُ هنا التفخيمُ والتعظيمُ ، فكيف أتى بجمع القلة في قوله « كلماتُ الله » ؟

قلتُ : جمعُ القلَّة هنا أبلغ في المقصود ، لأن جمع القلَّة إذا لم ينفد بما ذُكر من الأقلام والمداد ، فكيف ينفد به جمعُ الكثرة ؟!

٤ ـ قوله تعالى : ﴿كُلٌّ يَجْرِي إلى أَجَلٍ مُسَمًّى . .﴾[١] الآية .

قاله هنا بلفظ« إلى »وفي فاطر[٢]،والزمر بلفظ اللام ، لأن ما هنا وقع بين اثنتيْنِ دالَّتيْنِ على غاية ما ينتهي إليه الخلقُ ، وهما قوله تعالى : « ما خَلْقُكُمْ ولا بعثُكُمْ إلَّا

(١) سورة لقمان آية (٢٩) .
(٢) في فاطر ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى . .﴾ آية (١٣) .

كنفْسٍ واحدةٍ » وقوله : « يا أيها الناسُ اتقوا ربكم واخشَوْا يوماً » الآية، فناسب ذكر « إلى » الدالة على الانتهاء ، والمعنى لا يزال كلٌّ من الشمس والقمر جارياً ، حتى ينتهي إلى آخر وقت جريه المسمَّى له ، وما في فاطر والزمر خالٍ عن ذلك ، إذْ ما في فاطر لم يُذكر مع ابتداء خلقٍ ولا انتهاءٍ به ، وما في الزمر ذُكر مع ابتداء به فناسب ذكر اللام المعدّية ، والمعنى : يجري كل مما ذُكر لبلوغ أجلٍ .

٥ - قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ويُنَزِّلُ الغَيْثَ ويَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ . .﴾[1] الآية .

أضاف فيها العلم إلى نفسه في الثلاثة من الخمسة المذكورة ، ونفى العلم عن العباد في الأخيرين منها ، مع أن الخمسة سواء في اختصاصِ الله تعالى بعلمها ، وانتفاء علم العباد بها ، لأن الثلاثة الأول أمرها أعظمُ وأفخم ، فخُصَّت بالإضافة إليه تعالى ، والأخيرينِ من صفات العباد ، فخُصَّا بالإضافة إليهم ، مع أنه إذا انتفى عنهم علمهما ، كان انتفاءُ علم ما عداها من الخمسة أولى .

فإن قلتَ : لمَ قال تعالى « بأيّ أرضٍ تموتُ » ولم يقل : بأيِّ وقتٍ تموت ، مع أن كلاً منهما غير معلوم

---

(١) سورة لقمان آية (٣٤) .

لغيره ، بل نفيُ العلم بالزمان أولى ، لأن من الناس مَنْ يدَّعي علمه، بخلاف المكان .

قلت : إنما خص المكان بنفي علمه ، لأن الكون في مكان دون مكانٍ في وسع الإنسان واختياره ، فاعتقادهُ علم مكان موته أقربُ ، بخلاف الزمان ، ولأن للمكان دون الزمان تأثيراً في جلب الصحة والسُّقم ، أو تأثيرُه فيهما أكثرُ .

« تمت سورة لقمان »

* * *

سُورَةُ السَّجْدَة

١ - قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ **يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ** . . ﴾[1] الآية .

إن قلتَ : لمَ قال هنا « في يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُه أَلْفَ سَنَةٍ » وفي المعارج[2]«في يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ ألفَ سَنَةٍ »؟!

قلتُ : المرادُ باليوم هنا ، مدَّةُ عروج الله تعالى - أي عروج تدبيره وأمره - من الأرض إلى السماء الدنيا ، وبه تَمَّ عروجُ الملائكةِ من الأرض إلى العرش .

أو المرادُ به في الموضعين : « يومُ القيامةِ » ومقدارُه ألف سنةٍ من حسابِ أهل الدنيا ، إذا تولَّى الحسابَ فيه الله تعالى ، وخمسينَ ألف سنةٍ لو تولَّى فيه الحسابَ غيرُ الله تعالى .

أو المرادُ : أنه كألفِ سنةٍ في حقِّ خواصِّ المؤمنين ، وخمسين ألفَ سنة في حقِّ عوامِّهم .

---

(١) سورة السجدة آية (٥).

(٢) في المعارج ﴿تَعْرُجُ المَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنةٍ﴾ آية (٤) .

أو المرادُ : أنه كـألفِ سنةٍ في حقِّ المؤمنِ ، وخمسين ألف سنةٍ في حقِّ الكافر(١) .

٢ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿الَّذي أَحْسَنَ كُلَّ شيْءٍ خَلقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾(٢) بسكون اللام وفتحها(٣) .

إن قلتَ : كيف قال ذلك ، مع أن في مخلوقاته تعالى قبيحاً ، كالشرور والمعاصي ؟

قلتُ : « أَحْسَنَ » بمعنى أتقنَ وأحكَمَ ، أو « أَحْسَنَ » بمعنى : عَلِمَ ، كما يُقال : فلانٌ لا يحسنُ شيئاً أي لا يعلمه ، فمعناه بسكون اللام : عَلِم خَلْقَ كل شيءٍ ، وبفتحها : عَلِمَ كُلَّ شيءٍ خَلَقه(٤) .

٣ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾(٥) .

---

(١) ما ذكره الشيخ هنا تأويلاتٌ بعيدة للتوفيق بين الآيتين ، والأظهر ـ والله أعلم ـ أن القيامة مواقف ومواطن ، فيها خمسون موطناً ، كلُّ موطنٍ ألف سنة ، فيكون طوله بأجمعه خمسون ألف سنة ، ولكنَّ هذا اليوم الشديد العصيب يخفُّ على المؤمنين ، حتى يكون أخفَّ عليهم من صلاة مكتوبة كما ثبت في الأحاديث الصحيحة .

(٢) سورة السجدة آية (٧) .

(٣) يريد كلمة « خَلْقَهُ » و « خَلَقَهُ » بسكون اللام وفتحها .

(٤) في هذا التأويل بُعْدٌ ، إذْ أنَّ معنى أحسنَ لغةً : أتقنَ وأحكَمَ ، فالمرادُ أن الله جلَّ ثناؤه أتقن وأحكم كلَّ شيء خلقه ، حتى القِردة ولو كانت قبيحةً دميمةً ، إلَّا أنَّ خلقها فيه إبداعٌ وإحكام ، فهي قبيحة بالنسبة للإنسان ، ولكنَّها مبدعةٌ محكمةٌ ، وهذا هو خلاصة قول ابن عباس رضي الله عنهما وهو الأظهر والله أعلم .

(٥) سورة السجدة آية (٨) .

قاله هنا بلفظ « مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ » وفي المؤمنين « من سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ » ، لأنَّ المذكور هنا صفة ذُرِّيةِ آدمَ ، والمذكورُ ثَمَّ صفةُ آدم عليه السلام .

٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ . .﴾[1] الآية .

المراد بـ « روحِهِ » جبريلُ ، وإلَّا فالله مُنزَّهٌ عن الروح ، الذي يقومُ بهِ الجَسَدُ ، وتكونُ به الحياةُ ، وأضافه إلى نفسه تشريفاً ، وإشعاراً بأنه خلقٌ عجيبٌ ، مناسبٌ للمقام .

٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ . .﴾[2] الآية،هو « عزرائيل » عليه السلام ، قال ذلك هنا ، وقال في الأنعام « حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا » وفي الزمر « الله يتوفَّى الأنفسَ حينَ مَوْتِها » ولا منافاةَ ، لأن الله هو المتوفِّي حقيقةً، بخلقه الموت ، وبأمر الوسائط بنزع الروح ـ وهم غيرُ ملك الموت أعوانٌ له ـ ينزعونها من الأظافير إلى الحلقوم ، ومَلَكُ الموتِ ينزعها من الحلقوم ، فصحَّت الإضافاتُ كلُّها .

---

(١) سورة السجدة آية (٩) .

(٢) سورة السجدة آية (١١) .

٦ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً . .﴾[١] الآية .

إن قلتَ : كيف قال ذلك ، مع أن المؤمنين ليسوا منحصرين فيمن اتَّصف بهذه الصِّفةِ ، ولا هذه الصِّفةُ شرطٌ في تحقق الإيمان ؟!

قلتُ : المرادُ بـ « ذُكِّرُوا » : وُعِظُوا ، وبالسجود : الخشوعُ ، والخضوعُ ، والتواضعُ في قبولِ الموعظة ، وذلك شرطٌ في تحقق الإيمان .

أو المرادُ بالمؤمن : الكاملُ إيماناً .

٧ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ﴾[٢] .

المرادُ بالفاسق هنا : الكافرُ ، بقرينةِ التفصيل بعده[٣] ، وإلَّا فالفاسقُ مؤمنٌ ، ونظيره قولُه تعالى : **﴿أَفَنَجْعَلُ المُسْلِمينَ كَالمُجْرِمينَ﴾** ؟ وقوله **﴿أَمْ حَسِبَ الَّذينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئاتِ أَنْ نَجعلَهُمْ كالَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا**

---

(١) سورة السجدة آية (١٥) .

(٢) سورة السجدة آية (١٨) .

(٣) أشار بالتفصيل إلى قوله تعالى ﴿أَمَّا الَّذينَ آمنوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ فلهُمْ جنَّاتُ المَأْوَى نُزُلًا بما كانُوا يعْمَلونَ . وأَمَّا الَّذينَ فَسَقُوا فمأواهم النَّارُ﴾ الآية،فقد فصَّل في الجزاء بين المؤمنين والكفار .

الصَّالِحَاتِ﴾[1] الآية ، إذ ليسَ كلُّ مجرمٍ ومسيءٍ كافرٌ .

٨ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾**[2] .

قال ذلكَ هنا ، وقال في سبأ : « عَذَابَ النَّارِ الّتي كنتُمْ بها تُكذِّبُون »[3] .

ذكَّر الوصف والضميرَ هنا ، نظراً للمضاف وهو العذابُ ، وأنّثهما ثمَّ نظراً للمضافِ إليه وهو النَّارُ ، وخُصَّ ما هنا بالتذكير ، لأن النَّار وقعتْ موقع ضميرها لتقدّم ذكره ، والضميرُ لا يُوصف فناسبَ التذكيرُ ، وفي سبأ لم يتقدَّمْ ذكرُ النَّارِ ولا ضميرُها ، فناسب التأنيثُ .

٩ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾**[4] .

إن قلتَ : هذا سؤالٌ عن وقت الفتح ـ وهو يومُ القيامةِ ـ فكيف طابقه الجوابُ بقوله « قلْ يومَ الفَتْح لا يَنْفَعُ الَّذينَ كَفرُوا إِيمَانُهُمْ » ؟!

---

(١) سورة الجاثية آية (٢١) .

(٢) سورة السجدة آية (٢٠) .

(٣) سورة سبأ آية (٤٢) .

(٤) سورة السجدة آية (٢٨) .

قلتُ : لمَّا كان سؤالُهم سؤالَ تكذيبٍ واستهزاءٍ بيومِ القيامة ، لا سؤالَ استفهام ، أُجيبوا بالتهديدِ المطابقِ للتكذيب والاستهزاءِ ، لا ببيانِ حقيقة الموقَّتِ ، وإنْ فُسِّر الفتحُ بـ « فتحِ مكة » أو بيوم بدر ، كان المرادُ أن المتولّين لم ينفعهم إيمانهم حال القتل كإيمان فرعون ، بخلاف الطلقاء الذين آمنوا بعد الأسر ، فالجوابُ بذلك مطابقٌ للسؤال من غير تأويل .

« تمت سورة السجدة »

* * *

سُورَة الأحْزاب

١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلَا تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالمُنَافِقِينَ. . ﴾[1]. لم يقل في ندائه « يا محمّدُ » كما قال في نداءِ غيره « يا موسى ، يا عيسى ، يا داودُ » بلْ عَدَل إلى « يا أيُّها النَّبيُّ » إجلالاً له وتعظيماً ، كما قال : ﴿يَا أيُّها الرَّسُولُ﴾[2] وإنما عدل عن وصفه إلى اسمه في الإِخبار عنه في قوله ﴿محمَّدٌ رسولُ الله﴾ وقولِهِ ﴿وما محمَّدٌ إلَّا رسولٌ﴾ ليعلم الناس أنه رسولُ الله ، ليُلقِّبوه بذلك ويدعوه به .

٢ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالمُؤْمِنينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ . . ﴾[3]، أي في الحرمةِ والاحترام ، وإنما جعلهنَّ اللهُ كالأمهات ، ولم يجعل نبيَّه كالأب ، حتى قال : ﴿ما كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ لأنه تعالى أراد

---

(١) سورة الأحزاب آية (١) .

(٢) سورة الأحزاب آية (٦) .

(٣) لا نجد في كتاب الله تعالى آية واحدة تقول : يا محمد ، كما نادى الله الرسل =

أن أمته ، يدعون أزواجه بأشرف ما تُنادى به النساءُ وهو الأمُّ ، وأشرفُ ما يُنادىٰ بهِ النبيُّ ﷺ لفظُ « الرسول » لا الأب ، ولأنه تعالى جعلهن كالأمهات ، إجلالاً لنبيّه ، لئلا يطمَع أحدٌ في نكاحهن بعده ، ولو جعله أباً للمؤمنين ، لكان أباً للمؤمناتِ أيضاً فيحرُمْن عليه ، وذلك يُنافي إجلالَه وتعظيمه ، ولأنه تعالى جعله أولى بنا من أنفسنا ، وذلك أعظم من الأبِ في القرب والحرمة ، إذ لا أقربَ للإنسان من نفسه ، ولأن من الآباءِ من يتبرأ من ابنه ، ولا يمكنه أن يتبرأ من نفسه .

٣ - **قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ . .﴾**[1] الآية ،فيها عطفُ الخاصّ على العامّ ، وقُدِّمَ النبيُّ ﷺ في الذكر ، على مشاهير الأنبياء ، لبيان شرفه وفضله عليهم ، صلَّى الله وسلم عليهم أجمعين ، وإنما قُدِّم نوحٌ في آية **﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وصَّى به نُوحاً﴾** لأنها سيقت لوصف ما بُعث به نوح من العهد القديم ، وما بُعث به نبيُّنا من العهد الحديث ، وما

= بأسمائهم : «يا إبراهيم، يا موسى ، يا عيسى»، وإنما جاء النداء له بلفظ النبوَّة ، أو الرسالة ، وفي هذا تفخيمٌ لشأنه ، وتعظيم لمقامه ﷺ ، وإشارة إلى أنه سيد الأولين والآخرين ، وإمام الأنبياء والمرسلين ، وتعليمٌ لنا الأدبَ معه ﷺ .

(١) سورة الأحزاب آية (٧) .

بُعث به من توسَّطهما من الأنبياء المشاهير ، فكان تقديم نوحٍ فيها أشدَّ مناسبةً للمقصود .

٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾[١] .

فائدةُ إعادته التأكيدُ ، أو المرادُ بالميثاقِ الغليظِ : هو اليمينُ بالله تعالى ، على الوفاء بما حُمِّلوا ، وعليه فلا إعادة لاختلاف الميثاقيْن .

٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيُعَذِّبَ المُنَافِقِينَ إنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ . . ﴾[٢] الآية .

إن قلتَ : كيف علَّق عذابهم بمشيئته ، مع أن عذابهم متيقَّنُ الوقوع لقوله تعالى « إنَّ المُنَافِقِينَ في الدَّرْكِ الأَسْفَلِ من النَّارِ » ؟!

قلتُ : معناه إن شاء عذابهم ـ وقد شاء ـ أو إن شاء موتهم على النفاق .

٦ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَـةٍ . . ﴾[١] الآيتين .

المراد بالفاحشةِ: النشوزُ وسوءُ الخُلُقِ .

---

(١) سورة الأحزاب آية (٧) أيضاً .

(٢) سورة الأحزاب آية (٢٤) .

(١) سورة الأحزاب آية (٣٠) .

إن قلتَ: لِمَ خصَّ الله تعـالى نساء النبي ﷺ بتَضعيف العقوبة على المذنبِ، والمثوبةِ على الطاعة؟

قلتُ: أما الأول فلأنهن يُشاهدن من الزواجر الـرادعة عن الـذنوب، مـا لا يشاهـده غيرهنَّ، ولأنَّ في معصيتهنَّ أذىً لرسول الله ﷺ، وذنبُ من أذى رسول الله ﷺ أعظمُ من ذنب غيره.

وأما الثاني: فلأنهنَّ أشرف من سائر النساء، لقربهنَّ من رسـول الله ﷺ، فكـانت الـطاعـة منهنَّ أشـرفَ، كـما أن المعصيةَ منهنَّ أقبح.

٧- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إنَّ المُسْلِمينَ وَالمُسْلِمَاتِ والمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ. . ﴾ [1] الآية.

إن قلت: لِمَ عطَفَ أحدَهما على الآخر، مع أنَّهما متَّحدانِ شرعاً؟!

قلتُ: ليسا بمتَّحدَيْن مطلقاً، بل هما متَّحدان صدقـاً لا مفهوماً، أخذاً من الفرق بين الإسلام والإيمان الشرعيَّيْنِ، إذِ الإسـلامُ الشرعيُّ: هـو التلفُّظُ بـالشهـادتـين، بشـرط تصديق القلب بما جـاء به النبيُّ ﷺ، والإيمـانُ الشرعيُّ: عكس ذلـك، ويكفي في العـطف المقتضي لـلاختـلاف،

(١) سورة الأحزاب آية (٣٥).

اختلافهما مفهوماً وإن اتحدا صدْقاً.

٨ـ قوله تعالى ﴿ما كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وخَاتَمَ النّبيِّين. .﴾[١] الآية، هو جوابٌ عن سؤالٍ مقدّر، تقديره: أمحمدٌ أبو زيدِ بن حارثة؟ فأُجيبَ بنفي الأعمِّ المستلزم لنفي الأخصِّ، إذْ لو اقتصر على قوله: ما كان محمد أبا زيدٍ لقيل: وماذا يلزم منه؟ فقد كان للأنبياءِ أبناءٌ، فجيء بنفي الأعمِّ، تمهيداً للاستدراك بأنه رسولُ الله وخَاتَمُ النبيّين.

إن قلتَ: كيف صحَّ نفيُ الأبوَّة عنه، وكان أباً للطيِّب، والطَّاهر، والقاسم، وإبراهيم؟

قلتُ: قد قيَّد النفي بقوله «مِنْ رجالِكُمْ»، لأن إضافة الرجال إلى المخاطبين، تُخرج أبناءه لأنهم رجاله لا رجالهم، ولأن المفهوم منهم بقرينةِ المقام الرجالُ البالغون، وأبناؤه ليسوا كذلك، إذْ لو كان له ابنٌ بالغٌ لكان نبياً، فلا يكون هو خاتم النّبيِّينَ.

فإن قلتَ: كيف قال تعالى «وَخَاتَم النَّبِيِّينَ» وعيسى[٢]

---

(١) سورة الأحزاب آية (٤٠).

(٢) عيسى عليه السلام حين ينزل في آخر الزمان، لا يكون قد أتى بشريعةٍ جديدة، وليس هو بنبي جديد حتى لا تُختم النبوَّة بمحمد ﷺ، وإنما يأتي مؤيداً لشريعةِ محمد، ويحكم بالشريعة الإسلامية الغراء، فهو رسول مؤيدٌ لمحمد، لا مجدِّدٌ للنبوَّة والرسالة.

عليه السلام ينزل بعده وهو نبيٌّ؟

قلتُ: معنى كونه «خاتَم النَّبِيِّينَ» أنه لا يتنبَّأُ أحدٌ بعده، وعيسى نبيٌّ قبله، وحينَ ينزل عاملاً بشريعة محمد ﷺ.

٩-قوله تعالى ﴿وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾[١]

إن قلتَ: كيف شبَّهَ الله تعالى نبيَّه ﷺ بالسراجِ دون الشمس مع أنها أتمُّ؟

قلتُ: المرادُ بالسِّراج هنا: الشمسُ، كما قال تعالى «وجعل الشمس سراجاً». أو شبَّهه بالسراج لأنه تفرَّع منه بهدايته جميعُ العلماء، كما يتفرع من السراج سُرُجٌ لا تُحصى، بخلاف الشمس.

١٠- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ..﴾[٢] الآية.

التقييدُ بالمؤمنات خرج مَخْرج الغالب، وإلَّا فالكتابياتُ مثلهنَّ فيما ذُكر في الآية.

١١-قوله تعالى ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ..﴾[٣]الآية. أفردَ العمَّ والخال،

---

(١) سورة الأحزاب آية (٤٦).

(٢) سورة الأحزاب آية (٤٩).

(٣) سورة الأحزاب آية (٥٠).

وجمعَ العمَّاتِ والخالات، لأن العمَّ والخال بوزن مصدريْنِ وهما «الضمِّ» و«المال» والمصدرُ يستوي فيه المفردُ والجمعُ، بخلاف العمة والخالة، ولا يردُ على ذلك جمعُ العمِّ والخال في قوله في النور «أو بيوت أعمامكم أو بيوتِ أخوالكم» لأنهما ليسا مصدرين حقيقةً، فاعتبر هنا حقيقتُهما، وثَمَّ شَبَهُهُما.

١٢- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ ولا أبنائهنَّ..﴾ [1] الآية.

إن قلتَ: كيف ذكر فيها الأقاربَ ولم يذكر العمَّ والخال، مع أن حُكْمُها حكمهم في رفع الجُناح؟!

قلتُ: قد مرَّ مثلُ هذا السؤال وجوابه في قوله «ولا يُبدين زينتهنَّ» الآية، فراجعْه.

١٣- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا..﴾ [2] عَطَفَ الأول على الثاني، مع أنهما بمعنىً، لتغايرهما لفظاً، كقولهم: فلانٌ عاقلٌ لبيبٌ، وقول الشاعر: «معاذ اللّهِ من كذبٍ ومَيْنٍ» [3] وتقدَّم نظيره.

١٤- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا

---

(١) سورة الأحزاب آية (٥٥).

(٢) سورة الأحزاب آية (٦٧).

(٣) سقطت هذه الكلمة من مخطوطة الجامعة.

وحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[1].

إن قلتَ: الإنسانُ هنا آدمُ عليه السلام، فكيف وصفه بظلومٍ وجهول، وهما صفتا مبالغة؟

قلتُ: لأنه لجلالة قدره، ورفعة محلِّه، كان ظلمه لنفسه ـ بما حمله وجهله به وإن قلَّ ـ أفحشَ من غيره، أو لتعدِّي ضررهما لجميع الناس، لإخراجهم من الجنة بواسطته.

« تمت سورة الأحزاب »

* * *

سُورَة سَبَإ

١ ـ قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ . . ﴾[2] الآية.

«ما بين يديْ الإنسان»: كلُّ ما يقع نظرُه عليه من غير أن يُحوِّل وجهه إليه. «وما خلفه»: هو كلُّ ما يقع نظره عليه، حتى يحوِّلُه إليه فيعم الجهاتِ كلها.

فإن قلتَ: هلاَّ ذكر الأيمان والشمائل كما ذكرها في قوله «ثم لآتينَّهمْ منْ بينِ أَيْدِيهمْ ومِنْ خَلْفِهمْ وعنْ أَيْمانِهِمْ وعن شَمَائلِهمْ»؟

---

(١) سورة الأحزاب آية (٧٢). (٢) سورة سبأ آية (٩).

قلتُ: لأنه وُجد هنا ما يغني عن ذكرهما، من لفظ العموم والسماء والأرض بخلافه ثَمَّ.

٢ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [١].

قاله هنا بتوحيد «الآية» وقال بعدُه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ بجمعهما، لأنَّ ما هنا إشارة الى إحياء الموتى، فناسب التوحيد. وما بعدُ إشارة إلى «سبأ» قبيلة تفرَّقت في البلاد، فصارت فِرَقاً فناسب الجمعُ.

٣ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ﴾ [٢]. أي نقوشاً من أبنيةٍ، أو صوراً من نحاسٍ، أو زجاجٍ، أو رُخام.

إن قلتَ: كيف أجاز سليمانُ عليه السلام عمل الصُّوَر؟!

قلتُ: يجوز أن يكون عملها جائزاً في شريعته، وأن تكون غير صور الحيوان وهو جائزٌ في شريعتنا [٣] أيضاً.

٤ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ..﴾ [٤] الآية، وحَّد الآية مع أن الجنتين

---

(١) سورة سبأ آية (٩). (٢) سورة سبأ آية (١٣).

(٣) انظر تفصيل البحث في كتابنا «روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن» ج ٢ ص ٤٠٥. (٤) سورة سبأ آية (١٥).

آيتـان، لتمـاثلهـا في الـدلالـة، واتحـاد جهتهـا، كقـولـه تعالى «وجَعَلْنا ابْنَ مَرْيمَ وأُمَّهُ آية».

٥ـ قوله تعالى ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدَىً أَوْ في ضَلَالٍ مُبِينٍ . .﴾[1].

إن قلتَ: ما معنى التشكيك في ذلك؟

قلتُ: هذا من إجراء المعلوم مجرى المجهول، بطريق اللّفّ والنشر المرتَّب، و«أو» في الموضوعين بمعنى الواو، والتقديرُ: وإنَّا لعلى هدىً، وأنتم في ضلالٍ مبين، وإنما جاء بذلك لإرادة الإنصاف في الجدال، وهو أوصلُ إلى الغرض[2]، أو باقيتين على معناها والمعنى: وإنَّا لمهتدون أو ضالون وأنتم كذلك، وإنما قاله للتعريض بضلالهم، كقول الرجل لخصمه إذا أراد تكذيبه: إنَّ أحدنا لكاذبٌ.

٦ـ قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ . .﴾[3]

لم يقل فيه «من قبلِكَ» أو «قبلَكَ» كما في غيرها، لأن ما هنا إخبارٌ مجرَّدٌ، وفي غيره إخبارٌ للنبي ﷺ وتسليةٌ له.

---

(١) سورة سبأ آية (٢٤). (٢) هذا نهاية الانصاف مع الخصم، كأنه يقول: لا أدري من هو المهتدي منا ومن هو الضالُّ!! وفي هذا الأسلوب تلطف في الدعوى، وتعريضٌ بضلالهم وهو أبلغ من التصريح، ومثله قول العرب: أخزى الله الكاذب منا، مع تيقُّنه بأن صاحبه هو الكاذب.

(٣) سورة سبأ آية (٣٤).

٧ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿ **قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ** . . ﴾ (١) لم يذكر «كنتم» كما قاله في غيره، لأن قوله هنا «تعملون» وقع في مقابَلَةِ «أجرمنا» في قوله: ﴿ **قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا** ﴾ أي أذنبنا، وضميرُ أجرمنا للنبي ﷺ والمرادُ غيرُه، وغيرُه صدر منه ذنبٌ فعبَّر عنه بالماضي. والمخاطبُ في «تَعْمَلُونَ» . الكُفَّارُ، وكفرُهم واقعٌ في الحال، وفي المستقبل ظاهراً، فعبَّر عنه بالمضارع فلا يُناسبه «كنتم» مع أن الخطاب في ذلك واقع في الدنيا، والخطابُ في غيره نحو «ثمَّ نُنَبِّئكم بما كنتُم تعملون» واقعٌ في الآخرة، فناسبه التعبيرُ بكنتم.

٨ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿ **بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ** ﴾ (٢)

إن قلتَ: كيف قالت الملائكةُ في حقِّ المشركين ذلك، مع أنه لم يُنقل عن أحدٍ منهم أنهُ عَبَد الجِنَّ؟

قلتُ: معناه أنهم كانوا يطيعون الشياطين، فيما يأمرونهم به من عبادة غير الله تعالى، فالمراد بالجِنِّ الشياطينُ، على أن الكرماني جزم بأنهم عبدوا الجنَّ أيضاً.

«تمت سورة سبأ»

---

(١) سورة سبأ آية (٤١) (٢) سورة سبأ آية (٢٥).

سُورَة فاطِر

١ـ قولُهُ تعالى ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلى بَلَدٍ مَيِّتٍ . . ﴾ [١] الآية .

إن قلتَ: لِمَ عبَّر بالمضارع وهو« تُثيرُ» بين ماضيَيْنِ ؟!

قلتُ: للإشارة إلى استحضار تلك الصورة البديعة، وهي إثارةُ الرياحِ السحابَ، الدالة على القدرة الباهرة، حتى كأن السَّامع يُشاهدها، وليس الماضي كذلك .

٢ـ قولُهُ تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ . . ﴾ [٢] الآية ،«مِنْ مُعَمَّرٍ» أي من أحدٍ، وسمَّاه مُعَمَّراً بما يصيرُ إليه .

٣ـ قولُهُ تعالى ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا . . ﴾ [٣]

قاله هنا بتأنيث الضمير لعوده إلى الثمراتِ، وقال

---

(١) سورة فاطر آية (٩) .

(٢) سورة فاطر آية (١١) . ويسمى هذا النوع « المجاز المرسل » باعتبار ما سيكون .

(٣) سورة فاطر آية (٢٧) .

ثانياً: «مختلفُ ألوانُها» بتأنيثه [١] أيضاً، لعـوده إلى الجبال، وقال ثالثاً: «مختلفُ ألوانُـهُ» بتذكيـره [٢]، لعوده إلى بعض المفهوم من لفظ من قوله «ومن الناسِ والدوابِّ والأنعام».

٤ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَـادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِـيرٌ﴾ [٣].

قاله هنا بلفظ «الله» لعدم تقدم ذكره، وبزيادة اللام موافقةً لقوله بعدُ «إنَّ ربَّنا لغفورٌ شكورٌ» وقاله في الشـورى[٤] بالضمير، لتقدم لفظ «الله» وبحذف اللام لعدم ما يقتضي ذكرها.

٥ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَـا فِيهَـا لُغُوبٌ﴾ [٥]. الفرقُ بين «النَّصبِ» و«اللُّغوبِ» أنَّ النَّصبَ: تعبُ البـدنِ، واللغوب: تعبُ النَّفْس، وفـرَّق الزمخشـري بينهـما بـأن النَّصبَ: التعبُ، واللغـوب: الفتـورُ الحـاصـلُ بالنَّصب، ورُدَّ بأن انتفـاء الثاني معلومٌ من انتفاء الأول.

٦ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُـونَ فِيهَا رَبَّنَـا أَخْرِجْنَـا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [٦]

---

(١) في قوله ﴿وَمِنَ الجبالِ جُدَدٌ بيضٌ وحُمْرٌ مختلفٌ ألوانها وغَرابيبُ سودٌ﴾.

(٢) في قوله تعالى ﴿وَمِنَ الناسِ والدَوابِّ والأنعامِ مختلفٌ ألوانُهُ كذلك﴾.

(٣) سورة فاطر آية (٣١).

(٤) في الشورى ﴿وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقدَرٍ ما يشاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ آية (٢٧).

(٥) سورة فاطر آية (٣٥).

(٦) سورة فاطر آية (٣٧).

إن قلتَ: الـوصفُ بغير الـذي كنا نعمـل، يوهم أنهم كانوا عملوا صـالحاً غـير الذي طلبـوه، مع أنهم لم يعملوا صالحاً قطُّ بل سيئاً؟

قلتُ: قالوه بزعمهم أنهم كانوا يعملون صالحاً كما قال تعالى«وهم يحَسَبُونَ أنهم يُحْسِنونَ صُنْعاً» فمعناه غير الـذي كنا نحسبه صالحاً فنعمله.

٧ـ قوله تعالى ﴿فلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾[١].

إن قلتَ: التبديلُ: تغييرُ الشيءِ عمَّا كان عليه مع بقاءِ مادته، والتحـويلُ: نقلُه من مكـانٍ إلى آخر، فكيف قـال ذلك مع أن سنة الله لا تُبدَّلُ ولا تحوَّلُ؟!

قلتُ: أراد بالأول أن العذاب لا يُبدَّل بغيره، وبـالثاني أنه لا يُحوَّل عن مستحقِّه إلى غيره، وجَمَـعَ بينهما هنـا تتميماً لتهديد المسيء لقبح مكره، في قوله تعـالى﴿وَلَا يَحِيقُ المكْرُ السَّيِّىءُ إلَّا بِأَهلِهِ﴾.

«تمت سورة فاطر»

---

(١) سورة فاطر آية (٤٣).

سُورَة يسٓ

١ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾(١).

قاله هنا بغير تأكيد باللَّام، ولأنه إبتداءُ إخبارٍ، وقاله بعد بالتأكيد بها(٢) لأنه جوابٌ بعد إنكارٍ وتكذيبٍ، فاحتيج إلى التأكيد.

٢ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٣)، قاله الجائي من المدينة.

إن قلتَ: كيف أضاف الفطرة إلى نفسه، والرجوع ـ الذي هو البعثُ ـ إليهم، مع علمه بأن الله فطرهم وإياهُ، وإليه يرجع هو وهم، فلم يقل: الذي فطرنا وإليه نرجع، أو فطركم وإليه تُرجعون؟!

قلتُ: لأن الخلْقَ والإِيجاد نعمةٌ من الله تعالى تُوجب

---

(١) سورة يسٓ اية (١٤).

(٢) في قوله ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ آية (١٦).

(٣) سورة يسٓ آية (٢٢).

الشكـر، والبعثَ بعد المـوت للجزاءِ وعيـدٌ من الله يوجب الزجر، فأضاف ما يقتضي الشكر نفسه، لأنه أليقُ بإيمانه، وما يقتضي الزجر إليهم لأنه أليقُ بكفرهم.

٣-**قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾** (١). ذُكرِ هنا مرتين، وليس بتكرار، لأن الأول هي النفخةُ التي يموت بها الخلق، والثانيـة (٢) هي النفخة التي يحيا بها الخلْقُ.

٤-**قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾** (٣).

إن قلتَ: كيف نفى تعالى الإدراك عن الشمس للقمر، دون عكسه؟

قلتُ: لأن سير القمر أسرعُ، لأنه يقطع فلكه في شهرٍ، والشمسُ لا تقطع فلكها إلَّا في سنة، فكانت جديرةً بأن توصف بنفي الإدراكِ لبطء سيرها، والقمر خليقاً بأن يوصف بالسبق لسرعة سيره.

---

(١) سورة يسٓ آية (٢٩).

(٢) في قوله تعالى﴿إنْ كانَتْ إلَّا صيحةً وَاحِدَةً فإذا هم جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرونَ﴾ آية (٥٣).

(٣) سورة يسٓ آية (٤٠).

٥ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [١] .

إن قلتَ: الـذُّرية اسم لـلأولاد، والمحمولُ في سفينـة نوحٍ عليه السلام، آباءُ المذكورين لا أولادهم؟!

قلتُ: الذرِّية من أسماء الأضداد عند كثيرٍ، تُطلق على الآباء والأولاد، والمرادُ هنا: الفريقان، فمعناه حملنا آباءهم وأولادهم، لأنهم كانوا في ظهور آبائهم المحمولين ظاهراً.

٦ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَقُولُـونَ مَتَىٰ هَذَا الـوَعْـدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [٢] أي متى إنجـازه؟ وإلَّا فالـوعدُ بـالبعث كان واقعاً لا منتظراً. أو أراد بالوعد: الموعود.

٧ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا . . ﴾ [٣] الآية.

إن قلتَ: قولُهم ذلك سؤال عن الباعث، فكيف طابقَه الجواب بقوله«هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ»؟

قلتُ: معنـاه: بعثكم الرحمنُ الـذي وعدكم بـالبعث،

---

(١) سورة يسٓ آية (٤١).

(٢) سورة يسٓ آية (٤٨).

(٣) سورة يسٓ آية (٥٢).

وأخبركم به الرسول. وإنما جيء به على هذه الطريقة تبكيتاً لهم وتوبيخاً.

٨ـ قوله تعالى ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾ (١)

إن قلتَ: كيف قال في صفة أهل الجنَّة ذلك، والظلُّ إنما يكون لما يقع عليه الشمس، ولا شمس في الجنة لقوله تعالى: « لا يَرَوْنَ فيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيراً»؟

قلتُ: ظلُّ أشجار الجنة من نور قناديل العرش، أو من نور العرش، لئلا تبهر أبصارهم، فإنه أعظم من نور الشمس.

٩ـ قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٢) سمَّى نطق اليد كلاماً، ونطق الرجل شهادةً، لأن الغالب في كونها فاعلة، وفي الرِّجْلِ كونها حاضرة، وقولُ الفاعل على نفسه إقرارٌ لا شهادة، وقولُ الحاضر على غيره شهادة.

١٠ـ قوله تعالى ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ

---

(١) سورة يسۤ آية (٥٦).

(٢) سورة يسۤ آية (٦٥).

إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾[1] أي إنشاءه «وما ينبغي له» أي ما يليق به ذلك. كما قال تعالى«وَمَا ينبغي للرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ ولَداً» وما ورد عنه ﷺ من الرجز نحو قوله:

أَنَا النَّبيُّ لا كَذِبْ   أنا ابنُ عبدِ المطَّلبْ

وقوله:

هل أنتِ الَّا أُصْبُعٌ دَمِيتِ   وفي سبيل اللَّهِ مَا لَقِيتِ

فليس بشعرٍ عند الخليل، أو أَنَّ الموزون بوزنِ الشعر- وإن لم يكن رَجَزاً- ليس بشعر عند أحدٍ[2]،إذِ الشعرُ قولٌ موزونٌ مُقَفًّى، مقصودٌ به الشعر، والقصدُ منتفٍ فيما رُوي من ذلك.

١١- قَوْلُهُ تَعَالَى﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً. .﴾[3] الآية، أي قدرتُنا، عبَّر عنها باليد لما بينهما من الملازمة، وللإشارة إلى الانفراد بخلق الأنعام، كما يُقال في عمل القلب: هذا ممَّا عملتْ يداك، وإن لم يكن للمخاطب يدٌ.

١٢-قَوْلُهُ تَعَالَى﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ. .﴾

---

(١) سورة يسٓ آية (٦٩).

(٢) هذا هو الصحيح أن ما قاله ﷺ إنما جاء عفواً، ولم يقصد به الشعر ولا قوله، وإنما جاء موزوناً على وزن الشعر، ومثلُ هذا لا يسمى في العرف شعراً.

(٣) سورة يسٓ آية (٧١).

الآية، سمَّاه مثلاً ، وإن لم يكن مثلاً، لما اشتمل عليه من الأمرِ العجيب، وهو إنكار الإنسان قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، مع شهادة العقل والنقل على ذلك.

«تمت سورة يسٓ»

* * *

سُورَة الصَّافَّات

١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ربُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وما بَيْنَهُمَا وَرَبُّ المَشَارِقِ﴾[1].

إن قلتَ: لَمَ جمع هنا المشارق وحذف مقابله[2]، وثنَّاه في الرحمن، وجَمَعه في المعارج، وأفرده في المزَّمِّل مع ذكرِ مقابله في الثلاثة؟!

قلتُ لأن القرآن نزل على المعهود، من أساليب كلام العرب وفنونه، ومنها الإجمالُ والتفصيلُ، والذِّكرُ والحذفُ، والجمعُ والتثنيةُ والإفرادُ باعتباراتٍ مختلفة، فأفرد وأجمل في

(١) سورة الصافات آية (٥).

(٢) أي حذف كلمة « المغارب » الذي يقابل « المشارق » . وثناه في الرحمن فقال ﴿ ربُّ المشرقَيْنِ وربُّ المغربَيْنِ ﴾ .

المزمِّل، بقوله « رَبُّ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ » أراد مشرق الصيف والشتاء ومغربها، وجَمَع وفَصّل في المعارج بقوله « فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ المَشَارِقِ وَالمَغَارِبِ » أراد جميع مشارق السَّنَة ومغاربها، وهي تزيد على سبعمائة، وثنَّى وفصَّل في الرحمن بقوله « رَبُّ المشرقَيْنِ وربُّ المَغْرِبَيْنِ » أراد مشرقي الصيف والشتاء[1] ومغربها، وجمع وحذفَ هنا بقوله « ربُّ المشارقِ » أراد جميع مشارق السنة، واقتصر عليه لدلالته على المحذوف، وخصَّ ما هنا بالجمع موافقةً للجموع أول السورة، وبالحذف مناسبة للزينة في قوله « إنا زينا السماءَ الدنيا بزينةٍ الكواكب » إذِ الزينةُ إنما تكون غالباً بالضياء والنور، وهما ينشئان من المشرقِ لا من المغرب، وما في الرحمن بالتثنية، موافقة للتثنية في «يسجدان» وفي «فبأيِّ آلاء ربكما تُكَذِّبان » وبذكرِ المتقابِلَيْن موافقةً لبسط صفاته تعالى وإنعاماته ثمَّ، وما في المعارج بالجمع، موافقةً للجمع قبله وبعده، وبذكرِ المتقابِلَيْنِ موافقةً لكثرة التأكيد في القسم وجوابه، وما في المزمِّل بالإفراد موافقةً لما قبلَه، من إفراد ذكر النبي ﷺ، وما بعدَه من إفراد ذكرِ الله تعالى، وبذِكرِ

---

(١) الأرجح أن المراد بالآية : الشمس والقمر لا الصيف والشتاء ، والمعنى : ربُّ مشرق الشمس ومغربها ، ومشرق القمر ومغربه ، فللشمس مشرقٌ ومغربٌ ، وكذلك للقمر مشرقٌ ومغرب .

المتقابِلَيْن موافقـةً للحصر في قـوله «لا إِلَـهَ إلاَّ هو» ولبسطِ أوامر الله تعالى لنبيِّه ﷺ.

٢ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّـا زَيَّنَّـا السَّـمَاءَ الـدُّنْيَـا بِـزِينَـةٍ الكَوَاكِبِ﴾[1].

إن قلتَ: لَمِ خصَّ سماء الدنيا بزينةِ الكواكب، مع أنَّ بقية السموات مزيَّنةٌ بذلك؟

قلتُ: لأنَّا إنَّما نرى سماء الدنيا، دون غيرها.

٣ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾[2].

«عجبتُ» بضم التاءِ على قراءةِ حمزةَ والكسائي.

فإن قلتَ: ما وجهُهُ مع أن التعجب روعةٌ تعتري الإنسانَ، عن استعظام الشيء، واللَّهُ منزَّهٌ عنها؟!

قلتُ: أراد بالتعجُّبِ الاستعظامُ، وهو جائزٌ على الله تعالى، أو معناه: قل يا محمدُ بل عجبتُ، وفي الذي تُعجِّب قولان: أحدهما كفرهم بالقرآن، والثاني إنكارهم البعث.

٤ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[3].

ختم **الآية** بقوله «أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ»؟ وختم التي بعدها

---

(١) سورة والصافات آية (٦).
(٢) سورة والصافات آية (١٢).
(٣) سورة والصافات آية (١٦).

بقـوله « أئنـا لمدينــون » ؟ أي لمجزيُّـون ومحاسبـون، لأن الأول في حقّ المنكـرين للبعث، والثانيـة في حقّ المنكـرينَ للجزاء، وإن كان كلٌّ منهما مستلزماً[1] للآخر.

٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ﴾[2].

إن قلتَ: كيف قال عقِبَه في قصص ـ ما عدا قصة «لوطٍ، ويـونسَ، وإلياسَ» ـ « سـلامٌ على نـوحٍ » « سـلامٌ عـلى إبـراهيم » « سلام عـلى مـوسى وهـارون » « سـلامٌ عـلى الياسين » ولم يقل ذلكَ في قصص الثلاثة؟!

قلتُ: اكتفـاءً فيها بقـوله « وإنَّ لـوطـاً لمنَ المـرسَلِين » « وإنَّ يونسَ لَمِنَ المُرْسَلِين » « وإنَّ إلْياسَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ ».

٦ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا المُؤْمِنِينَ﴾[3].

إن قلتَ: كيف مدح تعالى نـوحـاً وغيـره كـإبـراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام بذلك، مع أن مرتبة الرسل فوق مرتبة المؤمنين؟!

قلتُ: إنما مدحهم بذلك، تنبيهـاً لنا عـلى جلالـة محلِّ الإيمـان وشـرفـه، وتـرغيبـاً في تحصيله، والثبـاتِ عليــه، والازدياد منه، كما قال تعالى في مدح إبراهيم عليه السلام:

---

(١) في المخطوطة المصوَّرة «مستلزمٌ» وهو خطأٌ، لأنها خبر «كان» فيجب النَّصبُ.

(٢) سورة والصافات آية (٧٨). (٣) سورة والصافات آية (٨١).

« وَإِنَّهُ فِي الآخِرةِ لمنَ الصَّالحِينَ » .

٧ - قوله تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ . فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾[١] .

لم يقل «إلى النجوم» مع إنَّ النَّظر إنَّما يتعدّى بـ«إلى» كما في قوله تعالى: «ولكنِ ٱنْظُرْ إلى الجَبَلِ» لأنَّ «في» بمعنى «إلى» كما في قوله تعالى: «فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ في أَفْوَاهِهِمْ» أو أن النظر هنا بمعنى الفكر، وهو يتعدى بـ«في» كما في قوله تعالى «أوَلَمْ يَنْظُرُوا في مَلَكُوتِ السَّمواتِ» فصار المعنى: ففكَّر في علم النجوم.

فإن قلتَ: لَمَ لَمْ يجز النَّظرُ في علم النُّجوم، كما جاز لإبراهيم؟!

قلتُ: إذا كان الناظر فيه كإبراهيم، في أنَّ اللهَ أراه ملكوتَ السموات والأرضِ، جاز له النظر فيه.

وقولُه: «إني سقيمٌ» قاله إبراهيم عليه السلام، ليتخلَّف عنهم إذا خرجوا إلى عيدهم، فيكيدَ أصنامهم.

فإن قلتَ: كيف جاز له أن يقول ذلك، مع أنه ليس بسقيم؟!

---

(١) سورة والصافات اية (٨٩) . وقوله : ﴿ إني سقيم ﴾ ليس بكذب ، وإنما هو طريقٌ لإقامة الحجة عليهم ، فهو من المعاريض الجائزة لمقصد شرعي ، كما ورد في الحديث الشريف « إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب » .

قلت: معناه سأسقم، كما في قوله تعالى «إِنَّكَ مَيِّتٌ»، أو سقيمُ القلب عليكم لعبادتكم للأصنام وهي لا تضرُّ ولا تنفع، أو أنَّ من يموت فهو سقيمٌ.

٨ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾[١] أي يُسرعون المشيَ.

فإن قلتَ: هذا يدلُّ على أنهم عرفوا أن إبراهيم هو الكاسر لآلهتهم، وقولُه في الأنبياء «قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَـٰذَا بِآلِهَتِنَا» الآية، يدلُّ على أنهم ما عرفوا أنه الكاسرُ لها؟

قلتُ: يحتمل أنَّ بعضهم عرفه فأقبل إليه.

٩ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[٢] أي إلى حيث أمرني ربي وهي المهاجرة للشام، أو إلى طاعة ربي ورضاه، وقوله «سَيَهْدِينِ» أي سيثبِّتُني على هداي، ويزيدني هُدَى.

١٠ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾[٣].

ختمه هنا بـ«حليم» وفي الحِجْر، والذاريات[٤] بـ«عليم» نظراً في ذينك لشرفِ العلم، وفيما هنا لمناسبته حِلْمَ

---

(١) سورة والصافات آية (٩٤).

(٢) سورة والصافات آية (٩٩).

(٣) سورة والصافات آية (١٠١).

(٤) في الذاريات ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ آية (٢٨).

الغلامِ ، لوعده بالصبـر في جوابـه لسؤال ابنه لـه في ذبحه بقوله « سَتَجِدُني إنْ شَاءَ اللّهُ منَ الصَّابرين » .

١١ ـ قوله تعالى ﴿ قَالَ يَـا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى . . ﴾[١] الآية، أي في ذبحي إيَّاك، لم يشاوره ليرجع إلى رأيه، لأنَّ أمـرَ اللهِ حتمٌ، لا يتخلف الأنبياءُ عنده، بل ليختبرَ صبرَه، وليوطِّنَ نفسه على الذبح، فيلقى البـلاء كالمستـأنسِ بـه، ويكتسب الثـواب بصبـره وانقياده، ولتكون «سُنَّةً» في المشاورة، فقد قيل: لـو شاورَ آدمُ عليه السلام الملائكةَ في أكل الشجرة، لَمَا صدر منه ما صدر.

واختلفوا في الذبيح هل هـو «إسماعيـلُ» أو «إسحاق» والجمهورُ على أنه إسماعيل[٢].

١٢ ـ قوله تعالى ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ . قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا . . ﴾[٣].

إن قلتَ: كيف قـال «قـدْ صَـدَّقتَ الـرُّؤيـا» مـع أنَّ تصديقها إنما يكون بالذبح ولم يوجد؟

---

(١) سورة والصافات آية (١٠٢) .

(٢) من أدلة الجمهور على أن الذبيح هو «إسماعيل» أن الله تعالى قال بعد تمام قصة إبراهيم ﴿وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين﴾ فدلَّ ذلك على أن الذبيح هو إسماعيل.

(٣) سورة والصافات آية (١٠٥) .

قلتُ: معناه قد فعلتَ ما في غاية وُسْعك، ممَّا يفعله الذابح من إلقاء ولدك، وإمرار المُديةِ[1] على حلقه، ولكنَّ اللهَ منعها أن تقطع، أو أنَّ الذي رآه في النوم، معالجة الذبح فقط لإراقة الدم، وقد فعل ذلك في اليقظة فكان مصدِّقاً للرؤيا.

١٣ ـ قوله تعالى ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ. وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ﴾[2]. جواب «لمَّا» محذوفٌ أي استبشرا واغتبطا شكراً لله تعالى على ما أنعم به عليهما من الفداء، أو قولُهُ «نَادَيْنَاهُ» والواو زائدة.

١٤ ـ قوله تعالى ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[3].

إن قلتَ: لِمَ قاله هنا، أعني في قصة إبراهيم بحذف «إنَّا» وأثبتَه في آخر غيرها من القصص؟

قلتُ: حذفه في قصة إبراهيم اختصاراً، واكتفاءً بذكره له قبلُ في قصته بقوله: « وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ » الآية، مع أنَّ ما بعد قصته كان من تكملتها وهو قوله: « وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحٰقَ نَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ » بخلاف سائر القصص.

١٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لُوطاً لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ نَجَّيْنَاهُ

---

(٢) سورة والصافات آية (١٠٣)

(٣) سورة والصافات آية (١١٠) وردت بغير كلمة « إنَّا » خلافاً لما سبقها في قوله ﴿ إنَّا كذلك نجزي المحسنين ﴾ .

﴿وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾[1].

إن قلتَ: لوطٌ كان رسولاً قبل التنجية، فما وجه تعلق «إذْ نجَّيْناه» به؟

قلتُ: هو ليس متعلقاً به، بل بمحذوفٍ تقديره: واذكرْ، وكذا القولُ في قوله تعالى «وإنَّ يونسَ لمنَ المُرْسَلين. إذْ أَبَقَ إلى الفُلْكِ المَشْحُونِ».

١٦ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[2].

إن قلتَ: «أَوْ» للشَّكِّ، وهو على اللّهِ محالٌ؟!

قلتُ: «أو» بمعنى «بل» أو بمعنى الواو، أو المعنى أو يزيدون في نظرهم، فالشكُّ إنما دخل في قول المخلوقين.

١٧ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾[3].

تهديدٌ لهم، ثم أعاده في قوله «وأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ» تأكيداً. أو لأنَّ الأول في الدنيا، والثاني في الآخرة، وحذف منه المفعول اكتفاءً بذكره أولاً.

«تمت سورة الصافات»

---

(١) سورة والصافات آية (١٣٣).

(٢) سورةوالصافات آية (١٤٧).

(٣) سورة والصافات آية (١٧٥).

سُورَة صٓ

١ - ﴿صٓ﴾ إن جُعل اسماً للسورة، فهو خبر مبتدأٍ محذوفٍ أي هذه «صٓ» السورة التي أعجزت العرب، فقوله « والقرآنِ ذي الذِّكر » قسمُ عجز العرب، كقولك: هذا حاتمُ واللَّهِ، أي هذا هو المشهور بالسخاء واللَّهِ، وإن جُعل قَسَماً فجوابه مع ما عُطف عليه محذوفٌ تقديره: إنه كلامٌ معجز، أو لنهلكنَّ أعداءك بقرينة قوله « كمْ أهلكْنَا مِنْ قبلِهمْ مِن قَرْنٍ » أو جوابه «كَمْ» وأصله «لَكَمْ» حُذفت اللَّام لطول الكلام تخفيفاً، كما في قوله تعالى « والشَّمسِ وضُحَاهَا . . قَدْ أفلَحَ مَنْ زَكَّاهَا » وقيل: غير ذلك[1].

٢ - قوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾[2].

---

(١) الأظهر أن يُقال: إن جواب القسم محذوف تقديره: إن هذا القرآن لمعجزٌ، وإن محمداً ﷺ لصادقٌ، ومعنى ﴿ذي الذّكر﴾ أي ذي الشرف الرفيع، الذي لا يُدانيه شرف.

(٢) سورة صٓ آية (٤).

قاله هنا بالواو، وفي «قٓ» بالفاء[1]، لأنَّ ما هنـاك أشدُّ اتصالاً منه هنا، لأنَّ ما هنا متَّصلٌ بمـا قبله اتصالاً معنـوياً فقط، وهو أنهم عجبوا من مجيء المنذِر، وقالوا هذا ساحرٌ كذَّابٌ، وما في «قٓ» متصلٌ بما قبله اتصالاً لفظياً ومعنوياً، وهو أنهم عجبوا عقب الإخبار عنهم بأنهم عجبوا، فقالوا هـذا شيء عجيب، فناسب فيه ذكرُ الفاء دون ما هنا.

٣ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْـرُ مِنْ بَيْنِنَا..﴾[2] الآية.

قاله هنا بلفظ «أأُنزِلَ» وفي القمر[3] بلفظ «أأُلقِيَ»، لأن ما هنا حكايةٌ عن كفار قريش، فناسبَ التعبيرُ به، لوقوعه إنكاراً لمَّا قرأه عليهم النبي ﷺ، من قولـه تعالى «وَأَنْـزَلنَا إليكَ الذِّكرَ لتُبيِّن للنَّاسِ مَا نُـزِّلَ إليهِمْ»[4] وما في القمـر حكايةٌ عن قوم صالح، وكانت الأنبياءُ تُلقي إليهم صحفٌ مكتوبة، فناسبَ التعبيرُ بـ«أُلقي» وقدَّم الجار والمجرور على الذكر هنا، موافقةً لما قرأه النبي ﷺ على المنكرين، وعَكَس في القمر جرياً على الأصل، من تقديم المفعول بلا واسطة

---

(١) في قٓ ﴿بلْ عَجِبُوا أنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ منهُمْ فَقَالَ الكَافِرونَ هَذَا شَيءٌ عَجِيبٌ﴾.

(٢) سورة صٓ آية (٨).

(٣) في القمر ﴿أأُلقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْـهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾.

(٤) سورة النحل آية (٤٤).

على المفعول بواسطة.

٤ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الأَوْتَادِ.. إلى قوله: فَحَقَّ عِقَابِ﴾[1].

ختم أواخر آياته هنا بما قبل آخره ألفٌ[2]، وآيات قوله في قٓ «كذبتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ.. إلى قوله: فَحَقَّ وَعِيدِ» بما قبل آخره ياءٌ أو واوٌ، موافقة لبقية فواصل السورتين.

٥ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ..﴾[3].

أي قالوا حين دخلوا على داود عليه السلام: نحنُ خصمان وهما مَلَكانِ مثَّلا أنفسهما معه بخصمينِ بغى أحدهما على الآخر، على سبيل الفرض والتصوير، لأن الملائكة مُنتفٍ عنهم البغيُ والظلم، وكذا قولُه «إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسعُون نَعْجةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ» كقول الفقيه: لزيدٍ أربعون شاةً، وعمروٍ مثلُها وخلطاها وحال عليها الحول، كم يجب فيها؟ وليس لهما شيء من ذلك. وكنَّى عن المرأة بالنَّعجة، كما مثَّل نفسه بالخصم.

---

(١) سورة صٓ آية (١٢).

(٢) أشار إلى قوله «الأوتاد، الأحزاب، عقاب» الخ.

(٣) سورة صٓ آية (٢٢).

٦ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾[1].

إن قلتَ: ما معنى تكرر الحُبِّ وتعديته بـ «عَنْ» وظاهرُه إني أحببتُ حباً مثل حبِّ الخير، كقولك: أحببتُ حُبَّ زيدٍ أي مثلَ حبِّهِ؟

قلتُ: أحببتُ هنا بمعنى آثرتُ، كما في قوله تعالى « فَاستَحَبُّوا العَمَىٰ عَلَى الهُدَىٰ » أي آثروه، و«عن» بمعنى «على» كما في قوله تعالى « ومن يبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ » فيصيرُ المعنى: آثرتُ حبَّ الخير على ذكر ربّي.

٧ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي . .﴾[2].

إن قلتَ: كيف قال سليمان ذلك، مع أنه يُشبه الحسد والبخل بنعم الله تعالى على عباده، بما لا يَضرُّ سليمانَ؟!

قلتُ: المرادُ لا ينبغي لأحدٍ أن يسلبه مني في حياتي، كما فعل الشيطان الذي لبس خاتمي، وجلس على كرسيِّ[3].

---

(١) سورة صٓ آية (٣٢).

(٢) سورة صٓ آية (٣٥).

(٣) ما ذكر من قصة تصور الشيطان في صورة سليمان، وأخذه خاتم سليمان، وجلوسه على كرسيه، كلُّ ذلك من الأخبار الإسرائيلية المنكرة، التي لم تصح ولا يجوز اعتقادها، وقد ردَّها المحققون من العلماء كالرازي وابن كثير وغيرهما.

أو أنَّ الله علم أنـه لا يقوم غيـره مقامـه بمصالـح ذلك المكان، واقتضت حكمته تعالى تخصيصه به، فألهمه سؤاله.

٨ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾(١).

إن قلتَ: كيف وصف الله تعالى أيوب عليه السلام بالصبر، مع أن الصبر تـرك الشكوى من ألم البلوى، وهو قد شكى بقوله «أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ» وقوله «إني مَسَّنِي الضُرُّ»؟

قلتُ: الشكوى إلى اللَّهِ تعالى لا يُنافي الصبر، ولا تُسمَّى جزعاً لما فيها من الجهاد والخضوع والعبودية للَّهِ تعالى، والافتقار إليه، ويؤيده قول يعقوب عليه السلام «إنَّمَا أشكُو بَثِّي وحُزْنِي إلَى اللَّهِ» مع قوله «فَصَبْرٌ جَمِيلٌ» وقولهم: الصبرُ تركُ الشكوى أي إلى العباد، أو أنه عليه السلام طلب الشفاء من الله تعالى، بعدما لم يبق منه إلاَّ قلبُه ولسانُه، خيفةً على قومه أن يفتنهم الشيطان، ويوسوس إليهم أنه لو كان نبيًّا لَمَا ابتُلي بما هو فيه، ولكشفَ الله ضرَّه إذا دعاه.

---

(١) سورة صۤ آية (٤٤).

٩- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾[١].

إن قلتَ: هذا يدلُّ على أنَّ غاية لعنة الله تعالى لإبليس إلى يوم القيامة قد تنقطع؟

قلتُ: كيف تنقطع وقد قال تعالى «فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ على الظَّالِمِينَ» وإبليسُ أظلمُ الظَّلمةِ، والمرادُ أن عليه اللعنة طول مدَّةِ الدنيا، فإذا كان يوم القيامة، اقترن له باللعنة من أنواعِ العذاب، ما ينسى معه اللعنة، فكأنها انقطعت.

«تمت سورة صٓ»

* * *

(١) سورة صٓ آية (٧٨).

سُورَة الزُّمَر

١ـ قوله تعالى: ﴿إنَّا أنزلْنا إليْكَ الكِتابَ بالحَقِّ..﴾[1].

عبَّر فيه هنا بـ «إلى» وفيه في أثناء السورة بـ «على»[2].. تقدَّم في البقرة الفرقُ بين «إلى» و«على» ونزيد هنا أنَّ كلَّ موضعٍ خُوطب فيه النبيُّ ﷺ بالإنزالِ، أو التنزيل، أو النزول، إن عُدِّيَ بـ«إلى» ففيه تكليفٌ له، أو بـ«على» ففيه تخفيفٌ عنه، فما هنا تكليفٌ له بالإخلاص في العبادة بدليل قوله « فاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ » وما في أثناء السورة تخفيفٌ عنه بدليل قوله «وما أنتَ عليْهم بوكيلٍ» أي لست بمسئولٍ عنهم.

٢ـ قوله تعالى: ﴿إنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[3].

---

(١) سورة الزمر آية (٢).

(٢) في قوله تعالى ﴿إنَّا أنْزَلنَا عَلَيكَ الكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالحَقِّ﴾ آية (٤١).

(٣) سورة الزمر آية (٣).

أي دائمٌ على كفره وكذبه، أو لا يهديه إلى حجة يُلزم بها المؤمنين، وإلَّا فكم هُدي من كافر.

٣ - قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ..﴾[1] الآية.

إن قلتَ: كيف يكون قوله فيها « لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ ما يَشَاءُ » مع أن كل من ادَّعى له ولداً، أو نسبَ إليه ولداً قال: إنَّ الله اصطفاه من خلقه فجعله ولداً[2]؟!

قلتُ: إن جُعِلَ ردًّا على اليهود في قولهم: إن عزيراً ابن الله، وعلى النَّصارى في قولهم: إنه المسيحُ. كان معناه: لاصطفى ولداً من الملائكة لا من البشر، لأن الملائكة أشرفُ من البشر بلا خلافٍ بين اليهود والنصارى.

أو ردًّا على مشركي العرب في قولهم: إنه الملائكة، كان معناه: لاصطفى ولداً من جنس ما يخلق كل شيء يريده، ليكون ولدُه موصوفاً بصفته، لا من الملائكة الذين لا

---

(١) سورة الزمر آية (٤).

(٢) هذا على سبيل الفرض والتقدير، أي لو شاء الله اتخاذ ولدٍ فرضاً وتقديراً، لاختار من مخلوقاته ولداً على سبيل التبنّي، إذ يستحيلُ أن يكون عن طريق التوالد والتناسل، لأنه تعالى المنزَّه عن النظير والمثيل، ولكنه تعالى لم يشأ ذلك ﴿وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً﴾ فالآية وردت لتنزيه الله تعالى عن الزوجة والولد، بأبلغ صور التنزيه، وبأظهر الحجج وأوضحها.

يقدرون على إيجاد جناح بعوضة.

ولا يرد على هذا خلق عيسى عليه السلام الطَّيْرَ، لأنه ليس بتامّ، أو لأنه بمعنى التقدير من الطين، ثم اللَّهُ يخلقه حيواناً، بنفخ عيسى عليه السلام إظهاراً لمعجزته.

٤ـقوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ . . ﴾[1] أي بسبب إقامته.

٥ ـ قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا . . ﴾[2] الآية.

إن قلتَ: كيف عطف بـ«ثُمَّ» مع أن خلق حواء من آدم، سابقٌ على خلقنا منه؟!

قلتُ: «ثُمَّ» هنا للترتيب في الإخبار لا في الإيجاد، أو المعطوف متعلِّقٌ بمعنى واحدة، و«ثُمَّ» عاطفة عليه لا على «خلقكم» فمعناه: خلقكم من نفسٍ واحدة أُفردت بالإيجاد، ثم شُفِعتْ بزوجٍ.

أو هو معطوف على «خلقكم» لكنَّ المراد بخلقهم، خلقُهم يوم أخذ الميثاق، لا هذا الخلق الذي يتمُّ فيه الآن،

---

(١) سورة الزمر آية (٥).

(٢) سورة الزمر آية (٦).

بالتوالدِ والتناسل، وذلك أن الله خلق آدم عليه السلام، ثم أخـرج أولاده من ظهره كـالذَّرِّ، وأخـذ عليهم الميثـاق ثم ردَّهم إلى ظهره، ثم خلق منه حواء.

٦ - قوله تعالى: ﴿وَأَنْـزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَـامِ ثَمَـانِيَـةَ أَزْوَاجٍ . .﴾[1] الآية.

إن قلتَ: كيف قـال ذلـك مـع أنَّ الأنعـامَ مخلوقـةٌ في الأرضِ، لا منزلةٌ من السَّماءِ؟

قلتُ: هذا من مجازِ النسبةِ إلى سبب السَّبب، إذِ الأنعامُ لما كانت لا تعيش إلّا بالنَّباتِ، والنَّباتُ لا يعيش إلا بالمطرِ، والمـطرُ منزلٌ من السـماء، وصفها بـالإنـزالِ، من تسميـة المسبَّب باسم سَببِ سببه.

أو معناه: وقضى لكم، لأن قضاءه منـزلٌ من السماء، من حيث كُتب في اللوح المحفوظ.

أو خلقها في الجنة ثم أنزلها على آدم عليه السلام، بعد إنـزاله إلى الأرض، والإنـزالُ بمعنى الإحـداثِ والإنشـاءِ، لقوله تعالى «يا بني آدمَ قَدْ أَنْزَلْنا علَيكُمْ لباساً».

---

(١) سورة الزمر آية (٦).

٧ـ **قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾**[(١)].

زاد اللَّامَ بعد «أُمِرْتُ» الثاني[(٢)] دون الأول، لأن مفعول الثاني محذوفٌ اكتفاءً بمفعول الأول، والتقديرُ: وأُمرتُ أن أكون عبداً لله لأن أكون.

فإن قلتَ: لَمَ قال في هذه الآية «مُخْلِصاً لهُ الدِّينَ» بـ «أل» وقال بعد: «قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي» با لإِضافة.

قلتُ: لأن قوله «اللَّهَ أَعْبُدُ» إخبارٌ عن المتكلِّم، فناسبتِ الإِضافةُ إليه، وقوله «أُمِرْتُ أنْ أَعْبُدَ اللَّهَ» ليس إخباراً عن المتكلِّمِ، فناسبت الإِخبارَ عنه أصالة «أُمِرْتُ» فقط، وما بعده فضلةٌ.

٨ـ **قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً..﴾**[(٣)].

قاله هنا بلفظ «يَجْعَلُهُ» وفي الحديد[(٤)] بلفظ «يكونُ» موافقةً في كلٍّ منهما لما قبله، وهو «كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّارَ نَباتُهُ».

---

(١) سورة الزمر آية (١١).

(٢) في قوله ﴿وأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ المُسْلِمِين﴾ آية (١٢).

(٣) سورة الزمر آية (٢١).

(٤) في الحديد ﴿كَمَثَلِ غيثٍ أعجبَ الكفَّارَ نباتُه ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يكونُ حُطَاماً﴾ آية (٢٠).

٩ـ **قولُهُ تعالى: ﴿إنَّا أنْزَلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ لِلنَّاس بِالحَقِّ فَمن اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ..﴾**[١].

قاله هنا بحذف «فإنما يهتدي» المذكورُ في يونس[٢] والإِسراء، اكتفاءً بما ذكره بقوله قبلُ «وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ وَمَنْ يَهدِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ مُضِلٍّ».

١٠ـ **قولُهُ تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إليه تُرْجَعُونَ﴾**[٣]

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن للأنبياء، والعلماء، والشهداء، والأطفال، شفاعةٌ؟

قلتُ: معناه أن أحداً لا يملكها إلَّا بتحليلها، كما قال تعالى: «منْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلَّا بِإذْنِهِ»[٤] وقال: «وَلَا يَشْفَعُونَ إلَّا لِمَن ارْتَضَى»[٥].

١١ـ **قولُهُ تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ..﴾**[٦] الآية.

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن القرآن كلَّه حسنٌ؟

---

(١) سورة الزمر آية (٤١).

(٢) في يونس﴿ فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه﴾ آية(١٠٨).

(٣) سورة الزمر آية (٤٤).

(٤) سورة البقرة آية(٢٥٥).

(٥) سورة الأنبياء آية (٢٨).

(٦) سورة الزمر آية (٥٥).

قلتُ: معناه أحسنَ وحيٍ ، أو كتاب أُنزل اليكم، وهو القرآن كلُّه. أو أحسنُ القرآنُ آياتُه المحكماتُ، أو آياتُه التي تضمَّنت أمر طاعةٍ أو إحسان، وقد مرَّ نظير هذا السؤال في نظير هذه الآية في الأعراف [1] ، في قوله تعالى«وَأْمُرْ قومَكَ يأخذوا بأحسنِها» وما مرَّ ثَمَّ في جوابه يأتي هنا.

١٢ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ . . ﴾ [2] .

إن قلتَ: كيف قال ذلك مع أن الموحَىٰ إليهم جمعٌ، ولمَّا أُوحِيَ إلى من قبلَه، لم يكن في الوحيِ إليهم خطابُه.

قلتُ: معناه ولقد أوحي إلى كل واحدٍ منك ومنهم لئن أشركتَ، أو فيه إضمارُ نائب الفاعل تقديره: ولقد أُوحِيَ إليك وإلى الذينَ من قبلك التوحيدُ، ثم ابتـدأ فقال: «لئن أشركتَ»، أو فيه تقديمٌ وتأخير تقديره: ولقد أُوحيَ إليـك لئن أشركتَ، وكذلك أُوحي إلى الذين من قبلك.

١٣ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً . . ﴾ [3] الآيتين.

(١) انظر سورة الأعراف صفحة ٢٠٧ من هذا الكتاب.
(٢) سورة الزمر آية (٦٥).
(٣) سورة الزمر آية (٧٣).

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن السَّوْق فيه نوعُ إهانةٍ، لا يليقُ بأهل الجنَّة؟

قلتُ: المرادُ بسوقِ « أهلِ النَّارِ » طردُهم إليها بالهوانِ والعنفِ، كما يُفعل بالأسرى الخارجين على السلطان، إذا سيقوا إلى حبسٍ أو قتل. وبسوقِ «أهل الجنَّةِ» سوقُ مراكبهم، حَثّاً وإسراعاً بهم إلى دار الكرامةِ والرضوان، كما يُفعل بمن يُشرَّفُ ويُكرَّمُ من الوافدين على السلطان.

فإن قلتَ: كيف قال في صفة النَّارِ«فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا» بلا واوٍ، وفي صفة الجنة بالواو « وَفُتِحَتْ أَبْوَابُها»؟

قلتُ: هي زائدة، أو هي واوُ الثمانية لأن أبواب الجنة ثمانيةٌ، أو واوُ الحال أي جاءوها وقد فُتِحَتْ أبوابُها قبل مجيئهم، بخلاف أبواب النَّارِ فإنها إنما فُتحت عند مجيئهم، والسرُّ في ذلك أن يتعجلوا الفرح والسرور، إذا رأوا الأبواب مفتَّحةً.

وأهلُ النار يأتونها وأبوابُها مغلقةٌ ليكون أشدَّ لحرِّها[1]،

---

(١) الأظهر أن يُقال :إن الحكمة في زيادة الواو عند الحديث عن أهل الجنة﴿وفتحت أبوابها﴾ أن أبواب الجنة تكون معدَّة مهيئة لاستقبال المؤمنين تكريماً لهم وتعظيماً كما قال تعالى﴿جناتُ عدن مفتَّحةً لهم الأبواب﴾ أما أهل النار فتفتح أبوابها بغتةً في وجوههم، ليكون ذلك أشدَّ عليهم وأفظع، كما أن أبواب السُّجون في الدنيا تكون مغلقة إلى أن يأتي أصحاب الجرائم، فتفتح لهم ثم تغلق عليهم.

أو أنَّ الوقوف على الباب المغلق نوعُ ذلٍّ وهوان، فصِينَ أهل الجنة عنه. أو أن الكريم يُعجِّل المثوبة ويُؤخّر العقوبة، أو اعتبر في ذلِكَ عادةُ دارِ الدنيا، لأن عادة مَنْ في منازلها من الخدم، إذا بُشّروا بقدوم أهل المنازل، فُتح أبوابها قبل مجيئهم، استبشاراً وتطلعاً إليهم، وعادةُ أهل الحبوس إذا شُدِّد في أمرها، ألَّا تفتح أبوابُها إلا عند الدخول إليها أو الخروج.

«تمت سورة الزمر»

* * *

سُورَة غَافِر

١-قوله تعالى ﴿مَا يُجادِلُ فِي آياتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي البِلَادِ﴾ [١] أي بالتكذيب ودفعِها بالباطل، وقصد إدحاضِ الحقِّ، وإلَّا فالمؤمنونَ يجادلون فيها.

٢-قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ . . ﴾ [١].

---

(١) سورة غافر آية (٤) . (٢) سورة غافر آية (٧) .

إن قلتَ: ما فائدةُ وصفِ حَمَلَةِ العرش، مع أن إيمانهم به معلوم لكل أحدٍ؟

قلتُ: فائدتُه إظهارُ شرفِ الإيمان، وفضلِه، والترغيب فيه، كما وُصف الأنبياء عليهم السَّلامُ بالإيمان والصَّلاح.

٣- قوله تعالى: ﴿قالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا..﴾[٢] أي إماتتينِ وإحيائتيْنِ، لأنهم نُطَفٌ أمواتٌ فأُحيوا، ثم أُميتُوا ثمَّ أُحيوا للبعث، وهذا كقوله تعالى «كَيْفَ تَكْفُرونَ باللَّهِ وكنْتُمْ أَمْوَاتاً فأَحْياكُمْ ثمَّ يُميتُكُمْ ثُمَّ يُحييكم»[٣].

٤- قوله تعالى ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾[٤]

إن قلتَ: كيف قال المؤمنُ ذلك في حقّ موسى عليه السلام، مع أنه صادقٌ عنده وفي الواقع، ويلزم منه أن يصيبهم جميعُ ما وعدهم لا بعضُه فقط؟!

قلتُ: «بعضُ» صِلةٌ، أو هي بمعنى «كلّ» كما قيل به في

---

(١) سورة غافر آية (١١). (٢) سورة البقرة آية (٢٨).
(٣) سورة غافر اية (٢٨).

قول الشاعر:

إنَّ الأمورَ إذا الأحداثُ دبَّرها
دون الشيوخ ترى في بعضها خللاً

أو ذَكَرَ البعضَ تنزّلاً وتلطُّفاً بهم، مبالغاً في نصحهم، لئلا يتَّهموه[1] بميلٍ ومحاباة، ومنه قولُ الشاعر:

قد يدركُ المتأنِّي بعض حاجتهِ
وقد يكونُ من المستعجلِ الزَّللُ

كأنه قال: أقلُّ ما يكون في الثاني إدراكُ بعض المطلوب، وفي الاستعجال الزلل، أو هي باقيةٌ على معناها، لأنه وعدهم على كفرهم الهلاكَ في الدنيا، والعذابَ في الآخرة، فهلاكهم في الدنيا بعضُ ما وعدهم به.

٥- **قولهُ تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا..﴾**[2] الآية.

قاله هنا بجمع الضمير، وفي التغابن[3] بإفراده، موافقةً هنا لما قبله في قوله«كانوا هم أشدَّ منهم قُوَّةً» إلى آخره، وأفرده ثَمَّ لأنه ضميرُ الشأن، زيد توصلاً إلى دخول«إن» على«كان».

---

(١) في المصوَّرة «لِئلا يتوهموه» وهو خطأ واضح. (٢) سورة غافر آية (٢٢).

(٣) في التغابن﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بالبيِّناتِ فقالُوا أَبَشَرٌ يهدوننا..﴾ آية (٦).

٦ـ **قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ. أَسْبَابَ السَّمٰوَاتِ﴾** [(١)] أي أبوابها وطرقها.

فإن قلتَ: ما فائدةُ التكرار هنا؟

قلتُ: فائدته أنه إذا أبهم ثم أوضح كان تفخيماً لشأنه، فلما أراد تفخيم ما أمَّلَ بلوغه من أسباب السموات، أبهمها ثم أوضحها.

٧ـ **قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ..﴾** [(٢)] الآية.

إنما لم يقل: لخزنتها مع أنه أخصرُ، لأنَّ في ذكر جهنم تهويلاً وتفظيعاً.

أو لأنَّ جهنم أبعدُ النَّار، فغدا خزنتُها أعلى الملائكة الموكلين بالنار مرتبةً، فطلب أهل النار الدعاء منهم لذلك.

٨ـ **قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَخَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾** [(٣)] أي أنَّ خلق الأصغر أسهلُ من خلق الأكبر، ثم قال «لا يؤمنون» [(٤)]

---

(١) سورة غافر آية (٣٦). (٢) سورة غافر آية (٤٩). (٣) سورة غافر آية (٥٧).

(٤) أشار إلى قوله تعالى ﴿إن الساعة لآتيةٌ لا رَيْبَ فيها وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾ آية (٥٩).

أي بـالبعث ، ثم قال « لا يشكـرون » [1] أي الله عـلى فضله، فختم كل آيةٍ بما اقتضاه أولها.

٩ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [2]

ختمها بقوله« المبطلون» وختم السُّـورة بقوله « وخسـر هنالكَ الكافرون» لأن الأول متَّصـل بقولـه« قُضِيَ بالحَقِّ» ونقيضُ الحقِّ الباطلُ، والثـاني متَّصلٌ بـإيمانٍ غـير نافـعٍ ، ونقيضُ الإِيمان الكفرُ.

«تمت سورة غافر»

❊ ❊ ❊

سُـورَة فُصِّلَتْ

١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ [3]

---

(١) أشـار إلى قولـه تعالى﴿ إِنَّ اللَّهَ لَـذُو فَضْلٍ عَـلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْـثَرَ النَّـاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾ آية (٦١) . (٢) سورة غافر آية (٧٨) . (٣) سورة فصّلت آية (٥) .

إن قلتَ: ما فائدةُ ذكرِ«مِنْ» مع حصول المعنى بحذفِهَا؟

قلتُ: فائدتُه الدلالةُ على أنَّ ما بينهم وبينه مستوعَبٌ بالحجاب، لكون الحجاب سَدّاً بينهم وبينه، وبتقدير حذفها يصير المعنى: إن الحجاب حاصلٌ في المسافة بيننا وبينه.

٢ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً. إلى: فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ..﴾ (١)

إن قلتَ: هذا يدلُّ على أن السمواتِ والأَرْضَ وما بينهما خُلِقت في ثمانية أيامٍ، وهو مُنافٍ لما ذكره في الفرقان وغيرها أنها خُلقت في ستة أيام؟!

قلتُ: يوما خلقِ الأَرضِ من جملة الأربعةِ بعدهما، والمعنى في تتمة أربعة أيام، وهي مع يوميْ خلق السمواتِ ستةُ أيام.. يومُ الأحدِ والإثنين لخلق الأرض، ويوم الثلاثاء والأربعاء للجعل (٢) المذكور في الآية وما بعده، ويومُ الخميس والجمعة لخلق السَّموات.

---

(١) سورة فصّلت آية (٩).

(٢) أشار إلى قوله تعالى﴿ وَجَعَلَ فيها رواسي من فوقِهَا وَبارَكَ فيها وَقَدَّر فيهَا أَقْوَاتَهَا في أَرْبَعةِ أيَّامٍ سَوَاءً للسّائلين﴾ آية (١٠).

فإن قلتَ: السمواتُ وما فيها أعظمُ من الأرض وما فيها بأضعافٍ، فما الحكمة في أنه تعالى خلق الأرض وما فيها في أربعة أيام، والسموات وما فيها في يومين؟

قلتُ: لأن السموات وما فيها من عالَم الغيب، والملكوت، والأمر، والأرضُ وما فيها من عالم الشَّهادة، والمُلْكِ، والخلق، والأولُ أسرع من الثاني.

أو أنه تعالى فعل ذلك في الثاني، مع قدرته على فعله ذلك دفعةً واحدةً، ليعرِّفنا أن الخلق على سبيل التدريج، لنتأنَّى في أفعالنا، فخلق ذلك في أربعة أيامٍ لمصالحَ وحِكم اقتضتْ ذلك، ولهذه الحكمة خلق العالم الأكبر في ستة أيام، والعالَم الأصغر وهو الإنسان في ستة أشهر[1].

٣- قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ..﴾[2] الآية.

قاله هنا بذكر «ما» وبحذفها في قوله في النمل: «حتَّى إذَا جَاءُوا»، وفي الزمر «حتَّى إذَا جَاءُوهَا» مرتين، وفي الزخرف «حتَّى إذا جَاءَنَا»، لأن الكلام هنا في أعداء الله،

---

(١) أشار إلى أن أقل مدَّة يمكن أن يعيش بها المولود هي ستة أشهر.

(٢) سورة فصلت آية (٢٠).

أبسطُ وآكدُ منه في البقيَّة، فناسبَ ذكرُ« ما» للتأكيد هنا دون البقيَّة.

٤ـقَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ . . ﴾ [١]

الآية، فيه إضمارٌ تقديره: فإن يصبروا أو لا يصبروا فالنارُ مثوىً لهم، أو قيَّد ذلك لأنه جوابٌ لقولهم« أَنِ امْشُوا واصْبِرُوا على آلهتكُمْ» فلا مفهوم له.

٥ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٢] المرادُ سيِّئه، إذ لا يختصُّ جزاءُهم بأسوء عملهم.

٦ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾ [٣].

قاله هنا بزيادة«هو» و«أل» وفي الأعراف [٤] بدونهما، لأن ما هنا متصلٌ بمؤكدين: بالتكرار، وبالحصر، فناسبَ التأكيدُ بما ذُكر، وما في الأعراف خليٌّ عن ذلك، فجرى على القياس من كون المُسْنِدِ إليه معرفة، والمُسْنَدِ نكرة.

٧ـقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ . . ﴾ [٤].

قاله هنا، وقاله في الشورى بزيادة «إلى أَجَلٍ مُسَمًّى»

(١) سورة فصلت آية (٢٤). (٢) سورة فصلت آية (٢٧).
(٣) سورة فصلت آية (٣٦). (٤) سورة فصلت آية (٤٥).

لموافقته ثَمَّ مبدأ كفر الذين تفرقوا في الدين، وهو مجيء العلم بالتوحيد في قوله «وما تفـرقوا» الآية، مناسب ذكـرُه للنهاية التي انتهـوا إليها، ليكـون محدوداً من الـطرفين، بخلاف ما هنا.

٨ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّـرُّ فَيؤُوسٌ قَنُوطٌ﴾ [١].

لا ينافي قوله بعد« وإذَا مسَّه الشرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ » لأن المعنى قنوطٌ من الصنم، دعَّاءٌ للهِ، أو قنوطٌ بالقلب دعَّـاءٌ باللسان، أو الأولى في قوم، والثانيةُ في آخرين.

٩ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إنْ كَـانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ . . ﴾ [٢] الآية.

قاله هنـا بـ «ثُمَّ» وفي الأحقاف [٣] بـالواو، لأن معنـاها هنـا: كان عـاقبة أمـركم بعد الإمهـالِ، للنظَرِ والتـدبرِ، الكفرُ، فناسبَ ذكرُ«ثمَّ» الدالة على الترتيب، وفي الأحقاف لم ينـظر إلى تـرتيب كفـرهم عـلى مـا ذُكـر، بـل عـطف على«كفرتم» «وشهد شاهدٌ» بالواو، فناسب ذكرها لدلالتها على مطلق الجمع.

«تمت سورة فصلت»

---

(١) سورة فصلت آية (٤٩). (٢) سورة فصلت آية (٥٢).

(٣) في الأحقاف ﴿قُلْ أرأيتُمْ إنْ كَانَ منْ عِندِ اللَّهِ وكفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شاهدٌ مِنْ بني إِسْرائيلَ على مثلِهِ فآمَنَ واسْتكبرتُمْ﴾ آية (١٠).

سُورَة الشُّورى

١ـ قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [١]

قاله بلفظ المضارع مع أن الوحْيَ إلى من قبل النبيِّ ماضٍ ، لأنه ـ كما قال الزمخشريُّ ـ قصد بالمضارع كون ذلك عادةُ وسنّةُ اللّهِ، وهذا لا يوجد في لفظ الماضي .

٢ـ قوله تعالى: ﴿يذرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [٢] أي يخلقكم في الجعل المذكور قبله، ليس كمثله شيءٌ . .

إن قلتَ: هذا يقتضي ثبوتَ مثلِه، إنَّما نفَى مِثْل مِثْلهِ؟!

قلتُ: المِثْلُ يُقال للذاتِ، كما في قولهم: مثلُكَ لا يليق به كذا، فمعناه: ليس كذاته شيءٌ، أو هو من باب

(١) سورة الشورى آية (٢) .

(٢) سورة الشورى آية (١١) .

(٣) معنى الآية: ليس له تعالى مثيلٌ، ولا شبيهٌ، ولا نظيرٌ، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، والغرضُ تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين، والكاف هنا لتأكيد النفي

الكناية ،لأنه إذا نفى مِثل مِثْله لزم نفيُ مثله ،إذ لو بقي مثلُه لكان هو مثلُ المثلِ ، فيلزم ثبوت مثل المثل، والغرض أنه نفي .

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَمَا بَثَّ فيهما من دابَّةٍ . . ﴾[1] .

إن قلتَ: كيف قال «فيهما مِنْ دَابَّةٍ» مع أن الدواب إنما هي في الأرض فقط؟

قلتُ: هو من إطلاق المثنَّى على المفرد، كما في قوله تعالى«يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ والمَرْجَانُ» وإنما يخرجان من أحدهما وهو الملح .

وقيل: إن الملائكةَ لهم دبيبٌ مع طيرانهم أيضاً، وهم مبثوثون في السماء، عملاً بمفهوم قوله « وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ » على القول بالعمل به في مثل ذلك .

٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[2] .

= أي ليس مثله شيء، قال ابن قتيبة: العربُ تقيمُ المِثْل مقام النفس فتقول: مثلي لا يقال له هذا أي أنا لا يقال لي هذا . .

(١) سورة الشوى آية (٢٩) .

(٢) سورة الشورى آية (٤٣) .

قاله هنا بلام التأكيد، وقاله في لقمان بدونها، لأن الصبر على مكروهٍ حَدَث بظلم كقتل ولد، أشـدُّ من الصبر عـلى مكروهٍ حدث بلا ظلم كموت ولدٍ، كما أن العزم على الأول أوكـدُ منه عـلى الثاني، ومـا هنا من القبيـل الأول، فكـان أنسبَ بالتوكيد، وما في لقمان من القبيل الثاني فكان أنسب بعدمه.

٥ ـ قوله تعالى ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يشاءُ الذكور ﴾[١].

فإن قلتَ: لمَ قدَّم الإنـاثَ مع أنَّ جهتهنَّ التـأخير، ولمَ عرَّف الذكورَ دونهنَّ؟

قلتُ: لأن الآية سيقتْ لبيان عظمة مُلكه ومشيئته، وأنه فاعلٌ ما يشاءُ، لا ما يشـاؤه عبيدُه كـما قال « مـا كانَ لهم الخِيَرَةُ » . ولما كان الإناثُ ممَّا لا يختاره العبـادُ، قدَّمهنَّ في الـذِّكر، لبيـان نفوذِ إرادتـه ومشيئتـه، وانفـراده بـالأمـر، ونكَّرهنَّ وعرَّف الـذكور لانحـطاط رتبتهنَّ، لئلا يُـظنَّ أن التقديم كان لأحقيتهنَّ به، ثم أعطى كـل جنسٍ حقَّه من التقديم والتأخير، ليُعلم أن تقديمهنَّ لم يكن لتقدمهنَّ، بل

---

(١) سورة الشورى آية (٤٩) .

لمقتضى، فقال «أو يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وإناثاً» كما قال «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى» .

٦ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ . .﴾ [١] .

المرادُ بالإيمان هنا «شرائعُ الإسلام» وأحكامه كالصلاة والصوم، وإلَّا فالأنبياء مؤمنون بالله، قبل أن يُوحى إليهم بأدلة عقولهم.

وقيل: المرادُ بالإيمان الكلمةُ التي بها دعوة الإيمان والتوحيد، وهي «لا إله إلا الله محمدٌ رسولُ الله» والإيمانُ بهذا التفسير إنما علمه بالوحي لا بالعقل.

«تمت سورة الشورى»

* * *

سُورَة الزُّخْرُف

١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [٢] .

إن قلتَ: القرآنُ ليس بمجعولٍ، لأن الجَعْل هو الخلقُ،

(١) سورة الشورى آية (٥٢) . (٢) سورة الزخرف آية (٣) .

فلمَ لم يقل: قلناه أو أنزلناه؟

قلتُ: الجَعْلُ يأتي بمعنى القول أيضاً، كقوله تعالى « ويَجْعَلُونَ للَّهِ البَنَاتِ » وقوله « وَجَعَلوا للَّهِ أَنْدَاداً ».

٢ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [١].

قاله هنا بلفظ «يَخْرُصُونَ» وفي الجاثية بلفظ «يظنُّونَ» لأنَّ ما هنا متَّصلٌ بقوله « وجعلوا الملائكةَ الذينَ هم عبادُ الرحمنِ إناثاً » أي قالوا: الملائكةُ بناتُ الله، وإنَّ الله قد شاء منَّا عبادتنا إيّاهن، وهذا كذبٌ، فناسبه «يَخْرُصُونَ» أي يكذبون.

وما هناك متصلٌ بخلطهم الصِّدق بالكذب، فإنَّ قولهم «نموتُ ونحيا» صدْقٌ، وكَذَبوا في إنكارِهم البعثَ، وقولِهم: «وما يهلكنا إلَّا الدَّهرُ» فناسبه «يظنون» أي يشكُّون فيما يقولون.

٣ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ [٢].

قاله هنا بلفظ «مهتدون» وبعده بلفظ «مقتدون» [٣] لأن

---

(١) سورة الزخرف آية (٢٠). (٢) سورة الزخرف آية (٢٢).

(٣) في قوله تعالى ﴿وكذلكَ ما أرسلنا من قبلك في قريةٍ من نذير إلاَّ قال مترفوها إنَّا وجدنا آباءنا على أمَّةٍ وإنَّا على آثارهم مقتدون﴾ آية (٢٣).

الأول وقع في محاجّتهم النبي ﷺ، وادِّعائهم أن آباءهم كانوا مهتدين، وأنهم مهتدون كآبائهم، فناسبه «مهتدون» والثاني وقع حكايةً عن قومٍ ادَّعوا الإقتداء بالآباء دون الإهتداء، فناسبه «مقتدون».

٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا..﴾[١] الآية.

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أنَّ النبي ﷺ لم يلقَ أحداً من الرسل حتى يسأله؟!

قلتُ: فيه إضمارٌ تقديره: واسأل أتباعَ أو أممَ مَنْ أرسلنا، أو هو مجازٌ عن النَّظر في أديانهم، والبحثِ عن مِلَلِهم هل فيها ذلك؟

أو واسألِ المرسلينَ ليلةَ الإسراء[٢]،فإنه لَقِيهموأمَّهم في مسجد بيت المقدس، وقال بعد أن نزلت عليه هذه الآية بعد سلامه: لا أسألُ قد كُفيتُ، كأنَّ المرادَ بالأمرِ بالسؤالِ، التقريبُ لمشركي قريش، أنه لم يأتِ رسولٌ من الله، ولا كتابٌ بعبادة غير الله.

---

(١) سورة الزخرف آية (٤٥).

(٢) لا حاجة إلى هذا التقدير، فإن الآية وردت على سبيل الفرض أي إن كنت يا مُحمد شاكاً في أمر الرسالة والتوحيد، فاسأل من سبقك من الرسل، هل هناك أحدٌ دعا لعبادة غير الله ؟! ويؤيده الآية الأخرى «فإنْ كنتَ في شكٍّ ممَّا أنزلنا اليك فاسألِ الذينَ يقرءون الكتابَ من قبلِكَ» والله أعلم.

٥ ـقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا نُـرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَـرُ مِنْ أُخْتِهَا. . ﴾[١] الآية، أي من قرينتها التي قبلها.

٦ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالحِكْمَةِ وَلأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾[٢].

إن قلتَ: كيف قال عيسى عليه السلام لأمته ذلكَ، مع أن كل نبيٍّ يلزمه أن يُبيِّن لأمته كلَّ ما يختلفون فيه؟

قلتُ: المرادُ أنه يُبيّن لهم ممَّا اختلفوا فيه، ما يحتاجونه دون ما لا يحتاجونه. أو المرادُ بالبعض الكُلُّ، كما مرَّ نظيره في غافر.

٧ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[٣].

فائدةُ ذكر «وهُمْ لا يَشْعُرون» بعد «بَغْتَةً» أي فجأة، أنَّ الساعة تأتيهم وهم غافلون، مشغولون بأمور دنياهم، كما قال تعالى «مَا يَنْظُرونَ إلَّا صَيْحةً واحدةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ» فلولا قوله «لا يشعرون» لجاز أن تأتيهم بغتةً، وهم يَقِظونَ حَذِرونَ مستعدُّون لها.

٨ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ. لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[٤].

---

(١) سورة الزخرف آية (٤٨).
(٢) سورة الزخرف آية (٦٣).
(٣) سورة الزخرف آية (٦٦).
(٤) سورة الزخرف آية (٧٥).

إن قلتَ: كيف وصف أهل النَّارِ فيها بأنهم مبلِسون، والمبلسُ: هو الآيسُ من الرحمة والفرج، مع قوله بعدُ « ونَادَوْا يا مَالِكُ لِيَقْضِ علينَا ربُّكَ » الدالَّ على طلبهم الفَرَج بالموت؟

قلتُ: وقع كلٌّ منهما في زمنٍ، لأن أزمنةَ يومِ القيامةِ متعدِّدة.

٩ -قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الحَكِيمُ العَلِيمُ﴾[(١)].

إن قلتَ: هذا يقتضي تعدُّد الآلهة، لأن النكرة إذا أُعيدت نكرة تعدَّدتْ، كقولك: أنتِ طالقٌ وطالقٌ؟

قلتُ: الإلّه هنا بمعنى المعبود[(٢)]، وهو تعالى معبودٌ فيهما، والمغايرةُ إنما هي بين معبوديته في السماء، ومعبوديته في الأرض، لأن المعبود به من الأمور الإضافية، فيكفي التغاير فيها من أحدِ الطرفين، فإذا كان العابدُ في السماء غير العابد في الأرض، صدق أنَّ معبوديته في السماء غير معبوديته في الأرض، مع أن المعبود واحدٌ.

«تمت سورة الزخرف»

---

(١) سورة الزخرف آية (٨٤). (٢) معنى الآية أنه تعالى معبودٌ في السماءِ، كما هو معبودٌ في الأرض، فلا تعدُّد في الآلهة كما يُوهم التكرار، قال ابن كثير: هو إلّه من في السماء وإلّهُ من في الأرض، يعبده أهلهما، وكلُّهم خاضعون له.

سُورَة الدُّخَان

١ - قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى العَالَمِينَ﴾[1].

قاله هنا بذكرِ «عَلَى عِلْمٍ» أي منك[2]، وقال في الجاثية «وَفَضَّلْنَاهُمْ على العَالَمِينَ» بحذفه، جرياً هنا على الأصل في ذكرِ ما لا يُغني عنه غيرُه، واكتفاءً ثَمَّ بقوله بعدُ «وأضلَّه اللَّهُ على عِلْمٍ».

٢ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ. إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الأُولى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾[3].

إن قلتَ: القومُ كانوا يُنكرون الحياة الثانية، فكان حقُّهم أن يقولوا: إن هِي إلَّا حياتُنا الأولى؟

---

(١) سورة الدخان آية (٣٢).

(٢) فيما قاله الشيخ نظرٌ، فإن معنى الآية ولقد اصطفيناهم واخترناهم على علمٍ منَّا باستحقاقهم ذلك الشرف على جميع الناس في زمانهم.

(٣) سورة الدخان آية (٣٥).

قلتُ: لما قيل لهم: إنكم تموتون موتةً يعقُبها حياةٌ، كما تقدمتكمْ موتةٌ، لذلك قالوا « إنْ هيَ إلَّا موتتُنا الأولى » أي ما الموتةُ التي من شأنها أن يعقبها حياةٌ، إلَّا الموتةُ الأولى(١).

٣ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ﴾(٢).

قاله بالجمع موافقةً لقوله أول السورة « ربُّ السَّمواتِ والأَرْضِ ».

٤ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الحَمِيمِ﴾(٣).

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن العذاب لا يُصبُّ وإنما يُصبُّ الحميمُ، كما قال في محل آخر « يصبُّ من فوقِ رُءُوسهم الحَمِيمُ » ؟

قلتُ: هو استعارةٌ ليكون الوعيدُ أهيبَ وأعظم.

٥ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا المَوْتَ إلَّا المَوْتَةَ الأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الجَحِيمِ﴾(٤).

---

(١) الغرضُ من الآية أن الكفار قالوا: إذا متنا فلا بعث ولا حياةٌ ولا نشور، وقد صرحوا بذلك بقولهم ﴿وما نحن بمنشرين﴾ أي بمبعوثين.

(٢) سورة الدخان آية (٣٨).

(٣) سورة الدخان آية (٤٨).

(٤) سورة الدخان آية (٥٦).

إن قلتَ: كيف قال في صفة أهل الجنَّةِ ذلك، مع أنهم لم يذوقوه فيها؟

قلتُ: »إلَّا« بمعنى «سِوَى» كما في قوله تعالى «ولا تنكحوا ما نَكَح آباؤكم إلَّا ما قد سَلَفَ» أو الاستثناءُ منقطع أي لكنْ الموتةَ الأولى قد ذاقوها.

٦ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ واسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ﴾[١].

إن قلتَ: كيف وعد الله تعالى أهل الجنة بلبس «الاستبرق» وهو غليظ الديباج[٢]، مع أن غليظه عند السعداء من أهل الدنيا عيبٌ ونقصٌ؟

قلتُ: غليظ ديباج الجنة، لا يُشابه غليظ ديباج الدنيا حتى يُعاب، كما أن سندس الجنة وهو رقيق الديباج، لا يشابه سندس الدنيا.

وقيل: إن السُّنْدسَ لباس سادةِ أهلِ الجنة، والاستبرقُ: لباسُ خدمهم، إظهاراً لتفاوت الرُّتب.

«تمت سورة الدخان»

---

(١) سورة الدخان آية (٥٣).

(٢) معنى الديباج: الحريرُ فهو لباسُ أهل الجنة كما قال تعالى ﴿ولباسُهُمْ فيها حريرٌ﴾ وهو نوعان: استبرق، وسندس، وكلاهما من الحرير.

سُورَة الجَاثِيَة

١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ للمؤمنين. وفي خَلْقِكُمْ وما يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ. وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. . .إلى: آيَاتٌ لقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1].

إن قلتَ: لِمَ ختم الآية الأولى بـ«المؤمنين» والثانية بقوله «يوقنون» والثالثة بقوله «يعقلون»[2]؟

قلتُ: لأنه تعالى لمَّا ذكر العالَم ضمناً، ولا بدَّ له من صانعٍ، موصوفٍ بصفات الكمال، ومن الإيمان بالصانع ناسب ختم الأولى بالمؤمنين، ولمَّا كان الإنسان أقرب إلى الفهم من غيره، وكان فكرُه في خلْقهِ وخلْقِ الدوابّ ممَّا يزيده يقيناً في إيمانه، ناسب ختم الثانية بقوله «يوقنون» ولمَّا كان جزئيات

(١) سورة الجاثية آية (٣ـ ٥).

(٢) الأَوْلى أن يُقال: إن وجه التغيير في التعبير في الآيات الثلاث أن الإنسان إذا تأمل في السموات والأرض، وأنه لا بدَّ لهما من خالقٍ مبدع آمن، وإذا نظر في خلق نفسه، وفي خلق الحيوانات والدواب على سطح هذه المعمورة ازداد إيماناً فأيقن، وإذا نظر في سائر =

العالَم، من اختلاف الليـل والنهار ومـا ذكره معهـما، مما لا يُدركُ إلاَّ بالعقل، ناسبَ ختم الثالثة بقوله «يعقلون».

٢ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ..﴾[(1)].

إن قلتَ: ما وجه مطابقة الجواب وهو «قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ» إلى آخره للسؤال وهو «ائْتُوا بِآبَائِنَا إن كُنتُمْ صَادِقين»؟

قلتُ: وجهه أنهم أُلزموا بما هم مقرُّون به، من أنَّ الله تعـالى هو الـذي أحياهم أولاً، ثم يُميتُهم، ومن قَـدَر على ذلك قدر على جمعهم يوم القيامة، فيكون قادراً عـلى إحياء آبائهم.

٣ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُـدْعَىٰ إِلَى كِتَابِهَا..﴾[(2)] أي إلى قراءةِ كتابِ أعمالها.

فإن قلتَ: كيف أضاف الكتابَ إلى الأُمَّة، ثم أضـافه

= الحوادث والأطوار، في تعاقب الليل والنهار، وإرسال الرياح والأمطار، وخروج الزروع والثمار ازداد علمه وكمل عقله فاهتدى وعقل، فختمت كل آيةٍ بما يناسب المقام، والله أعلمُ بأسرار كتابه.

(١) سورة الجاثية آية (٢٥).

(٢) سورة الجاثية آية (٢٨).

إليه تعالى في قوله « هَذَا كِتَابُنَا » ؟

قلتُ: الإِضافة تحصلُ بأدنى ملابسةٍ، فأضافه إلى الأمَّة لكون أعمالهم مثبتةٌ فيه، وأضافه إليه تعالى لكونه مالكه، وآمرُ ملائكتِه بكتابته.

«تمت سورة الجاثية»

***

سُورَة الأَحقَاف

١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾.

إن قلتَ: كيف وصف الفريقين بأنَّ لكلٍ منهما درجات، مع أن أهل النَّارِ لهم دَرَكاتٌ لا دَرَجاتٌ؟

قلتُ: الدرجاتُ هي: الطبقاتُ من المراتب مطلقاً، أو فيه إضمارٌ تقديره: ولكلّ فريقٍ درجاتٌ أو دركاتٌ، لكنْ حذفَ الثاني اختصاراً، لدلالة المذكور عليه.

٢ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا

(١) سورة الأحقاف آية (١٩).

تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. قَالَ إِنَّمَا العِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ﴾[1].

وجهُ مطابقةِ الجواب فيه؟ أن سؤالهم متضمِّنٌ لاستعجالهم العذابَ، الذي توعَّدهم به، بقرينة قوله بعد « بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجلتُمْ بِهِ » فأجابهم بأنه لا علم له بوقت تعذيبهم، بلِ اللهُ تعالى هو العالِمُ به وحدَه.

٣ - قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا..﴾[2]

أي كلَّ شيءٍ مرَّتْ به، من أموالِ قوم عادٍ وأهليهم[3]

٤ - قوله تعالى: ﴿يا قومنا أَجيبوا داعيَ الله وآمنوا به يَغْفِرْ لكم من ذُنُوبِكُمْ..﴾[4] الآية.

أفاد بذكر «مِنْ» أنَّ من الذنوب ما لا يغفره الإيمان كمظالم العباد.

«تمت سورة الأحقاف»

---

(١) سورة الأحقاف آية (٢٣).
(٢) سورة الأحقاف آية (٢٥).

(٣) معنى الآية: تُخرِّب الريح وتُهلك كل شيءٍ أَتتْ عليه، من مواشٍ ورجالٍ وأموال، بأمره تعالى وإذنه، وكانت الريح ترفع الشخص منهم إلى السماء حتى يصبح كالريشة، ثم تضربه على الأرض فتدقُّ عنقه، هكذا روي عن ابن عباس.

(٤) سورة الأحقاف آية (٣١).

سُورَة مُحَمَّد

١ ـ قوله تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾[1].

إن قلتَ: كيف قال ذلك تعالى في حقِّ الشهداء، بعدما قُتلوا، مع أن الهداية إنما تكون قبل الموت لا بعده؟

قلتُ: معناه سيهديهم إلى محاجَّة منكرٍ ونكير، وقيل: سيهديهم يوم القيامة إلى طريق الجنة[2].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ . . ﴾.

نزلتْ في قوم ارتدوا عن الإيمان.

وقوله تعالى قبلُ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارتدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ

---

(١) سورة محمد آية (٥).

(٢) الأظهر والله أعلم أن المراد من الآية: أنه تعالى سيهدي هؤلاء السعداء الأبرار، إلى ما ينفعهم في الدنيا والآخرة، بتوفيقهم إلى العمل الصالح، وإرشادهم إلى طريق الجنة دار المتقين، أما ما ذكره الشيخ أنه سيهديهم إلى محاجَّة منكرٍ ونكير، فلا وجه له هنا، لأن الشهداء قد غفرت ذنوبهم، فلا سؤال لهم ولا عقاب.

﴿بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لهُمْ وأَمْلَى لَهُمْ﴾ نزلت في اليهود، فليس بتكرارٍ.

«تمت سورة محمد»

* * *

سُورَةُ الفَتْح

١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾.

نزل قبل فتح مكة، وجِيء بالفعل ماضياً، لأنه في علمه تعالى كالواقع، لتحقُّقِ وقوعه.

٢ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِيَغْفِر لَكَ اللَّهُ مَا تقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾.

إن قلتَ: كيف قال ذلك والنبيُّ معصومٌ من الذنوب؟

قلتُ: المرادُ ذنبُ المؤمنين[1]، أو ترك الأفضل، أو أراد الصغائر على ما قاله به جمعٌ، أو المرادُ بالمغفرةِ العصمةُ.

ومعنى قوله «ما تقدَّمَ وما تأخَّرَ» ما فرط منك فرضاً، قبل

(١) هذا التأويل بعيد، والأولى أن يُقال: ليغفر لك الله ما فرط منك من ترك الأَوْلى، سُمي ذنباً بالنظر إلى منصبه الجليل ﷺ.

النبوة وبعدها، أو قبل فتح مكة وبعده، أو المرادُ بما تأخَّر العمومُ والمبالغةُ، كقولهم: فلانٌ يضرب من يلقاه ومن لا يلقاه، بمعنى يضربُ كلَّ أحد، مع أن من لا يلقاه لا يمكنه ضربه.

٣ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً﴾[١].

أي يزيدك هُدىً، وإلَّا فهو مهديٌّ ﷺ.

٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾[٢].

إن قلتَ: ما فائدةُ قوله «وأهلَها» بعد قوله «أَحَقَّ بها»؟

قلتُ: الضمير في «بها» لكلمة التوحيد، وفي أهليَّتها للتقوى، فلا تكرار.

٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. .﴾[٣].

إن قلتَ: ما وجهُ التعليقِ بمشيئة الله تعالى في إخباره؟

قلتُ: «إن» بمعنى إذْ كما في قوله تعالى «وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ».

أو أنه استثناءٌ منه تعالى فيما يَعلمُ، تعليماً لعباده أن يستثنوا فيما لا يعلمون.

أو أنَّه على سبيل الحكاية لرؤيا النبي ﷺ، فإنه رأى أن

(١) سورة الفتح آية (٢). (٢) سورة الفتح آية (٢٦). (٣) سورة الفتح آية (٢٧).

قائلاً يقول: لَتَدْخُلُنَّ المسجِدَ الحرَامَ إنْ شَاءَ اللَّهُ آمنين.

٦- **قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ..﴾.**

إن قلتَ: ما فائدة ذكر «لا تَخَافُونَ» بعد قوله «آمِنِينَ»؟

قلتُ: المعنى آمنين في حال الدخول، لا تخافون عدوَّكم أن يُخرجكم منه في المستقبل.

٧- **قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ..﴾[1].**

تعليلٌ لما دلَّ عليه تشبيههم بالزرع، من نمائهم وقوَّتهم، كأنه قيل: إنما قوَّاهم وكثَّرهم ليغيظ بهم الكفار.

٨ - **قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾.**

«منهم» أي من الذين مع محمدﷺوهم «الصحابة» مغفرة وأجراً عظيماً فـ«مِنْ» هنا لبيان الجنس، كما في **قوله تعالى:** «فاجتنبوا الرجس من الأوثانِ» لا للتبعيض، لأن الصحابة كلَّهم موصوفون بالإيمان والعمل الصالح.

«تمت سورة الفتح»

* * *

---

(١) سورة الفتح آية (٢٩).

سُورَة الحُجُرات

١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يا أَيُّها الذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. . ﴾[1] الآية.

«يـا أيها الـذينَ آمنـوا» ذُكِـر في السـورة خمس مـرات، والمخاطبون فيها المؤمنون، والمخاطَبُ به أمرٌ، أو نهيٌ، وذُكر فيها «يا أيُّهـا النَّاسُ» مرَّة، والمخاطبـون فيها يعمُّ المؤمنـين والكافرين، كما أن المخاطَبَ به وهو قوله «إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى» يعمُّهما، فناسبَ فيها ذكرَ النَّاسِ، وقـولُه «لَا تُقَدِّمُوا» منْ قـدَّم بمعنى تقدَّم، لأن المـراد به نهيهم عن أن يتقدّموا على النبي ﷺ بقولٍ، أو فعلٍ، لا عَنْ أن يُقدِّموا غيرَهم.

٢ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يا أَيُّها الَّـذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ

---

(١) سورة الحجرات آية (١). وإنما حُذف المفعول، ليذهب ذهنُ السامع إلى كل ما يمكن تقديمُه، من قولٍ، أو رأيٍ، أو حكمٍ، أو عمل أي لا تتقدموا عليه بشيءٍ أصلاً، فله الرأي وله الأمر ﷺ.

فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَـرُوا لَـهُ بِالقَوْلِ . . ﴾[1].

فائدةُ ذكرِ « وَلَا تَجْهَرُوا لهُ بالقَوْلِ » بعد قوله « لَا تَرْفَعُوا أصواتكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَبِيِّ » النهيُ عن الجهرِ في مخاطبتِهِ، وإنْ لم يتضمَّنْ رفع أصواتِهم على صوتِه.

وقيل: المرادُ النهيُ عن مخاطبته ﷺ باسمه.

٣ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[2] أي مخافة حبوطها.

فإن قلتَ: كيف قال ذلـك، مع أنَّ الأعمـال إنما تحبط بالكفر، ورفعُ الصوتِ على صوتِ النبي ليس بكفر؟

قلتُ: المرادُ به الاستخفاف بالنبي ﷺ، لأنه ربما يؤدي إلى الكفر[3].

وقيـل: حبوطُ العمـل هنا مجـازٌ عن نقصـان المنـزلـة، وانحطاطِ الرتبة.

٤ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي

---

(١) سورة الحجرات آية (٢) .　　(٢) سورة الحجرات آية (٢) .

(٣) رفع الصوتِ في حضرة النبي ﷺ مخالفٌ للأدب، وربَّما جرَّ إلى الكفر إن استخفَّ الإنسان بقدره ومقامه ﷺ، وقد رُوي أن «ثابت بن قيس» كان رفيع الصوت، فلما نزلت الآية قال: أنا الذي كنتُ أرفع صوتي على رسول الله ﷺ أنا من أهل النار، وجلس في بيته حزيناً، فافتقده ﷺ فأخبروه خبره، فطلبه الرسول ﷺ وقال له: بل أنت من أهل الجنة، أترضى أن تعيش حميداً، وتقتل شهيداً، وتدخل الجنة؟ فقال: رضيتُ ببشرى الله ورسوله، واللهِ لا أرفع صوتي أبداً على صوت رسول الله ﷺ.

قُلُوبِكُمْ وكَرَّهَ إليكُمُ الكُفْرَ وَالفُسُوقَ والعِصْيَانَ﴾[1].

إن قلتَ: ما فائدةُ الجمعِ بين الفِسْقِ والعصيانِ؟!

قلتُ: الفسوقُ: الكذبُ كما نُقل عن ابن عباس رضي الله عنهما، والعصيانُ: بقيَّةُ المعاصي، وإنما أفردَ الكذبَ بالذِّكر، لأنه سببُ نزول هذه الآية.

وقيل: الفسوقُ: الكبيرةُ، والعصيانُ: الصغيرة[2].

٥ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا..﴾[3].

المنفيُّ هنا: الإيمانُ بالقلبِ، والمُثْبتُ: الانقيادُ ظاهراً، فهما في اللغةِ متغايران بهذا الاعتبار، كما أنهما في الشرع مختلفان مفهوماً، متَّحِدانِ صدقاً، إذِ الإيمانُ هو التصديقُ بالقلب، بشرط التلفظِ بالشهادتين، والإِسلامُ بالعكس.

٦ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا..﴾[4] الآية.

---

(١) سورة الحجرات آية (٧).

(٢) الفسوقُ: الخروج عن طاعة الله بالجرائم الكبيرة، والعصيانُ معصيةُ أمر الله وأمر رسوله بصغائر الذنوب. قال ابن كثير: والمرادُ بالفسوق: الذنوبُ الكبارُ، وبالعصيان جميعُ المعاصي. اهـ المختصر ٣/٢٣٤.

(٣) سورة الحجرات آية (١٤).

(٤) سورة الحجرات آية (١٥).

إن قلتَ: العملُ ليس من الإيمان، فكيف ذكرَ أنه منه في هذه الآية؟

قلتُ: المرادُ منها الإيمانُ الكاملُ، أي إنما المؤمنون إيماناً كاملاً، كما في قوله تعالى «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ». وقوله ﷺ: «المسلمُ من سَلِمَ المسلمونَ من لسانِهِ ويدِهِ»[1].

«تمت سورة الحجرات»

* * *

سُورَة قٓ

١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قٓ. وَالقُرْآنِ المَجِيدِ. بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ..﴾[2].

«قٓ» إذا جُعل اسماً للسورة، فهو خبرُ مبتدإٍ محذوفٍ أي هذه قٓ بالمعنى السابق في صٓ.

وإن جُعل قَسَماً فجوابُه مع ما عُطفَ عليه محذوفٌ، تقديره: لتُبْعثُنَّ[3]، بدليل قوله «ذَلِكَ رَجْعٌ بعِيدٌ» أو لقد أرسلنا

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم. (٢) سورة قٓ آية (١- ٣).

(٣) هذا قسم حُذف جوابه أي أُقسم بالقرآن الكريم، ذي المجد والشرف الرفيع على سائر الكتب المنزَّلة، لتبعثنَّ يا معشر قريش بعد الموت.

محمداً، بدليل قوله «بل عجبوا أن جاءهم منذِرٌ منهم».

أو هو قولُه: «قَدْ عَلِمْنَا ما تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ» حذفت منه اللَّامُ لطول الكلام.

أو هو قولُه: «مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ».

٢ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الحَصِيدِ﴾[(٢)].

إن قلتَ: فيه إضافةُ الشيء إلى نفسه وهي ممتنعةٌ، لأن الإِضافة تقتضي المغايرةَ بينَ المُضَافِ والمُضَاف إليه؟

قلتُ: ليست ممتنعةً مطلقاً، بل هي جائزةٌ عند اختلاف اللفظيْنِ، كما في قوله «حقَّ اليقين» و«حبلَ الوريد» و«دارَ الآخرة».

وبتقدير امتناعها مطلقاً فالتقدير: حبَّ الزَّرعِ أو النباتِ الحصيد.

٣ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى المُتَلَقِّيانِ عَنِ اليمينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾[(٢)].

إن قلتَ: كيف قال «قَعِيدٌ» ولم يقل: قعيدان، إذْ أنه وصفٌ للملَكيْنِ المذكورين؟

قلتُ: معناه عن اليمين قعيدٌ، وعن الشمال قعيدٌ، لكنه

(١) سورة قٓ آية (٩). (٢) سورة ق آية (١٧).

حذف أحدهما لدلالة المذكور عليه، أو أن «فعيلاً» يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع، قال تعالى « والملائكةُ بعد ذلكَ ظهيرٌ » أو قال ذلك رعايةً للفواصل.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾.

قاله هنا بالواو، وقاله بعدُ بدونها[١]، لأن الأول خطابٌ للإنسانِ من قرينه ومتعلِّقٌ به، فناسب ذكرُ الواو، والثاني استئنافُ خطابٍ من الله، غير متعلقٍ بما قبله، فناسب حذفُها.

٥ ـ قوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾.

إن قلتَ: كيف ثنَّى الفاعل مع أنه واحدٌ، وهو مالكٌ خازنُ النَّارِ؟

قلتُ: بل الفاعلُ مثنَّى، وهما الملَكان اللَّذان مرَّ ذكرهما بقوله « وَجَاءَتْ كلُّ نفْسٍ معَها سَائِقٌ وشَهِيدٌ »، أو أنَّ تثنية الفاعل أُقيمت مقام تكرّر الفعل للتأكيد، واتّحادهما حكماً، فكأنه قال: أَلْقِ، أَلْقِ، كقول امرىء القيس: قفا نبكِ، أو أنَّ العرب أكثر ما يوافق الرجل منهم اثنين، فكثر على ألسنتهم خطابهما فقالوا، خليليَّ، وصاحبيَّ، وقِفَا، ونحوها.

٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾.

---

(١) في قوله تعالى﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾آية « ٢٧ ».

إن قلتَ: لَمَ لَمْ يقل: غير بعيدةٍ، لكونه وصفاً للجنة؟

قلتُ: لأن «فعيلاً» يستوي فيه المذكَّر والمؤنث، أو لأنه صفة لمذكَّرٍ محذوف أي مكاناً غير بعيد.

فإن قلتَ: ما فائدةُ قوله «غيرَ بعيدٍ» بعد قوله «وأُزلفت» بمعنى قُرِّبت؟

قلتُ: فائدته التأكيدُ، كقولهم: هو قريبٌ غيرُ بعيد، وعزيزٌ غير ذليل.

٧- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ..﴾ أي واعٍ، وإلا فكلُّ إنسانٍ له قلبٌ، بل كلُّ حيوانٍ، أو المرادُ بالقلب: العقلُ(١).

«تمت سورة قٓ»

* * *

سُورَة الذَّارِيَات

١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾.

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن الصَّادِق وصفُ

---

(١) عبَّر عن العقل بالقلب، لأنه موضعه كما قال تعالى ﴿فإنَّها لا تَعْمَى الأبْصَارُ ولكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ التي في الصُّدُورِ﴾ ومعنى الآية إن في ذلك لموعظة وعبرة، لمن كان له عقل يتدبر به، أو أصغى إلى الموعظة وهو حاضر القلب.

للواعد، لا لما يُوعَد؟

قلتُ: وُصف به ما يُوعد مبالغةً، أو هو بمعنى مصدوق، كعيشةٍ راضية[1]، وماءٍ دافق.

٢-قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ..﴾.

ختم الآية هنا بقوله «وعيونٍ. آخذينَ» وفي الطور بقوله «ونعيم. فاكهينَ» لأن ما هنا متَّصلٌ بما به يصلُ الإنسان إلى الجنَّات، وهو قوله « إنهم كانوا قبل ذلك محسنين » الآيات. وما في الطور متَّصلٌ بما يناله الإنسان فيها، وهو قوله « ووقاهم عذاب الجحيم. كلو واشربوا » الآية.

٣-قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي صنفين.

فإن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن العرش، والكرسي، واللوح، والقلم، لم يُخلق من كلٍ منها إلَّا واحد؟

قلتُ: معناه ومن كل حيوانٍ خلقنا ذكراً وأنثى، ومن كل شيء يشاهدونه خلقنا صنفين، كالليل والنهار، والنور والظلمة، والصيف والشتاء، والخير والشر، والحياة والموت، والشمس والقمر.

٤-قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

---

(١) أي عيشة مرضيَّة، وماء مدفوق، فاسم الفاعل جاء بمعنى اسم المفعول.

قاله هنا وبعدُ، وليس بتكـرارٍ، لأن الأول متعلق بترك الطاعة إلى المعصية، والثاني بالشركِ بالله.

٥- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

لا ينافي ذلك عدم عبادة الكافرين، لأن الغـاية لا يلزم وجودُها، كما في قولك: بريتُ القلم لأكتب به، فإنك قد لا تكتب به، أو لأن ذلك عامٌ أُريد به الخصوص، بدليل قوله تعالى «ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً مِن الجنِّ والإنس» ومَنْ خُلِق لجهنم لا يكون مخلوقاً للعبادة.

٦ -قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا أُرِيدُ مِنهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾.

إن قلتَ: ما فائدةُ تكرار لفظ «ما أُريد»؟

قلتُ: فائدته إفادةُ حكمٍ زائد على ما قبله، إذِ المعنى ما أريد منهم أن يطعموا أنفسهم، وما أريد منهم أن يُطعمـوا عبيدي، وإنما أضاف تعالى الإطعـام إلى نفسه، لأن الخلق عيالُه وعبيدُه، ومن أطعم عيال غيره فكأنه أطعمه، ويؤيده خبر «إن الله تعالى يقول يوم القيامة: يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني[١]»، أي استطعمك عبدي فلم تطعمه.

«تمت سورة الذاريات»

---

(١) الحديث أخرجه الشيخان، وله تتمة: إبنَ آدم مرضتُ فلم تعدني.. الخ.

سُورَة الطُّور

١ ـ قوله تعالى ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ .

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أنَّ الحورَ العينَ في الجنة، مملوكاتٍ ملكَ يمينٍ، لا ملك نكاح؟

قلتُ: معناه قرنَّاهم بهنَّ[1]،من قولك :زوَّجتُ إبلي أي قرنت بعضها إلى بعض، وليس من التزويج الذي هو عقدُ النكاح، ويؤيِّده أن ذلك لا يُعدَّى بالباء بل بنفسه، كما قال تعالى « زَوَّجْنَاكَهَا » .

٢ ـ قوله تعالى ﴿ كُلُّ امْرِىءٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ .

إن قلتَ: كيف قال تعالى في وصف أهل الجنة ذلك، مع أن المعنى : كل امرىءٍ مرهونٌ في النَّارِ بعمله؟

قلتُ: بل المعنى كلُّ نفس مرهونـةٌ بالعمـل الصالـح، الذي هي مطالبةٌ به، فإن عمل صالحاً فلها، وإلاَّ أوبقها، أو الجملةُ من صفاتِ أهل النار، معترضـةٌ بين صفـاتِ أهل الجنَّةِ. رُوي عن مقاتل أنه قال: معناه كلُّ امرىءٍ كافرٍ بما

---

(١) معنى الآية : جعلنا لهم قرينات صالحات ، وزوجات حساناً من الحواريين .

عمل من الكفر، مرتَهنٌ في النار، والمؤمن لا يكون مرتهناً، لقوله تعالى «كلُّ نفسٍ بما كسبتْ رهينةٌ. إلَّا أصحابَ اليمين..».

٣ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾.

قاله هنا وفي الإنسان[١] بالواو، عطفاً على ما قبلَه، وقاله في الواقعة[٢] بغير واوٍ، لأنه حالٌ أو خبرٌ بعد خبر.

٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾.

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن كلَّ أَحدٍ غيره كذلك؟

قلتُ: معناه فما أنتَ ـ بحمدِ اللَّهِ وإنعامِهِ عليكَ بالصِّدقِ والنبوَّة ـ بكاهنٍ ولا مجنون كما يقول الكفَّارُ، أو «الباءُ» هنا بمعنى «مع» كما في قوله تعالى «فَتَسْتَجيبونَ بِحمْدِهِ».

٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾. ذكر «أَمْ» خمس عشرة مرّة[٣]، وكلُّها إلزامات،

---

(١) في الإنسان ﴿ويطوفُ عليهم ولدانٌ مُخَلَّدونَ إذَا رأيتَهُمْ حسبتَهُمْ لُؤلُؤاً مَنْثُوراً﴾.

(٢) وفي الواقعة ﴿يطوفُ عليهم ولدانٌ مُخَلَّدونَ. بأكْوَابٍ وأَباريقَ وكَأْسٍ من مَعِينٍ﴾.

(٣) الاستفهام بـ«أم» في المواضع الخمسة عشر للتوبيخ والتقريع والإنكار، ففي كل مرَّة يسفِّهُ أحلامَهم، ويُزْري بعقولهم، وكأنَّ هؤلاء المشركين النوابغ، خُشبٌ مسنَّدة، لا يعقلون ولا يدركون.

ليس للمخاطَبِين بها عنها جوابٌ .

٦ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فإنَّكَ بَأَعْيُنِنَا.﴾[١]

معنى الجمع هنا: التفخيمُ والتعظيمُ، أي بحيث نراكَ ونحفظك، ومثلُه قوله تعالى «تجري بأعيننا» .

«تمت سورة الطور»

* * *

سُورَةَ النَّجْمِ

١ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ .

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن الضلالة والغِواية متَّحدتان؟

قلتُ: لا نُسلِّمُ اتحادَهما، إذ الضلالُ نقيضُ الهُدى، والغوايةُ

٢ـ قوله تعالى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾.

إن قلتَ: كيف أدخَلَ كلمةَ الشكِّ، وهو مُحالٌ عليه تعالى؟

قلتُ: «أو» للتخيير لا للشكِّ، أي إن شئتم قدِّروا ذلك القرب بقاب قوسين، أو بأدنى منهما، أو هي بمعنى «بلْ»، أو للتشكيك لهم في قدرِ القُربِ.

٣ـ قوله تعالى ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالعُزَّى. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ﴾.

إن قلتَ: «رأى» هنا من رؤية القلب، فأينَ مفعولُها الثاني؟

قلتُ: هو محذوفٌ تقديره: أفرأيتموها بناتِ اللَّهِ وأندادَه؟ والمعنى: أخبروني ألهذِه الأصنام قدرةٌ على شيءٍ ما فتعبدونها، دون القادر على كل شيء؟!

فإن قلتَ: كيف وصفَ الثالثة بالأُخرى، مع أنه إنما يُوصف بها الثانية، وظاهرُ اللفظِ يقتضي أن يكون قد سبق ثالثة، ثم لحقها أخرى، ليكون ثالثَتيْن؟

قلتُ: «الأُخرى» صفةٌ للعُزَّى، وإنما أخَّرها رعايةً

للفواصل، أو صفةُ ذمٍّ للاَّتِ، والعُزَّى، ومناة التي هي ثالثة اللَّتيْن قبلها، فالأُخرى على هذا من التأخر في الرتبة.

٤ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ..﴾.

قاله هنا وبعدُ، وليس بتكرار، لأن الأول متَّصلٌ بعبادتهم اللاَّت والعُزَّى ومناة، والثاني بعبادتهم الملائكة، والظنُّ فيها مذموم بقوله «إن الظَّنَّ لا يُغْني منَ الحقِّ شيئاً» أي لا يقوم مقام العلم.

فإن قلتَ: كيف لا يقوم مقامه، مع أنه يقوم مقامه في كثيرٍ من المسائل كالقياس؟

قلتُ: المرادُ هنا: الظنُّ الحاصلُ من اتّباع الهوى، دون الظنِّ الحاصلِ من الاستدلال والنظر، بقرينة قوله «إن يَتَّبعُونَ إلَّا الظنَّ وَمَا تَهْوى الأَنْفُسُ».

٥ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنسانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾

إن قلتَ: ثوابُ الصَّدقة، والقراءة، والحج، والدعاء، يصل إلى الميِّت، وليس من سعيه؟

قلتُ: ما دلَّت عليه الآية مخصوصٌ بقوم إبراهيم وموسى، وهو حكايةٌ لما في صحفهما، أمَّا هذه الأمة فلها ما

سَعَتْ وما سُعِيَ لها، أو هو على ظاهره، ولكنْ دعاءُ ولد الإنسانِ، وصديقه، وقراءتُهما وصدقتُهما عنه، من سعيهِ أيضاً، بواسطة اكتسابه القرابة، والصَّداقة، أو المحبَّة من الناس، بسبب التقوى والعملِ الصالح.

٦ـ قوله تعالى ﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكَ تَتَمارَى﴾ أي تشكُّ، والخطابُ فيه للوليد بن المغيرة.

فإن قلتَ: كيف قال تعالى ذلك، بعد تعديد النِّقَم، والآلاءُ النِّعَمُ؟

قلتُ: قد تقدَّم أيضاً تعديدُ النِّعم، مع أن النِّقْمة في طيِّها نعمة، لما تضمَّنته من المواعظ والزواجر، والمعنى: فبأيِّ نعم ربك، الدالَّة على وحدانيته، تشكُّ يا وليد بن المغيرة؟

«تمت سورة النجم»

❋ ❋ ❋

سُورَة القَمَر

١ـ قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا..﴾

إن قلتَ: ما فائدةُ إعادةِ التكذيب فيه؟!

قلتُ: فائدتُه حكايةِ الواقع، وهو أنهم كذَّبوا تكذيباً بعد تكذيب، أو الأولُ تكذيبهُم بالتوحيد، والثاني بالرسالة، أو الأول تكذيبُهم بالله، والثاني برسوله ﷺ.

٢ـ قوله تعالى ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾

إن قلتَ: القياسُ «فالتقى المَاءَانِ» ـ كما قُرِىَء به شاذاً ـ أي ماء السَّماءِ، وماءُ الأرض؟

قلتُ: أراد به جنس الماء، ووحَّده موافقةً لقوله قبلُ «بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ».

٣ـ قوله تعالى ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾.

إن قلتَ: كيف قال ذلك، والجزاءُ إنما يكونُ للكافر لا للمكفور؟

قلتُ: إن قُرِىء «كَفَرَ» بالبناء للفاعل شاذاً، فالخبرُ للكافر، أو بالبناءِ للمفعول، والأصلُ: كُفِرَ به، حُذف الجارُّ وأوصل بمجروره الفعل، فالجزاء للمكفور به وهو الله تعالى، أو نوحُ عليه السلام، والجزاء لكونه مصدراً [١] يُضافُ تارةً للفاعل، وتارةً للمفعول.

---

(١) في المصَّورة «قصد وانصاف» والصواب: مصدراً يُضاف كما في مخطوطة جامعة أم القرى.

٤ـ قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾. ذكّر وصفَ النخلِ هنا بـ«مُنْقَعِر» وأنَّثه في الحاقَّة بـ «خاوية»[1] رعايةً للفواصل فيهما، وجاز فيه الأمر نظراً إلى«لفظ»النخل تارةً فيُذكَّر، وإلى«معناه» أخرى فيُؤنَّث.

«تمت سورة القمر»

* * *

سُورَة الرَّحمٰن

١ـ قوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ المِيزَانَ﴾ .
قرنه برفع السَّماءِ، لأنه تعالى عدَّد نِعَمه على عباده، ومن أجَلِّها الميزان، الذي هو العدلُ،الذي به نظام العالم وقِوامُه.

وقيل: هو القرآن، وقيل: هو العقلُ، وقيل: ما يُعرف به المقاديرُ، كالميزان المعروف، والمكيال، والذراع[2].

إن قلتَ: ما فائدةُ تكرارِ لفظ الميزان ثلاث مرات، مع أن القياس بعد الأولى الإضمارُ؟

قلتُ: فائدتُه بيانُ أنَّ كلاًّ من الآياتِ مستقلة بنفسها، أو

---

(١) أشار إلى قوله تعالى: ﴿فَتَرى القَومَ فيها صَرْعى كأنهم أعجازُ نخلٍ خاوية﴾ .
(٢) هذا القول هو الأظهر، أي أمر بالميزان عند الأخذ والإعطاء، لينال الإنسان حقه وافياً كاملاً، فالميزان أساس التعامل بين البشر .

أن كلاً من الألفاظ الثلاثة مغايرٌ لكلٍ من الآخريْنِ، إذِ الأول ميزان الدنيا، والثاني ميزان الآخرة، والثالث ميزان العقـل[1].

فإن قلتَ: قولُه «أَلَّا تَطْغَوْا فِي المِيزَانِ» أي لا تجاوزوا فيه العدل، مُغْنٍ عن الجملتين المذكورتين بعده؟!

قلتُ: الطغيانُ فيـه: أخذُ الـزائِد، والإخسـارُ: إعطاء الناقص، والقسطُ: التوسط بين الطرفين المذمومين.

٢-قَوْلُهُ تَعَالَىٰ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[2].

ذُكر هنا إحدى وثلاثين مرَّة[3]، ثمانيةٌ منها ذُكرت عَقِب آياتٍ، فيها تعداد عجائب خلقِ الله، وبدائع صنعه، ومبدأ الخلق ومعادهم.

ثم سبعةٌ منها عقب آياتٍ، فيها ذكرُ النار وشـدائدهـا، بعدد أبواب جهنم، وحسن ذكر الآلاء عقبها، لأن من جملة الآلاء، دفـعُ البلاء وتـأخير العقـاب. وبعد هـذه السبعـة ثمانيةٌ، في وصف الجنتين وأهلها، بعددِ أبواب الجنة.

وثمانيةٌ أخرى بعدها في الجنتين، اللتيْنِ هما دون الجنتين

---

(١) في مخطوطة الجامعة«العقلُ» والأظهرُ أن المراد به العدل، فهو الأليق بذكر الميزان.

(٢) سورة الرحمن آية (١٣).

(٣) إنما كرِّرت الآية﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ في هذه السورة إحدى وثلاثين مـرَّة، تذكيراً للعباد بنعم الرحمن عليهم ليحمدوه ويشكروه، فعقب كل نعمة يخاطب العباد بقوله ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾؟ تنبيهاً لهم إلى نعمه الجليلة التي لا تُحصى.

الأولَيينْ، أخذاً من قوله تعالى «ومن دونهما جنتان». فمن اعتقد الثمانيةَ الأولى، وعمل بموجبها، استحقَّ هاتينِ الثمانتينْ من الله، ووقَاه السبعةَ السابقةَ.

٣-قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿خلَقَ الإنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالفَخَّارِ﴾ [١]
أي من طينٍ يابس لم يُطبخْ، له صلصلةٌ أي صوتٌ إذا نُقِر.

فإن قلتَ: كيف قال ذلك هنا، وقال في الحِجْر «من صلصالٍ من حَمَإٍ مسنونٍ» أي من طينٍ أسود متغيِّر، وقال في الصافات «من طينٍ لازبٍ» أي لازم يلصق باليد، وقال في آل عمران «كمثلِ آدمَ خَلَقه من تراب»؟!

قلتُ: الآياتُ كلُّها متفقةُ المعنى، لأنه تعالى خلقه من ترابٍ، ثم جعله طيناً، ثم حمأً مسنوناً، ثم صلصالاً [٢].

٤-قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿رَبُّ المَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ المغربَيْنِ﴾.

إن قلتَ: لَمَ كرَّر ذكر الربِّ هنا، دون سورتيْ: المعارج، والمزمِّل؟

قلتُ: كرَّره هنا تأكيداً، وخص ما هنا بالتأكيد لأنه موضع

---

(١) سورة الرحمن آية (١٤).

(٢) هذه مراحل وأطوار في خلق الإنسان، وفي كل سورة إشارة إلى بعض هذه الأطوار، فإنه تعالى أخذه من تراب الأرض، فعجنه بالماء فصار طيناً لازباً أي متلاصقاً يلصق باليد، قم تركه حتى صار حمأً مسنوناً أي طيناً أسود منتناً، ثم يبس فصار كالفخار له صوت وصلصلة.

الامتنان، وتعديد النِّعم، ولأن الخطاب فيه من جنسين هما: الإنس، والجنِّ، بخلاف ذَيْنك.

٥ـ قوله تعالى ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ [١]. أي سنقصد لحسابكم، فهو وعيدٌ وتهديدٌ لهم، فالفراغ هنا بمعنى القصدُ للشيء، لا بمعنى الفراغ منه، إذ معنى الفراغ من الشيء، بذلُ المجهود فيه، وهذا لا يُقال في حقه تعالى.

٦ـ قوله تعالى ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ . أي ولمن خاف قيامه بين يديْ ربه، والمعنى لكل خائفٍ من الفريقين جنتان: جنةٌ للخائف الإنسيّ، وجنةٌ للخائف الجنيِّ، أو المعنى لكل خائفٍ جنتان: جنةٌ لعقيدته، وجنةٌ لعمله، أو جنةٌ لفعل الطاعات، وجنةٌ لترك المعاصي ، أو جنةٌ يُثَابُ بها، وجنةٌ يتفضَّل بها عليه، أو المرادُ بالجنَّتيْنِ جنةٌ واحدة، وإنما ثنَّى مراعاةً للفواصل.

٧ـ قوله تعالى ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [٢] جمع الضمير [٣] مع أن قبله جنتان،

---

(١) الآية وردت مورد الوعيد والتهديد أي ستتفرغ لكم ونتجرد لحسابكم يا معشر الإنس والجن ، وهذا على طريقة العرب في أسلوب التهديد ، يقول الرجل لمن يتوعده : سأفرغ لك أي سأتجرد للانتقام منك من كل ما يشغلني ، قال ابن عباس : هذا وعيدٌ وليس بالله تعالى شغل وهو فارغ، وأنظر أبن كثير ٣/٤١٩ .

(٢) الأظهر أن المعنى : لكل عبدٍ منيبٍ خائف من الله جنتان : جنّةٌ لسكنه ، وجنة لزوجاته وخدمه ، كما هو حال الملوك والعظماء في الدنيا ، حيث يكون له قصر ، ولزوجاته قصر ، زيادة في الرفاهية والتنعم .

(٣) المرادُ بالضمير قوله« فيهنَّ» فقد جاء بصيغة الجمع لا التثنية مع أن ما قبله مثنًى .

لرجوعه إلى الآلاء المعدودة في الجنتين، أو إلى الجنتين، لكن جمعه لاشتمالهما على قصورٍ ومنازل، أو إلى المنازل والقصور التي دلَّ عليها ذكرُ الجنَّتَيْنِ، أو إلى الفُرُش لقربها، وتكون «في» بمعنى «على» كما في قوله تعالى «أَمْ لهمْ سُلَّمٌ يَسْتمعُونَ فِيهِ» أي عليه، وقوله تعالى «لَمْ يَطْمثْهُنَّ إنسٌ قَبْلهمْ وَلاَ جَانٌّ» أي لم يفتضَّ الإنسيَّاتِ إنسيٌّ، ولا الجنيَّاتِ جنيٌّ.

«تمت سورة الرحمن»

* * *

سُورَة الوَاقِعَة

١- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُوْلَئِكَ المُقَرَّبُونَ﴾**(١) فائدة التكرار فيه التأكيدُ، في مقابلة التأكيد في **﴿وأَصْحَابُ المَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ المَيْمَنَةِ﴾** **﴿وَأَصْحَابُ المَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ المَشْأَمَةِ﴾** كأنه قال: هم المعروفُ حالُهم، المشهورُ وصفهم.

أو المعنى: والسابقون إلى طاعة الله، هم السابقون إلى رحمته وكرامته. . **ثم قيل** المرادُ بهم: السابقون إلى الإيمان من كل أمة، **وقيل**: الذين صلُّوا إلى القبلتيْنِ، **وقيل**: أهل القرآن، **وقيل**: السابقون إلى المساجد، وإلى الخروج في

---

(١) سورة الواقعة آية (١١).

سبيل الله، وقيل: هم الأنبياءُ.

٢ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ (٢).

إن قلتَ: كيف قال ذلك مع أن التخليد لا يختصُّ بالولدانِ في الجنة؟

قلتُ: معناه أنهم لا يتحوَّلون عن شكل الولدان، والمرادُ بهم هنا ولدانُ المسلمين،الذين يموتون صغاراً ولا حسنة لهم.

وقيل: ولدانٌ على سنٍّ واحدٍ، أنشأهم الله لأهل الجنة، يطوفون عليهم، من غير ولادة، لأن الجنة لا ولادة فيها، وقيل: أطفالُ المشركين وهم خدمُ أهل الجنة.

٣ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ (١).

أي فهلَّا تُصدِّقون بأنَّا خلقناكم!!

إن قلتَ: كيف قال ذلك مع أنهم مصدِّقون بذلك، بدليل قوله تعالى «وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ».

قلتُ: هم وإنْ صدَّقوا بألسنتهم، لكنْ لما كان مذهبهم خلافَ ما يقتضيه التصديقُ، كانوا كأنهم مكذبون به، أو أن ذلك تحضيضٌ على التصديق بالبعث بعد الموت، بالاستدلال بالخلق الأول، فكأنه قال: هو خلقكم أولاً باعترافكم فلا يمتنع عليه أن يعيدكم ثانياً، فهلَّا تُصدِّقون بذلك!!

سورة الواقعة آية (١٧). (٢) سورة الواقعة آية (٥٧).

٤ـ قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾؟! ﴿أَفَرَأَيْتُم مَا تَحْرُثُونَ﴾؟! ﴿أَفَرَأَيْتُمُ المَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾؟! ﴿أَفَرَأَيْتُمُ ٱلنَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ (١)

بدأ بذكر خلق الإنسانِ، ثم بما لا غنى له عنه، وهو الحبُّ الذي منه قوته، ثم بالماء الذي به سوغُه وعجنُـه، ثم بالنَّـارِ الذي بها نضجُه وصلاحُه، وذكرَ عَقِبَ كلٍ من الثلاثة الأولى ما يُفسده، فقال في الأولى« نحنُ قدَّرنـا بينكُمُ الموْتَ» وفي الثانية«لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلناهُ حُطَاماً» وفي الثالثة «لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً» ولم يقل في الرابعة ما يُفسدها، بـل قال: «نحنُ جَعَلْنَاها تَذْكِرَةً وَمَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ » أي جعلناها تذكرة تتعظون بها، ومتاعاً للمسافرين ينتفعون بها.

٥ـ قوله تعالى ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾

ذَكَـرَ في جواب «لـو» في الزرع اللاَّم عملاً بـالأصـل، وحذفها منه في الماء اختصاراً لدلالة الأول عليه، أو أن أصل هذه اللام للتأكيد، وهو أنسبُ بالمطعوم، لأنه مقدَّمٌ وجوداً ورُتبةً على المشروب.

---

(١) سورة الواقعة آية (٧١) الآيات وردت لإقامة الأدلة والبراهين على وجود الله، ووحدانيته وكمال قدرته في بدائع خلقه وصنعه، وذلك في خلق الإنسان، وإخراج النبات من الأرض، وإنزال الماء من السماء، وما أودعه الله من القوة في النار، وهي من الشجر الأخضر، فسبحان الواحد القهار!!

٦- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ﴾ أي نزِّهْ ربَّك فقوله«باسم» زائدٌ، أو المعنى: نزِّهْ اسم ربك، فالباء زائدةٌ والاسم باقٍ على معناه، أو هو بمعنى الذات، أو بمعنى الذِّكر، أو الباءُ متعلقةٌ بمحذوفٍ.

والمرادُ بالتسبيح الصلاةُ[1] وباسم ربك: التكبيرُ، أي افتتحْ الصلاةَ بالتكبير.

٧ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ .فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ .

إن قلتَ: القرآن صفةٌ قديمةٌ قائمةٌ بذات الله تعالى، فكيف يكون حالاً في«كتابٍ مكنون» أي لوحٍ محفوظ، أو مصحفٍ؟!

قلتُ: لا يلزم من كتابته في كتابٍ حلوله فيه، كما لو كتب على شيء ألف دينارٍ، لا يلزم منه وجودها فيه، ومثله قوله تعالى«الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ» . فثبتَ أنه ليس حالاً في شيءٍ من ذلك، بل هو كلام اللّهِ تعالى، وكلامُه صفةٌ قديمةٌ قائمةٌ به لا تفارقه.

فإن قلتَ: إذا لم تفارقْه فكيف سمَّاه منزَّلاً؟

قلتُ: معنى« إنزاله تعالى له » أنه علَّمه جبريل، وأمَره أن يعلِّمه النبي ﷺ، ويأمره أن يُعلِّمه لأمته، مع أنه لم يزل ولا يزال صفةً للّهِ تعالى قائمةً به لا تفارقه.

---

(١) الأظهر أن التسبيح على حاله، يراد به ذكر الله تعالى على الدوام.

سُـورَة الحَـديد

١ـ قوله تعالى ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ . .﴾

عبَّر هنا وفي الحشر والصفِّ بالماضي [(١)]، وفي الجمعة [(٢)] والتغابن بالمضارع، وفي الأعلى بالأمر [(٣)]، وفي الإسراء بالمصدر [(٤)]، استيعاباً للجهات المشهورة لهذه الكلمة، وبدأ بالمصدر في الإسراء لأنه الأصلُ، ثم بالماضي لسبق زمنه، ثم بالمضارع لشموله الحال والمستقبل، ثم بالأمر لخصوصه بالحال مع تأخره في النطق به في قولهم: فَعَلَ، يَفْعَل، افعَلْ، وقوله «ما في السَّمٰوَاتِ والأرض» قاله هنا بحذف «ما» موافقةً لقوله بعدُ «خَلَقَ السَّمٰواتِ وَالأَرْضَ» و«لـه مُلْكُ السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ» وقاله في الحشر، والصفّ، والجمعة، والتغابن بإثباتها عملاً بالأصل.

---

(١) قال تعالى في الحشر ﴿سَبَّحَ للَّهِ ما في السَّمَوَاتِ وما فِي الأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحكيمُ﴾

(٢) وقال في الجمعة ﴿يُسَبِّحُ للهِ ما في السمواتِ وما في الأَرْضِ . .﴾ الآية.

(٣) وقال في الأعلى ﴿سبح اسمَ رَبِّكَ الأعلَى﴾

(٤) وقال في الإسراء ﴿سبحانَ الذي أسرى بعبده ليلاً . .﴾ الآية. وكل ذلك لينبهنا تعالى على أنه تعالى ينزهه كل ما في الكون، في الماضي، والحاضر، والمستقبل، وبجميع صيغ التسبيح، بشتى صور التسبيح والتنزيه.

٢ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَـهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ . . ﴾ الآية.

ذكره مرتين وليس بتكرارٍ، لأن الأول في الدنيا لقوله عَقِبه «يُحْيِي ويُمِيتُ»

والثاني في العُقبى لقوله عَقِبَه« وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ».

٣ـقَوْلُهُ تَعَالَىٰ﴿لايَسْتَوِي مِنْكُمْ مِنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وقَاتَلَ . . ﴾ تقديره: من أنفق وقاتل قبلَ الفتح، ومن أنفق وقاتَلَ بَعده، لأن الاستواء إنما يكون بين اثنين فأكثر، وإنما حذفه لدلالة ما بعده عليه.

٤ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِـكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ﴾ سمَّاهم شهداءَ تغليباً، أو المرادُ لهم أجرُ الشُّهداء، وإلا فبعضُهم لم يُقتل حتى يكونَ شَهيداً.

٥ـقَوْلُهُ تَعَالَىٰ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ . . ﴾ الآية

قاله هنا، وقال في التغابن« ما أصابَ من مصيبةٍ إلَّا بإذنِ اللَّهِ» فصَّل هنا، وأجمل ثَمَّ، موافقةً لما قبلهما، لأنه فصَّل هنا بقوله«اعلمُوا أنَّما الحياةُ الدنيا» الآية، بخلافه ثَمَّ.

٦ـقَوْلُهُ تَعَالَىٰ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ . . ﴾ ليس المرادُ به الانتهاء عن الحزن والفرح،اللَّذينَ

لا ينفكُّ عنهما الإنسانُ بطبعه، بل المرادُ الحزنُ المخرجُ لصاحبه إلى الذُّهول، عن الصبر والتسليم لأمر الله تعالى، والفرحُ الملهي عن الشكر، نعوذ بالله منهما.

٧ـ قوله تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ وَالمِيزَانَ . . ﴾

المرادُ بالميزان: العدلُ أو العقل، وقيل: هو الميزان المعروف، أنزله جبريل عليه السلام، فدفعه إلى نوح عليه السلام وقال له: مرْ قومَك يزنوا به.

٨ـ قوله تعالى: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وآمِنُوا بِرَسُولِهِ. . ﴾.

إن قلتَ: كيف قال ذلك مع أن المؤمنِين مؤمنون برسوله؟!

قلتُ: معناه يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد ﷺ، فيكون خطاباً لأهل الكتابِ خاصة، أو معناه: يا أيها الذين آمَنوا يوم الميثاق، آمِنوا باللَّه ورسوله اليوم، أو يا أيها الذين آمنوا في العلانية باللسان، اتقوا الله وآمنوا برسوله في السِّر بتصديق القلب [١].

«تمت سورة الحديد»

---

(١) الأرجح أن المراد: اثبتوا على الإيمان وواظبوا عليه، باتباع شريعة نبيِّه محمد ﷺ، فهو كقوله تعالى ﴿يا أيها الذينَ آمَنُوا آمِنُوا باللَّهِ ورسُولِهِ. . ﴾ الآية، أي اثبتوا على إيمانكم.

سُورَة المجَادلة

١ـ قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ . . ﴾

قال ذلك هنا، وقال بعده «وَالذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ» لأن الأول خطابٌ للعرب خاصة، وكان طلاقهم في الجاهلية الظهار، والثاني بيان أحكام الظهار للنَّاسِ عامة.

٢ـ قوله تعالى ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .

ختمه هنا بـ «أليمٌ» وبعده بـ «مهينٌ» لأن الأول متَّصل بضدِّه وهو الإيمان، فتوعَّدهم على الكفر بالعذاب الأليم، الذي هو جزاء الكافرين، والثاني متصل بقوله «كُبِتوا» وهو الإذلالُ والإهانة، فوصف العذاب بمثل ذلك فقال «مهين» .

٣ـ قوله تعالى ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ . . ﴾ الآية.

إن قلتَ: لِمَ خصَّ «الثلاثة» و«الخمسة» بالذِّكر؟

قلتُ: لأن قوماً من المنافقين تحلَّقوا للتناجي، وكانوا بعدَّة العدد المذكور، مغايظةً للمؤمنين، فنزلت الآية [1] بصفة حالهم عند تناجيهم، أو لأن العدد الفرد أشرفُ من الزوج، لأن الله تعالى وترٌ يحبُّ الوتر، فخُصِّص العددان المذكوران بالذّكر، تنبيهاً على أنه لا بدَّ من رعاية الأمور الإلَهية في جميع الأمور، ثم بعدد ذكرهما زيد عليها ما يعمُّ غيرهما من المتناجين بقوله«وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ» تعميماً للفائدة.

٤ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي أنهم كاذبون.

إن قلتَ: ما فائدةُ الإخبار عنهم بذلك؟

قلتُ: فائدتُه بيانُ ذمِّهم بارتكابهم اليمين الغموس.

«تمت سورة المجادلة»

---

(١) غرض الآية أنه تعالى لا يخفى عليه سرٌ ولا علانية، فإنه لا يحدث سرٌ أو كلامٌ في الخفاء، بين ثلاثة أشخاص إلا كان الله رابعهم بعلمه، يعلم ما يتحدثون ويتهامسون به، ولا يقع حديثٌ ولا مناجاة بين خمسة أشخاص، إلَّا كان الله معهم بعلمه، والمرادُ بالمعيَّة معيَّةُ العلم لا معيَّةُ الذات، ومما يدلُّ عليه أن الله تعالى بدأ الآية بالعلم فقال﴿أَلم تر أنَّ اللَّهَ يعلمُ﴾ وختمها بالعلم فقال﴿إنَّ اللهَ بكل شيءٍ عليمٌ﴾،قال ابن كثير:وقد حكى غير واحدٍ الإجماع على أن المراد بالمعيَّة في هذه الآية، معية علمه تعالى، ولا شك في إرادة ذلك، فسمعه مع علمه محيطٌ بهم، لا يغيب عنه من أمورهم شيء. المختصر ٣/ ٤٦١.

سُورَة الحَشْر

١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ . . ﴾ الآية.

قاله هنا بالواو، عطفاً على قوله تعالى «مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ» وقاله بعد بحذفها [١]، لأنه مستأنفٌ عمَّا قبلهِ.

٢ ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ . . ﴾ ـ «الدَّارَ» أي المدينة اتخذوها منزلاً، فقولُه بعده «وَالإِيمَانَ» منصوبٌ بـ«تبوَّءوا» بتضمنه لزموا، أو بمقدَّر أي واعتقدوا»، أو وأخلصوا، أو واختاروا الإيمان، لأن الإيمان لا يُتَّخذُ منزلاً، فهو على الثاني من باب «علفتُها تِبْناً وماءً بارداً» أو منصوب بتبوءوا بلا تضمين، على أنه مجازٌ، بجعله منزلاً لهم، لتمكنهم فيه كتمكنهم في المدينة، ففي «تبوَّءُوا» جمعٌ بين الحقيقة والمجاز، وهو جائزٌ عند الشافعي رضي الله عنه.

---

(١) في قوله تعالى ﴿ما أَفاء الله على رسُولِهِ من أهلِ القُرى . . ﴾ آية (٧).

(٢) معنى الآية: والذين اتخذوا المدينة منزلاً وسكناً، واعتقدوا الإيمان وأخلصوه، وهم الأنصار رضوان الله عليهم.

٣- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ..﴾

إن قلتَ: «إنْ» الشرطية إنما تدخل على ما يحتمل وجوده وعدمه، فكيف قال تعالى ذلك، مع إخباره بأنهم لا ينصرون؟

قلتُ: معناه: ولئن نصروهم فَرْضاً وتقديراً، كقوله تعالى لنبيه ﷺ. «لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ».

٤- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي أشدُّ خوفاً في صدور المنافقين أو اليهود، وظاهرُه لأنتم أشدُّ خوفاً من الله تعالى.

فإن قلتَ: إن عُلِّق قولُه «من الله» بأشدَّ، لزم ثبوتُ الخوف للَّهِ وهو مُحال، أو بالرهبة لزم كونُ المؤمنين أشدَّ خوفاً من المذكورين، وليس مراداً؟

قلتُ: الرهبةُ مصدر «رُهِب» بالبناء للمفعول هنا، فالمعنى أشدُّ موهوبيةً، يعني أنكم في صدورهم أهيبُ من كونِ الله تعالى فيها، ونظيرُه قولُك: زيدٌ أشدُّ ضرباً في الدار من عمرو، يعني مضروبيةً.

٥- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾

ختمه هنا بقوله«لا يفقهون» وبعده بقوله« لا يعقلون» (١) لأن الأول متصل بقولـه«لأنتُمْ أشدُّ رهْبَـةً في صُدُورِهِمْ منَ اللَّهِ» أي لأنهم يفقهون ظاهـر الشيء دون باطنـه، والفقهُ معرفةُ الظاهر والباطن، فناسب نفيُه الفقه عنهم.

والثاني متَّصلٌ بقوله«تَحْسبُهم جَميعاً وقلوبُهُمْ شَتَّى» أي لو عقلوا لاجتمعوا على الحقِّ ولم يتفرَّقوا، فناسب نَفيُ العقلِ عنهم.

إن قلتَ: كيف يستقيم التفضيلُ بأشدِّيةِ الرهبة، مع أنهم لا يرهبون الله، لأنهم لو رهبوه لتركوا النفاق والكفر؟!

قلتُ: معناه أن رهبتَهم في السرِّ منكم، أشدُّ من رهبتهم من الله تعالى، التي يظهرونها لكم، وكانوا يُظهرون للمؤمنين رهبةً شديدةً من الله تعالى.

٦-قَوْلُهُ تَعَالَىٰ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ . .﴾ أي ليوم القيامة، وفائدة تنكيرِ النَّفْس، بيانُ أنَّ الأنفس النـاظرة في معادها قليلةٌ جداً، **كأنه قيل**: ولْتنظرْ نفسٌ واحدةٌ في ذلك، وأين تلك النَّفسُ!! وفـائدةُ تنكـير«الغَدِ» تعـظيمُه، وإبهـامُ أمره، كأنه قيل: لا تعرف النفسُ كُنْه عَظَمتِهِ وهولِه، فالتنكيرُ فيه للتعظيم، وفي النَّفس للتقليل.

---

(١) أشار إلى قوله تعالى﴿تحسبُهم جميعاً وقلوبُهم شتَّى ذلِكَ بأنهُمْ قومٌ لا يعقلون﴾

فإن قلتَ: الغَدُ اليومُ الذي يعقب ليلتك، فكيف أُطلق على يوم القيامة؟

قلتُ: الغَدُ له معنيان: ما ذكرتم، ومطلقُ الزمان المستقبل، كما أن للأمسِ معنيينْ مقابلين لما ذكرنا، **وقيل**: إنما أطلق الغد على يوم القيامة تقريباً له، لقوله تعالى «وما أمرُ السَّاعةِ إلاَّ كلمح البصرِ» فكأنه لقربه أشبهَ اليومَ الذي يعقب ليلتك.

٧ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا القُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً. .﴾ الآية، أي لو جعلنا في جبلٍ ـ على قساوته ـ تمييزاً كما في الإنسانِ، ثم أنزلنا عليه القرآن، لتَشقَّق خشيةً من الله تعالى، وخوفاً ألاَّ يؤدي حقه في تعظيم القرآن.

والمقصودُ تنبيهُ الإنسان على قسوة قلبه، وقلَّةِ خشوعه عند تلاوة القرآن، وإعراضِه عن تدبر زواجره.

٨ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ اللَّهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصوِّرُ..﴾

الخالقُ: هو الذي قدَّر ما يوجده، **والبارئ**: هو الذي يُميِّز بعضَه عن بعضٍ بالأشكال المختلفة.

وقيلَ: الخالقُ: المبدي، والبارئ: المعيدُ.

«تمت سورة الحشر»

* * *

سُورَة المُمْتَحِنَة

١ـ قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بالمَوَدَّةِ﴾

بدأه هنا بـ«تُلْقُونَ» وبعده بـ«تُسِرُّونَ» تنبيهاً بالأول على ذمِّ مودَّة الأعداء، جهراً وسِرّاً، وبالثاني على تأكيد ذمِّها سرًّا، وخص الأول بالعموم لتقدمه ،**وباءُ** «بالمودَّة» زائدةٌ، **وقيل**: سببيَّةٌ، والمفعولُ محذوفٌ والتقديرُ: يُلْقون إليهم أخبار النبي ﷺ، بسبب المودَّة التي بينكم وبينهم.

٢ـ قوله تعالى ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ. . ﴾

قاله هنا بتأنيثِ الفعل مع الفاصل، لقربه وإن جاز التذكيرُ، وأعاده في قوله« لَقَدْ كَانَ لكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» بتذكيره مع الفاصل، لكثرته وإن جاز التأنيثُ، وإنما كـرَّر ذلك لأن الأول في القول، والثاني في الفعل، **وقيل**: الأول في إبراهيم، والثاني في محمد ﷺ.

٣- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ. .﴾ مستثنى من قوله «أسوةٌ حسنةٌ» وقولُه «وَمَا أملِكُ لكَ من اللَّهِ منْ شيْءٍ» ليس مستثنى، وإنما ذُكر لكونه من تمام قول إبراهيم عليه السلام، كأنه قال: أنا أستغفر لك، وليس في طاقتي إلَّا الاستغفار[1].

«تمت سورة الممتحنة»

* * *

سُورَة الصَّفّ

١- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾

فائدةُ ذكر «قد» التأكيدُ أو التكثيرُ، كما تكون للتقليل[2].

---

(١) أمر الله تعالى المؤمنين بالاقتداء بالخليل إبراهيم عليه السلام، في عداوة المشركين والتبرؤ منهم، إلا في استغفار إبراهيم لأبيه، لأنه إنما استغفر له رجاء إسلامه، فلما ظهر له عدواته لله تبرأ منه، كما قال تعالى ﴿فلما تَبيَّنَ لهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ . .﴾ .

(٢) الأصل أنَّ «قد» إذا دخلت على الماضي تفيدُ التحقيق مثل ﴿قدجَاءكُمْ منَ اللَّهِنُورٌ﴾ وإذا دخلت على المضارع تفيد التقليل كقولهم: قد يجود البخيلُ، وقد ينزلُ المطر، ولكنها في القرآن الكريم تفيد التأكيد والتحقيق، سواءً دخلت على الماضي أو المضارع كقوله ﴿قَدْ يعلمُ الله﴾ .

٢ـ قوله تعالى ﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾

إن قلتَ: كيف خصَّ عيسى «أحمد» بالذكر دون «محمد» مع أنه أشهر أسماء النبي ﷺ؟

قلتُ: خصَّه بالذّكر لأنه في الإنجيل مسمَّى بهذا الإسم، ولأن اسمه في السَّماء أحمد[١]، فذُكر باسمه السَّماوي، لأنه أحمدُ النَّاسِ لربه، لأن حمده لربه بما يفتحه الله عليه يوم القيامة من المحامد، قبل شفاعته لأمته، سابقٌ على حمدهم له تعالى، على طلبه الشفاعة من نبيّه ﷺ لهم.

٣ـ قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إلى الإسلامِ﴾

قاله هنا بتعريف الكذب، إشارةً إلى قول اليهود «هَـذَا سِحْرٌ مبينٌ»

وقاله في مواضع بتنكيره[٢]، جرياً على الأكثر، من استعمال المصدر مُنَكَّراً.

---

(١) أخرج البخاري ومسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناسُ على قدمي، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا العاقب» أي الذي لا نبي بعده.

(٢) كقوله تعالى ﴿وَمَنْ أظلمُ ممن افترى على الله كذباً أو كذَّب بآياته..﴾

٤ـ قوله تعالى ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ . . ﴾

اللاَّم زائدةٌ للتأكيد في مفعول «يريد» وأصلُهُ يُريدون أن يُطفئوا، كما في براءة(١)، أو تعليلية والمفعولُ محذوفٌ تقديره: يريدون إبطال القرآن ليطفئوا.

٥ـ قوله تعالى ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ . . ﴾

مجزومٌ جواباً للأمر، المأخوذ من «تُؤمنون» أو جواباً للاستفهام في قوله «هَلْ أَدلُّكُمْ على تِجَارةٍ»؟ أو مجزومٌ بشرطٍ مقدَّر أي تُؤمنوا يغفرْ لكم.

٦ـ قوله تعالى ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ الآية.

إن قلتَ: ظاهرُهُ تشبيهُ كونهم أنصار الله بقول عيسى عليه السلام «مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ» وليس مراداً؟!

قلتُ: التشبيهُ محمولٌ على المعنى تقديره: كونوا أنصارَ اللَّهِ كما كانَ الحواريون أنصاراً لعيسى حين قال لهم: من أنصاري إلى اللَّهِ؟

«تمت سورة الصف»

* * *

---

(١) في براءة ﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ﴾.

سُورَة الجُمُعة

١ـ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ﴾

إن قلتَ: ما وجهُ التقييدِ في بعث الرسول، بكونـهِ أمّياً منهم؟

قلتُ: مشـاكلةُ حـالـه لأحـوالهم، فيكـون أقـربَ إلى موافقتهم له، أو انتفاء سوء الظنّ عنه[1]، في أنَّ ما دعاهم إليه تعلَّمه من كتب قرأها، وحِكَمٍ تلاها.

٢ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ..﴾

المرادُ بالسعي هنا: القصدُ لا العَدْوُ[2] كقوله تعالى« وأن

---

(١) كما قال تعالى ﴿ وما كُنتَ تَتْلُو من قَبْلِهِ من كتابٍ ولا تَخُطُّه بِيَمِينِكَ ، إذاً لَارْتَابَ المُبْطِلُونَ ﴾ .

(٢) معنى العَدْوِ : الركضُ ، قال الحسن البصري رضي الله عنه : والله ما هو بالسَّعي على الأقدام ، ولكنه سعيٌ بالقلوب والنيَّة والخشوع ، ولقد نُهوا أن يأتوا الصلاة إلَّا وعليهم السكينةُ والوقار .

ليس للإنسانِ إلَّا ما سعى» وقول الداعي : وإليكَ نَسْعَى ونحفِدُ .

٣- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا . .﴾ فيه حذفٌ تقديره : وإذا رأوا تجارةً انفضُّوا إليها ، أو لَهْواً انفضُّوا إليه ، فَحُذِف الثاني لدلالة الأول عليه ، وقرأ ابن مسعودٍ : « انفضُّوا إليهما » وعليه فلا حذف .

«تمت سورة الجمعة»

* * *

سُورَة المُنَافِقُوْن

١-قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ أي في شهادتهم التي يعتقدونها ، فالتكذيبُ للشهادة لا للمشهود به .

٢-قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ ، «ذلِكَ بأنَّهمْ» أي المنافقين «آمنُوا ثُمَّ كَفَرُوا» أي آمنوا بألسنتهم ، وكفروا بقلوبهم ، فـ«ثُمَّ» للترتيب الإخباري لا الإيجادي .

٣-قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ ، «كُلّ» مفعول أول ليحسب ، و«عليهم» مفعولٌ

ثـانٍ له، والتقـديرُ: يحسبـون كل صيحـةٍ واقعـةً عليهم، وقولُه«العَدُوُّ» استئنافٌ، وقيل: هو المفعول الثاني ليحسب، وعليه فـ«عليهم» حالٌ.

٤-قوله تعالى ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾

ختمه هنا بـ«لا يفقهون» وبعده بـ«لا يعلمون»[١] لأن

سُورَة التّغَابُن

١ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ﴾

كرَّر «ما» هنا وفي قوله بعدُ «ويَعْلمُ ما تُسِرُّونَ ومَا تُعْلنونَ» تأكيداً وتعميماً للاختلاف، فناسبَ ذكرُ « ما » فيهما، لأن تسبيحَ ما في السَّمواتِ، مخالفٌ لتسبيح ما في الأرض، كثرةً وقلَّةً، ووقوعاً، من حيوانٍ وجماد، وأسرارُنا مخالفةٌ لعلانيتنا، فناسبذكرُ « ما » فيهما، ولم يكرّرها في قوله «يعلمُ ما في السَّمٰوَاتِ والأرضِ » لعدم اختلاف علمه تعالى، إذْ علمُه بما تحتَ الأرض، كعلمه بما فوقها، وعلمُه بما يكونُ كعلمِه بما كان، فناسب حذفها فيه.

٢ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾

قولُه « فكفَرُوا وتولَّوْا واسْتَغنَى اللَّهُ » مُرتَّبٌ على قولِهِ « ذَلِكَ بأنه كانتْ تَأْتيهِم رُسُلُهُمْ بالبيِّناتِ».

فإن قلتَ: ظاهرُه أن استغناءه بعد إتيانِ الرسل بالبيِّنات، مع أنه مستَغْنٍ دائماً؟!

قلتُ: معناه ظهر استغناؤه عن إيمانهم، حيث لم يُلجئْهم إليه مع قدرته على ذلك.

٣ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً. إلى قوله: أَبَداً﴾.

ذكر مثلَه في الطلاق(١)، لكنْ زادَ هنا «يُكَفِّرْ عنهُ سيِّئَاتِهِ» لأن ما هنا تقدّمه «أَبَشَرٌ يَهْدوننا» الآيات، وأخبر فيها عن الكفار بسيئاتٍ تحتاج إلى تكفيرٍ، فناسب ذكر «يُكفِّر عنه سيئاتِه» بخلاف ما في الطلاق لم يتقدَّمْه شيءٌ من ذلك.

٤ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ..﴾.

إن قلتَ: كيف قال ذلكَ، مع أن الهدايةَ سابقةٌ على الإيمان؟

قلتُ: ليس المرادُ يهدِ قلبه للإيمان، بل المرادُ يهده لليقين عند نزول المصائب، فيعلم أنَّ ما أخطأه لم يكنْ ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه، أو يهده للرضى والتسليم عند وجود

---

(١) أشار إلى قوله تعالى في الطلاق ﴿ومنْ يُؤمِنْ باللَّهِ ويعملْ صالحاً يُدْخِلْهُ جناتٍ تجري منْ تحتها الأنهارُ خالدينَ فيها أبداً قد أحسن الله له رزقاً﴾ الطلاق آية (١١).

المصائب، أو للاسترجاع عند نزولها بأن يقول: «إنَّا للَّهِ وإنَّا إليهِ رَاجِعُونَ».

«تمت سورة التغابن»

* * *

سُورَة الطَّلاَق

١ - قوله تعالى ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ..﴾.

إن قلتَ: كيف أفردَ نبيَّه بالخطاب، مع أنه جمعه مع غيره عقبه؟!

قلتُ: أفرده به أولاً لأنه إمامُ أمَّته[1]، وسادُّ مسدَّهم، أو معناه: يا أيها النبيُّ قل لأمتك إذا طلقتم النساء أي أردتم طلاق نسائكم فطلقوهن..الخ.

٢ - قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً..﴾.

ذكره ثلاث مرات، وختم **الأول** بقوله: «يجعلْ له مخرجاً ويرزقه من حيثُ لا يحتسبُ».

والثاني بقوله تعالى: «يَجْعلْ لهُ مِنْ أَمْرهِ يُسْراً».

والثالث بقوله تعالى: «يُكفِّرْ عنهُ سَيِّئاتِهِ ويُعْظِمْ لَهُ أجْراً».

---

(١) خُصَّ ﷺ بالنداء تعظيماً له، كما يُقال لرئيس القوم وكبيرهم: يا فلان افعلوا كذا وكذا، أي افعل أنت وقومك، فهو نداءٌ على سبيل التكريم والتعظيم.

إشارةً إلى تَعْداد النِّعم المترتِّبة على التَّقوى، من أنَّ اللَّهَ يجعلُ لمن اتَّقاه في دنياه، مَخْرجاً من كُرَب الدنيا والآخـرة، ويرزقه من حيثُ لا يخطُر بباله، ويجعل له في دنياه وآخرته من أمره يُسراً، ويكفِّر عنه فى آخرته سيّئاته، ويُعْظم له أجراً.

٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿وَإِنْ كُنَّ أُوْلَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾.

فائدةُ ذكر الغاية فيه، رفعُ توهّم أن النفقةَ تتقيَّدُ، بمضيِّ مقدارِ عدَّة الأقراء[1]، أو أنه إذا طالت مدَّةُ الحملِ، لا تجب النفقةُ من الإِطالة.

٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً﴾.

لا يُنافي قوله «إِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً» لأن «مع» بمعنى بعد، وإلَّا فيلزمُ اجتماعُ الضِّدين وهو محالٌ.

٦ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَـرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْـرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ. .﴾ الآية.

إن قلتَ: كيف قال فيها «فَحَاسَبْنَاهَـا حسَابـاً شَدِيـداً وعـذَّبناهـا عَذَابـاً نُكْراً» بلفظ المـاضي، مع أنَّ الحسـاب والعذاب المرتَّبيْنِ على العُتوِّ إنما هما في الآخرة؟

قلتُ: أتى بذلك على لفظ الماضي تحقيقاً له وتقريراً، لأن المنتظَر من وعدِ الله ووعيده، آتٍ لا محالة، ونظيره قوله تعالى «وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ».

«تمت سورة الطلاق»

---

(١) المراد بالأقراء: الحِيَض أو الأطهار على خلافٍ بين الفقهاء، والحكم في المطلقات مأخوذٌ من قوله تعالى ﴿والمطلّقاتُ يتربصْنَ بأنفسهنَّ ثلاثَةَ قُرُوءٍ﴾ البقرة آية (٢٢٨).

سُورَةُ التَّحْرِيم

١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ . . ﴾ .

إن قلتَ: إن كان المرادُ به الفردُ فأيُّ فردٍ هو، مع أنه لا يناسب جمع الملائكةِ بعده؟ أو الجمعُ فهلاَّ كُتِب في المصحف بالواو[1] ؟

قلتُ: هو فردٌ أُريد به الجمعُ كقوله تعالى «والمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِها» وقولهِ «ثُمَّ يُخرجُكُمْ طِفْلاً» أو هو جمعٌ لكنه كُتب في المصحف بغير واو على اللفظ، كما جاءت ألفاظ كثيرةٌ في المصحف على اللفظ، دون إصلاح الخطِّ.

٢ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿وَالمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ .

وُضِعَ فيه المفردُ موضع الجمع أي ظهراء، أو أن «فعيلاً» يستوي فيه الواحد وغيره كقعيد[2] .

٣ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ . . ﴾ الآية.

---

(١) يريد أن الأصل أن تكتب « وصالِحُو المؤمنين » بالجمع .

(٢) أشار إلى قوله تعالى : ﴿ عَنِ اليَمِينِ وعنِ الشِّمالِ قعيدٌ ﴾ قۤ آية (١٧) .

إن قلتَ: كيف أثبت الخيرية[1] لهنَّ بالصفات المذكورة بقوله «مسلماتٍ» إلى آخره مع اتِّصاف أزواجه ﷺ بها أيضاً؟

قلتُ: المرادُ «خيراً منكنَّ» في حفظ قلبه، ومتابعة رضاه، مع اتصافهنَّ بهذه الصفات المشتركة بينكنَّ وبينهنَّ.

فإن قلتَ: لِمَ ذكرَ الواو في «أبكاراً» وحذَفَها في بقية الصفات؟

قلتُ: لأن أبكاراً مباينٌ للثِّيبات، فذكِرَ بالواو لامتناع اجتماعهما في ذاتٍ واحدة، بخلاف بقية الصفات، لا تباين فيها فذُكرت بلا واوٍ.

فإن قلتَ: أيُّ مدحٍ في كونهنَّ ثيِّباتٍ؟!

قلتُ: الثَّيِّبُ تُمدح من جهة أنها أكثر تجربةً وعقلاً[2]، وأسرعُ حَبَلاً غالباً، والبكرُ تُمدح من جهة أنها أطهرُ وأطيبُ، وأكثرُ مداعبةً وملاعبةً غالباً.

٤ ـ قوله تعالى ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

فائدةُ ذكره بعد «لا يعصونَ اللَّهَ ما أمرهُمْ» التأكيدُ،

---

(١) في المخطوطة الخبرية وهو خطأٌ، وصوابُه ما ذكرناه.

(٢) قال ابن كثير: قسمهنَّ إلى نوعين، ليكون ذلك أشهى للنفس، فإن التنَوُّع يبسط النفس.

لاتحادهما صدقاً، أو التأسيسُ لاختلافهما مفهوماً، أو المرادُ بالأمر الأول: العباداتُ والطَّاعاتُ، وبالثاني: الأمرُ بتعذيب أهل النَّار.

٥ - قوله تعالى ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً..﴾.

لم يقل نَصُوحةً، لأن «فَعُولاً» يستوي فيه المذكَّروالمؤنَّث، كقولهم: امرأةٌ صبورٌ وشكور.

٦ - قوله تعالى: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ﴾.

فائدةُ قوله «منْ عِبَادنا» بعد عبدَيْنِ، مدحُهما والثناءُ عليهما، بإضافتهما إليه إضافة التشريف والتخصيص، كما في قوله تعالى «وعبادُ الرحمنِ» وقوله تعالى «فادخلي في عبادي» وفي ذلك مبالغةٌ في المعنى المقصود، وهو أن الإنسان، لا تنفعه عادةً إلَّا صلاح نفسه، لا صلاحُ غيره، وإن كان ذلك الغيرُ في أعلا المراتب.

٧ - قوله تعالى ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾.

إن قلتَ: القياسُ من القانتات، فلِمَ عَدَل عنه إلى القانتينَ؟

قلتُ: رعايةً للفواصل[1]، أو معناه من القوم القانتين.

«تمت سورة التحريم»

* * *

سُورَة المُلْك

١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾.

قدَّم الموتَ لأنه هو المخلوقُ أولاً، لقوله تعالى «وكُنتُمْ أَمْواتاً فأَحياكُمْ ثُمَّ يُميتكُمْ ثُمَّ يُحْييكُمْ».

٢ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ..﴾.

أي من خَلَل وعيبٍ، وإلاَّ فالتفاوتُ بين المخلوقاتِ، بالصِّغَرِ والكِبَر وغيرهما كثيرٌ.

٣ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿فَارْجِعِ البَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ﴾.

قال بعده: «ثُمَّ ارْجعِ البصَرَ كرَّتَيْنِ» قيل: أي مع الكرَّة الأولى، فتصير ثلاث مرَّاتٍ، والمشهورُ أنَّ المراد بهذه التثنيةِ

---

(١) المراد بالفواصل: أواخر الآيات الكريمة، فإن ما قبلها ﴿مع الداخلين﴾ ﴿القوم الظالمين﴾ فجاءت لفظة ﴿القانتين﴾ مراعاةً للفواصل ليبقى الكلام متناسقاً.

التكثيرُ، بدليل قوله تعالى «يَنْقَلِبْ إليْكَ البَصَرُ خَاسِئاً» أي ذليلاً «وَهُوَ حَسِيرٌ» أي كليلٌ، وهذان الوصفان لا يتأتَّيان بنظرتين ولا ثلاث، فالمعنى كرَّاتٍ كثيرةً، كنظيره في قولهم: لبَّيْكَ وسعدَيْكَ، وحنانَيْكَ ودوالَيْكَ، وهذا كذلك.

٤ ـ **قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ..﴾.**

ليس بتكرار مع قوله تعالى «أم أمنتم منْ في السَّمَاءِ أنْ يُرْسِلَ عليكُمْ حَاصِباً»، **لأن الأول** في تخـويفهم بخسف الأرض بهم، **والثاني** في تخويفهم بالحصْبِ من السماء، وقدَّم الأول، لأن الأرض التي جعلها اللهُ مقراً لهم، وعبدوا فيها غيره، أقربُ إليهم من السماء البعيدة عنهم.

إن قلتَ: كيف قال «مَنْ في السَّماءِ» مع أنه تعالى ليس فيها ولا في غيرها، بل هو تعالى منزَّهٌ عن كلِّ مكان؟!

قلتُ: المعْنى مَنْ ملكـوتُـه في السَّماء[1]،التي هي مسكنُ ملائكته، ومحلُّ عرشه وكرسيِّه، واللوحُ المحفوظ، ومنه تنزلُ أقضيتُه وكتُبُه.

تمت سورة المُلك»

---

(١) للَّهِ تعالى جهةُ العلوِّ المطلق، فهو تعالى على عرشه، وعرشُه قد أحاط بالسمواتِ والأرض، وإذا كان الكرسيُّ وهو أصغر من العرش، قد أحاط بالكون وبالسماء والأرض ﴿ وسع كرسيُّه السمواتِ والأرضَ ﴾ فكيف بالعرش العظيم ؟! فنجنح في مثل هذا الى التفويض والتسليم ، كما هو مذهب السلف .

سُورَة القَلَم

١ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿نٓ. وَالقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾.

يأتي فيهما ما مرَّ في سورة «صٓ» لكنَّ جواب القسم هنا مذكورٌ، وهو الجملة المنفية[1]، وفي جوابه يُعرف ممَّا مرَّ ثَمَّ.

٢ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يومَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ..﴾.

أي توبيخاً وتعنيفاً لهم على تركه في الدنيا، لا تكليفاً وتعبُّداً، إذْ لا تكليف في الآخرة.

٣ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ..﴾.

أي إلى الصلاة ﴿وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ أي صحيحون.

فإن قلتَ: الصحَّةُ ليست شرطاً في وجوبِ الصلاة؟

(١) الجملة المنفية هي قوله تعالى ﴿ما أنتَ بنعمةِ ربك بمجنون﴾.

قلتُ: المرادُ الخروجُ إلى الصلاة في جماعةٍ مشروطٌ بالصحة (١).

«تمت سورة القلم

* * *

سُورَة الحَاقَّة

١ ـ قوله تعالى ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾.

إنما لم يقل «صَرْصرَة» كما قال «عاتية» مع أن الريح مؤنثة، لأن الصَّرصر وصفٌ مختصٌّ بالريح، فأشبه باب «حائض، وطامث، وحامل» بخلاف عاتية فإنها غير الريح، من الأسماء المؤنثة يُوصف به.

٢ ـ قوله تعالى ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾.

«فيها» أي في تلك الليالي والأيام، متعلِّقٌ بصرعى لا بـ«ترى»، والرؤيةُ علميةٌ لا بصرية، لأنه ﷺ ما أبصرهم

(١) يُدعى الكفار حقيقة إلى السجود لرب العالمين، ولكنهم لا يستطيعون، لأن الله يسلب عنهم القدرة على السجود، لتزداد حسرتُهم، ويصبح ظهر أحدهم كأنه قطعة واحدة من الحديد لا ينثني، كما روى البخاريُ ومسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يسجد للهِ كلُّ =

صرعى فيها ولا رآهم، فصار المعنى: فتعلمهم صرعى فيها بإعلامنا، حتى كأنك تشاهدهم.

٣ ـ قوله تعالى ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ.. إلى قوله تعالى: يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنْكُمْ خافِيَةٌ﴾.

فإن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن المراد بهذه النفخة «النفخة الأولى» وهي نفخةُ الصَّعْقِ، والعرضُ إنما يكونُ بعد النفخةِ الثانية، وبين النفختيْنِ زمنٌ طويل؟

قلتُ: المرادُ باليومِ: الوقتُ الواسعُ الذي يقع فيه النفختان وما بعدهما.

٤ ـ قوله تعالى ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ﴾.

إن قلتَ: كيف عبَّر بأنه يظنُّ ذلك، مع أنه يعلمه؟!

قلتُ: الظنُّ مطلقٌ بمعنى العلم، كما في قوله تعالى «الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهمْ ملاقُوا رَبِّهمْ وأَنَّهمْ إليهِ رَاجِعُونَ»[1].

٥ ـ قوله تعالى ﴿فَلَيْسَ لَهُ اليَوْمَ هٰهُنَا حَمِيمٌ. وَلاَ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾.

= مؤمن ومؤمنةٍ، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعة، فيذهبُ ليسجد فيعودُ ظهرُه طبقا واحداً». فالآية وردت مورد التوبيخ للكفار حيث لم يعبدوا الله في الدنيا مع سلامة أبدانهم وصحة أجسامهم.

(١) الظنُّ: كما يأتي بمعنى الشكِّ يأتي بمعنى اليقين كما أشارت الآية الكريمة، والمعنى أنهم يوقنون أنهم ملاقوا ربهم، وكما في قوله تعالى ﴿وظنُّوا أنهم أُحيط بهم﴾ أي أيقنوا.

إن قلتَ: ما التوفيقُ بينه وبين قوله تعالى «لَيسَ لهمْ طَعَامٌ إلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ» وفي آخَر «إنَّ شجرةَ الزَّقُّوم طَعَامُ الأَثيمِ» وفي آخَر «أُوْلئِكَ مَا يَأكُلُونَ في بُطُونِهِمْ إلاَّ النَّارَ» ؟

قلتُ: لا منافاةَ إذْ يجوز أن يكون طعامُهم جميع ذلك، أو أنَّ العذاب أنواعٌ، والمعذبين طبقاتٌ، فمنهم أَكَلةُ غِسلين(١)، ومنهم أَكَلةُ الضَّريع، ومنهم أكلةُ الزقُّومِ، ومنهم أَكَلةُ النَّارِ، لكل بابٍ منهم جزءٌ مقسومٌ.

٦-قَوْلُهُ تَعَالَى﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ. وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾.

إن قلتَ: لِمَ ختمَ الأُولى بقلَّةِ الإيمانِ، والثانيةَ بقلَّةِ التذكّرِ؟

قلتُ: لأن من نَسَبَ النبيَّ ﷺ إلى أنه شاعرٌ، وأنَّ ما أتى به شعرٌ فهو كافرٌ، وأنَّ من نسبه إلى الكَهَانة فإنما نسبه إليها لقلَّةِ تذكُّرِهِ في ألفاظ القرآن، إذْ كلامُ الكهَنَةِ نثرٌ لا شعر، فناسبَ ختمَهُ بقلَّةِ التذكّر، وختمَ الأول بِقلَّةِ الإيمان.

«تمت سورة الحاقة»

---

(١) غسلين: صديدُ أهلِ النّار، الذي يسيلُ من جراحاتهم، وقال قتادة: شرُّ الطعامِ وأخبثُه وأبشعُه، والأول هو قول ابن عباس.

سُورَة المعَارِج

١ ـ قوله تعالى ﴿**إنَّ الإنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً**﴾ .

فسَّرَ «هَلُوعاً» بقوله «إِذَا مسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً . وإِذَا مسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً» .

فإن قلتَ: الإِنسانُ في حال خلْقه، لم يكن موصوفاً بذلك؟

قلتُ: «هَلُوعاً» حالٌ مقدَّرةٌ أي مقدَّرٌ في خلقه الهَلَعُ، كما في قوله تعالى «محلِّقينَ رءوسَكُمْ» أي لتدخلنَّ المسجد الحرام مقدرين حلق رءوسكم .

٢ ـ قوله تعالى ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ**﴾ .

ختمه هنا بقوله «دَائِمونَ» وبعدُ بقوله «يُحَافِظونَ» لأن المراد بدوامهم عليها، ألا يتركوها في وقتٍ من أوقاتها، وبمحافظتهم عليها، أن يأتوا بها على أكمل أحوالها[1]، من

(١) لما كانت الصلاة عمود الإسلام، بُولغ في التوكيد فيها، فذُكرت في أول الخصال التي =

الإتيان بها بجميع واجباتها وسُنَنها، ومنها الاجتهادُ في تفريغ القلب عن الوسوسة، والرياء، والسُّمْعةِ.

«تمت سورة المعارج»

* * *

سُورَة نُوحٍ

١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾.

خطابٌ لقوم نوحٍ عليه السلام.

فإن قلتَ: إن كان المرادُ تأخيرهم عن الأَجَل المقدَّر أزلاً فهو محالٌ، لقوله تعالى «ولنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نفْساً إِذَا جَاءَ أجلُهَا» أو تأخيرَهم إلى مجيء أجلِهم المقدَّر، فهم كغيرهم سواءً آمنوا أم لا؟

قلتُ: معناه يؤخركم عن العذاب إلى منتهى آجالكم[1]، على تقدير الإيمان، فلا يُعذّبكم في الدنيا إن وقع منكم ذنبٌ، كما عذَّب غيركم من الأمم الكافرة فيها، أو يؤخر موتكم كأن

= اتصف بها المؤمنون الصادقون، وفي آخرها، لينبهنا تعالى على عظيم شأنها، وجليل قدرها.

(١) معنى الآية: ﴿ويُؤَخِرْكُمْ إلَى أَجَلٍ مُسَمَّى﴾ أي يمدُّ في أعماركم إن أطعتم ربكم، إلى وقتٍ مقدَّرٍ ومقرّر في علمه تعالى، مع العيش السعيد، أو يمهلهم في الدنيا بدون عذاب إلى انتهاء آجالهم كما قال المصِّنف رحمه الله.

قضى الله بتعميركم ألف سنة إن آمنوا، وبخمسمائة سنة إن لم يُؤمنوا.

٢ - قوله تعالى ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ..﴾ أي من الشرك بالتوحيد.

٣ - قوله تعالى ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي..﴾.

قاله هنا بلا واوٍ، وقاله بعدُ بواوٍ[1]، لأن الأول استئنافٌ، والثاني معطوفٌ عليه.

٤ - قوله تعالى ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾.

ختمه بقوله «ضلالاً» موافقةً لقوله قبلُ «وقد أضلُّوا كثيراً» وختمه بعدُ بقوله «تَبَارا» أي هلاكاً، موافقةً لقوله قبل «لا تذرْ على الأرضِ من الكافرينَ دَيَّاراً».

٥ - قوله تعالى ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾.

إن قلتَ: كيف دعا نوحٌ على قومه بذلك، مع أنه أُرسل إليهم ليهديهم ويُرشدهم؟

قلتُ: إنما دعا عليهم بذلك، بعد أن أعلمه الله تعالى أنهم لا يُؤمنون[2].

---

(١) أشار إلى قوله تعالى ﴿وقال نوحٌ ربِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾.

(٢) كما قال تعالى: ﴿وَأُوْحِيَ إِلَى نوحٍ أَنَّه لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾.

٦ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً﴾ من كلام نوح.

فإن قلتَ: كيف وصفهم بالفجور والكفر حال ولادتهم، وكيف عرف أنهم لا يلدوا إلا فاجراً كفاراً؟!

قلتُ: وصفَهم بما يئولون إليه من الفجور والكفر، وعلِمَ ذلكَ بإعلام اللَّهِ إيَّاه[1].

«تمت سورة نوح»

* * *

سُورَةُ الجِنّ

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ . .﴾.

أي النبي ﷺ، وإنما عَدَلَ عنه إلى «عبدُ اللَّهِ»[1] تواضعاً، لأنه واقع موقع كلامه عن نفسه.

«تمت سورة الجن»

---

(١) يمكن أن يُقال: عرف ذلك بالاستقراء، فإنه مكث فيهم ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً، فعرف طباعهم وجرَّبهم، ورأى الأجداد والآباء والأحفاد ﴿كلما دخلت أمةٌ لعنتْ أختَها﴾ فلذلك حكم بكفرهم وفجورهم، وما أحسن ما قيل «هل تلدُ الحيَّةُ إلا الحيَّة»؟!

(٢) أعظم شرف لرسول الله ﷺ أن يكون عبداً لله، ولهذا تحدث القرآن الكريم عن الرسول فوصفه بلفظ العبودية ولم يذكره باسمه زيادةً في تشريفه وتكريمه ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً . .﴾ وهكذا.

سُـورَة المـُزَّمِّل

١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ .

وصفَ القرآنَ بالثِّقَل ، لثِقله بنزول الوحي على نبيِّه، حتى كان يعرَقُ في اليوم الشَّاتي، أو لثقل العمل بما فيه، أو لثقله في الميزان، أو لثقله على المنافقين.

٢ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿السَّماءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ . .﴾ أي بذلك اليوم لشدَّته، وإنما لم يُؤنث صفة السماء مع أنها مؤنثة، لأنها بمعنى السقف، تقول: هذا سماءُ البيتِ أي سقفُه، قال تعالى «وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً محفوظاً» .

أو لأنها تُذكَّرُ وتُؤنَّثُ، أو جاء «مُنْفَطِرٌ» على النَّسب أي ذاتُ انفطارٍ، كامرأةٍ مرضعٍ وحائض أي ذاتُ إرضاعٍ وذاتُ حيضٍ .

٣ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾.

إن قلتَ: إن جُعل «اتَّخَذَ إلى ربِّهِ سبيلاً» جواباً فأين الشرطُ؟ أو «شاءَ» لا يصلح شرطاً بدون ذكر مفعوله، أو جعل المجموع شرطاً فأين الجواب؟

قلتُ: معناه فمن شاء النَّجاة اتَّخذ إلى ربه سبيلاً.

أو فمن شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً، اتَّخذ إلى ربه سبيلاً، كقوله تعالى «فمنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ ومَنْ شاءَ فَلْيكْفُرْ» أي فمن شاء الإيمان فلْيؤمن، ومن شاءَ الكفرَ فلْيكفرْ.

٤ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ القُرْآنِ..﴾ أي في الصَّلاة، بأن تُصلُّوا ما تيسَّر من الصَّلاة، بما تيسَّر من القرآن، وهذا يرجع إلى قول بعضهم: إن المراد بـ«اقْرَءُوا» صلُّوا، وإن عبَّر بالقراءة عن الصلاة، التي هي بعضُ واجباتها، فهو من إطلاق «الجزء على الكل»[1] وقوله بعده «فَاقرءُوا ما تَيَسَّر مِنْهُ» تأكيدٌ، حثّاً على قيام الليل بما تيسَّر.

«تمت سورة المزمل»

* * *

---

(١) يسمى هذا في علم البلاغة «المجاز المرسل» فقد أطلق القراءة وأراد بها الصلاة، فهو من إطلاق الجزء على الكلّ، لأن القراءة أحدُ أركان الصلاة.

سُورَة المُدَّثِر

١ - قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ. عَلَى الكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾.

فائدةُ ذكره بعد قوله « فَذَلِكَ يَوْمئذٍ يومٌ عَسِيرٌ عَلَى الكافرينَ » رفعُ توهُّمِ أن يُراد بـ«عسير» عسيرٌ يُرجى تيسيرُه، كما يُرْجى تيسير العُسرِ من أمور الدنيا، وقيل: فائدتُه التوكيدُ.

٢ - قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ. فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾.

ذكر « قَدَّرَ » ثلاثَ مرَّات، و«قُتِل كيف قَدَّرَ» مرتين، لأن المعنى أن الوليد[1] فكَّر في شأن النبي ﷺ وما أتى به، وقدَّر ماذا يمكنه أن يقول فيهما، فقال الله « فَقُتِلَ كيفَ قدَّرَ » أي

(١) هو «الوليدُ بن المغيرة» الذي سمع القرآن وتأثَّر به، وكاد أن يُسلم وقال لقومه: لقد سمعت كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا الجن، والله إن له لحلاوةً، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمرٌ، وأنه ليعلو وما يُعلى عليه. .الخ ،وانظر قصته في كتابنا صفوة التفاسير ٣/ ٤٧٥.

على أيِّ حالٍ كان تقديرُه، فالتقديرُ الأول مغايرٌ للثاني والثالث، لاختلاف المقدَّر، وقولُه « ثُمَّ قُتل كيفَ قدَّرَ » كرَّره للمبالغة فهو تأكيدٌ، ولزمَ منه أن «قدَّرَ» الثالثَ تأكيدٌ للثاني، وأن «قُتِلَ» الثاني تأكيدٌ للأول، و«ثُمَّ» للدلالة على أن مدخولها أبلغُ ممَّا قبلها.

وقيل: المرادُ بالقتل الأول لغوُ الوليدِ وتعذيبُه، فهو مغايرٌ للثاني.

٣ ـ قوله تعالى ﴿لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ. لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ. عليها تِسْعَةَ عَشَرَ﴾.

قيل: معناهما واحدٌ، أي لا تُبقي ولا تذرُ للكفَّارِ شيئاً من لحمٍ ولا عَصَب إلَّا أهلكته، ثم يعودُ كما كان، **وقيل:** متغايران، أي لا تُبقي لهم لحماً، ولا تذرُ لهم عظماً، **أو** لا تُبقيهم أحياء، ولا تذرهم أمواتاً.

فإن قلتَ: لأيِّ معنى خصَّ عدد خزنةِ جهنم بـ«تِسْعَةَ عَشَرَ»؟!

قلتُ: لأنها موافقةٌ لعدد أسباب فسادِ النفس الإنسانية[1]، وهي القُوى «الإنسانيةُ ، والطبيعيةُ» إذِ

(١) هذا التعليل لعدد خزنة جهنم بأسباب فساد النفس غريبٌ وبعيد، والأظهر أن يُقال: إنه ابتلاءٌ وامتحانٌ لإيمان الناس، ثم هو موافقٌ لما جاء في التوراة والإنجيل من أن =

القُوى الإنسانيةُ اثنتا عشرة: الخمسةُ الظاهرةُ، والخمسةُ الباطنة، والشهوةُ والغضب.

والقُوى الطبيعيةُ سبعةٌ: الجاذبةُ، والماسكةُ، والهاضمةُ، والدافعةُ، والغاذيةُ، والنَّامية، والمولِّدة، والمجموعُ تسعة عشرَ.

«تمت سورة المدثر»

* * *

سُورَة القِيَامَة

١ - قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ أي بقراءة جبريل عليكَ.

٢ - قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

إن قلتَ: الذي يُوصف بالنظر بمعنى الإبصار، النظرُ بالعينِ لا بالوجه؟

= عدد خزنة جهنم تسعة عشر مَلَكاً، ولهذا قال تعالى ﴿وما جعلنا عدَّتهم إلا فتنةً للذين كفروا ليستيقن الذينَ أوتوا الكتابَ ويزداد الذين آمنوا إيماناً﴾ والله أعلم.

قلتُ: أطلق الوجه فيه وأراد جزءَه ، ففي لفظ «وجـوهٌ» بالنظر إلى «ناضِرة» و«ناظرة» جمعٌ بين الحقيقة والمجاز، وهو جائزٌ.

٣ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿أَوْلَى لَكَ فَـأَوْلَى﴾ أي أولاك اللّهُ ما تكره[١] ، وكرَّره مراراً بقوله «فَأَوْلى ثُمَّ أَوْلَى لكَ فأَوْلَى » مبالغةً في التهديد والوعيد، فهو تهديـدٌ بعد تهـديد، ووعيـدٌ بعد وعيد.

«تمت سورة القيامة»

* * *

سُورَةِ الإنسَان

١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ..﴾

وصفَ النطفةَ مع أنها مفردٌ بـ«أَمْشَاجٍ »[٢] وهو جمـعٌ، لأنها في معنى الجمع ، كقوله تعالى«مُتَّكِئينَ عَلَى رَفْرفٍ خُضْرٍ» أو بجعلِ أجزائها نُطفـاً، وقيل: «أمشـاجٌ» مفردٌ لا جمـعٌ،

---

(١) هذه الآية ذهبت مذهب المثل ، في التخويف والتحذير والتهديد ، ومعناها : ويلٌ لك أيها الشقيُّ ثم ويلٌ لك ، وأصلها من وليَهُ الشيءُ أي قاربه ودنا منه .

(٢) أمشاج: أخلاط جمعُ مَشْجٍ ومَشِيجٍ ، أي اختلطت نطفةُ الرجـل بنطفةَ المرأة، فتكوَّن منه هذا الإنسان السميع البصير، بقدرة الله العلي القدير، فهذا معنى الأمشاج.

كبرمةٍ أعشار، وثوبٍ أخلاقٍ.

٢ـقَوْلُهُ تَعَالَى﴿نَبْتَليهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾

إن قلتَ: كيف عَطَفَ على«نبْتلِيهِ» ما بعدَه بالفاء، مع أنَّ الابتلاءَ متأخرٌ عنه؟

قلتُ: «نَبْتليهِ» حالٌ مُقدَّرة أي مريدين ابتلاءه حين تأهُّله، فجعلناه سميعاً بصيراً، فالمعطوفُ عليه هو إرادةُ الابتلاء لا الإبتلاءُ.

٣ـ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ..﴾

ذَكَرَه بالبناءِ للمفعول، وقال بعدُ«ويَطُوفُ عليهمْ وِلْدانٌ» بالبناء للفاعل، **لأن المقصودَ في الأول**: ما يطاف به لا الطائفون، بقرينة قوله«بآنيةٍ من فضَّةٍ» **والمقصودُ في الثاني**: الطائفون، فذكَر في كلٍّ منهما ما يناسُبه.

٤ـقَوْلُهُ تَعَالَى﴿وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوارِيرَا﴾ معناه تكوَّنت لا أنها كانت قبلُ قوارير[1]،فهو من قولهتعالى«كُنْ فيكونُ» وكذا«كانَ مِزَاجُها كَافُورا».

٥ـقَوْلُهُ تَعَالَى﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً﴾

---

(١) القوارير : جمع قارورة وهي الزجاجة الصافية ، وهذه القوارير جمعت بين صفاء الزجاج وحسن الفضة وبياضها ولهذا قال ﴿ قوارير من فضة ﴾ .

إن قلتَ: ما الحكمةُ في تشبيههم باللؤلؤِ المنثور دون المنظوم؟

قلتُ: لأنه تعالى أراد تشبيههم ـ لحسنهم وانتشارهم في الخدمة ـ باللؤلؤ الذي لم يُثقب، وهو أشدُّ صفاءً، وأحسنُ منظراً، ممَّا ثُقب [1]، لأنه إذا ثُقب نقص صفاؤه ومائيَّتُه، وما لم يُثقب لا يكون إلا منثوراً.

٦ ـ قوله تعالى ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾

إن قلتَ: أيُّ شرفٍ لتلك الدَّار، مع أنه سقاهم ذلك في الدنيا، قال تعالى: «وَأَسْقيناكُمْ ماءً فُرَاتاً» أي عذباً؟

قلتُ: المرادُ سقاهم في تلك الدار بغير واسطة [2]، وأيضاً فشتَّان ما بين الشرابين، والآنيتينْ، والمنزلينْ.

٧ ـ قوله تعالى ﴿وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾.

ـ أفادَ بالتعبير بـ«أو» النهيَ عن طاعتهما معاً بالأَوْلى، ولو عطَفَ بالواو لأفهم جواز طاعة أحدهما، وليس مراداً.

---

(١) إنما شبههم تعالى باللؤلؤ المنثور، لانتشارهم وتفرقهم في الجنة تفرُّق الدُرِّ المنثور، فإن اللؤلؤ إذا كان متفرقاً، كان أجمل وأحسن في المنظر، لوقوع شعاع بعضه على بعض، فيكون أروع وأبدع.

(٢) أي شراباً طاهراً لم تدنسه الأيدي، وأنه من طهره لا يصير بولاً نجساً كما هو حال الدنيا، بل يخرج من أبدانهم رشحٌ كرشح المسك هو فضلات أهل الجنة، متعنا الله بدخولها.

٨ـقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿نَحْنُ خلقْناهُمْ وَشَدَدْنا أَسْرَهُمْ . .﴾ أي خلقهم .

فإن قلتَ : كيف قال ذلك هنا ، وقال في النساء «وَخُلِقَ الإِنسانُ ضَعِيفاً» ؟

قلتُ : قال ابن عباسٍ وغيرهُ : المرادُ به : ضعيفٌ عن الصبر عن النساء ، فلذلك أباح الله له نكاح الأَمَةِ ، وقَالَ الزَجَّاج : معناه يغلبُه هَواه وشهوتُه ، فلذلِكَ وُصف بالضعف ومعنى قوله «وشَدَدْنَا أَسْرهم» ربطنا أوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق والأعصاب ، أو المرادُ بالأسر : عَجْبُ الذنب ، لأنه لا يتفتت في القبر .

«تمت سورة الإنسان»

* * *

سُورَة المرُسَلات

١ـ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾

كُرِّرهنا عشرَ مرَّاتٍ ، والتكرار في مقام الترغيب والترهيب مستحسنٌ ، لا سيما إذا تغايرت الآياتُ السابقةُ على المرَّات المكرَّرة كما هنا .

٢ـقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ

فَيَعْتَذِرُونَ﴾

إن قلتَ: نفيُ النـطق عنهم يدلُّ عـلى انتفاء الْاعتذار منهم، إذِ الإعتذارُ لا يكونُ إلَّا بـالنُّطق، فـما فائـدةُ قولـه عَقِبه« ولا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ».

قلتُ: معناه لا ينطقون ابتداءً بعذرٍ مقبول، ولا بعد أن يُؤذنَ لهم في الاعتذار،لو أُذن لهم فيه ، إذِ الخائفُ عادةً قد لا ينطق لسانُه بعذرٍ وحجةٍ لخوفه، لكنْ إذا أُذن له فيه نَطَق [1] ، ففائدةُ ذلك نفيُ هذا المعنى ، أي لا ينطقون ابتداءً بعذرٍ ولا بعد الإذن.

فإن قلتَ: مَا ذُكر يُنافيه ما دلَّ عليه قوله تعالى«يومَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمينَ مَعْذِرتُهم» من وقوع الاعتذار منهم؟

قلتُ: لا يُنافيه لأن يوم القيامة يومٌ طويلٌ، فيعتذرون في وقتٍ، ولا يعتـذرون في آخر، والجـوابُ بـأن المـراد بتلك الآية«الظالمونَ» من المسلمين، وبما هنا«الكافرونَ» ضعيفٌ، لتعقيب تلك الآية بقوله تعالى«ولهُمُ اللَّعْنَةُ ولهمْ سُوءُ الدَّارِ».

«تمت سورة المرسلات»

---

(١) المراد أنهم في ذلك اليوم الرهيب كالخُرْس، لا يتكلمون بكلامٍ ينفعهم لهول ذلك اليوم ،ولا يُقبل لهم عذرٌ وحجةٌ إذا اعتذروا، بل لا يُؤذن لهم في الاعتذار، لأنهم كفرةٌ أشرار.

سُورَة النَّبَإ

١ - قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾

كرَّره تأكيداً، أو الأول توعُّدٌ للكفَّار بما يرونه عند النزع، **والثاني** توعُّدٌ لهم بما يصيرون إليه من عذاب الآخرة، **أو الأولُ** توعدٌ بأهوال القيامة، **والثاني** توعدٌ بما بعدها من النار وحرِّها، **أو الأولُ** ردعٌ عن الاختلاف، **والثاني** عن الكفر، و«ثُمَّ» للإشعار بأن الوعيد الثاني أشدُّ.

٢ - قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً . وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾

وجهُ اتِّصالِهِ بما قبلَه، أنهم لما اختلفوا في النبأ العظيم - وهو البعثُ - ثم أنكروه، نبَّههم اللهُ تعالى بما خلقه وأوجدهُ، على كمال قدرته[١]، وغايةِ قهره، وأن جميعَ الأشياء طوعُ إرادته، وفي مشيئته.

(١) أشار تعالى في هذه الآيات إلى الأدلة الدالة على قدرته، وكمال عظمته، ليقيم الحجة على الكفار، فيما أنكروه من أمر البعث والجزاء، وكأنه يقول: إن الإلٓه العظيم الذي قدر إيجاد هذه الأشياء، قادر على إحياء الناس بعد موتهم، فهذا أوجه المناسبة.

٣ـقوله تعالى ﴿إلاَّ حَمِيماً وَغَسَّاقاً. جَزَاءً وِفَاقاً﴾

قال ذلك هنا، وقال بعدُ «جزاءً من ربِّكَ عَطَاءً حِسَاباً» لأن الأول للكفار، فناسب ذكر «وِفَاقاً» أي جزاءً موافقاً لأعمالهم، كما قال تعالى «وجزاءُ سيِّئةٍ سيِّئةٌ مثلُها» والثاني للمؤمنين، فناسب ذكرُ «حساباً» أي كافياً وافياً لأعمالهم، من قولك: حسبي أي كفاني.

« تمت سورة النبأ »

* * *

سُورَة النَّازِعَات

١ـقوله تعالى ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً. والنَّاشِطَاتِ نَشْطاً﴾

الواوُ فيه للقَسَم، وجوابه محذوفٌ أي لتبعثنَّ (١)، والمرادُ بالنازعات وما عُطِف عليه: الملائكةُ، وذُكروا بلفظ التأنيث مع أنهم ليسوا إناثاً، لأنه تعالى أقسم بطوائفها، والطائفةُ مؤنثة.

٢ـقوله تعالى ﴿أَبْصَارُها خَاشِعَةٌ﴾ أي ذليلةٌ لما ترى.

---

(١) أقسم الله في هذه السورة بخمسة أصناف من الملائكة: « ملائكة العذاب » التي تنزع أرواح الكفار بشدة وعسرٍ، و« ملائكة الرحمة » التي تنزع أرواح المؤمنين بلطفٍ ولين، و« ملائكة الوحي » التي تنزل بأمر الله ووحيه على أنبيائه ورسله، و« ملائكة الرضوان »، التي تسبق بأرواح المتقين الى الجنان، و« ملائكة التدبير » التي تدبر شؤون الكون.. أقسم على أن القيامة حق والبعث لا بدَّ منه، فجواب القسم محذوف « كما نبَّه المصنّف رحمه الله ».

فإن قلتَ: كيف أضاف الأبصارَ إلى القلوب، مع أنها لا تُضافُ إليها؟

قلتُ: فيه حذفُ مضافٍ أي أبصارُ أربابها.

٣-قوله تعالى ﴿فأراهُ الآيةَ الكُبْرىٰ﴾ أي العَصَى واليد.

فإن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أنه أراه الآياتِ كلَّها، لقوله تعالى «ولقدْ أريْناهُ آياتِنا كُلَّها» وكلُّ آياتِه كبرى.

قلتُ: الإخبارُ هنا عمَّا أراه له أوَّلَ ملاقاته إيَّاه، وهو العصى، واليد، وأطلق عليهما «الآية الكبرى» لاتحاد معناهما، أو أراد بالكبرى: العصى وحدها، لأنها كانت مقدَّمة على الأخرى.

٤-قوله تعالى: ﴿وأَغْطَشَ لَيْلَها وأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾[1] أضاف الليلَ إلى السماءِ، مع أنه إنما هو في الأرض، لأنه هو أول ما يظهر عند الغروب من أُفُق السَّماءِ.

٥-قوله تعالى: ﴿فإذا جاءَتِ الطَّامَّةُ الكُبرَىٰ﴾ أي الداهيةُ العظمى التي تَطمُّ على غيرها، وهي «النفخةُ الثانية»، وخصَّ ما هنا بالطامَّة، موافقةً لما قبله من داهية فرعون، وهي قوله «أَنا رَبُّكُمُ الأَعلَى» ولذلك وُصفت

---

(١) معنى «أَغْطَش ليلَها» أي جعل ليلها مظلماً حالكاً «وأخرج ضُحاها» أي جعل نهارها مشرقاً مضيئاً، قال ابن عباس: أظلم ليلها وأنار نهارها. ا.هـ. وانظر كتابنا صفوة التفاسير ٣/٤١٥.

الطامةُ بالكبرى، موافقةً لقولـه قبلُ«فـأَرَاهُ الآيةَ الكُبـرى» **بخلاف** ما في«عَبَس» لم يتقـدّمه شيء من ذلـك، فخُصَّت بالصاخَّة،وإن شاركت الطامَّة في أنها النفخة الثانيـة، لأنها الصـوتُ الشديـدُ، والصَّوتُ يكـون بعد الـطمِّ، فنـاسبَ جعـلُ الطمِّ للسَّابقة، والصـخِّ لـلاَّحقـة، **وجـوابُ«إذا»** قولُه«فأمَّا مَنْ طَغَىَ»الخ، **وقيل**: محذوفٌ [(١)] تقديـره: فإن الجحيم مأواه.

« **تمت سورة النازعات** »

* * *

سُورَة عَبَس

١- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ. فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ**﴾ «إِنها» أي الآياتُ، أو السورةُ«فمنْ شَاءَ ذَكَرَه» أي القـرآن أو ما ذُكر من الآيات [(٢)]

٢- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿**وَحَدَائِقَ غُلْباً. وَفَاكِهَةً وَأَبّاً**﴾ **الأبُّ**: ما ترعاه البهائم، **وقيل**: التِّبنُ، **وقيل**: يابسُ الفاكهة.

---

(١) ما قاله الشيخ فيه نظرٌ، فإن جواب«إذا» مذكورٌ، وهـو قولُـه تعالى ﴿يومَ يتذكَّرُ الإنسـانُ مَا سَعَى﴾ والمعنى: فـإذا جاءت القيـامة، التي تغـطي بأهـوالها كـل أمرٍ هـائل فظيع، في ذلك اليوم يتذكر الإنسان ما عمله من خـير أو شرٍّ، فيـراه مدونـاً في صحيفة أعماله، فلا حاجة إلى الحذف والتقدير.

(٢) في المدثر﴿كلَّا إنهُ تذكرة. فمن شاءَذَكَرَهُ﴾ فالضمير يعود على القران.

٣ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ. يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾

جوابُ «إِذَا» محذوفٌ يدلُّ عليه قولُه بعدُ «لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمئذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ».

تمت سورة عبس »

* * *

سُورَة التَّكْوير

١ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا البِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ أي أُوقدت فصارتْ ناراً.

قال ذلك هنا، وقال في الإنفطار «وإِذَا البِحَارُ فُجِّرتْ» أي سالت مياهُها على الأرض، فصارت بحراً واحداً، واختلط العذبُ بالملح، موافقةً في الأول لقوله بعده «سُعِّرتْ» ليقع الوعيد بتسجير البحار وتسعير النار، وفي الثاني لقوله «وإِذَا الكواكبُ انتثرتْ» أي تساقطت على الأرض، وصيرورةُ البحار ناراً مسجَّرة، يصيرُ أحدهما في وقتٍ، والآخرُ في آخر، لطول يوم القيامة.

---

(١) قد يُحذف الجواب للتهويل والتفظيع ، كأنه يقول : إذا جاءت صيحة القيامة التي تصخُّ الآذان حتى تكاد تصمُّها كان من الشدائد والأهوال ما لا يخطر على البال .

٢- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَت . بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾؟

فإن قلتَ : كيف قال ذلك ، مع أن سؤال ما ذُكر إنما يحسُن من القاتل لا من المقتول؟

قلتُ : إنما سُئلت لتبكيتِ قاتلها وتوبيخه بما يجيب به ، فإنها قُتِلَتْ بغير ذنبٍ .

ونظيره قوله تعالى لعيسى عليه السلام «أَأَنْتَ قلتَ للنَّاسِ اتَّخِذوني وَأُمّيَ إِلَهَيْنِ من دون الله . . »؟ .

٣- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ أي علمت كلُّ نفسٍ ، لقوله تعالى : «يومَ تجدُ كلُّ نفسٍ ما عَمِلتْ من خيرٍ محضَراً» الآية .

فإن قلتَ : لِمَ ختمَ الآية هنا بقوله «مَا أَحْضَرَتْ» أي من خير وشرٍّ ، وفي الإنفطار بقوله «ما قدَّمتْ وأَخَّرتْ» أي ما قدَّمته من الأعمال ، وما أخَّرته منها فلم تعمله [1] .

قلتُ : رعايةً للمناسبة ، إذْ شروط الجواب هنا طالتْ بكثرتها ، فحسُن اختصارهُ ليوقف عليه ، وشروطُه ثَمَّ قصُرتْ بقلَّتها ، فحَسُن بسطُه لتيسُّر الوقف عليه حينئذٍ .

---

(١) قال الإمام الطبري : ما قدَّمتْ من عملٍ صالح ، وما أخَّرتْ من شيءٍ سنَّه فعُمل به بعده ، وما ذكره الطبري أولى مما قاله المصنِّف .

سُورَة الانفِطار

١ ـ قوله تعالى: ﴿يا أَيُّها الإنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ﴾

إن قلتَ: ما فائدةُ تخصيص ذكر صفة الكرم، من بين سائر صفاته تعالى؟

قلتُ: فائدتُه اللُّطفُ بعبده، وتلقينُه حجَّتَه وعذره، ليقول: غرَّني كرمُ الكريم [1].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ. ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾.

كرَّره تعظيماً للدِّين [2]، **وقيل**: الأول للمؤمنين، والثاني للكفار.

---

(١) ما ذكره الشيخ قولٌ لبعض المفسرين مرجوحٌ، والأظهر والأرجح أن الآية الكريمة وردت مورد التوبيخ والعتاب للمذنب العاصي، كأنه يقول: كيف قابلتَ إحسانَ ربك الكريم بالعصيان، ورأفته بك بالتمرد والطغيان؟! وكيف تجرأتَ على مخالفة أمره مع عطفه عليك وإحسانه إليك، ومما يؤيد ما ذكرناه قول عمر رضي الله عنه: غرَّه حمقُه وجهلُه.

(٢) كرَّره تعظيماً وتهويلاً لأمره، فالتكرار هنا للتفخيم والتهويل لأمر القيامة.

٣- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً . .﴾

فإن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن النفوس المقبولة الشفاعة، تملك لمن شفعت فيه شيئاً ، وهو الشفاعة ؟

قلتُ: المنفيُّ ثبوتُ المُلْك بالسَّلطنةِ، والشفاعةُ ليست بطريق السَّلْطنة، فلا تدخل في النفي، ويؤيده قوله تعالى «والأَمْرُ يومئذٍ لِلَّهِ» .

« تمت سورة الانفطار »

* * *

سُورَة المُطَفِّفِين

١- قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُطَفِّفِينَ. الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا على النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾

فإن قلتَ: هلاَّ قال: اكتالوا واتَّزنوا ، كما قال في مقابله«وإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ»؟!

قلتُ: لأن المطفّفين كانت عادتُهم، ألاَّ يأخذوا ما يُكال وما يُوزن، إلاَّ بالمكيال، لأن استيفاء الزيادة بالمكيال أمكنُ لهم، وأهونُ عليهم منه بالميزان، وإذا أَعْطَوْا كالوا ووزنوا، لتمكنهم من البخس فيهما.

٢- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ. كِتَابٌ مَرْقُومٌ. وَمَا أَدْرَاكَ ما عِلِّيُّونَ كتابٌ مَرْقُومٌ﴾ .

إن قلتَ: كيف فسَّر «سِجِّيناً» و«عِلِّيينَ» بكتاب مرقوم، مع أن سِجِّيناً اسمٌ للأرضِ السابعة(١)، و«عِلِّيين» اسمٌ لأعلى الجنة، أو لأعلى الأمكنة، أو للسماء السابعة، أو لسدرة المنتهى؟!

قلتُ: كِتَابٌ مَرْقُومٌ» وصفٌ معنويٌّ لكتاب الفُجَّار ولكتاب الأبرار، لا تفسيرٌ لسجِّين ولعلّيين، والتقديرُ: وهو كتابٌ مرقومٌ.

« تمت سورة المطففين »

* * *

سُورَة الانْشِقَاق

١- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ﴾ .

جوابُ «إذا» إن جُعلت شرطية محذوفٌ، تقديره: علمت نفسٌ ما أحضرتْ، أو علمتْ نفسٌ ما قدَّمتْ وأخَّرت، أو بُعثتم، أو لاقى كلُّ إنسانٌ كدحه، أو مذكورٌ

---

(١) سجِّينٌ : مأخوذٌ من السَّجْن وهو الضِّيقُ ، وكتابُ الفُجَّار في مكان ضيّق ، في أسفل سافلين ، أما كتاب الأبرار ففي مكانٍ عليٍّ رفيع في أعلى الجنة ، فالآية الكريمة ذكرت مكان كلّ من الأشرار والأبرار .

وهو: يا أيها الإنسان بتقدير الفاء، أو بتقدير يُقال، أو هو «فملاقيه» أي فأنت ملاقيه، أو هو «فأمَّا مَنْ أُوْتي كتابه» إلى آخره(١)، والعاملُ فيها بكل تقديرٍ جوابُها. وإن جُعلت غير شرطية فهي منصوبة بـ «اذكر» مقدَّراً، أو مرفوعة مبتدأٌ خبرُه «إذا» الثانية بزيادة الواو، أي وقتُ انشقاق السماء وقتُ امتدادِ الأرض.

٢-قوله تعالى ﴿وأَذِنتْ لِربِّها وحُقَّتْ﴾

ذكره مرتين، لأن الأول متَّصل بالسماء، والثاني بالأرض، ومعنى «أَذِنَتْ» سمعتْ وأطاعتْ، وحُقَّ لها أن تَسمعَ وتُطيع.

٣-قوله تعالى ﴿بل الَّذِينَ كفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾.

قاله هنا بلفظ «يُكذِّبون» وفي البروج (٢) بلفظ «في تَكْذِيبٍ» رعايةً للفواصل فيهما.

« تمت سورة الانشقاق »

---

(١) الجواب كما قال المصنف محذوف، والأفضل أن يُقدَّر كالآتي: إذا تشقَّقَت السماءوتصدَّعتْمؤذنةً بخراب الكون.. لقي الإنسان من الشدائد والأهوال ما لا يحيط به الخيال.

(٢) في سورة البروج ﴿بل الذينَ كَفروا في تكْذِيبٍ﴾.

سُورَة البُرُوج

١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ. وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾.

الشاهدُ: يومُ الجمعة، **والمشهودُ**: يومُ عرفة، ونَكَّرهما دون بقيَّة ما أقسم به، لاختصاصهما من بين الأيام، بفضيلةٍ ليست لغيرهما، فلم يجمع بينهما وبين البقية بلام الجنس، وهذا جوابٌ أيضاً عمَّا يُقال: لمَ خصَّهما بالذكر دون بقيَّةِ الأيام، وإنما لم يُعرَّفا بلام العهدِ، لأن التنكير أدلُّ على التفخيم والتعظيم، بدليل قوله تعالى «وإِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ واحدٌ».

٢ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ. النَّارِ ذَاتِ الوَقُودِ﴾

هو جواب القَسَم، بحذف اللام أو بحذفها مع «قد» إن جُعل خبراً، فإن جعل دعاءً فجوابُ القسم «إنَّ الذِينَ فَتَنُوا» أو «إنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لشَدِيدٌ» أو هو محذوفٌ لتُبعثُنَّ.

« تمت سورة البروج »

* * *

سُورَة الطَّارِق

١ـقَوْلُهُ تَعَالَىٰ﴿إنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾

هو جوابُ القسم، و«مَا» مُخفَّفة مزيدة، أو«إنْ» نافية، و«لَمَّا» بالتشديد بمعنى إلاَّ.

٢ـقَوْلُهُ تَعَالَىٰ﴿فَمَهِّلِ الكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾

كرَّره تأكيداً، وخُولف بين لفظيْهما طلباً لِلخفَّة.

« تمت سورة الطارق »

* * *

سُورَة الأَعْلى

١ـقَوْلُهُ تَعَالَىٰ﴿فَذَكِّرْ إنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ ذكِّرْه.

فإن قلتَ: إنه ﷺ مأمورٌ بالتذكير، وإن لم تنفع الذِّكرى؟

قلت: إن معنى «إنْ» هنا « إذْ» كما في قوله تعالى «وأنتمُ الأَعْلَونَ إنْ كنتُمْ مُؤْمنين» أو التقديرُ: إن نفعت الذِّكرى أو لم تنفع[1]، كما في قوله تعالى: «سَرَابيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ».

٢- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا﴾

إن قلتَ: كيف قال ذلك، مع أن الحيوان لا يخلو عن الاتِّصافِ بأحدهما؟

قلتُ: معناه لا يموتُ موتاً يستريحُ به، ولا يحيا حياةً ينتفع بها، كقوله تعالى «لا يُقْضَى عليهم فيموتوا ولا يُخَفَّفُ عنهم منْ عَذَابِهَا» وقيل: معناه تصعدُ نفسُه إلى الحلقوم، ثم لا تفارقه فيموتُ[2]، ولا ترجع إلى موضعها من الجسم فيحيا، و«ثُمَّ» للتراخي بين الرُّتب في الشدَّة.

« تمت سورة الأعلى »

---

(١) الأوْلى أن يُقال المعنى: فذكِّرْ يا محمد بهذا القرآن حيثُ تنفع الذكرى والموعظة، كقوله تعالى ﴿فذكِّر بالقرآنِ من يخاف وعيد﴾ ومن هذه الآية يُؤخذ الأدبُ في نشر العلم، فلا يضعه عند غير أهله.

(٢) المعنى الأول أظهر، أي لا يموت فيستريح، ولا يحيا الحياة الطيِّبة الكريمة، بل هو دائمٌ في العذاب والشقاء، قال الطبري: العرب إذا أرادوا وصف رجلٍ بوقوعه في شدة شديدة قالوا: لا هو حيٌّ ولا هو ميِّتٌ، فخاطبهم تعالى بما يعرفون.

سُورَة الغَاشِيَة

١ـ قوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ. عَامِلَةٌ نَاصِبةٌ﴾

قال ذلك هنا، وقال بعده «وجوهٌ يَـوْمئِذٍ نَـاعِمةٌ» وليس بتكرارٍ، لأن الأول في الكفار، والثاني في المؤمنين، والمـرادُ بـالـوجـوه فيهـا جميـعُ الأبـدان [1]، لأنَّ مـا ذُكـر من الأوصـاف، لا يختصُّ بالـوجوه، فهـو كقولـه تعالى«وَعَنَتِ الوجوهُ للحَيِّ القَيُّومِ» **أو المرادُ** بها الأعيانُ والـرؤساءُ، كـما يُقال: هؤلاء وجوهُ القومِ، ويا وجهَ العرب.

٢ـ قوله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَنْـظُرُونَ إِلَى الإِبِـلِ كَيْفَ خُلِقَتْ..﴾ الخ.

إن قلتَ: كيف ارتبط هـذا بما قبله، وأيُّ منـاسبةٍ بـين الإبلِ والمعطوفاتِ عليها حتى جُمع بينهما؟

قلتُ: أمـا الجـوابُ عن الأول، فـلأنـه لَمَّا وصف الله

---

(١) هذا من المجاز المرسل وهـو إطلاق الجـزء وإرادة الكل، كقـوله تعـالى ﴿ويبقى وجهُ ربِّك ذو الجلال والإكرام﴾ أي تبقى ذاته المقدسة.

تعالى الجنة بما وصف، عجب الكفَّارُ من ذلك، فذكَّرهم غرائب صنعه، ولأنه لَمَّا ذكر ارتفاع سُرُرها [1]. قالوا: كيف نصعدها؟ فنزلت هذه الآية.

أو المعنى: أفلا ينظرون إلى الإبلِ نظر اعتبارٍ، كيف خُلقت للأثقال، وحملها إلى البلاد البعيدة، وبروكها لتُحَمَّل، ونهوضها بما حملْته، وسُخِّرتْ لكلّ من قادها، حتى الصبيِّ الصغير، وأُعطيت الصبرَ على العطش عشرة أيامٍ فأكثر، وجُعلتْ ترعى كلَّ نباتٍ في المفاوز، دون غيرها من الدوابّ، وإنما لم يُذكر الفيلُ، والزَّرافةُ، والكدكند وغيرها، مما هو أعظم من الجمل، لأن العرب لم يروا شيئاً من ذلك ولا عرفوه.

وأما الجوابُ عن الثاني، فلأنَّ الإبل كانت أنفسَ أموالهم وأكثرها، وإنما جمع بينها وبين ما بعدها، لأنهما جاءا على وفق عادة العرب، في انتفاعهم بالإبل أكثر، ولا يحصل إلا بأن ترعى وتشرب، وذلك بنزول المطر من السماء، فعطفها في الذِّكر على الإبل، ثم لا بدَّ لهم من حصنٍ يتحصنون به، ولا شيء في ذلك لهم كالجبال،

---

(١) في المخطوطة: ارتفاع شررها وهو خطأ ظاهر، والصواب ما أثبتناه.

فعطفَها على ما قبلَها، فإذا فتّش البدويُّ في نفسه، وجد هذه الأشياء حاضرةً عنده على الترتيب المذكور [1]، بخلاف الحضريِّ.

« تمت سورة الغاشية »

* * *

سُورَة الفَجْر

١ - قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَالْفَجْرِ . وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ قسمٌ وجوابه مع ما بعده محذوفٌ، تقديرهُ: لتعذبُنَّ يا كفّارَ مكة، «وليالٍ عشرٍ» أي ليالي عشر ذي الحجة.

إن قلتَ: كيف نكَّرها دون بقيَّةِ ما أقسم به؟

قلتُ: لاختصاصها من بين الليالي بفضيلةٍ ليست لغيرها، فلم يُجمع بينها وبين البقيَّة بلام الجنس، وإنَّما لم

---

(١) الحكمةُ في تخصيص هذه الأشياء بالذكر« الإبل،السماء،الجبال، الأرض» أن العرب كانوا يسافرون كثيراً في الأودية والقفار، منفردين عن الناس، والإنسان إذا ابتعد عن المدينة أقبلَ على التفكر، فأوَّلُ ما يقع بصرهُ على البعير الذي يركبه، فيرى من خلقه وصنعه منظراً عجيباً، وإن نظر فوقه لم ير غير السماء، وما فيها من الكواكب الزهراء، وإن نظر يميناً وشمالاً لم ير غير الجبال الشاهقة أمامه، وإن نظر أسفل لم ير غير الأرض تحته، فنبهه تعالى بهذه الأمور على قدرة خالقها ومبدعها، لأن دقة الصنعة تدل على عظم الصانع، وهو الله رب العالمين.

تُعرَّف بلامِ العهد، لما مرَّ في سورة البروج.

٢ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾

إن قلتَ: كيف ذمَّ من يقول «ربِّي أكرمَنِ» [١] مع أنه صادقٌ فيه لقوله تعالى «فأكرمَهُ ونَعَّمه» ومع أنه متحدِّث بالنعمة وهو مأمورٌ بالتحدث بها لقوله تعالى «وأمَّا بنعمةِ ربِّكَ فحدِّثْ»؟

قلتُ: المرادُ أن يقول ذلك مفتخراً به على غيره، ومستدلاً به على علُوِّ منزلته في الآخرة، ومعتقداً استحقاق ذلك على ربه، كما في قوله تعالى «قال إنما أُوتيتُهُ على عِلْمٍ عندي» وكلُّ ذلك منهيٌّ عنه، وأمَّا إذا قاله على وجه الشكر، والتحدّثِ بنعمةِ الله تعالى، فليس بمذمومٍ بل ممدوح.

٣ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ..﴾ أي أمرُه [٢].

« تمت سورة الفجر »

---

(١) هذا بيانٌ من الله تعالى لطبيعة الإنسان الكافر، فإنه يبطر عند الرخاء، ويقنط عند الضرَّاء، وإنما يقول ذلك على وجه الفخر والكبر، لا على وجه الامتنان والشكر.

(٢) هذا التأويل على طريقة الخلف، وأما طريقةُ السَّلف فإنهم لا يؤولون بل يحملونها على ظاهرها من غير تكييفٍ ولا تمثيل، قال ابن كثير: جاء ربك لفصل القضاء بين خلقه وهذا أسلم والله أعلم.

سُورَة البَــلَد

١ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا البَلَدِ. وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا البَلَدِ﴾ أي مكة.

إن قلتَ: لم كرَّر لفظ البلد؟

قلتُ: لم يكــرّره، إذِ التقـديـرُ: لا أُقسم بهــذا البلد المحرَّم، الذي جُبلت العربُ على تعـظيمه وتحـريمه« وأنتَ حِلٌّ بهذا البلدِ» أي أُحِلَّ لك فيه من حرماته، ما لم يحلَّ لأحدٍ قبلك ولا بعدك، من قتلِ «ابن خَطَل» وقتال المشركين ساعةً من نهار[1]، فالمرادُ بالبلد الأول الباقي على تحريمه، وبالثاني الذي أُحلَّ للنبي ﷺ إكراماً له، وتعظيماً لمنزلته.

٢ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ الـوالدُ: آدم، وَمَا وَلَدَ: ذُرّيتُهُ، وقـال« وما» ولم يقـل« ومَنْ» لأنَّ في «ما» من

---

(١) هـذا قولٌ لبعض المفسـرين، والأظهر أنَّ المـراد بقوله« حِلٌّ » أي مقيم وساكنٌ فيه، قال البيضاوي: أقسم تعالى بالبلد الحرام، وقيَّده بحلوله عليه السلام فيه إظهاراً لمزيد فضله، وإشعاراً بأن شرف المكان بشرفِ أهله.

الإبهام ما ليس في «مَنْ» فقصد بها التفخيمَ والتعظيم، كأنه تعالى قال: وأيَّ شيءٍ عجيبٍ غريبٍ وَلَدَ، ونظيرُه قولُه تعالى «واللَّهُ أَعْلَمُ بما وَضَعَتْ».

« تمت سورة البلد »

* * *

سُورَة الشَّمْس

١- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿وَنفسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ نكَّرها دون بقيَّة ما أقسم به [1].

لأنه لا سبيل إلى لام الجنس، المدخلة لنفسٍ غير الإنسان، مع أنها ليست مرادة، لقوله تعالى «فَأَلْهَمَها فُجُورَهَا وَتَقْوَاها» ولا إلى لام العهد، إذ ليس المرادُ نفساً واحدة معهودة، وبتقدير أنه أُريد بها «آدم» فالتنكير أدلُّ على التفخيم والتعظيم كما مرَّ في سورة الفجر.

٢- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ جوابُ القسم بحَذْفِ اللام، لطول الكلام، وقيل: جوابه محذوفٌ

(١) أقسم سبحانه في هذه السورة بسبعةِ أشياء «الشمس، والقمر، والليل، والنهار، والسماء، والأرض، والنفس البشرية» وذلك إظهاراً لعظمة قدرته وانفراده بالألوهية، وكلُّها معرَّفةٌ بـ « أل » سوى الأخيرة، فإنه أراد بها النفس الإنسانية العجيبة، فالتنكير للتفخيم والتعظيم.

تقديره: لَتُبْعَثُنَّ أو لتُدمَّرُن يا أهل مكَةَ.

٣ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ هو «قُدارُ بنُ سالف» وقيل هو: مصدع بن دهر.

« تمت سورة الشمس »

* * *

سُورَة اللَّيْل

١ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ جوابُ القسم، وقيل: جوابُه محذوفٌ، كما مرَّ في نظائره السابقة.

٢ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الأَشْقَىٰ﴾ المرادُ الشَّقيُّ.

« تمت سورة الليل »

* * *

سُورَة والضُّحى

١ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ جوابُ القَسَم.

٢ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ أي بحقِّ معالم النبوَّة [١]، وأحكام الشريعة فهداك إليها، أو ضالاًّ في صِغرِكَ في شِعابِ مكة، فردَّك إلى جدِّكَ عبد المطلب، أو وجدك ناسياً فهداك إلى الذّكر، لأن الإضلال جاء بمعنى النسيان، كما في قوله تعالى«أَنْ تَضِلَّ إحداهُما فتُذَكِّر إحْدَاهما الأُخْرَىٰ» وإنما جَمَعَ بينهما في قوله تعالى« لا يَضِلُّ رَبِّي ولا يَنْسَى» لأن الضلال ثَمَّ ليس بمعنى النسيان، بل بمعنى الخطأ أو الغفلة.

٣ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ أي فقيراً فأغناكَ بما قنَّعك به من الغنيمة وغيرها، لا بكثرة المال، وفي الحديث« ليس الغِنَى عن كثرة العَرَض وإنما الغنى غنى النفس [٢]».

٤ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ. وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ. وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ كرَّر فيه«أمَّا» ثلاث مرَّات، لوقوعها في مقابلة ثلاث آيات مناسباتٍ لها

---

(١) هذا هو الصحيح في معنى الآية أي وجدك تائهاً وغافلاً عن معرفة الشريعة والدين، فهداك إليها كما قال تعالى﴿ماكنتَ تدري ما الكتابُ ولاالإيمانُ﴾ ولا يُراد به الضلال الذي يقابلُه الهدى، فإنه ﷺ معصومٌ عن ذلك، فقد كان منذ صغره منوَّر القلب بالإيمان بإلهام الرحمن جل وعلا.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

وهي : «أَلَمْ يجِدْكَ يَتيماً فـآوَى. وَوَجَـدَكَ ضَـالاًّ فَهَـدَى. وَوَجَدَكَ عائِلاً فأغنى» فقـال« فأمَّـا اليتيمَ فَلَا تقهـرْ» واذكرْ يُتْمكَ، «وأَمَّا السَّـائِلَ فَـلاَ تَنْهَرْ» واذكـرْ فقرك« وأمَّـا بنِعمةِ رَبِّك» التي هي النبوة أو الإِسلام فحدِّث واذكرْ ضلالك.

« تمت سورة الضحى »

* * *

سُورَة الشَّرْح

١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾

إن قلتَ: ما فائدةُ ذكرِ «لَكَ» فيه و«عَنْكَ» فيما بعده، مع أن الكلام تامٌّ بدونهما؟

قلتُ: فائدتُه الإِبهامُ ثم الإِيضاح، وذلك من أنواع البـلاغة، فلمَّا قـال تعالى «أَلَمْ نشْـرَحْ لكَ» فُهم أن هنـاكَ مشروحاً، ثم قال «صَدْرَكَ» فأوضح ما عُلم بهما، وكـذا الكلام في «وَضَعْنَا لَكَ».

٢ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فإنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً. إنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً﴾.

إن قلتَ: «مَعَ» للمصاحبة، فما معنى مصاحبةِ العُسر

اليُسْرَ ؟

قلتُ :لَمَّاعيَّرَ المشركون المسلمين بفقرهم ، وعدهم الله يُسْراً قريباً ، من زمانِ عسرهم ، وأراد تأكيدَ الوعد وتسلية قلوبهم ، فجعل اليُسر كالمصاحب للعُسْرِ في سرعة مجيئهِ .

فإن قلتَ : لِمَ ذكرَ ذلكَ مرَّتين بقوله «فإنَّ مع العُسْر يُسْراً . إنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً » ؟

قلتُ : لأن معناه فإن مع العُسر ، الذي أنت فيه من مقاساة الكفار ، يُسْراً في العاجل ، إنَّ مع العسر الذي أنت فيه من مقاساتهم يُسْراً في الآجل ، فلا تكرارَ ، فالعُسْر واحدٌ ، والتعريفُ أولاً للجنس وثانياً للعهد ، واليُسر اثنانِ بدليل تنكيرهما ، والتنكيرُ فيهما للتفخيم والتعظيم ، ولذلك رُوي عن عمر وابن عباس وابن مسعود ، بل عن النبي ﷺ « لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ » (١) وقيل : كُرِّر ذلك للتأكيد ، كما في قوله تعالى « وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ للمكذِّبين » لتعزيز معناه في النفوس ، وتمكينه في القلوب ، فاليُسْران متحدان كالعسرين .

« تمت سورة الانشراح »

---

(١) أخرجه الحاكم والبيهقي .

سُورَة التِّين

١- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾.

قال ذلك هنا : وقال في سورة البلد «لقدْ خَلقْنَا الإِنسانَ في كَبَدٍ» ولا منافاة بينهما ، لمراعاة الفواصل في السورتين ، ولأنَّ معناه هنا ـ عند كثيرٍ من المفسرين ـ منتصب القامة ، معتدلَها ، فيكون في المعنى أحسن تقويم ، وذلك لا ينافي كونه في كَبَد (١) .

٢ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ . إلَّا الذِينَ آمَنُوا . . ﴾ الآية

إن فُسِّرَ بالردِّ إلى جهنم ، فهو سُفْلٌ حقيقيٌّ ، والاستثناءُ بعده متَّصلٌ ، وعليه فقوله تعالى «فلهمْ أجرٌ غيرُ

---

(١) لا منافاة بين الآيتين ، فإن كلاًّ منهما في غرضٍ غير الآخر ، فإن الآية الأولى لبيان كمال خلق الإنسان ، فقد خلقه الله في أجمل صورةٍ وأحسن شكل ، والثانية لبيان ما يكابده ويقاسيه من شدائد وأهوال في هذه الدنيا .

مَمْنونٍ » قائمٌ مقام قوله : فلا نردَّهم أسفل سافلين .

أو بالردِّ : إلى أسفل العُمر ، فهو تسفُّلٌ في الرُّتبِ والأوصاف ، بالنسبة إلى رُتَب الشَّباب وأوصافِه ، والاستثناءُ بعده منقطعٌ ، وعليه فقوله تعالى «فلهم أجرٌ غيرُ ممنونٍ » أي غير مقطوعٍ بالهرم والضَّعف ، والمعنى : إلَّا الذِين آمنوا وعملوا الصَّالحاتِ في حال شبابهم [1] وقوتهم ، إذا عجزوا بالهَرَم عن العمل ، كُتب لهم ثوابُ ما كانوا يعملون إلى وقت موتهم .

« تمت سورة التين »

* * *

سُورَة العَلَق

١ ـ قوله تعالى: ﴿إقْرأْ بِاسْم رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾

أي أوجد القراءة مبتدئاً باسم ربك، و«اقرأْ» الثاني تأكيدٌ له «الَّذي خَلَقَ» أي الخلائق، وخصَّ قوله «خَلَقَ الإنسانَ» بالذِّكر، مع دخوله في الأول، لشرفِهِ ونزولِ

(١) في مخطوطة الجامعة : شبْتهم ، وهو خطأ ظاهر ، لأنه عطف عليه القوة فهو حال الشباب .

القرآن إليه، وقولُه «مِنْ عَلَقٍ» لم يقل: من عَلَقة، لأنَّ الإنسان في معنى الجمعِ ، أو رعايةً للفاصلةِ قبله..

٢ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ﴾ مبهمٌ فسَّره بقوله بعده ﴿عَلَّمَ الإنسانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾

« تمت سورة العلق »

* * *

سُورَة القَـدْر

١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾

عَدَل عن الضمير إلى الظاهر[1]، في لفظ القدر، تعظيماً للَيْلته.

٢ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ متعلِّقٌ بـ «تَنَزَّلُ» و «مِنْ» بمعنى الباء[2]، كما في قوله تعالى «يَحْفَظُونَهُ منْ أمرِ اللَّهِ» وقوله «يُلْقي الرُّوحَ مِنْ أمرِهِ».

« تمت سورة القدر »

---

(١) لم يقل: وما أدراك ما هي؟ بل أتى بالظاهر تعظيماً وتفخيماً لأمرها، وسُمّيت ليلة القدر لعظمها وقدرها وشرفها.

(٢) أي تتنزل الملائكة وجبريل بأمر ربهم، من أجل كل أمرٍ قضاه الله وقدَّره.

سُورَة البَيِّنَة

١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ**﴾ أي من عنده ، كما أظهره في قوله « ولما جاءَهُم رسولٌ من عنْدِ اللَّهِ » .

٢ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ **يَتْلُو صُحُفاً مُطَهَّرَةً** ﴾ .

إن قلتَ : ظاهره أنه يقرأ المكتوبَ من الكتاب ، مع أنه مُنْتفٍ في حقه ﷺ لكونه أُمِّياً ؟

قُلتُ: المراد يتلو ما في الصحف عن ظهر قلبه .

فإن قلتَ : ما الفرقُ بين الصُّحف والكُتب حتَّى جمع بينهما في الآية ؟ .

قلتُ الصُّحُفِ قراطيس ﴿**مطهَّرةٌ**﴾من الشرك والباطل ، والكتب بمعنى المكتوبات ، أي في القراطيس مكتوبةٌ﴿قيِّمة﴾ أي مستقيمة ، ناطقةٌ ، بالعدل والحقِّ .

٣ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البَيِّنَةُ**﴾ ، «أُوتُوا الكِتَابَ» هم اليهودُ

والنصارى «إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البَيِّنَةُ » أي محمد ﷺ ، أو القرآن . المعنى إنهم كانوا مجتمعين على الإيمان به إذا جاء ، فلمَّا جاء تفرَّقوا ، فمنهم من كفر بغياً وحَسَداً ، ومنهم من آمن به ، كقوله تعالى «وَمَا تَفَرَّقُوا إلَّا منْ بَعْدِ مَا جَاءَهُم العِلْمُ بَغْياً بينَهُمْ » .

« تمت سورة البينة »

* * *

سُورَة الزَّلْـزَلَة

١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾

إن قلتَ : لِمَ أضاف الزلزال إلى الأرض[1]، ولم يقل : زلزالاً ، كما قال ﴿إذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ ؟

قلتُ : ليدُلَّ على أنها زُلزلت الزلزال ، الذي تستحقه في حكمته تعالى ومشيئته ، في ذلك اليوم ، وهو الزلزال الذي ليس بعده زلزالٌ .

٢ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ . . ﴾ الآيتين .

(١) إنما أُضيفت الزلزلة إليها تهويلاً لشأنها ، كأنه يقول : الزلزلة التي تقطع القلوب ، وتُفزع الألباب كما قال تعالى : ﴿ يا أَيها الناسُ اتَّقُوا رَبَّكُم إنَّ زلزَلةَ السَّاعةِ شيءٌ عظيمٌ ﴾ .

ليس بتكرارٍ لأن الأول متَّصلٌ بقوله تعالى «خيْراً يَرَهُ» والثاني متصِلٌ بقوله تعالى «شَرّاً يَرَهُ» .

فإن قلتَ : كيف عمَّم فيهما مع أن حسناتِ الكافر محبطةٌ بالكفر ، وسيئاتُ المؤمن الصغائر مغفورة باجتناب الكبائر ؟

قلتُ : معناه فمن يعمل مثقال ذرَّةٍ من فريق السعداء خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرةٍ من فريق الأشقياء شراً يَرَه .

« تمت سورة الزلزلة »

* * *

سُورَة العَادِيَات

١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿**وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً . فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً . فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً**﴾

أقسم تعالى : بثلاثة أشياء ، وجعل جوابها ثلاثةَ أشياء ، وهي قوله ﴿**إنَّ الإنسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ . وإنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشهيدٌ . وإنَّهُ لحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ**﴾ .

٢ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿**إنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ**﴾

إن قلتَ : كيف قال ذلِكَ ، مع أنه تعالى خبيرٌ بهم في كلِّ زمنٍ ؟

قلتُ : معناه إن ربهم تعالى مجازيهم يومئذٍ على أعمالهم ، فتجوَّز بالعلم عن المجازاة ، كما في قوله تعالى « أولئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ مَا في قُلُوبِهِمْ » أي مجازيهم على ما فيها .

« تمت سورة العاديات »

* * *

سُورَة القَارعَة

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيةٍ﴾

جَمَع فيه وفيما بعده الميزان مع أنه واحدٌ ، باعتبار تعدُّد الموزوناتِ والموزونِ لهم ، وقيل : هي جمع موزون .

إن قلتَ : كيف قال فيمن خفَّتْ موازينُه « فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ » أي فمسكنُه النَّارُ ، مع أن أكثر المؤمنين ، سيِّئاتهم راجحةٌ على حسناتهم .

قلتُ : قوله «فأمُّه هَاوِيَةٌ » لا يدلُّ على خلوده فيها ، فيسكن المؤمنُ فيها بقدر ما تقتضيه ذنوبُه ، ثم يخرج منها إلى الجنة .

وقيلَ : المرادُ بخفَّة الموازينُ خلوُّها من الحسناتِ بالكلّية[1] ، وتلك موازين الكفَّار .

« تمت سورة القارعة »

* * *

سُورَة التَّكَاثُر

١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ علْمَ اليَقِينِ ﴾

«كَلَّا » في المواضع الثلاثة ، قيل : للرَّدع والزجر عن التكاثر ، وقيل : بمعنى حقّا ، وقيل : الأوَّلان للردع والزجر ، والثالث بمعنى حقاً وهو أشهرها .

٢ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ : ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ذكره مرتين للتأكيد ، أو الأول للقبر ، والثاني للقيامة ، أو الأولُ للكفار ، والثاني للمؤمنين .

٣ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ :﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اليقِينِ ﴾

جوابُ «لَوْ » محذوفٌ [1] ، تقديره : لو تعلمونَ الأمر يقيناً ، لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر .

---

(١) الكفار لا يقام لهم وزن يوم القيامة لقوله تعالى﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ .

(١) جواب «لَوْ » محذوفٌ للتهويل ، أي لو عرفتم هول ذلك اليوم ، لَمَا شغلكم التكاثر في الدنيا عن طاعة الله ، ولما خُدعتم بهذه الحياة الفانية ، وإنما لم يصلح أن يكون قوله تعالى ﴿لترونَّ الجحيم﴾ جواباً لها ، لأن هذا في الآخرة ، والخطابُ لهم في الدنيا .

٤ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ . ثُمَّ لَتَـرَوُنَّهَا عَيْنَ اليَقِينِ﴾

أعاده بقوله «ثمَّ لَتَروُنَّها» تأكيداً ، أو الأولُ قبل دخولهم الجحيم ، والثاني بعده ، ولهذا قال عَقِبه «عَيْنَ اليَقِينِ» أو الأولُ من رؤيةِ العين ، والثاني من رؤية القلب .

٥ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ ، يعمُّ المؤمن والكافر ، فالمؤمن يُسأل عن شكره النِّعمَة ، والكافرُ يُسألُ عنها سؤال توبيخ .

« تمت سورة التكاثر »

* * *

سُورَةُ العَصْـر

١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾

المـرادُ بالإنسـان الجنسُ ، فالاستثنـاءُ بعده متَّصـل ، وقيل : المرادُ به «أبو جهلٍ» فالاستثناء منقطعٌ .

٢ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

كرَّره لاختلاف المفعولين[1] .

« تمت سورة العصر »

---

(١) تكرار الفعل ﴿وتواصوا﴾ من باب الإطناب لإبراز كمال العناية بالمأمورية .

سُورَة الهُمَزَة

١ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ أي كثير الهَمْز واللَّمْز، والهَمْزُ: اللَّمْسُ باليد أو نحوها، واللَّمْزُ: العيبُ، وقيل: هما بمعنى، فالثاني تأكيدٌ للأول، وقيل: الأول المغتابُ، والثاني القتَّاتُ أي النمَّام، وقيل: الأول العيَّابُ في الوجه، والثاني العيَّابُ في القفا، وقيل: الأول يكون بالعين، والثاني باللسان، وقيل عكسه.

٢ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَه﴾ «الَّذِي جَمَعَ مَالاً» بالجرِّ بدلٌ من «كلّ» أو بالنصب بإضمار أذمُّ، أو بالرفع مبتدأٌ خبرُه يحسب.

« تمت سورة الهمزة »

* * *

سُورَة الفِيل

١ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الفِيلِ﴾

مفعول «ترى» محذوفٌ[1] ، لا «كيف» لأنه استفهامٌ ، فلا يعمل فيه ما قبله ، فهو مفعول فعلٍ بعده .

٢ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ﴾

«أَبَابِيلَ» أي جماعاتٍ جماعاتٍ ، وقيل : لا واحد له ، وقيل : واحدُه إبَّالٌ ، وإبَّالةٌ ، أو أَبُّولٌ ، أو أَبِّيلٌ .

« تمت سورة الفيل »

* * *

سُورَة قُرَيْش

١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ. إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾

إيلافهم الثاني تأكيدٌ للأول ، أو بدلٌ منه ، واللاَّمُ متعلقةٌ بـ «جَعَلَهُمْ» من سورة الفيل ، لأنهما كالسورة الواحدة ، بدليل إسقاط البسملة من بينهما في «مُصْحفِ أُبيٍّ» والمعنى: إنه أهلك أصحابَ الفيل لإيلاف قريش[2] ، وقيل : معناه أعجبوا لإيلاف قريش ، وكان لها في كل سنة رحلتان

---

(١) تقديره : ألم تر عَمَل ربك العجيب ، كيف فعل بأصحاب الفيل !!

(٢) الأظهر أن اللام متعلقة بالفعل الذي بعدها وهو « فليعبدوا » والتقدير : من أجل تسهيل الله على قريش ، وتيسيره لهم ما كانوا يألفونه ، ويعتادونه ، من الرحلة في الشتاء إلى اليمن ، وفي الصيف إلى الشام ، فليعبدوا ربهم شكراً لهذه النعمة الجليلة .

للتجارة ، رحلةٌ في الشتاء إلى اليمن ، ورحلةٌ في الصيف إلى الشام .

« تمت سورة قريش »

* * *

سُورَةُ المَاعُون

١ ـ قوله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ﴾

فإن قلت : كيف توعَّد اللّهُ السَّاهي عن الصَّلاة ، مع أنه غيرُ مؤاخذٍ بالسَّهوِ ، لخبر « رُفع عن أُمَّتي الخَطأُ والنسيانُ » ؟

قلتُ : المرادُ بالسَّهْو هنا : التغافلُ والتكاسلُ عن أدائها ، وقلَّةِ الالتفاتِ إليها ، وذلك فعلُ المنافقين ، أو الفسقة من المسلمين ، لا ما يتَّفقُ فيها من السَّهو بالوسوسة ، أو حديث النفس عمَّا لا صُنع للعبد فيه .

« تمت سورة الماعون »

* * *

سُورَةُ الكَوْثَر

هو نهرٌ في الجنة[1]، أو هو حوضُه ﷺ تَرِدُ عليه أمته، أو هو

(١) ثبت في الصحيح أن الكوثر « نهرٌ في الجنة ، حافّتاه من ذهب ، ومجراه على الدُرِّ والياقوت ، تربتُه أطيبُ من المسك ، وماؤه أحلى من العسل ، وأبيضُ من الثلج ، من شرب منه شربةً لم يظمأ بعدها أبداً » رواه الترمذي .

الخيرُ الكثيرُ من النبوَّةِ ، والقرآن ، والشفاعة ونحوها .

« تمت سورة الكوثر »

* * *

سُورَة الكَافِرُون

١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾

لم يقل «مَنْ» مع أنه القياسُ ، رعايةً لمقابلهِ «ما» في قوله «مَا تَعْبُدُونَ». وكرَّر قوله « لا أعبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ » مرتين ، لأن الأولى للحال [١] ، والثانية للاستقبال ، وقيل : لمقابلة سؤالهم مرتين ، حيث قالوا يا محمد : تعبدُ آلهتنا كذا مدَّةً ، ونعبُدُ إلٰهكَ كذا مدَّة .

« تمت سورة الكافرون »

* * *

سُورَة النَّصْر

وتسمَّى سورة التوديع [٢] .

١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾

---

(١) كأنه يقول لهم : لا أعبد هذه الأصنام في الحال ، ولا في الاستقبال ، تيئيساً للمشركين .

(٢) إنما سميت سورة التوديع ، لأن الرسول ﷺ ودَّع الحياة بعد نزولها ، وحين نزلت هذه السورة قال النبي ﷺ لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : «ما أُراه إلَّا حضورُ أجلي» وسؤال عمر رضي الله عنه للصحابة عن هذه السورة ودلالتها على نعي النبي ﷺ معروفٌ ، وانظر القصة في صحيح البخاري وفي كتابنا صفوة التفاسير ٣/٦١٦ .

جـوابَ «إذا» فسبِّحْ ، أو محـذوفٌ تقـديـره : حَضَـر أَجَلُك ، أي إذا جاء نصرُ اللهِ إيَّاك على من عاداك ، حضر أجلُك ، وكان رسول الله ﷺ يقول لما نزلت هذه السورة : نَعَى اللَّهُ إليَّ نفسي ، وقال الحسنُ : أُعلم النبيُّ ﷺ أنه قد اقترب أجلُه ، فأُمر بالتسبيح والاستغفار ، ليُختم له في عمره بالزيادة في العمل الصالح ، فكان يُكثر من قوله: «سُبْحانك اللهمَّ اغفرْ لي إنَّك أنتَ التَّوَّاب» ورُوي أن النبي ﷺ عاش بعد نزولها سنتين.

« تمت سورة النصر »

* * *

سُورَة المَسَد

١ - قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ ليس بتكرارٍ مع ما بعده ، لأنه دعاءٌ ، والثاني خبرٌ ، فقد تبَّ أي خسر ، وقيل : «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ» أي عملُه «وَتَبَّ» أبو لهب .

إن قلتَ : كيف ذكَرَ اللَّهُ تعالى بكنيتـهِ ، دون اسمِهِ وهو «عبدُ العُزَّى» مع أنَّ ذلك إكرامٌ واحترامٌ ؟

قلتُ : لأنه لم يشتهر إلَّا بكنيته ، أو لأن ذكره باسمه خلاف الواقع حقيقةً ، لأنه عبدُ اللهِ لا عبدُ العزَّى ، أو لأنه ذكره بكنيته ، لموافقة حاله لها ، فإن مصيره إلى النَّارِ ذاتِ

اللَّهب[1] ، وإنما كُنِّي بذلك لتلهُّب وجنتَيْهِ وإشراقهما .

« تمت سورة المسد »

* * *

سُورَة الإخْلَاص

١ - قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾[2]

كرَّر لفظ «الله» لتكون الجملةُ الثانيةُ ، مستقلةً بذاتها كالأولى ، غير محتاجةٍ إلى الأولى .

فإن قلتَ : كيف ذكر «أَحَدٌ» في الإثبات ، مع أن المشهور أنه يُستعمل بعد النفي ، كما أن الواحدَ لا يُستعمل إلَّا بعد الإثباتِ ، يُقال : فِي الدارِ واحدٌ ، وما في الدَّار أحدٌ ، ومن ذلك قولُه تعالى«وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ» وقولُه «لِلَّهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ» وقولُه تعالى «وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ

---

(١) أبو لهب : هو عمُّ النبي ﷺ ، وامرأته العوراء « أم جميل » ، وقد كانَ كلٌّ منهما شديد العداوة للرسول ، وقد اشتهر بكنيته أكثر من اسمه العَلم ، ولما كان من أهل النار ، ومآله النَّارُ ذات الشَّرر واللهب ، ناسب أن يُذكر بكنيته دون اسمه ، فالتكنية هنا ليست للتفخيم والتعظيم بل هي لِلاهانة .

(٢) هذه السورة الكريمة أربع آيات فقط ، وقد جاءت في غاية الإيجاز والإعجاز ، فالآية الأولى أثبتت الوحدانية ونفت التعدُّد ﴿قل هو الله أحد ﴾ والثانية أثبتت صفات الكمال ونفت العجز ﴿ اللّهُ الصَّمدُ ﴾ والثالثة أثبتت الأزلية ونفت الذريَّة ﴿ لم يلد ولم يُولد﴾ والرابعة نفت الأنداد الأضرار ﴿ولم يكنْ له كُفُواً أحدٌ ﴾ فلا غرابة أن تكونَ ثلث القرآن .

أَبَداً » وقولُه «لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ»؟

قلتُ : قال ابن عباس رضي الله عنهما : لا فرق بينهما في المعنى .

واختاره أبو عُبيدة ، ويؤيده قوله تعالى «فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ » ، وعليه فلا يختصُّ أحدهما بمحلٍّ دون الآخر في الإثباتِ ، ويجوز أن يكون العدول عن المشهور هنا ، رعاية للفاصلةِ بعدُ .

« تمت سورة الاخلاص »

* * *

سُورَة الفَلَق

١ ـ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ. وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ ، «مِنْ شرِّ» كرَّره أربع مراتٍ، لأن شرَّ كلٍ منهما غير شرِّ البقيةِ عنها.

فإن قلتَ : أَوَّلُها يشمل البقيَّة ، فما فائدةُ إعادتها ؟

قلتُ : فائدتُها تعظيم شرِّها ، ودفعُ توهم أنه لا شرَّ لها لخفائه فيها .

فإن قلتَ : كيف عرَّف «النفَّاثات » ونكَّر ما قبلها وما بعدها ؟

قلتُ : لأن كل نفَّاثةٍ لها شرٌّ ، وليس كلُّ غاسقٍ وحاسدٍ له شرٌّ ، والغاسقُ : الليلُ [١] .

« تمت سورة الفلق »

* * *

سُورَة النَّاس

١ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلَٰهِ النَّاسِ﴾ الآيات.

ذكر فيها الناس خمس مرَّاتٍ تبجيلاً[١] لهم ، أو لانفصال كل آية منها عن الأخرى لعدم العاطف ، أو المرادُ بالأول الأطفالُ بقرينة معنى «الربوبية ».

وبالثاني الشبَّانُ بقرينة ذكر «المَلِك » الدالِّ على السياسة ، وبالثالث الشيوخُ بقرينة ذكر « الإِلَٰهِ » الدالِّ على العبادة، وبالرابع الصالحون بقرينة وسوسة الخنَّاس، وهو الشيطان المولع بإِغوائهم، وبالخامس المفسدون بقرينة عطفه على الجِنَّة المتعوَّذ منهم.

فإن قلتَ : لِمَ خصَّ النَّاس بالذِّكر في الثلاثة الأولى ،

---

(١) الغاسقُ : الليلُ إذا اشتدَّ ظَلامُه ، فإن في ظلمة الليل ينتشر أهل الفساد والشرّ ، وفي الأمثال « الليلُ أخفى للويل » .

(٢) في تكرار ذكر الناس ناحية بلاغية ، هي زيادة الاعتناء بشأنهم، والتعظيم لهم ، ولو قال : ملكهم ، إلَٰهم ، لما كان لهم هذا الشأن العظيم .

مع أنه تعالى ربُّ كل شيء ، وملِكُه ، وإلَهُهُ ؟

قلتُ : تشريفاً لهم وتفضيلاً على غيرهم .

٢- قوله تعالى: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ . مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾

أي يـوسوس في قلوبهم ، « مِنَ الجِنَّـةِ وَالنَّاسِ » بيـانٌ للشيطان الموسوس ، فهو جنيٌّ وإنسيٌّ كقوله تعالى «شَيَاطِينَ الإِنْسِ والجِنِّ» .

واعتُرض بأن النَّاس لا يوسوسون في صدور النَّاس ، إنما يـوسـوس في صـدورهم الجنُّ ، **وأُجيب** بـأن النَّـاس يوسوسون في صدور النَّاس أيضاً ، بواسطة وسوستهم لهم ، بمعنى يليق بهم في الـظاهـر ، حتى تصـل وسـوستُهـم إلى الصدور ، والله أعلم .

« تمت سورة الناس »

وتمَّ بعونه تعالى الكتاب ، والحمد لله في البدء والختام .

فهرس

السورة	الصفحة
مقدمة المحقق	٥
مقدمة المؤلف	٦
صور عن بعض صفحات مخطوطات الكتاب	ح - ق
سورة الفاتحة	٩
سورة البقرة	١٢
سورة آل عمران	٧٧
سورة النساء	١٠٦
سورة المائدة	١٢٩
سورة الأنعام	١٥٧
سورة الأعراف	١٨٥
سورة الأنفال	٢١٥
سورة التوبة	٢٢٥
سورة يونس	٢٤٣
سورة هود	٢٥٧
سورة يوسف	٢٧٥
سورة الرعد	٢٨٦
سورة إبراهيم	٢٩٢
سورة الحجر	٢٩٦
سورة النحل	٣٠١
سورة الإسراء	٣١٨
سورة الكهف	٣٣٧
سورة مريم	٣٥٠
سورة طه	٣٥٩
سورة الأنبياء	٣٧١
سورة الحج	٣٨١
سورة المؤمنون	٣٨٨
سورة النور	٣٩٣
سورة الفرقان	٤٠٢
سورة الشعراء	٤٠٧
سورة النمل	٤١٧
سورة القصص	٤٣٧
سورة العنكبوت	٤٣٥
سورة الروم	٤٤١
سورة لقمان	٤٤٦
سورة السجدة	٤٥١
سورة الأحزاب	٤٥٧
سورة سبإ	٤٦٤

السورة	الصفحة
سورة فاطر	٤٦٨
سورة يسٓ	٤٧١
سورة الصافات	٤٧٦
سورة صٓ	٤٨٥
سورة الزمر	٤٩١
سورة غافر	٤٩٩
سورة فصلت	٥٠٣
سورة الشورى	٥٠٨
سورة الزخرف	٥١١
سورة الدخان	٥١٦
سورة الجاثية	٥١٩
سورة الأحقاف	٥٢١
سورة محمد	٥٢٣
سورة الفتح	٥٢٤
سورة الحجرات	٥٢٧
سورة قٓ	٥٣٠
سورة الذاريات	٥٣٣
سورة الطُّور	٥٣٦
سورة النجم	٥٣٨
سورة القمر	٥٤١
سورة الرحمن	٥٤٣
سورة الواقعة	٥٤٧
سورة الحديد	٥٥١
سورة المجادلة	٥٥٤
سورة الحشر	٥٥٦
سورة الممتحنة	٥٦٠
سورة الصف	٥٦١
سورة الجمعة	٥٦٤
سورة المنافقون	٥٦٥
سورة التغابن	٥٦٧
سورة الطلاق	٥٦٩
سورة التحريم	٥٧٢
سورة الملك	٥٧٥
سورة القلم	٥٧٧
سورة الحاقة	٥٧٨
سورة المعارج	٥٨١
سورة نوح	٥٨٢
سورة الجن	٥٨٤
سورة المزمل	٥٨٥
سورة المدّثر	٥٨٧
سورة القيامة	٥٨٩
سورة الإنسان	٥٩٠
سورة المرسلات	٥٩٣
سورة النبإ	٥٩٥
سورة النازعات	٥٩٦
سورة عبس	٥٩٨
سورة التكوير	٥٩٩
سورة الانفطار	٦٠١
سورة المطففين	٦٠٢
سورة الانشقاق	٦٠٣

السورة	الصفحة
سورة البروج	٦٠٥
سورة الطارق	٦٠٦
سورة الأعلى	٦٠٦
سورة الغاشية	٦٠٨
سورة الفجر	٦١٠
سورة البلد	٦١٢
سورة الشمس	٦١٣
سورة الليل	٦١٤
سورة والضحى	٦١٤
سورة الشرح	٦١٦
سورة التين	٦١٨
سورة العلق	٦١٩
سورة القدر	٦٢٠
سورة البيِّنة	٦٢١
سورة الزلزلة	٦٢٢
سورة العاديات	٦٢٣
سورة القارعة	٦٢٤
سورة التكاثر	٦٢٥
سورة العصر	٦٢٦
سورة الهُمَزَة	٦٢٧
سورة الفيل	٦٢٨
سورة قريش	٦٢٨
سورة الماعون	٦٢٩
سورة الكوثر	٦٢٩
سورة الكافرون	٦٣٠
سورة النصر	٦٣٠
سورة المسد	٦٣١
سورة الإخلاص	٦٣٢
سورة الفلق	٦٣٣
سورة الناس	٦٣٤
خاتمة	

* * *

خاتمة

يقول محقِّقة الفقير إلى عفو الله ورحمته: **الشيخ محمد علي الصابوني** الحلبيُّ ولادةً، المكيُّ إقامةً، إنه قد تمَّ الفراغ من تحقيق هذا الكتاب والتعليق عليه، في اليوم العاشر من شهر رجب الفرد ١٤٠٢ هـ سنة اثنتين وأربعمائة بعد الألف من هجرة سيد المرسلين ، في البلد الأمين «مكة المكرمة» والحمدُ لله في البدء والختام، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمدُ لله رب العالمين . « ربَّنا آمنَّا بما أَنْزَلْتَ واتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ » .